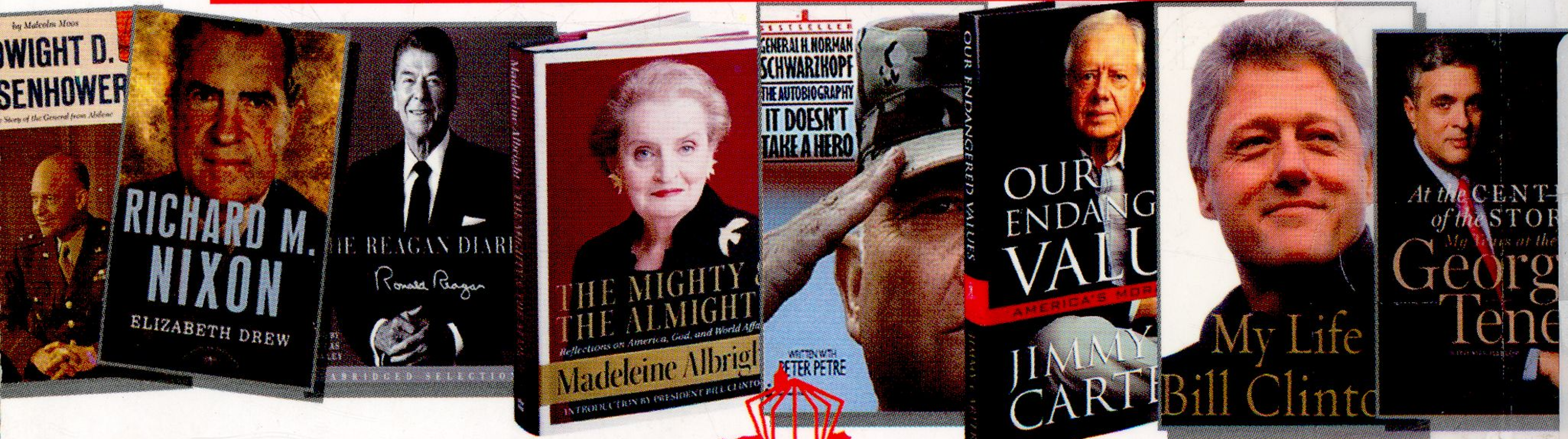


الحكام العرب

في مذكرات زعماء وقادة ورجال مخابرات العالم

أسرار ما يدور خلف الكواليس!!



مجدى كامل

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الحكام العرب



اسم الكتاب: الحكام العرب

اسم المؤلف: مجدي كامل

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٣٣/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-366-8

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



دمشق - القاهرة

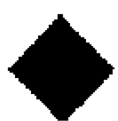
سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

الحكام العرب

في مذكرات الزعماء والقادة السياسيين ورجال المخابرات



تأليف: مجدي كامل



الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

إهداء ..

إلى كل من يبحث معنا عن الحقيقة ..

مجدي

تـقـديـم

في كواليس السياسة والسلطة والحكم خزائن أسرار محصنة لدى الزعماء والقادة السياسيين والعسكريين ورجال المخابرات العالميين .. هذه الخزائن لا تُفتح عادة أثناء وجودهم في مناصبهم .. ولكن بمجرد رحيلهم عنها يسارعون من خلال نشر مذكراتهم بإطلاق ما يمكنهم مما تحتويه خزائنهم من أسرار كنوع من التطهر، أو على سبيل الاعتراف، أو رغبة في استبقاء أسمائهم في دائرة الضوء، أو طمعاً في مقابل نشرها، الذي يصل في بعض الأحيان عشرات الملايين من الدولارات، أو كل هذا وذاك !!

وغالباً ما ينتظر العالم - على أحر من الجمر - موعد صدور مذكرات رئيس دولة، أو رئيس وزراء، أو وزير خارجية، أو دفاع، أو قائد عسكري، أو مدير، أو ضابط مخابرات، أو مسئول مَّا تبوأ موقعاً مهمَّاً في المطبخ السياسي أو العسكري ببلاده لحظة مخاض القرارات الكبرى، أو المصيرية !!

ومن هنا تعتبر هذه المذكرات من المصادر المهمة التي تكشف الكثير من الجوانب الخافية في التاريخ السياسي، وتميط اللثام عن خلفيات الأحداث الكبرى في تاريخ الأمم، وتنير الطريق أمام المؤرخين لكشف غموضها، برغم أنها تحمل عادة آراء أصحابها وانطباعاتهم الشخصية عن الأحداث التي عاشوها وعاصروها .

ورغم أن الزعماء والقادة السياسيين والعسكريين والمخابراتيين في الخارج غالباً ما يركزون على قضايا بلادهم الداخلية، إلا أن تركز أحداث العالم الكبرى، في منطقة الشرق الأوسط بوجه عام، والعالم العربي على وجه الخصوص، واشتباك مصالحها مع مصالح هذه الدول، جعلهم يفردون مساحات كبيرة لكشف أسرار

تعاملاتهم مع حكامها، وإماطة اللثام عن أدق تفاصيلها، وبالتالي أسهبوا في الحديث عن الحكام العرب سلباً وإيجاباً صدقا أم كذبا.

وقد بلغت أهمية هذه المذكرات أن تضمنت بعضها اعترافات مهمة منهم بمحاولة أجهزة استخباراتهم اغتيال بعض الحكام العرب كالرئيس المصري الراحل عبدالناصر والرئيس الليبي الحالي معمر القذافي، أو اعترافات خطيرة منهم بمحاولة إداراتهم وأيضاً إعلامهم الموالي لليهود تشويه صورة حكام عرب على العكس تماماً من صورتهم الحقيقية كالرئيس السوري حافظ الأسد، أو كشف أسرار مفاوضات سلام تم اتهام زعماء عرب كالرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بأنهم سبب فشلها عكس الحقيقة تماماً، أو تكشف عن محاولات لتصوير حكام عرب على أنهم قتلة، وتحذير زائريهم من كبار الدبلوماسيين العالميين من الالتقاء بهم!!

في هذا الكتاب أسرار وأسرار تكشفها مذكرات زعماء وقادة ورجال مخابرات دول العالم، وكان للحكام العرب نصيب كبير منها !!

مجدي حسين كامل

١ جمال عبد الناصر

منذ رحيله قبل ٣٧ عاما، وهناك سيل من الحكايات والروايات لا ينقطع عن حياة الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، ولأن حجم الرجل كان ولايزال كبيرا، فإن المساحة التي يحتلها في مذكرات الزعماء السياسيين والعسكريين والمخابراتيين كبيرة .. حيث يكشف هؤلاء عادة جوانب خفية من شخصية عبدالناصر، وسنواته في السلطة، من خلال احتكاكهم المباشر معه، أو من خلال انخراطهم في سياسات بلادهم، أو برامج وخطط أجهزة استخباراتهم على مدار ١٨ عاما، هى فترة حكم عبد الناصر.

ومن أكبر الجوانب التى أريق فيها حبر كثير عن حياة عبدالناصر هى الجوانب الخاصة بعلاقته بالولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وعلى وجه الخصوص بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ "سي. آي. إيه"، وجهاز المخابرات الخارجية البريطاني "إم . آي . ٦" ومحاولات اغتياله المتكررة من جانب هذين الجهازين .

وهناك أيضاً في هذه المذكرات، التي كتبها زعماء ومسؤولون من الشرق والغرب إماطة اللثام عن حقبة ناصر، وأسرار علاقاته وتحالفاته، وموقفه من السوفييت، وطريقة إدارته للصراع العربي الإسرائيلي، وأحاديث أخرى كثيرة تناولت طباعه، خصاله، سلوكياته، توجهاته، وحتى ذمته المالية .

مذكرات القادة والزعماء ووزراء الخارجية والمسؤولين الاستخباراتيين والسفراء وغيرهم تكشف أسراراً وأسراراً عن ناصر، لم يكن من الممكن الوقوف عليها، لولا أن ضمنها هؤلاء في مذكراتهم !!

أيزنهاور : رفضتُ سيناريوهات دالاس لقتل عبد الناصر !!

عايش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق الجنرال دوايت أيزنهاور البيت الأبيض (١٩٥٣ - ١٩٦١) أكبر الزلازل السياسية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كالحرب الباردة، والعدوان الثلاثي على مصر، وخروج الاستعمار الفرنسي من المغرب العربي، وإعادة شاه إيران إلى عرشه بعد إجهاض ثورة مصدق، وتنفيذ مخططات وزير خارجيته الشهير فوستر دالس لاحتواء المد الشيوعي في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .

ويمكن القول إن مطالعة مذكرات أيزنهاور على جانب كبير من الأهمية لأنها تميط اللثام عن جوانب غامضة من السياسة الأمريكية إزاءنا كعرب بوجه عام، ونظام حكم عبد الناصر على وجه الخصوص، وتقدم تفسيرات لها .

فمذكرات أيزنهاور، التي رتبها، وجمعها، وعلق عليها الصحفي الأمريكي المعروف "ستيفن امبروز" توضح لنا تداعيات الثورة المصرية، و"خارطة الشرق الأوسط"، كما كانت تراها واشنطن في الخمسينيات !!

كما تكشف هذه المذكرات أسرار المناورات السياسية الكبرى، التي أطاحت بكثير من الأنظمة والرؤوس، وغيرت المعادلات، وقلبت التحالفات، وأعطت لعصرنا الراهن طابعه المتميز خاصة بالانشقاقات العربية والإسلامية، وهشاشة توجهات الأنظمة في الشرق الأوسط في الخمسينيات، وتغلغل التدخلات الأجنبية في قلب الأمة العربية.

وتكشف مذكرات أيزنهاور سرا ظل مجهولا لفترة طويلة . هذا السر هو أن فوستر دالس وزير الخارجية : " طلب من المخابرات المركزية الأمريكية أن تعد سيناريوهات محتملة لقتل الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر. وفعلا تم إعداد هذه الصيغ الممكنة وعرضها دالاس على أيزنهاور الذي رفضها.. ورفض الفكرة من أساسها قائلا إنه يستبعد " أن يكون عبدالناصر وراء زعزعة المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط" .. وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٥٥ ".

وتكشف المذكرات أنه : "في أواخر تلك السنة أيضا، اتجه عبدالناصر إلى الولايات المتحدة لتسليح مصر بمبلغ سبعة وعشرين مليون دولار، فهب دالاس والكونجرس الموالي لإسرائيل لإجبار أيزنهاور على رفض الصفقة، فتوجه عبدالناصر إلى تشيكوسلوفاكيا، التي عقد معها صفقة فاقت الصفقة الأمريكية بخمس مرات " !!

ويمضي أيزنهاور في مذكراته فيقول : " وقبلت الحكومة التشيكية أن تقبض مقابل أسلحتها مقايضة بكميات من القطن المصري، ولم ييأس عبدالناصر من أمريكا، فعرض على رئيسها تمويل بناء السد العالى بأسوان بالتعاون مع البنك الدولي فتم نفس الضغط من جانب دالاس للرفض، إلى جانب ضغط إيدن الذي كان يعتبر القضاء على مصر قصما حاسما لظهر العرب " .

وتروي المذكرات كيف رفض أيزنهاور تمويل السد العالي فاستدار عبدالناصر إلى السوفييت .

وقد كتب أيزنهاور في مذكراته بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٦ مايلي: " إني مقتنع أن عبدالناصر لن يقوم بأي حركة من أجل السلام، وأن العرب أصبحوا مشكلة، ولذلك سوف أعمل جهدي على إحداث الشقاق بين عبدالناصر والملك سعود " .

وفي تلك الفترة، تصاعدت تحديات عبدالناصر مهددا بتأميم القنال، فتضاعفت مخاوف أمريكا وفرنسا وبريطانيا، واستغلت إسرائيل، التي كان يتزعمها بن جوريون - آنذاك - هذه المخاوف لإثارة الغرب بأسره ضد مصر .

ولم تنقطع تحديات عبدالناصر، فأعلن في أواخر مايو أن مصر تعترف - رسميا - بالصين الشعبية، وترفض "صين شان غاي تشاك" .

وتحرك إيدن - كما جاء في مذكرات أيزنهاور - في اتجاه الاحتلال العسكري للقنال، ولمصر إن لزم الأمر، قائلا في مذكرة بتاريخ ٢٧ مايو ٥٦ موجهة إلى أيزنهاور : " إن الغرب سيختنق، وسينقطع عنه صنبور النفط، ولايمكن أن نترك عبدالناصر يؤمم القنال ويهدد مصالحنا البحرية .. والأمر يدعو إلى تأديب عبدالناصر" !!

وكان ايزنهاور يميل حسب المعطيات التي استقاها من دالاس ومن المخابرات الأمريكية إلى عقد ندوة لإيجاد حل، قائلا في مذكراته، في رسالة أبلغها روبرت موري في إلى إيدن بتاريخ ٢ سبتمبر ٥٦ : إن لدينا في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة من بين العرب حلفاء، أعربوا لنا عن رغبتهم في تحجيم عبدالناصر، ولكنهم يرون أن عملا عسكريا في القنال لايأتي بتلك النتيجة" . وجاء جواب إيدن يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٦ ليذكر أيزنهاور بأن : "بريطانيا وفرنسا تحالفتا في الحرب الأخيرة مع الولايات المتحدة" ولايمكن أن نترك الغرب ينهار على مراحل " .

وفي منتصف نهار ٣١ أكتوبر، علم أيزنهاور - كما جاء في المذكرات "أن الطائرات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية معززة في الأرض بقوات ثلاثية كبرى هاجمت مصر، وأن عبدالناصر تمكن من غلق القنال، وجمع قواته للمقاومة " .

وكتب الرئيس الأمريكي في مذكراته بأن ذلك الهجوم كان "مفاجأة عظمى لي تعادل مفاجأة بيرل هاربر في ديسمبر ١٩٤١، أو الهجوم الألماني على فرنسا في ديسمبر عام ١٩٤١" .

والمعروف أن أيزنهاور قد تحرك وبولجانين زعيم الاتحاد السوفييتي - حينذاك- لإنهاء العدوان، واغتنم الكرملين هذا الحدث. ومناخ الانتخابات الرئاسية الأمريكية ليقوم بغزو المجر، واحتلال عاصمتها بودابست، لسحق المعارضين للشيوعية والسوفييت .

ويهب أيزنهاور ليستخلص العبرة من العدوان الثلاثي فيقول: "أنا مؤمن بأن مصالح أمريكا رهينة استقرار منطقة الشرق الأوسط أكثر منها رهينة الشرق الأقصى " .

ويضيف أيزنهاور في مذكراته ليوم ٥ فبراير ١٩٥٧ قائلاً : "لعل مصلحة أمريكا تتلخص في الحفاظ على حاجة العرب المستمرة للمعونة الغربية، مع استعدادنا للتدخل العسكري، إذا ثبت أن جزءاً من هذا العالم العربي صلب عوده، لدرجة تهديد إسرائيل" .

ثم يقول أيزنهاور تلك الحكمة التي ذهبت مذهب الأمثال في الخمسينيات، حين خطب أمام الكونجرس يوم ٣ مارس ١٩٥٧ قائلا : "بصورة عامة نحن إزاء قادة عرب محتاجين للسلاح كي يحكموا شعوبا محتاجة للخبز" !!

نيكسون : أراد وحدة عربية

يكون هو فقط على رأسها !!

أما الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون على الجانب الآخر فقد وصف عبدالناصر في مذكراته التي حملتها كتبه " القادة " و" الفرصة السانحة " و"نصر بلا حرب" بقوله : "إنه سريع الغضب والاشتعال، نافد الصبر، ديكتاتور، تمتلكه المصالح الحمقاء، التي سارت به إلى الأبد في طريق المزيد من حاجات شعبه الدنيوية قليلة الشأن" .

ويقول: "رأيت الشباب والشيوخ أغنياء وفقراء ينصتون لصوته بنظرات يعلوها الابتهاج الغامر ".

وعن الوحدة العربية يقول نيكسون : لقد أعطى ناصر للمرة الأولى خلال قرون من الزمن لشعبه حكومة من أبناء مصر، وسعى في الوقت نفسه لتوحيدها مع أشقائها العرب، وكانت تلك فكرة ثورية تامة، مع أنها تجذب إلى حد كبير لكنها غير مجدية ولا عملية ".

ثم يمضي نيكسون فيقول: " بنى ناصر دعوته القومية على أساسين، أولهما : العداء لـ إسرائيل، والثاني : عدم الثقة بالغرب، وكلاهما عاملان هدامان بدلاً من أن يكونا عاملين بناءين ".

ويقول نيكسون : " لقد سعى ناصر دائماً لتحقيق الوحدة العربية ليكون على رأسها، وهو يرى أن القومية العربية تعني ولاءً له وعداءً للغرب ".

ويقول أيضاً : " تدخل ناصر بشكل مكروه في شؤون بلدان عربية أخرى بالإعداد للانقلابات وحياكة المؤامرات وأعمال الاغتيال! .. وأولع نيران الثورات وغاص عميقاً في الحرب الأهلية في اليمن ".

وكتب نيكسون أيضاً يقول: " إن ناصر يهدد موارد دولته النادرة لخدمة مغامراته في الخارج، ودعم موقفه المتشدد من أجل محاربة إسرائيل .

ويمضي نيكسون في تعرضه لشخصية ناصر فيقول : " لقد وضع ناصر بلاده في صنارة في يد موسكو. وكان نظام حكمه استبدادياً قاسياً غير أنه كانت لقسوته ليونة لأنه كان قائداً ثورياً محبوباً .. وكان ناصر قائداً عاطفياً قادراً على الرؤية داخل قلوب شعبه .. وقد سبّب موته المفاجئ نار الأسى ومظاهر الحزن، التي لم يشهد العالم لها مثيلاً " !!

كسنجر : كان في أعين السوفييت مجرد أداة !!

أما هنري كيسنجر وزير خارجية نيكسون فيرى عبدالناصر في مذكراته : "سنوات في البيت الأبيض" : "عنيداً يفاخر بعناده ويراه أساسياً في سبيل توحيد العرب، ولأجل ذلك كان يرى نفسه مجبراً دوماً على معارضتنا ".

ويقول كسينجر أيضاً : " إن فكرة الأمة العربية، التي تبناها ناصر، هي مجرد تفكير رمزي، ورؤيا شبه نبوية، وحلم يستلهم من المؤمنين الحقيقيين أعمالاً بطولية، لكنها نادرة التحقيق ".

– وكتب أيضاً يقول : " إن ناصر لم يعرف كيف يوفق بين الطموحات الدولية التي يمارسها، وحدسه الذي كان يظهر له أن لدى مصر وسائل محدودة في سبيل تحقيقها ".

وكتب يقول : " كان السوفييت يعتبرون ناصر مجرد أداة من أدواتهم الرئيسية في الشرق الأوسط ".

يوجين جوستين : مشكلتنا مع ناصر أنه " بلا رذيلة " !!

وقد تناول الكثير من رجال المخابرات، وخاصة الأمريكية شخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ممن عاصروه إبان شغلهم مهام وظيفتهم، وحاول بعضهم تحليل شخصية الرئيس المصري، الذي كان يمثل بالنسبة لهم " غصة في الحلق "، أو " لقمة لا يمكن لهم ابتلاعها " !!

كما ركز بعض هؤلاء على سر شعبية ناصر الجارفة، وخاصة بين أوساط الفقراء والبسطاء و" الغلابة " من الشعب المصري، وأيضاً الشعوب العربية، الذين استطاع أن يكسب قلوبهم بانحيازه إليهم .

فعبد الناصر فى صراعه مع المعارضين له كان يعتمد على تأييد الغالبية، لأنه كان يوفر لهم العدالة الاجتماعية، حتى لو حرمهم من الحرية !!

وعن سر ارتباط بسطاء المصريين والعرب بشخص عبد الناصر يقول يوجين جوستين رجل المخابرات المركزية الأميركية في مذكراته عن عبدالناصر التي جاءت في كتابه " التقدم نحو القوة " : " إن مشكلتنا مع ناصر أنه رجل بلا رذيلة، مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح، فلا نساء، ولا خمر، ولا مخدرات .. ولا يمكن شراؤه، أو رشوته، أو حتى إخافته، نحن نكرهه ككل، لكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً، لأنه بلا رذيلة وغير قابل للفساد " .

ويشير جوستين إلى ممتلكات الرئيس عبد الناصر يوم رحيله في عام ١٩٧٠ من واقع المستندات والأوراق الرسمية كما يلي :

* المرتب الشهري ٥٠٠ جنيه .
* بدل التمثيل ١٢٥ جنيهاً .
* الصافي الذي كان يتقاضاه هو مبلغ ٣٩٥ جنيهاً وستون قرشاً وسبعة مليمات، وذلك بعد استقطاع الخصومات من معاش وتأمين وإيجار استراحة المعمورة.
* وثيقة تأمين على الحياة ٢٥٠٠ جنيه .
* سيارة " أوستين " قديمة كان يملكها قبل قيام الثورة .
* ثمانية أزواج أحذية .
* ثلاث كاميرات تصوير .
* آلة تصوير سينمائي .
* عشر بدل ومجموعة من " الكرافتات ".
* استبدل من معاشه ٣٥٠٠ جنيه لتجهيز ابنتيه عند زواجيهما .
* كان في جيبه يوم رحيله مبلغ ٨٤ جنيهاً.
* أسرته لا تمتلك سكنا خاصا بعد تسليم بيت الدولة في منشية البكري. "

وكان الدكتور علي الجريتلي نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد الأسبق قد روى للكاتب الراحل الكبير أحمد بهاء الدين – هذه الرواية أوردها في عموده بالأهرام – أنه " استقبل في السبعينيات رئيس اتحاد المصارف السويسري المشهورة بحساباتها السرية، وقال المصرفي السويسري للجريتلي : " لقد أهلكتنا المخابرات الأميركية والإسرائيلية بحثاً وتنقيباً عن حساب سري لعبدالناصر في بنوك سويسرا فلم نجد، وكانت هذه الأجهزة لا تصدق أنه لا يملك أي حساب خاص في الخارج !!

كريستيان بينو : هذه قصتي

مع ناصر وبن جوريون !!

ولأن الرئيس الراحل عبد الناصر كان دائماً بحكم الأحداث التي شهدتها المنطقة شخصية محورية في هذه الأحداث، وخاصة الصراع العربي الإسرائيلي، فقد توقف الكثيرون في مذكراتهم عنده، وبالتحديد عند علاقاته وصراعاته مع زعماء الحركة الصهيونية، ومنهم كبار مسئولي الكيان الصهيوني، أو ما يسمى بدولة إسرائيل .

ويسجل زعماء وقادة العالم السياسيين، ومعهم المسئولون الاستخباراتيون كيف أجادت الحركة الصهيونية والقيادة الإسرائيلية منذ مطلع الخمسينيات ركوب رياح الحرب الباردة لحظة بدء هبوبها على المنطقة، وحددت موقعها فيها بجانب المعسكر الغربي . وعملت بكل السبل على تأجيج الصراع بين أقطابها لأنها لم تستكمل حتى أواخر الأربعينيات مشروعها بإقامة دولة إسرائيل الكبرى !!

ولعل ما رواه "كريستيان بينو" وزير خارجية فرنسا في مذكراته يؤكد ذلك . قد ذكر أنه التقى بن جوريون قبل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وأبلغه أنه قابل عبد الناصر، وأنه يحمل له أخباراً سارة، فقد سمع من عبد الناصر أن "المشاكل مع إسرائيل سوف يحلها الزمن، وأنه يركز كل جهوده على التنمية، ورفع مستوى المعيشة في مصر" .

وكان رد بن جوريون – كما يقول بينو في مذكراته – " هذا خبر سيء جداً لإسرائيل .. فقد كان بن جوريون يرغب في إشعال نار الحرب في المنطقة، لأن تعطيل الحرب وقيام السلام معناه بقاء إسرائيل داخل المناطق، التي حددتها اتفاقات الهدنة " .

ويقول بينو : " هكذا أمدت الحرب الباردة – فيما بعد – إسرائيل بكل مقومات الحياة، وزودتها بكل متطلبات القوة اللازمة لمواجهة الأمة العربية كأمة واحدة وكشعوب " .

ولعل رصد أبرز المبادرات الأمريكية بشأن حل أزمة المنطقة، وربطها بالردود السوفييتية عليها يساعد على تلمس الآثار المباشرة للحرب الباردة بين المعسكرين على قضايا وأزمات المنطقة، وفي تفهم الظروف التي أحاطت بنضال شعب فلسطين من أجل العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ويمضي بينو في مذكراته فيقول :

"فجر يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ وصل بن جوريون إلي باريس ومعه شيمون بيريز وموشي ديان، ثم أقلتهم سيارة في الخفاء إلى ضاحية هادئة قريبة من باريس تدعى "سيفر"، واجتمع الثلاثة مع كريستيان بينو، وزير خارجية فرنسا، الذي كان بصحبته بورجيس مونري وأبل توماس، وذكر بن جوريون في المحادثات التمهيدية الأولية مطالب إسرائيل المختلفة وشروطها لتدخل الحرب مع فرنسا وانجلترا ضد مصر " .

ويتابع بينو :

"في اليوم التالي، حضر جي موليه، رئيس حكومة فرنسا بنفسه، وتقابل مع وفد إسرائيل برئاسة بن جوريون، واستمع إليه وأظهر تفهماً كاملاً وقبولاً لجميع مطالب بن جوريون السياسية والعسكرية الخاصة بتأمين عمليات إسرائيل، وحماية مدنها وسواحلها عن طريق إشراك القوات الجوية والبحرية الفرنسية في مراحل الحرب الأولى التي ستشنها إسرائيل في سيناء " .

ويوضح بينو : "كما اتفق مبدئياً على" توقيتات التحركات لهذه القوات بحيث تكون جاهزة ومستعدة في أوضاعها القتالية قبل يوم ٢٩ أكتوبر، الذي تحدد لهجوم إسرائيل على مصر علي النحو التالي : في يوم ٢٦ أكتوبر تقوم إسرائيل بتعبئة قواتها، في يومي ٢٧، ٢٨ أكتوبر تصل أسراب مقاتلات "الميستير" الفرنسية إلى إسرائيل عن طريق قبرص".

ويواصل بينو :

" في يوم ٢٩ أكتوبر تصل السفن البحرية الفرنسية إلى سواحل إسرائيل، وتعلل تحركات هذه السفن بأنها تقوم بدوريات بحرية في البحر المتوسط عقب حادثة الاستيلاء علي السفينة أثوس ".

و " في يوم ٦نوفمبر يوم انتخابات الرئاسة الأمريكية " تقوم القوات البريطانية - الفرنسية بالغزو البحري، وفي يوم ١٢ نوفمبر يتم احتلال منطقة القناة من بورسيعد حتى السويس " .

"كما تم الاتفاق - كما يتابع بينو - علي أن تعطل فرنسا أي قرار لمجلس الأمن بإدانة إسرائيل في اعتدائها علي مصر عن طريق استخدامها حق الفيتو " .

ويمضي بينو قائلاً :

"في عصر هذا اليوم ٢٢ أكتوبر حضر سلوين لويد وباتريك دين من لندن، وانضما إلي الاجتماع المنعقد بضاحية " سيفر" ووصل الأطراف الثلاثة إلى اتفاقية " سيفر السرية .

وفي تلك الليلة، يقول بينو إنه : " طار مع سلوين لويد إلي لندن لمناقشة الأمر مع أنتوني إيدن، وفي يوم ٢٤ أكتوبر عاد إلي سيفر ومعه موافقة إيدن على الاتفاق، وقام المؤتمر بوضع النص النهائي للمعاهدة الثلاثية السرية، واتفق الجميع على ألا تنشر هذه الوثيقة في المستقبل، ولكن السياسيين الفرنسيين أذاعوا أسرار هذه الوثيقة - فيما بعد - عقب فشل العدوان الثلاثي " !!

وكان أنتوني إيدن قد كتب في مذكراته شارحاً خطة المؤامرة الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية علي مصر فقال :

"في حالة نشوب النزاع تطلب الحكومتان الفرنسية والبريطانية فوراً من الفريقين أن يوقفا الأعمال العدوانية بينهما، وأن يسحبا قواتهما إلي مسافة، من ضفتي القنال فإذا رفض أحدهما أو كلاهما الامتثال إلى هذا الطلب بعد مدة معينة فإن القوات البريطانية والفرنسية ستدخل كإجراء مؤقت للفصل بين الفريقين المتحاربين، وحتى ينجح هذا الإجراء في تحقيق الغرض منه، تقرر أن تحتل القوات البريطانية والفرنسية المواقع الرئيسية في بورسعيد والإسماعيلية والسويس " .

وبناء علي ذلك، ومع غروب شمس يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ تحركت قوات مدرعة ضخمة من الجيش الإسرائيلي من ميناء "إيلات " نحو سيناء وأسقطت الطائرات الإسرائيلية قوات المظلات في " سدر الحيطان " .

وفي صباح يوم ٣٠ أكتوبر١٩٥٦، بدأت الاشتباكات بين القوات المصرية وقوات إسرائيل، ونشط الطيران الإسرائيلي في محاولة ضرب القوات المصرية في "الحسنة" و"القسيمة" و"رفح" و"العريش، غير أن السلاح الجوي المصري تصدى له" .

إيدن : كنا نحلم بالتخلص

من عبد الناصر وجيشه !!

وأهم ما جاء فى مذكرات السير أنتونى إيدن هو الجزء المتعلق بعبد الناصر وحرب السويس .

ويقال إن إيدن كان يوم أصدر مذكراته حريصاً كل الحرص على ألا تصل مذكراته إلى القاهرة، قبل أن تنشر فى لندن وفى العالم كله !

ولكن المذكرات وصلت كاملة إلى القاهرة، والجزء الخاص منها بحرب السويس يظهر فيها قبل أن يظهر فى لندن، والسر الذى أراد أن تكون القاهرة آخر من يعرفه، شاء له القدر أن يعرف فى القاهرة قبل أن يعرف فى أى مكان آخر.

ولكن ماذا تقوله هذه المذكرات عن حرب السويس، التى كان سير أنتونى نفسه أحد ضحاياها ؟

المذكرات تروى أن سير أنتونى إيدن، كان رجلاً متعباً يتكلم عن الإجازات، ويحلم بساحل البحر، ويحنّ كثيراً إلى بيت ريفى تملكه زوجته، وقصة حرب السويس كلها فى مذكراته تبدأ بأن الأزمة فاجأته، وهو يستعد "للقيام بإجازة، فى فيلا جميلة، وضعها حاكم مالطة تحت تصرفه، حتى يستطيع أن يسبح فى مياه البحر الأبيض".

وتروى المذكرات الدور الكبير الذى قامت به ليدى إيدن قرينة سير أنتونى، فى حياته فى السنين الأخيرة.

لقد تزوجها وهو يقترب من الستين، وهى فى نصف عمره أو أقل، إن تأثيرها عليه كان واضحاً خلال أزمة السويس، وهى الأزمة الوحيدة الكبيرة التى عاشتها فى بيته.

وكان دائماً – كما يقول – يريد أن يبدو أمامها شاباً وقادراً، وكان دائماً يريد أن يبدو أمامها حازماً حاسماً، يكسب كل أزمة، ويقهر كل عدو.

فكانت تحضر معه اجتماعاته بالوزراء، كانت تحضر معه مقابلاته لسير ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحل – وهى قريبته – لكى يستشيره فى تطورات الأزمة، كانت تحدثه دائماً عن تأييد الرأى العام لسياسته " القوية " إزاء " ناصر " وهو فى مذكراته يروى كيف " خرجت بنفسها ليلة قامت المظاهرات ضده فى ميدان ترافلجار وقد لفت رأسها ووجهها بإيشارب، حتى لا يعرفها الناس، ثم عادت تروى له أخبار المظاهرات، ثم هو يروى كيف اتخذ أهم القرارات فى أزمة السويس وهو جالس فى الغرفة الخضراء الملحقة بحجرة نومها ".

والمذكرات تروى كيف كان سير أنتونى يشعر – بعد خروجه من منصبه – بعصبية مريرة، أنه كان يريد أن يلقى الطوب على الجميع، ويعلق هزيمته على أكبر عدد ممكن، وأنه كان مستعداً في عصبيته تلك أن يصل إلى حد السباب !!

ولنغفل شتائمه لجمال عبد الناصر، فذلك أمر مفهوم ودوافعه معروفة . ولكن إيدن جعل عنوان كتابه عن معركة السويس: "السرقة" . ثم هو لم يترك كلمة سوء لم يقلها فى جون فوستر دالاس . ثم هو يصف الأمم المتحدة، وسكرتيرها العام داج همرشولد، بأنهم مجموعة من "العمى"! ثم هو يقول إن مجلس العموم هبط إلى مستوى حقير لم يعرفه تاريخ بريطانيا من قبل.

ثم هو يقول عن جماعة من أقرب أنصاره إليه: "لقد تخلوا عنى فى الساعة الحاسمة، لقد كان أضعفهم قلباً بعد السويس، هم الأشد اندفاعاً وتحريضاً قبل الحرب" .. حتى دول الكومنولث لم تسلم من غمزة أو إشارة.

والمذكرات تروى أن سير أنتونى، لا يروي حكاية حرب السويس، ولكنه كمن يلقى دفاعه عن نفسه .

إن مستشاريه الذين ساعدوه فى كتابة هذه المذكرات جاءوه بكل ما وجه إليه من نقد بعدها فجلس يجيب عليه، أو يتلمس المعاذير للإجابة عليه.

والذين كتبوا عن التواطؤ مع إسرائيل جميعاً أشاروا إلى اجتماعه مع موليه وبينو وسلوين لويد فى يوم ١٦ أكتوبر فى باريس، ذلك الاجتماع الذى استغرق ست ساعات ولم يحضره غير الوزراء الأربعة من غير واحد من المستشارين - كان هو الاجتماع الذى عرضت فيه فكرة التواطؤ.

هكذا يستفيض سير أنتونى فى رواية تفاصيل هذا الاجتماع.

الاجتماع طال، لأنهم تعشوا فيه! .. المستشارون خرجوا لأن الوزراء كانوا يتعشون!

ثم إن مستشاريه الذين ساعدوه فى الكتاب نصحوه - على ما يبدو - بأن يواجه تهمة التواطؤ مع إسرائيل لأنه لا فائدة تذكر من وراء الإصرار على الإنكار... هكذا يعترف سير أنتونى بالتواطؤ مع إسرائيل، ولكنه يحاول التماس المعاذير، ويلف حول الغابة ثم يتوه فى أحراشها.

إنه يروى كيف أن مخابراته جاءته بأنباء استعداد إسرائيل للهجوم على الأردن، وكيف أنه نصح إسرائيل أن توجه هجومها إلى مصر بدلاً من الأردن لسبب هام هو أن بريطانيا مرتبطة بمعاهدة مع الأردن، والغريب أنه يضيف إلى ذلك صراحة قوله:

"ومن ناحية أخرى فإن هجوم إسرائيل على مصر - بدلاً من الأردن - كان يتيح لنا تنفيذ خططنا ضد مصر، هذه الخطط التى كانت كل القوات اللازمة لتنفيذها قد تأهبت له واستكملت استعدادها من يوم ١٥ سبتمبر " !

ويقول إيدن في مذكراته فيما يتعلق بعبد الناصر : " قال لي جون فوستر دالاس إنه مصمم على أن يجعل جمال عبد الناصر "يطرش" قناة السويس ولا يبلعها بحال من الأحوال - وكان معنى ذلك فى رأى سير أنتونى أن دالاس مستعد للوصول إلى الحرب ذاتها لا إلى حافتها فقط - ولكنه تخلى وغير رأيه وإذن فهو مسئول " !!

ويقول إيدن أيضاً إن : " بعض قيادات العرب قالت لي أن لا شيء ينقذ الشرق الأوسط إلا الخلاص من جمال عبد الناصر - ومن ثم فهم معه فى المسئولية " !!

ويقول أيضاً : " وقد بعثت قيادات عربية أخرى تقول لي إنه ما لم تنته عملية تأميم قناة السويس بهزيمة واضحة لجمال عبد الناصر فإن شعوب العالم جميعها سوف تتبعه، ويومها على بريطانيا - وعلى مصالحها وأصدقائها السلام !

وتشير مذكرات إيدن إلى أنه كان مصمماً على أن " عبد الناصر هو هتلر، وأن تأميم قناة السويس أشبه باحتلال الراين الألماني، وأن أفكار القومية العربية هى بنفسها مخططات الرايخ الثالث، وأن جماهير العرب الزاحفة تبحث عن مستقبلها هم جنود العاصفة الألمان بخطوات الأوزة، يطرقون الأرض فى عواصم أوروبا التى سقطت تحت أقدامهم بلداً بعد بلد " !

وتروي مذكرات إيدن أيضاً كيف أنه كان أسير عقدة تتمثل في عدائه المرضي ضد الجيش المصرى، حيث يؤكد مراراً وتكراراً في هذه المذكرات أنه : " لا بد من ضرب هذا الجيش وتحطيم سلاحه "، في اتباع واضح لنهج إسرائيل في هذا الصدد.

وفى مذكراته لفترة ما قبل العدوان بخمسة أيام، يروى كيف تقرر إرسال أربع طائرات من طراز كانبيرا - قاذفات القنابل النفاثة - تقوم باستطلاع فوق منطقة القناة " .

ثم يقول بالحرف الواحد: " لقد خرجت طائرات الكانبيرا الأربع فى الفجر، وكانت تطير على ارتفاع كبير يصل إلى ثلاثين ألفاً أو أربعين ألف قدم، وكانت مهمتها أن تحدد مواقع قوات العدو وتصورها إذا أمكن، ولقد ذهبت الطائرات الأربع إلى مهمتها، ولكنها رغم ارتفاعها الضخم وجدت أن أمرها قد انكشف، وأن مواقعها هى تحددت وأن طائرات معادية من طراز الميج المصرية خرجت لمطاردتها وأطلقت عليها نيرانها، ولقد عادت الطائرات الأربع سالمة إلى قواعدها، ولكن إحداها أصيبت بعطب، ولقد كانت المطاردة عملاً رائعاً فى أى مقياس، ولما علمت بتفاصيلها فى اليوم التالى لم أتمالك نفسى من القلق والتفكير، ولقد دعوت مجلساً لمناقشة الموضوع، ومن العجيب أنه بعد بدء المعركة لم يقم الطيران المصرى فيها بدور كبير ضد قواتنا، ولم أستطع أن أدرك حتى الآن تفسيراً لذلك " !!

ويتطرق إيدن في مذكراته إلى السد العالى ورسائله السرية إلى الرئيس الأمريكي– آنذاك – دوايت أيزنهاور وقت معركة السويس، ورسائل منزيس السرية من القاهرة إليه وقت أن كان منزيس يرأس بعثته الشهيرة باسمه.

ويقول إيدن : "عندما حل شهر يوليه، اتجهت أفكارنا إلى الإجازات، بيد أن مشاكل الشرق الأوسط ظلت طوال الصيف تضايقنا وتتعبنا، وكان سلوك مصر بوجه خاص، فيما يتعلق بمشروعها الخاص بإنشاء سد أسوان "السد العالى" قد زاد الأمر صعوبة بالنسبة لنا:

ويقول : كان ناصر قد تقدم فى سنة ١٩٥٥ بمشروع جرىء لتحسين الرى فى وادى النيل ولتوليد الطاقة الكهربائية. ولتحقيق هذا الغرض فكر فى إنشاء سد عال جديد، طوله ٣ أميال، على بعد بضعة أميال جنوبى خزان أسوان الحالى. وكانت حكومة صاحبة الجلالة مستعدة للمساعدة، فقد كنا على علم باحتياجات مصر

وكنا نعلم أن عدد سكانها فى ازدياد مستمر، وأن مستوى الحياة بها على هذا النحو سوف يأخذ فى الهبوط، غير أن مشروع السد العالى أثار كثيراً من المسائل، ومنها مسألة تقسيم مياه النيل بين السودان ومصر، ولم يكن ثمة اتفاق بينهما على هذه المسألة. كذلك أثار هذا المشروع المسائل المعقدة المتعلقة بتمويله. فقد قدرت تكاليف إنشائه خلال ١٦ سنة بنحو ١٣٠٠ مليون دولار، منها مبالغ كبيرة بالعملات الأجنبية، لم يكن من المؤكد أن تستطيع مصر عبد الناصر مواجهتها بمواردها الخاصة " .

يانج : إم . آي . ٦ " وعبد الناصر

أسرار محاولة اغتياله في المنشية!!

وفي الوقت الذي كُتِبَ في الكثير والكثير عن أسرار المواجهات، التي كانت تجري بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي . آي . إيه"، إلا أنه لم يكتب إلا القليل عن المواجهة بين عبد الناصر وبين المخابرات البريطانية المعروفة باسم "إم آي ٦" .

وقد صدر فى بريطانياً واحد من أهم الكتب عن جهاز المخابرات البريطانية وهو يتناول تاريخها وأساليبها وأسرارها .. الكتاب بعنوان : " إم آى ٦ : مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية للكاتب الصحفى البريطانى المعروف ستيفن دوريل، ويحتوى على سبعة أجزاء أهمها على الإطلاق الجزء الخاص باعترافات رئيس هذا الجهاز الاستخباراتي العتيد في الخمسينيات من القرن الماضي جورج يانج بأسرار عمليات جهازه فى الشرق الأوسط .. هذا الجزء يحتوى على ٥ فصول مهمة تتعلق بنشاط المخابرات البريطانية فى فلسطين وقبرص وإيران واليمن، وقبل هذا وذاك نشاطها فى مصر .

وتحت عنوان " السويس : رواد اغتيال وبلطجة"، خصص يانج فى أكثر من ٥٠ صفحة قصة المخابرات البريطانية مع عبدالناصر كما وردت على لسان رئيسها في ذلك الوقت .

ويقول يانج : " عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ومرور عام عليها كانت المخابرات البريطانية مشغولة بإيران والمواجهة مع محمد مصدق رئيس الوزراء - آنذاك - الذى حاول تأميم صناعة البترول الإيرانية، وضرب احتكارات الشركات البريطانية والأمريكية لها .. وتمكنت هذه المخابرات من الإطاحة بمصدق فيما مثل نجاحا كبيرا لها.. إلا أن هذا النجاح لم يخف حقيقة أن - وينقل الكتاب على لسان رئيس " أم . آي ٦ " فى ذلك الوقت جورج يانج : " المخابرات البريطانية كانت تعانى من تدهور فى أدائها فى عدد من البلاد العربية وخصوصا مصر .. فقبل أن تقوم الثورة لم يكن للمخابرات البريطانية أى علم بتنظيم الضباط الأحرار، حتى إن أحد الضباط البريطانيين البارزين فى القاهرة كان قد تقابل مع أحد المعلمين المصريين فى كلية ضباط أركان الحرب المصرية، وأخبره الأخير بسر كبير وهو أن هناك تنظيما سريا داخل الجيش المصرى، وأن هذا التنظيم يخطط للقيام بمحاولة لقلب نظام الحكم " .

ويقول : "أسرع الضابط البريطانى بإرسال هذا الخبر للسفارة، التى أرسلته بدورها لأنتونى إيدن، الذى كان فى ذلك الوقت وزيرا للخارجية البريطانية .. وما كان من إيدن إلا أن أرسله للمخابرات البريطانية التى ردت عليه قائلة : " إن هذه المعلومات لا أساس لها من الصحة، وإن الجيش المصرى بالكامل يدين بالولاء للملك فاروق" .

وكان هذا الرد من المخابرات البريطانية قبل ثورة يوليو بثلاثة شهور فقط .. وحتى عندما قامت الثورة - كما يقول يانج - فشلت المخابرات البريطانية فى أن تفهم أن هذه الثورة بخلاف خلعها للملك فاروق كانت فى أعماقها تمثل حالة كره ومقت عارم من جيل مصرى شاب للاحتلال البريطانى وتجاه كل ما هو بريطانى .

ويمضي رئيس جهاز المخابرات البريطاني الأسبق قائلاً : " والنتيجة أن المخابرات البريطانية لم تفهم فيما بعد حقيقة الصراع بين عبدالناصر ومحمد نجيب " .

ويقول جيفرى هنتون مدير محطة المخابرات البريطانية فى القاهرة عند قيام الثورة وصديق كيم فيلبى ضابط المخابرات البريطانية، الذى اكتشف فيما بعد أنه كان أكبر جاسوس للاتحاد السوفيتى : " إننا لم نتمكن من فهم الأهداف الحقيقية لثورة يوليو ليس فقط لأن أداءنا كان غير كفء فى جميع المعلومات، ولكن لأن عبدالناصر نجح بذكاء خارق فى التمويه على أهدافه، وعدم كشف كرهه العميق للاحتلال البريطانى، الذى طال مكوثه فى مصر ".

لم تعرف المخابرات البريطانية - كما يضيف الكتاب نقلاً عن رئيس الجهاز يانج- أن ناصر " كان قد قام فى شبابه بالانضمام لمظاهرات ضد الإنجليز، وأنه تقريبا احتجز فى السجن بسبب هذا النشاط، كان عبدالناصر - كما يقول ضابط السفارة البريطانية فى القاهرة فى مارس ١٩٥٣ جون دى كورسي- يعتقد أننا كقوة عظمى كنا فى حالة انهيار وشيخوخة، ومن ثم كان الهدف ألا يقبل هو وزملاؤه بأقل من انسحابنا التام، وأنهم ليسوا ملزمين بأى نوع من التحالف معنا فى المستقبل ".

ويضيف : " وعندما بدأت بريطانيا تفهم بعض الشيء توجهات ثورة ٢٣ يوليو مع بداية ١٩٥٣ ، كان تفكير إيدن هو قيام المخابرات البريطانية بتدبير انقلاب ضدها، إلا أنه تخلى عن هذا التفكير بعد أن أقنعه السفير رالف ستيفنسون رئيس أركان المخابرات المشتركة فى ذلك الوقت بأن الإطاحة بحكومة محمد نجيب سوف تسهل على القومى المتشدد عبد الناصر الاستيلاء بالكامل على السلطة.. علاوة على هذا كانت المخابرات الأمريكية تأمل فى أن يكون عبد الناصر ظهيرا لأمريكا وأن يتكلل هذا بعقد صلح بين مصر وإسرائيل " .

ويوضح يانج – كما جاء في اعترافاته بالكتاب : "وفى هذا الإطار ضغط الأمريكان على البريطانيين للإسراع بعقد اتفاقية جلاء عن مصر مع عبد الناصر، وعلى أمل أن يؤدى هذا الجلاء إلى تهدئة خواطر ناصر ونظامه، وأن يصبح حليفا للغرب بعد هذا الانسحاب .. وكان رأى المخابرات البريطانية لهذا التقييم الأمريكى أنه تقييم غير سليم لأنها كانت تعتقد - وبغباء شديد - أن عبد الناصر لن يطول به البقاء فى الحكم " !!

ويشـرح الكتاب الذي حمل اعترافات رئيس جهاز المخابرات البريطاني "أم . آي . ٦ " أيضا أنه : "عند بدء الثورة وبعد استيعاب المخابرات البريطانية لبعض أبعادها ونوايا القائمين عليها وخصوصا عبدالناصر قامت بأول محاولة للانقلاب عليها.. بدأت هذه المحاولة من خلال قيام عميل يوغوسلافى موجود فى القاهرة بالسفر إلى روما ومقابلة جون فارمر مدير محطة المخابرات البريطانية فى العاصمة الإيطالية .. قام العميل بتقديم شخصيتين مصريتين بارزتين لفارمر هما : الأمير محمد عبدالمنعم ابن خديو مصر السابق، ومرتضى المراغى الذى كان وزير داخلية سابق .. وكانت الخطة تقتضى الاعتماد على عدد من ضباط الجيش الموالين لعبد المنعم والمراغي للقيام بانقلاب وتنصيب عبد المنعم ملكا والمراغى رئيسا للوزراء.. إلا أن هذه الخطة سرعان ما تم صرف النظر عنها بعد أن تبين أن عبد المنعم والمراغى لا يتمتعان بأى قدر من الشعبية أو المساندة داخل أو خارج الجيش" !!

ويضيف الكاتب : " ثم جاء عام ٥٤ وشهد قصة الصراع بين محمد نجيب وعبد الناصر وانتهى لصالح الأخير، وأكثر من هذا نجح عبد الناصر فى التوصل لاتفاقية جلاء كامل مع البريطانيين.. إلا أن المخابرات البريطانية لم يهدأ لها بال حيث أخذت فى استعراض القوى التى يمكن أن تناوئ عبد الناصر وتشكل خطرا حقيقيا ينقلب عليه ويتخلص منه فى النهاية.. وجدت المخابرات البريطانية أن الإخوان المسلمين هم أفضل قوة لتنفيذ هذا المخطط وخصوصا بعد انقلاب عبد الناصر عليهم " !

ويقول الكاتب : " هنا وجدت المخابرات البريطانية فرصتها السانحة فى المدعو سعيد رمضان الذى كان قد انضم للإخوان المسلمين فى ١٩٤٠ وتتلمذ على يد حسن البنا وتزوج ابنته فى ١٩٤٩ وبعد مقتل رئيس الوزراء النقراشي والقبض على عدد كبير من الإخوان المسلمين هرب سعيد رمضان إلى باكستان وقام بتأسيس محطتين إذاعيتين موجهتين للبلاد العربية " !.

ويضيف الكاتب أن : "سعيد رمضان أصبح متعاملا فيما بعد مع المخابرات البريطانية والأمريكية وحتى السويسرية وخصوصا بعد أن استقر به المقام فيما بعد فى جنيف .. وفى جنيف وبالتعاون مع سعيد رمضان، قام ضابطا المخابرات البريطانية نيل ماكلين وجوليان آمري بتنظيم حركة مضادة لعبد الناصر من الإخوان المسلمين ومستغلة فى ذلك تدهور العلاقة بين عبد الناصر والإخوان، وخصوصا بعد أن عارضوا خططه فى الإصلاح الزراعى .. علاوة على ذلك كان هناك تنسيق مع عدد آخر من جماعة الإخوان لتنظيم خطة المخابرات البريطانية الانقلابية ضد عبد الناصر" !

ويشرح الكاتب على لسان رئيس "إم . آي . ٦" يانج : "وقد علم عبد الناصر ببعض ما يفعله سعيد رمضان، فقام بسحب الجنسية المصرية منه، فما كان من ألمانيا الغربية - التى كانت غاضبة من عبد الناصر - فى ذاك الوقت لاعترافه بألمانيا الشرقية – إلا أن قامت باعطاء جواز سفر ألمانى لسعيد رمضان" !!

ويضيف يانج : "اتجه سعيد رمضان بالجواز الألمانى إلى ميونخ بألمانيا، ثم عاد لسويسرا واستقر به المقام فى جنيف حتى توفى عام ١٩٩٥.. وفى جنيف أسس رمضان المركز الإسلامى، وقام بالتنسيق مع المدعو يوسف ندا لتأسيس "بنك التقوى" !!

ويوضح الكتاب : "كانت سويسرا عندما انتقل سعيد رمضان إليها تعرف أنه عميل للمخابرات البريطانية والأمريكية، وأنه أصبح يقوم بنشاط موجه بالتنسيق معهما ضد عبد الناصر، ولكن - وكما يقول الكتاب مستندا للأرشيف المخابراتى السويسرى- إن أجهزة المخابرات السويسرية تركته على أساس أن جماعته لا تعكس اتجاهات معادية للغرب . وفيما بعد استخدمته لصالحها.. حيث قام سعيد رمضان بالتنسيق مع حسن الهضيبى من خلال تريفور إيفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية للتخطيط لعملية اغتيال عبد الناصر.. وأخيرا فى ٢٦ أكتوبر وأثناء قيام عبد الناصر بإلقاء خطاب فى ميدان المنشية بالإسكندرية، أطلق أحد أعضاء الإخوان ٨ رصاصات عليه،

ولم تصبه وفشلت محاولة الاغتيال التى دبرها سعيد رمضان فشلا ذريعا وليزداد بعدها حنق المخابرات البريطانية على عبد الناصر ونظامه " !!

ومما ورد في هذا الكتاب الذي يحمل اعترافات يانج رئيس " إم . آي . ٦ " أيضاً أنه : " فى ١٩٥٥ كان التفكير فى إنشاء حلف بغداد وضم مصر إليه .. فقام إيدن فى محاولة أخيرة لإخضاع عبد الناصر بزيارة لمصر فى فبراير ١٩٥٥ ، وكان لقاء إيدن مع عبد الناصر بمثابة فشل ذريع وخصوصا بسبب الأسلوب المتعالى الذى تعامل به إيدن مع عبد الناصر .. وفى ٤ أبريل ١٩٥٥ – وقبل أن يصبح إيدن رئيسا للوزراء بيوم واحد – تم توقيع حلف بغداد بدون انضمام مصر إليه، لم يعد لدى البريطانيين ورق كثير للعب مع عبد الناصر بعد توقيع اتفاق الجلاء سوى الأسلحة التى كانوا هم والفرنسيون يوردونها إليه " !

"وفى مايو ١٩٥٥ وبعد نصيحة من الرئيس اليوغوسلافى – آنذاك – جوزيف بروز تيتو، قام ناصر بعقد صفقة أسلحة سرية مع الروس من خلال تشيكوسلوفاكيا .. لم تعلم المخابرات البريطانية بهذه الصفقة السرية سوى فى ٢٦ سبتمبر ، وعندما علمت بها جن جنون أنتونى إيدن وخصوصا أن الأمريكان كانوا على علم بها .. وفى ٢٧ سبتمبر بدأت أجهزة التجسس البريطانية تلتقط سيل المراسلات بين القاهرة وبراج حول الصفقة التى اتضح أن قيمتها ٤٠٠ مليون دولار وكانت تشمل توريد ٨٠ طائرة ميج مقاتلة، و٤٥ مقاتلة قاذفة قنابل أليشون و١٥٠ دبابة " .

كما حصلت المخابرات البريطانية على تفاصيل أكثر عن هذه الصفقة عن طريق عميل مصرى اسمه محمد حمدي كان يعمل فى القسم التجارى للسفارة المصرية فى براج " .

وكما تقول المعلومات المخابراتية التي وصلت يانج وجهازه وأوردها الكتاب : "كان محمد حمدي فى الستين من العمر وكان يهوى النساء بشدة ولذلك نجحت عميلة للمخابرات البريطانية جاءت خصيصا من فيينا لاصطياده فى شهر عسل وتجنيده.. وبسرعة وبنجاح بالغ وقع محمد حمدي فى الفخ .. ومن خلال حمدي

نجحت المخابرات البريطانية فى الإلمام بجزء كبير من خبايا صفقة الأسلحة المصرية التشيكية، أو بالأحرى صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية.. وعلى أية حال كان لابد من تحرك بريطانى طلب إيدن من وزارة الخارجية والمخابرات البريطانية تدبير خطط جديدة للخلاص من عبد الناصر، وتراوحت هذه الخطط بين محاولات لتدبير تفجيرات فى عدد من المدن المصرية لإرهاب عبد الناصر، أو رشوته بصورة مباشرة وحتى تدبير انقلاب ضده " .

ويعترف يانج : " كان هناك تفكير لدى المخابرات البريطانية أن يقود على ماهر رئيس الوزراء السابق هذا الانقلاب، ولكن كان ذلك شبه مستحيل ليس فقط لعدم شعبية على ماهر، ولكن لكبره فى السن .. كل هذه المحاولات باءت بالفشل لأن التقديرات داخل الأجهزة البريطانية كانت متضاربة علاوة على أنها كانت تجمع على أن ناصر لن يصبح متحالفا مع السوفييت والشيوعيين " !!

ويضيف يانج : "أحد تقاريرنا المخابراتية فى ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥ نصح بإنه لو تبين أن عبد الناصر سيصبح دمية شيوعية فإن الأسلوب الأمثل للتعامل معه هو قلب نظام حكمه وليس تقديم رشوة هائلة له، ولم يعد بعد كل هذا أية أوراق لإغراء ناصر سوى تمويل السد العالى الذى كان يطمع عبد الناصر فى أن يحقق به جزءا كبيرا من أحلام المصريين فى التنمية " !!

وهكذا ففى ١٤ ديسمبر ١٩٥٥ "قرر البريطانيون والأمريكان تقديم عرض لعبدالناصر بتمويل السد العالى من خلال البنك الدولى .. وفى يناير ١٩٥٦ كانت تقديراتنا كمخابرات بريطانية أن الشرق الأوسط قد يصبح على حافة انفجار فى هذا العام، بعد أن تم تعيين سلوين لويد وزيرا للخارجية البريطانية.. عمل لويد كل ما فى وسعه منذ بدء تعيينه على التنسيق مع الأمريكان فى كل ما يخص عبد الناصر، كان هناك اقتناع فى هذه الفترة بين أجهزة الحكم والمخابرات فى بريطانيا وأمريكا بأنه لابد من عمل شيء تجاه عبد الناصر، ولكن التناقض فى الشخصيات والسياسات وسوء التحليلات لم يؤد إلى سياسة فعالة، ولكن بحلول فبراير ١٩٥٦ كان هناك تنسيق بين المخابرات البريطانية والأمريكية لاغتيال عبد الناصر" !!

وحول خطة الاغتيال يقول يانج : "كانت خطة الاغتيال - التى أعدتها أساسا المخابرات البريطانية - أشبه بأفلام جيمس بوند، ولذلك لم يوافق عليها الأمريكان وبالتالى فشلت، ثم تطورت الأمور للأسوأ بقيام الملك حسين فى ١ مارس بإقالة جلوب باشا القائد البريطانى للفيلق العربى فى الأردن وإعلانه الانحياز لعبد الناصر، هذا القرار أصاب إيدن بحالة جنون وجعله يفكر من جديد فى خطة اغتيال عبد الناصر.. وفى ١٥ مارس ١٩٥٦ كتب إيدن مذكرة للرئيس الأمريكى أيزنهاور يقول فيها إن لديه معلومات مؤكدة أن عبد الناصر يسعى لتأسيس ولايات عربية متحدة بعد العمل على إسقاط الملكيات الحاكمة فى العالم العربى وخصوصا فى ليبيا والعراق والأردن، علاوة على تدمير إسرائيل وكل هذا يصب فى صالح الاتحاد السوفيتى فى النهاية ". وكان إيدن يسعى من خلال هذا الخطاب لكسب " التوجه الأمريكى من جديد ضد العمل على إسقاط عبد الناصر أو اغتياله .. ثم تطورت الأمور على النحو المعروف بعد قرار البنك الدولى بسحب عرضه لتمويل السد العالى ثم الرد من جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو فى الإسكندرية بتأميم شركة قناة السويس "!

ومما يرويه هذا الكتاب الذي يحمل اعترافات أكبر مسئول مخابراتي بريطاني في تلك الفترة أن "جهود المخابرات البريطانية ضد عبد الناصر فى هذه الفترة من خلال القيام بعملية دعاية ضخمة موجهة إلى القاهرة الذى كان يبث من قبرص وليبيا وعدن فى اليمن .. وأخيرا طرحت فكرة اغتيال عبد الناصر من جديد .. قام إيدن باستدعاء جورج يانج مدير "إم . آي . سكس" ووقع طلبا مكتوبا باغتيال عبد الناصر ! ولم يكن هناك مفر من تحقيق هذا الطلب وكان الاتجاه هذه المرة أمام المخابرات البريطانية هو التنسيق مع الموساد الإسرائيلى والمخابرات الفرنسية.. الأكثر من هذا قام إيدن بالاتصال تليفونيا مع ديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل" وحتى مع مدير الموساد أيسر هاريل .. وعلاوة على ذلك الاتصال بالفرنسيين للتنسيق.. وأصبح ضابط المخابرات البريطانية الشهير جوليان آمري

هو المنسق العام للخطة والمسئول عن الاتصال مع المعارضة المصرية المؤيدة لإسقاط ناصر وأغلبهم من الأسرة الملكية أو مصريين ساخطين على عبد الناصر " ((

وبدءا من ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ " عقد آمري ومعه ضابط مخابرات بريطانية سلسلة لقاءات مع شخصيات مصرية ضمت ممثلين عن حزب الوفد ومقربين من رئيس الوزراء الوفدى السابق مصطفى النحاس باشا، كما قاموا بتنشيط اتصالاتهم من جديد بسعيد رمضان فى جنيف، وكانت هناك خطة تقوم على أنه أثناء عملية ضرب وغزو مصر تقوم المخابرات البريطانية بإخراج اللواء محمد نجيب من محبسه المنزلى وتوليته الرئاسة وتعيين صلاح الدين وزير الخارجية المصرى فى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٢ رئيسا للوزراء، كما طرح اسم على ماهر وطرحت مجموعة أخرى من المتآمرين يقودها – حسب ما قاله الكتاب – اللواء حسن صيام قائد سلاح المدفعية فى ذلك الوقت ومعه مجموعة من ضباط الجيش المتقاعدين ممن كانوا ساخطين على عبد الناصر، كما عاد آمري للخطة المحبوبة لدى المخابرات البريطانية وهى أنه بعد الغزو والخلاص من عبد الناصر يتم تعيين الأمير محمد عبد المنعم – ابن الخديو عباس حلمى الثانى – ملكا على مصر وتعيين أحمد مرتضى المراغى رئيسا للوزراء والذى كان قد غادر مصر فى يونيو واستقر فى بيروت.. ويدعى الكتاب أن آمري نجح فى جذب عدد من العناصر المصرية وراء خطة المخابرات البريطانية للإطاحة بعبد الناصر واغتياله ومن هؤلاء ضابط مخابرات مصرى يدعى عصام الدين محمود خليل وكان نائب رئيس المخابرات الجوية .. وقد تم الالتقاء به أثناء زيارة قام بها إلى روما من قبل محمد حسين خيرى حفيد السلطان حسين كامل الذى حكم مصر فى الفترة من ١٩١٤ الى ١٩١٧، وقد وافق خليل على الانضمام للخطة البريطانية وسافر بعد أسابيع فعلا إلى بيروت.. ويقول الكتاب إن خيري حفيد السلطان حسين كان يعمل نائب رئيس المخابرات الحربية قبل ثورة يوليو وبعد الثورة تم عزله وإحالته للاستيداع فسافر للخارج حانقا على عبد الناصر ونظامه.. طوال هذه الفترة لم يكن لدى المصريين علم بما يفعله خليل وكان التخطيط أن تقوم

المخابرات البريطانية بتقديم بعض المعلومات له فى بيروت عن إسرائيل لتقديمها للقيادة فى مصر مبررا بها سفره الدائم إلى بيروت " !!

"كان المطلوب من خليل أن يعمل على تكوين خلية سرية من ضباط الجيش للعمل ضد عبد الناصر وكانت شروط خليل أن يكون هو القناة الوحيدة بين البريطانيين والخلية وأن يحصل على كميات هائلة من المال لتغطية مصاريفه وخدماته.. ثم قامت المخابرات البريطانية بعد ذلك باصطحاب مرتضى المراغى وترتيب مقابلة له مع وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد لزيادة طمأنته من أن هذه الخطة برعاية الحكومة البريطانية.. كان هدف المخابرات ليس فقط الإطاحة بعبد الناصر على يد الخلية العسكرية ولكن أن تقوم هذه الخلية بقتل عبدالناصر لأن ذلك هدف أساسى لأنتونى إيدن إلا أن هذه الخطة انضمت للخطط الفاشلة السابقة عندما تأكد للمخابرات والخارجية البريطانية أنها لن تؤدى إلى شيء لأنه ببساطة - كما يقول الكتاب - " كان عبدالناصر يتمتع بشعبية جارفة داخل الجيش وبين شعبه" .

ويمضي قائلاً : " لم يتوقف الفشل عند هذا الحد.. ففى آخر أغسطس ١٩٥٦ قامت المخابرات المصرية باقتحام مكتب وكالة الأنباء العربية التى كانت واجهة للمخابرات البريطانية، وفى مؤتمر صحفى فى ٢٧ أغسطس أعلن عن القبض على خلية تجسس بريطانية فى مصر يقودها جيمس سوينبرن وهو مدرس إنجليزى قضى فى مصر ٢٥ عاما ثم أصبح مديرا للمكتب وقد اعترف بخلية التجسس، كما تم القبض على تشارلز بتسويك أحد عمال شركة ماركونى وجيمس زارب وهو مالطى يمتلك مصنع بورسلين وكانا يشكلان جزءا من خلية التجسس كما تم القبض على المدير الحقيقى للمكتب وهو توم ليتل الذى كان مراسلا لمجلة الإيكونوميست وجريدة التايمز ولكنه كان فى نفس الوقت عميلا رئيسيا لجهاز المخابرات البريطانية " .

الغريب - كما يقول الكتاب - أن " المخابرات المصرية كانت تعرف بالنشاط التجسسى لتوم ليتل منذ البداية ولكنها تركته حرا وتعمدت تغذيته بمعلومات خاطئة

ومضللة عن الرئيس عبد الناصر، وقد كشفت عمليات القبض على الخلية - وحسب اعترافات أعضائها التى تمت فى سجن القناطر - أنها أوصلت معلومات للمخابرات البريطانية عن تطورات سياسية سرية كانت تجرى فى مصر وعن بعثات الشراء التى توجهت لبعض دول الكتلة الشرقية لشراء أسلحة وعن بعض المعدات العسكرية السوفيتية التى كان قد تم البدء فى توريدها بموجب الصفقة التشيكية ومنها تركيب محطة رادار جديدة خارج القاهرة ومعدات مضادة للدبابات لزوم الحرس الوطنى علاوة على معلومات عن أماكن تمركز القوات المسلحة المصرية، أكثر من هذا قامت المخابرات المصرية باعتقال عملاء مصريين عملوا لصالح هذه الشبكة بلغ عددهم ١١ عميلا منهم سيد أمين محمود وابنه الضابط بحرى أحمد أمين محمود الذى عمل لفترة ملحقا بحريا للرئيس محمد نجيب.. وقد قام سيد وابنه أحمد بتقديم معلومات للبريطانيين عن التحصينات العسكرية البحرية لميناء الإسكندرية ومعلومات عن السفينة عكا والسفينة سودان مفادها أن الرئيس عبد الناصر كان ينوى ملء هاتين السفينتين بالمتفجرات وسد القناة بهما فى حالة أى غزو بريطانى وقد تبين أن كل هذه المعلومات كاذبة، كما تم القبض على المدعو يوسف مجلى حنا الذى قام بتقديم معلومات عن قيام خبراء من ألمانيا الشرقية بمساعدة مصر فى برنامج تصنيع صواريخ " .

وقد وردت إشارات فى القضية أن " الرئيس محمد نجيب قدم بعض المعلومات ولكن تم حذفها بطلب من عبدالناصر، ويقول الكتاب إنه تمت مفاتحة نجيب فى تولى الحكم بعد القيام بانقلاب على نمط الانقلاب ضد مصدق فى إيران والذى قامت به المخابرات البريطانية " .

ويكشف الكتاب أنه : " قبل العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ قامت بريطانيا بمحاولة أخيرة لقتل عبدالناصر.. وتلخصت العملية فى قيام المخابرات البريطانية بتجنيد جيمس موسمان مراسل البى بى سي والديلى تليجراف فى القاهرة وكانت مهمته " تجنيد طبيب عبدالناصر لكى يضع له السم فى القهوة أو يقدم شيكولاتة

سامة له من النوع الشعبى فى ذلك الوقت كروبجي مقابل رشوة ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى " .

ويحكى الكتاب التفاصيل الكاملة لهذه العملية التى انتهت بالفشل، كما يحكى بالتفصيل محاولة اخرى من جانب المخابرات البريطانية لضخ غاز أعصاب سام فى أحد أجهزة التكييف الخاصة بأحد مقرات عبدالناصر إلا أنه تم العدول عن هذه الخطة من قبل إيدن شخصيا لأنه كان قد استقر عزمه على أن الأسلوب الوحيد لقتل عبدالناصر هو من خلال العدوان الثلاثى، ثم يتحدث الكتاب بتفاصيل جديدة بالغة الإثارة عن دور المخابرات البريطانية أثناء العدوان الثلاثى وتنسيقها مع المخابرات الأمريكية والفرنسية والإسرائيلية كما يكشف الكتاب عن دور المخابرات البريطانية فى مساعدة سعيد رمضان لترتيب انقلاب ضد الرئيس عبدالناصر فى ١٩٦٥ وهى العملية التى انتهت بالقبض على أغلب عناصرها " !!

جروميكو : لو عرفنا لتركنا ناصر

يضرب مفاعل ديمونة الإسرائيلي !!

وعن ناصر أيضاً يروي أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتية الأسبق في مذكراته بعض أسرار فترة حكمه، وهو يعرج على قيام إسرائيل في ٧ يونيه من عام ١٩٨١ بضرب المفاعل النووي العراقي، على الرغم من أنه كان في نطاق حماية صواريخ سام السوفيتية أرض جو إنه مازال يذكر جيدا كيف قامت طائرتان من طراز ميج تابعتان لسلاح الطيران المصري في منتصف مايو ٦٧ بعملية استطلاع فوق مفاعل ديمونة وكانت المفاجأة عودة الطائرتين بسلام على الرغم من صواريخ هوك الأمريكية، التي تحيط بالمفاعل بل قام الطيران المصري بعملية أخرى مماثلة بعد حوالي اسبوع ومرة أخرى فشل الدفاع الإسرائيلي في منع العملية الثانية.. وفي وسط الانفعال أمر المشير عبدالحكيم عامر بضرب المفاعل ومنشآت إسرائيلية أخرى إلا أن الرئيس عبدالناصر ألغى هذا الأمر بناء على تدخل السوفييت " .

ويقول جروميكو : " إن موسكو لم تكن تعرف أن مصر تريد تدمير المنشأة النووية الإسرائيلية . وكان هناك اعتقاد لدي السوفييت أن مصر تريد فقط توجيه هجوم مفاجئ وقوي لبعض المنشآت الإسرائيلية المهمة " .

ويؤكد جروميكو : " لو كنا نعرف في ذلك الوقت هدف الهجوم والرغبة في تدمير قدرات إسرائيل النووية لما سعينا إلى اقناع عبدالناصر بالعدول عن إصابة الهدف"!!

كوبلاند : أدركنا استحالة

تحويله إلى سوكارنو آخر !!

ويقول مايلز كوبلاند مسئول المخابرات الأمريكية السابق في كتابه الشهير " لعبة الأمم " يقول عن عبدالناصر: " إنه لا يتصرف بداعٍ من الحقد أو الهوى أو غير ذلك من الدوافع الدنيا. إنه من أكثر الزعماء جرأة، لا يُقبل الرشوة، لكنه لا يؤمن بعلم الأخلاق. متعصّب للمبادئ على طريقته الخاصة، لكنه ميّال للخير العام والإصلاح الاجتماعي، وما أظن أنني التقيت من الزعماء من يفوقه في ذلك " .

وعن الوحدة العربية يقول: " إن ناصر أراد من الوحدة العربية إذلال كل من أذلّ العرب وسعى حثيثاً لتقوية أسطورة الوحدة العربية ليحاصر الحكام العرب ويضعهم تحت نفوذه " .

وقال أيضاً: "يقول السفير بايرود إن معظم رجال السياسة الأمريكيين الذين أتيح لهم الاحتكاك بناصر كانوا يوقنون أنه لا يطمح في حكم العالم العربي أو الإسلامي. وأن ناصر يعتقد منذ البدء أنه لا يمكن حمل أي فرد أو مجموعة أو أمة على فعل شيء باتباع أساليب الترغيب والترهيب، وإنما بخلق ظروف معينة تحمل الموجود في خضمها على أن يطالب بفعل ذلك، فرغبات الجماهير ومتطلباتها هي التي تحفز على التحرك وليست رغبات قائدها أو حاجاته. إننا لن نواجه أي متاعب مع ناصر لو أنه يهتم بشؤون بلاده فقط ويقلع عن التدخل في أمور الدول الأخرى " .

ويقول: " إن من أهم أسباب غضب العرب اعتقادهم أننا كنا نساعد الصهيونية -وهذا صحيح مهما كان المبرر لذلك- ومن ثم "إسرائيل" بشكل مفضوح لا تحرج فيه، حيث موقفنا المؤيد للصهيونية لا مفر منه " .

وقال: " لقد أدركنا استحالة قيام انقلاب يجعل منه سوكارنو آخر.. فناصر لن يسقط بتذمر أو شكوى، ولن يتقوّض نظامه وينهار إلا بضربة عنيفة مدوية " .

وقال: " مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الكل للفرد، والفرد للكل لا وجود له إلا في جزيرة الأحلام " .

وكتب يقول: " إن العرب يرفضون المنطق والقيم الغربية رغم تأخرهم وحرمانهم وعدم امتلاكهم أحسن منها للتمسك بها " .

ويقول على لسان " كيرمت روزفلت " : " إن الوزير دالاس يعتبر كل عمل لا يتفق مع سياسته عملاً غير أخلاقي، لذلك اعتبر حياد ناصر عملاً غير أخلاقي بينما حياد تيتو هو عمل أخلاقي، وأن اعتراف ناصر بالصين الشيوعية عمل غير أخلاقي بينما سكت عن اعتراف بريطانيا و"إسرائيل" بها. وإن أي فحص لوثائق وزارتي الدفاع والخارجية والمخابرات المركزية تظهر مثاليتنا في العلن وانتهازيتنا في السر. إن ما هو خير للولايات المتحدة فهو خير للعالم أجمع حسبما يقول الوزير دالاس " .

بادو : كينيدي أمر بنفسه

بإبلاغ ناصر بالصفقة !!

أما جون بادو السفير الأمريكي السابق في القاهرة (١٩٦١-١٩٦٤) فقد ألّف كتابه عام ١٩٨٣ " ذكريات الشرق الأوسط " بعد رحلة عمل في المنطقة امتدت منذ سنة ١٩٢٨ حتى نهاية الستينيات . وهو من أهم الكتب الأمريكية التي تناولت ثورة يوليو وعبد الناصر .

وكان أهم ما قاله بادو ما يلي : " وحينما صدرت القوانين الاشتراكية وكنت سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة، ثارت ضجة حولها فقررت تكوين فريق عمل من رجال السفارة لدراستها بدقة، وانتهينا إلى أن حجم القطاع العام الجديد في مصر أقل منه في "إسرائيل" وفي الهند وفي فرنسا وفي بريطانيا بل وفي الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وأنه لا يصادر القطاع الخاص أو يغلق الطريق أمامه، بل على العكس سوف يحفزه ويدفعه للمنافسة في ظل اقتصاد مختلط كما حدث في هذه الدول ".

ويقول السفير بادو أيضاً : " ولمزيد من الاطمئنان من جانب واشنطن، فقد أوفد الرئيس جون كينيدي مبعوثاً خاصاً هو الدكتور إدوارد ماسون أستاذ الاقتصاد المشهور وبعد أن قام بدراسته المفصلة للقوانين وللأوضاع في مصر، قدّم تقريراً يتلخّص في أنه لم يكن أمام ناصر طريق آخر أو أفضل ".

ويقول أيضاً: " إن تعيينه سفيراً في القاهرة، كان نتيجة لسياسة جديدة لجون كينيدي تجاه عبدالناصر، والذي قال له قبل أن يغادر إلى القاهرة: إن هناك ثلاث دول مهمة في العالم الآن -وهو أي كينيدي- يريد أن يبدأ صفحة جديدة من العلاقات معها، وإنه اختار ثلاثة سفراء له في هذه الدول من خارج السلك الدبلوماسي حتى لا يكونوا مرتبطين بمواقف تاريخية سابقة للعلاقات الأمريكية معها، وإن في مقدمة هذه الدول مصر ثم تأتي الهند واليابان ".

ويضيف بادو : كان من أهم الأسس الجديدة التي سنّها كينيدي في علاقته مع عبدالناصر هو أن يثبت احترام الإدارة الأمريكية للقيادة السياسية في مصر، ومن هنا أصبحت الرسائل وإيفاد المبعوثين الشخصيين هي سياسة مقررة ومتبعة في تلك المرحلة ليكون عبدالناصر على علم بكل الخطوات المتعلقة بالشرق الأوسط بما فيها ما يتعلق بالعلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وهي كما يعرف الجميع علاقات خاصة جداً، والمثل الحي على ذلك ما تم بالنسبة لصفقة الصواريخ الهوك سنة ١٩٦٢، وبالرغم من الظروف الداخلية الصعبة في الكونجرس والضغوط الإسرائيلية إلا أن

كينيدي أصرّ على إيفاد مبعوث شخصي لإبلاغ عبدالناصر بظروف وأسباب إتمام هذه الصفقة وذلك حرصاً منه على استمرار العلاقات الطيبة التي كانت قد بدأت تؤتي ثمارها بين الرجلين وبالرغم من أن عبدالناصر غضب من إتمام هذه الصفقة وشنّت الصحافة وأجهزة الإعلام المصرية هجوماً عنيفاً عليها، فإن عبدالناصر أبدى تقديره الشخصي لقرار كينيدي بإطلاعه على هذه الخطوة تفصيلاً. كما حدث الشيء نفسه عندما قرّر كينيدي معاودة إجراء التجارب النووية، فقد حرص على إبلاغ عبدالناصر بهذا القرار قبل تنفيذه بيومين ".

ويقول جون بادو : "إن سياسة كينيدي هذه كانت تلقى معارضة من القوى المؤيدة لإسرائيل داخل دوائر الإدارة الأمريكية ويضرب المثل على ذلك بقوله إن إيفاد المبعوث الشخصي حول موضوع صفقة الصواريخ "الهوك" لم يقرأ عنها شيئاً في واحدة من الصحف الأمريكية. كما ظل الكثيرون من العاملين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يتعاملون مع عبدالناصر باعتباره شيوعياً أو أداة للشيوعية، وهكذا فإن برنامج معونة القمح لمصر والذي زاد بشكل كبير في عهد كينيدي حتى أصبحت هي أكبر صفقة قمح أمريكية بعد صفقة الهند وجدت معارضة داخل الكونجرس والمخابرات المركزية خاصة بعد عمليات التأميم التي حدثت في مصر في ذاك الوقت ودعت بعض رجال الكونجرس إلى انتقاد تقديم المساعدات "للاشتراكيين والشيوعيين"، وذلك بالرغم من أن هذه الصفقة لم تكن تكلف الولايات المتحدة شيئاً، حيث كانت كلها مواد غذائية زائدة على الحاجة ".

وقد أجرى بادو في تلك الفترة – كما يقول – " دراسة دقيقة عن الاقتصاد المصري وكانت نتيجة ما وصل إليه هو أن ١٨٪ من القوى الإنتاجية المصرية هي التي تم تأميمها، ثم قارنت الدراسة هذه النسبة مع مثيلاتها في بعض الدول الأخرى من حلفاء واشنطن، فوجد مثلاً أن القوى الإنتاجية للقطاع العام في "إسرائيل" تبلغ نحو ٣٠٪ وفي الصين الوطنية نحو ٢٥٪، ويقول السفير بادو: "على أن أفضل ما وقعت عليه أعيننا كان مثال الولايات المتحدة نفسها حيث ٢٩٪ من القوى الإنتاجية تخضع للإشراف الحكومي بشكل أو بآخر ".

ويقول بادو في مكان آخر إنه : " عندما زاره أحد أعضاء الكونجرس وسأله: لماذا لا نحصل على عائد سياسي لمساعداتنا الغذائية لمصر؟ ردّ عليه "بادو" قائلاً: "وما هو العائد الذي تتصوّره؟". فقال: "ليس أقل من الاعتراف ب "إسرائيل" فمن دون سلام مع "إسرائيل" يجب أن تقطع هذه المساعدات". فسأله بادو: "وكم من الأموال أيها السيناتور تتصوّر أنه يجب أن تدفع الولايات المتحدة لكي تغير سياستها تجاه الصين الشعبية؟ " .. فردّ السيناتور قائلاً: " لا تكن أبله، فمال الدنيا كله لا يكفي ليجعلنا نغير سياستنا ". فقال بادو: " ولماذا تتصوّر إذن أن المصريين يمكن أن يغيّروا سياستهم مقابل المال أو الجشع؟! " .

وعن شخصية جمال عبدالناصر يقول السفير بادو: " إنه كان رجلاً تشعر على الفور وبمجرد جلوسك إليه بقدراته القيادية غير العادية، وقد كانت أفكاره واضحة لا غموض فيها، كان دائماً واثقاً في نفسه وهو يتعامل مع قوة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، لا يخالجه أدنى شك في عدالة قضيته ".

ويقول حول الأزمات التي مرّت بمصر مثل الانفصال السوري وحرب اليمن : "إن عبدالناصر لم يكن في أي وقت من تلك الأوقات متوتراً أو عصبياً أو منفعلاً، وإنما كان يبدو هادئاً رصيناً يختار كلماته الإنجليزية بعناية، ولا يفوته أن يظهر الودّ لمحدّثه " . ويقول بادو : " أقول بوضوح وصراحة إن الصورة التي كان يحلو لأعداء عبدالناصر أن يرسموها له كانت صورة زائفة تماماً ".

ووصف بادو أول لقاء بينه وبين عبدالناصر عندما كان رئيساً للجامعة الأمريكية وكان في قاعة إيوارت حيث : " كان محمد نجيب يلقي محاضرة عن الثورة " .

ويقول بادو إنه شعر على الفور بأن : " نجيب رغم موقعه الرئاسي وشعبيته في ذلك الوقت، ليس هو القوة المحركة لدفة الأمور، وأن مجموعة الثوار الحقيقية هي تلك التي كانت تضم الضباط الشبان مثل زكريا محيي الدين وأنور السادات وغيرهما، وأنه في قلب هؤلاء كان جمال عبدالناصر هو القائد الحقيقي. وأضاف أنه عندما تعرّف إلى جمال عبدالناصر في تلك الفترة وجده خجولاً بعض الشيء يميل

إلى الصمت أكثر من الكلام، ويقول بادو صراحة: "والحقيقة أنه لم يثر اهتمامي على الإطلاق في هذا اللقاء الأول، لقد كان له حضور لا يمكن إنكاره، لكنه لم يكن يتحدث كثيراً، وحتى حين عرفته أكثر بعد ذلك كان صامتاً إلى أن جاء وقت الكلام فصار رجلاً مختلفاً تماماً ".

بريماكوف : لم أتصور هزيمة كاملة وإذلالاً !!

وبقدر تعلق الأمر بالشرق الأوسط يبدو أن بريماكوف حاضر دائماً كلما وأينما يحدث شيء هام . وهو يعرف أيضاً كل اللاعبين الأساسيين في لعبة السياسة العربية المعقدة.

بريماكوف كان على الدوام، يمتلك نوعاً معيناً من العلاقة مع الأجهزة السرية السوفياتية. إنه يتحدث عن مهمات كثيرة شارك فيها بل وقادها دون الإشارة إلى من كلفه بها. وكما شاء القدر انتهى بريماكوف إلى أن يكون رئيسا للمخابرات (إف إس بي)، وهي وريث (كي جي بي) بعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية.

وقال كثيرون إن بريماكوف قد وصل الى قمة مؤسسة كان قد انتمى إليها صحافياً شاباً في سنوات الخمسينيات. غير أن بريماكوف يرفض المزاعم التي تشير الى أنه كان رجل الـ (كي جي بي) منذ البداية.

فهو يشير في مذكراته إلى مناصبه الأكاديمية الكثيرة، والعمل الدبلوماسي الأصيل الذي مارسه خلال سنوات كثيرة كدليل على أنه لم يكن : " ذلك الجاسوس بريماكوف "، كما زعم خصومه السياسيون.

وأياً كانت الحقيقة، فقد تألق بريماكوف ليصبح عضواً في المكتب السياسي وشخصية رئيسية في سنوات ميخائيل جورباتشوف المضطربة.

وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، كان بريماكوف واحداً من مجموعة من المسؤولين السوفيات الكبار ممن احتفظوا بحصة في السلطة. وفي ظل عهد الرئيس بوريس يلتسين أصبح، أولاً، وزير خارجية، ثم رئيسا لوزراء روسيا لفترة ثمانية أشهر.

" هزيمة كاملة وإذلال كامل " .. هكذا يقول يفجيني بريماكوف، الذي كان في ذلك الوقت مراسلاً لصحيفة " برافدا " بالقاهرة، في مذكراته التي تحمل عنوان " في قلب السلطة "، والتي نشرت في موسكو وباريس وعدد من العواصم الأخرى.

ومن الواضح أن الذهول أصاب بريماكوف – كما ورد في مذكراته – من " الطريقة الصبيانية التي قاد بها ناصر بلاده نحو الكارثة " . و" في وقت لاحق التقيت الكثير من الزعماء، الذين لعبوا بمصير بلدانهم على النحو الصبياني ذاته " .

وهو يصر، على عكس ما طرحه ناصر ومساعدوه لاحقاً، على أن : " الاتحاد السوفياتي لم يدفع مصر أبداً، إلى الحرب مع إسرائيل . والحقيقة أن جريشكو أبلغ ناصر بأن المصريين لن يكونوا مستعدين للعمل الجاد قبل أقل من عامين " !!

ويروي بريماكوف كيف أرسل تقريراً عاجلاً لصحيفته حول طائرة حربية كان قد رآها تسقط في سماء القاهرة، مفترضا انها طائرة إسرائيلية. وكان راديو القاهرة يتحدث عن أرقام غير واقعية عن خسائر إسرائيلية متوقعة .

غير أن بريماكوف– كما يقول – علم في وقت لاحق من مصادر سوفياتية أن الطائرة الوحيدة التي رآها تسقط كانت، أيضاً طائرة مصرية، أسقطها مدفع مصري مضاد للطائرات" !!

ويقول بريماكوف : "إن المشكلة الأعظم بالنسبة للعرب هي عجزهم عن التمييز بين الوهم والواقع . فهم يعتقدون أنه يكفيهم أن يتمنوا أن الأمور تسير في اتجاه معين بالنسبة لهم لكي تكون سائرة في ذلك الاتجاه " .

ويقول بريماكوف :

"المكان هو العاصمة المصرية القاهرة، والزمان هو ربيع عام ١٩٦٧. الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل المارشال السوفياتي أندريه غريشكو، القائد العام لقوات حلف وارسو.

ناصر يسأل الزائر حول رأيه بحالة القوات المسلحة المصرية. وغريشكو، الذي قام للتو بجولة على بعض الوحدات العسكرية المصرية، يعبر عن ثنائه العالي على العمل الذي قام به المستشارون والمخططون العسكريون السوفيات العاملون في مصر.

ويستنتج قائلاً إن الجيش المصري هو الآن في وضع يمكنه من «حل ناجح للمشاكل المختلفة في هذا المسرح من الصراع" .

والرئيس المصري يشعر بالتباهي، وهو مقتنع بأن عامين من التعاون العسكري مع الاتحاد السوفياتي والواردات الهائلة من الأسلحة من الاتحاد السوفياتي وحلفائه يوفران له فرصة لعرض عضلاته ضد إسرائيل، وتأكيد ادعائه بزعامة العالم العربي. وبعد أسابيع قليلة يثير ناصر قضية الصواريخ الموجهة في مضيق تيران التي أدت إلى هجوم إسرائيل في السادس من يونيو" !!

دريفوس : سي.آي.إيه نجحت

مع مصدق وفشلت مع ناصر !!

وهناك كتاب أمريكي لرجل استخبارات عتيد هو روبرت دريفوس بمثابة شهادة يقدمها الرجل – من وجهة نظره طبعاً – ويفند فيه ما يسمى بالعلاقات الخفية والسرية بين عبدالناصر ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

ويؤكد الكاتب أنه منذ أن ظهر جمال عبدالناصر على المسرح السياسى المصرى وأصبح اللاعب الأهم والرئيس فب، وأصبح هدفا رئيسيا لثلاث مخابرات هي: وكالة المخابرات الأمريكية والموساد وجهاز المخابرات البريطانية فى عهد إيدن. وأن الثلاثة حاولوا بجميع الطرق قتل عبدالناصر وإنهاء نظامه بأى صورة لخطورته الشديدة على مصالح هذه الجهات الثلاثة. بل ويشير الكتاب إلى أن محاولة الاغتيال لجمال عبدالناصر والتى قامت بها جماعة الإخوان المسلمين كانت بتدبير خفى مع وكالة المخابرات الأمريكية.

الكتاب هو " لعبة الشيطان " ومؤلفه دريفوس وهو من أشهر المحللين الاستخباراتيين الأمريكيين وله كتب عديدة عن المخابرات الأمريكية عن شبكات الإرهاب العالمية.

وفى فصل كامل تحت عنوان الحرب ضد ناصر ومصدق يكشف الكتاب عن محاولات وكالة المخابرات الأمريكية إزاحة كل من عبدالناصر فى مصر ومحمد مصدق فى إيران من السلطة.

يقول دريفوس : فى بداية الخمسينيات ظهر على مسرح الشرق الأوسط اثنان من الزعامات القومية فى اثنين من أقوى بلاد الشرق الأوسط وهما مصر وإيران فى مصر نجحت مجموعة من الضباط الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر فى خلع الملك الفاسد الذى كان يحكم مصر فى هذه الفترة وهو الملك فاروق وكان لذلك تأثير هائل على الأحداث فى العالم العربى والشرق الأوسط، لأن الثورة التى قام بها عبدالناصر هددت مصالح الغرب .

ونتيجة لمخاطر هذه الثورة ومحاولات رئيس الوزراء الإيرانى محمد مصدق تأميم شركة البترول الإنجليزية الإيرانية أن قررت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ سي. آي. إيه وجهاز المخابرات البريطانية إم. آى ٦ التخطيط للتخلص من الاثنين: عبدالناصر ومصدق. وقد نجح جهازا المخابرات الأمريكى والإنجليزى فى خلع وطرد مصدق ولكنها فشلت فشلا ذريعا مع عبدالناصر.

ويقول دريفوس إن جهازى المخابرات الأمريكى والإنجليزى قد اعتمدا بصورة أساسية على جماعة الإخوان المسلمين واستخدامها كمخلب قط فى الإطاحة بعبدالناصر. وهذا يعكس بداية لسلسلة من الأخطاء التى ارتكبتها أمريكا فى العالم العربى والإسلامى حيث إنها تلجأ للحركات الدينية الإسلامية للإطاحة بمن لا ترغب فيهم من الحكام والنتيجة أن الجن يخرج من القمقم وينقلب السحر على الساحر. وفى إيران لجأت المخابرات الأمريكية لمجموعة من آيات الله للإطاحة بمصدق وكان هؤلاء هم القادة الروحيين لآية الله الخومينى قائد الثورة الإسلامية فى ١٩٧٩ وعدو

أمريكا اللدود. كان كل من جمال عبدالناصر ومحمد مصدق انعكاسا حقيقيا لآمال الشعوب فى مصر وإيران ولكن أمريكا ومخابراتها لم تفهم ذلك.

ويقول : منذ عام ١٩٥٤ التى عزز فيها قبضته على السلطة فى مصر، وحتى ١٩٧٠ كان عبدالناصر هو القائد الأسطورى لمصر والعالم العربي، وقد ذكر أندريه مالرو أن عبدالناصر سيدخل تاريخ مصر ويصبح رمزها مثلما أصبح نابليون بالنسبة لفرنسا، وقد شيع جنازته ٥ ملايين من البشر خلاف عشرات الملايين من العرب الذين طووا أحزانهم الخاصة عليهم داخل أنفسهم. ولكن على مدار سنوات الخمسينيات والستينيات حاولت أمريكا ومخابراتها بكل وسيلة ممكنة الإطاحة بعبدالناصر.

ويقول إيد كين مدير محطة عمليات المخابرات الأمريكية فى القاهرة فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات في مذكراته إنه لم يكن للمخابرات الأمريكية هم فى هذه المرحلة سوى الإطاحة بعبدالناصر. وقداعتمدت المخابرات الأمريكية فى تحقيق هذا الهدف على عناصر من النظام القديم من ملاك أراضى وصناعيين وغيرهم من أعداء وكارهى عبدالناصر إلا أن كل هذا فشل.

ويقول : لقد جاءت ثورة عبدالناصر فى وقت كان يعيش فيه العالم العربى عصر الجليد السياسى وكانت القاهرة هى العصب السياسى والاقتصادى لهذا العالم. ثم جاء عبدالناصر فأشعل هذا الجليد وخلق حالة إلهام لكل الثائرين ضد النظم. ومن خلال راديو صوت العرب وكايرزما عبدالناصر سقطت نظم فى العراق. واشتعلت ثورات فى لبنان والأردن واتحدت سوريا مع مصر فى ١٩٥٨. ولهذا السبب قررت ثلاث عواصم هي: لندن وواشنطن وتل أبيب تعبئة مخابراتها للإطاحة بناصر. ورغم أن عبدالناصر لم يكن شيوعيا إلا أنه مثل أنظمة أخرى فى أندونيسيا وجواتيمالا والكونغو كانوا يثيرون نزعة استقلالية ضارة بالأمريكان فى سنوات الحرب الباردة مع السوفيت. لكن عبدالناصر كان أكثر من هذا. كان يهدد جيران عرب له ويحاول زعزعة الاستقرار في دولهم . وهكذا اندعلت حرب باردة عربية بين مصر وبعض هذه الدول .

ويقول ايدكين فى البداية وفى الفترة من ١٩٥٢ و١٩٥٤ كان عبدالناصر يتمتع بتأييد من الغرب، ويضيف روبرت دريفوس أنه لا يوجد ما يؤكد كلام مايلز كوبلاند ضابط ال سي. آي. إيه فى كتابه لعبة الأمم، بأن المخابرات الأمريكية جندت عبدالناصر قبل الثورة بعد أن نفضت يدها من الملك فاروق ولا يوجد فى أرشيف المخابرات الأمريكية والذى اطلعت عليه بالكامل ولا يوجد أى فرد من أفرادها عملوا فى هذه المرحلة يؤكد ما زعمه كوبلاند حول لعبة الأمم وتجنيده وتجنيد ثورة الضباط الأحرار لصالح المخابرات الأمريكية. بل إن ضابط المخابرات الأمريكية الأسبق الذى عمل فى نفس الفترة مع كوبلاند واسمه جويل جوردون ألف كتابا مهما بعنوان حركة ناصر المباركة ذكر فيه أنه استعرض أرشيف المخابرات الأمريكية بالكامل فلم يجد ما يقدم دليلا واحدا على الادعاءات التى ذكرها كوبلاند فى كتابه. بالعكس فلقد وجد جوردون أنه حتى الصلات بين السفارة الأمريكية فى ذلك الوقت ٥٢ - ١٩٥٤ وعبدالناصر لم تكن بالشدة التى تحدث عنها البعض وذلك لسبب بسيط هو أن الإنجليز كانوا يغلون من الغضب لأى محاولة تقارب أو اتصال بين السفارة الأمريكية والضباط الأحرار. كان الإنجليز يدركون بعد تزايد لغة عبدالناصر الثورية مخاطره على آبار النفط فى والخليج والعراق ولم يكن عداؤهم له خوفهم أنه سيقع فى حضن الشيوعية العالمية.

ويمضى كتاب لعبة الشيطان يقول فى بدايات ١٩٥٦ أصبح عبدالناصر مصدر قلق شديد للندن وواشنطن خوفا من أن تتحد مصر والسعودية فى دولة واحدة ويتحول الاثنان لقوة عربية هائلة. كانت مصر فى ذلك الوقت ١٠ ملايين نسمة (كذا) وهى مركز القوة الاقتصادى والسياسى ولحدما العسكرى فى المنطقة بينما السعودية ترقد على ما يقدر ب ٢٠٠ مليار برميل من البترول.

وهكذا وبعد فترة الغزل الأولية التى اندلعت بين عبدالناصر والأمريكان ممثلين فى جون فوستر دالاس وزير الخارجية وأخوه آلان دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ٥٣ و١٩٦١ وضابطه كيرميت روزفلت تحول الأمر إلى حرب

باردة انضمت فيها واشنطن إلى لندن فى مواجهة عبدالناصر. منذ عام ١٩٥٣ كان أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا يكره ناصر بشدة مع ازدياد لمعان وتكشف دوره وراء الانقلاب على فاروق فى ١٩٥٢ ولذلك قرر التخطيط لانقلاب ضده. كانت القوة الجاهزة لكى يستخدمها الإنجليز فى ذلك بعد يأسهم من الجيش هى جماعة الإخوان المسلمين والتى كان هناك متعاطفون معها داخل النظام الجديد وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب الذى استخدمه ناصر فى البداية كواجهة للحركة. وهو الأمر الذى أدركه وليم لاكلاند مدير محطة المخابرات الأمريكية فى القاهرة حيث يقول: لقد أدركنا مع مرور الوقت أن نجيب هو مجرد واجهة لناصر. إلا أن نجيب كانت له علاقات جيدة مع الإخوان ومرشدهم حسن الهضيبي.

كان البريطانيون يأملون فى أن يندلع صراع على السلطة بين ناصر ونجيب ويدعمون فيه نجيب من خلال ضمان دعم الإخوان له ويستولون على السلطة فى النهاية. وكان يأمل الإنجليز أن علاقة عبدالناصر المتذبذبة مع الإخوان وخصوصا بعدما أدرك أنهم يريدون استخدامه لتحويل مصر لدولة دينية أصولية وأدرك أنهم يعارضون سياسات الإصلاح الزراعى وتطوير التعليم سوف تصب فى غير مصلحته فى النهاية، وتؤدى إلى تحالف بين نجيب وبينهم فى مواجهته. ويذكر الكاتب أن سعيد رمضان أحد قيادات الإخوان وقريب حسن البنا قال للسفير الأمريكى جيفرى كافرى فى ذلك الوقت أنه اجتمع مع الهضيبى وأن الأخير عبر عن سروره البالغ من فكرة الإطاحة بعبدالناصر والضباط الأحرار. بل إن تريفور إيفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية عقد على الأقل اجتماعا مع حسن الهضيبى لتنسيق التعاون مع نجيب للانقلاب على ناصر وهو ما كشفه عبدالناصر فيما بعد وقرر مواجهة الحركة الأصولية.

وهكذا فى عام ١٩٥٤ بدأ إيدن يطلب رأس عبدالناصر ولذلك قرر جهاز المخابرات البريطانية الخارجى إم. آي ٦ القيام بمحاولة لاغتيال عبدالناصر وقام مدير هذا الجهاز فى ذلك جورج يونج بإرسال تليجراف عاجل إلى آلان دالاس

مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من خلال مدير محطتها فى لندن جيمس ايجلبيرجر وطالب فيه بكل صراحة بالتعاون لاغتيال عبدالناصر مستخدما عبارة تصفية وقال إيدن فى ذلك الوقت لا أريد سماع كلام فارغ عن عزل ناصر أريد قتله هل تفهمون. ومنذ بداية ١٩٥٤ بدأت الاضطرابات تجتاح القاهرة والتوتر الشديد يسود العلاقة بين ناصر من جهة ومحمد نجيب والإخوان المسلمين من جهة ولم تكن أصابع المخابرات البريطانية والأمريكية والإسرائيلية بعيدة عن ذلك.

كانت المخابرات الأمريكية والبريطانية تسجل جميع تحركات الإخوان وعلى علم واتصال بقيادتهم. وكما يقول روبرت باير مدير العمليات الخارجية السابق فى وكالة المخابرات الأمريكية قررت الوكالة الانضمام للمخابرات البريطانية فى اللجوء لفكرة استخدام الإخوان المسلمين فى مواجهة عبدالناصر.

ويقول كان البيت الأبيض على علم أولا بأول بما يجرى واعتبر الإخوان حليفا صامتا وسلاحا سريا يمكن استخدامه ضد الشيوعية كان البيت الأبيض بغباء شديد يعتقد أن عبدالناصر شيوعي، وقرر البيت الأبيض أن يكون هناك تحرك ضد عبدالناصر وأن تكون جماعة الإخوان هى رأس الحربة فى ذلك ولكن بشرط ألا يكون هذا التحرك بأمر مكتوب منه وألا يتم تقديم أى تمويل أمريكى من الخزانة الأمريكية. أى بصراحة مجرد موافقة بهز الرأس ودون أن تكون مسجلة بأى صورة. وهكذا قامت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية بإعداد فرق الاغتيالات فى الإخوان وذلك بالتعاون مع منظمة فدائيى الإسلام الإيرانية التى لعبت الدور الرئيسى فى إسقاط محمد مصدق رئيس وزراء إيران.

وقد قام وفد من جماعة فدائيى الإسلام بزيارة القاهرة فعلا فى ١٩٥٤ لتنسيق التعاون مع الإخوان، وكان هذا الوفد بقيادة زعيمهم ناواب سفافاى وزاروا القاهرة فى يناير ١٩٥٤ وهو التاريخ الذى بدأ فيه التوتر يدب بين ناصر والإخوان.

لم يكن عبدالناصر يتصور أن الإخوان سيصل بهم الحال للتنسيق لاغتياله وأن يكونوا مخلب قط لأجهزة مخابراتية عالمية ولذلك لم يلتفت إليهم وكان مشغولا

بصراعه ضد نجيب طوال شهرى فبراير ومارس ١٩٥٤، ولكن فى أبريل قدم عبدالناصر أول مجموعة من قيادات الإخوان للمحاكمة وتصاعدت المواجهة معهم ووصل الحال فى شهر سبتمبر ١٩٥٤ بمنع سعيد رمضان و٥ من زملائه من السفر لسوريا لتعبئة أفرعهم فى السودان وسوريا والعراق والأردن ضد عبدالناصر، ثم جاء يوم ٢٦ أكتوبر ليشهد محاولة اغتيال عبدالناصر من قبل أحد أعضاء الإخوان ولم يكن التدبير بعيدا عن أيدى المخابرات البريطانية وعن علم المخابرات الأمريكية فقد كانت هناك لقاءات متوالية لهم مع الإخوان وكانت التعليمات من إيدن ومن البيت الأبيض أيزنهاور أن يتم الأمر دون أن يكون هناك أى أثر على تورط بريطانى أمريكى فى تلك العملية التى استهدفت رأس عبدالناصر حسبما طلب إيدن شخصيا.

إلا أن المخابرات البريطانية والأمريكية لم يهدءا بعد فشل محاولة الاغتيال فقررا اللجوء لأساليب أخرى. قرر الاثنان تسريب أموال لمصر لرشوة طبيب عبدالناصر الخاص لتسميمه من خلال وضع سم قاتل فى بعض قطع الشيكولاته ماركة كروجى المصرية الشعبية المعروفة، وحاولوا حتى اتباع أساليب جيمس بوند من خلال إعداد علبة سجائر خاصة تقدم لعبدالناصر وبمجرد أن يشعل سيجارة منها تتحول إلى سهام من السموم. كما حاولوا وضع حبة سامة فى القهوة التى يشربها عبدالناصر.

إن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وخصوصا بعد توقيع الجلاء. إلا أن المواجهة العلنية جاءت فى حرب ١٩٥٦ ويقول مؤلف كتاب لعبة الشيطان إن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى عدوانهم الثلاثى كان تصورهم أنه بعد الإطاحة بعبدالناصر سيكون البديل هو نظام يقف على رأسه محمد نجيب ويسانده الإخوان المسلمون وقد حاولوا فعلا الاتصال بالكولونيل نجيب. كما قامت المخابرات البريطانية من خلال ضباطها نيل ماكلين وجوليان آمرى بتنظيم حركة معارضة لعبدالناصر فى جنوب فرنسا وفى سويسرا. بل طلبوا من نورمان داربشاير مدير محطة المخابرات البريطانية

فى جنيف فتح اتصال مع أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الفارين إلى سويسرا بقيادة سعيد رمضان وكان المطلوب منهم الاستعداد للوقوف بجوار محمد نجيب بعد تمكينه من السلطة بعد الإطاحة بعبدالناصر والبدء بسرعة فى تشكيل حكومة فى المنفى من أجل هذا الغرض، ولكن الكل يعرف ما حدث فقد فشل العدوان بعد أن أدانته الولايات المتحدة التى خافت من أن يحصد السوفييت مكاسب من وراء هذا العدوان علاوة على رغبة الرئيس أيزنهاور فى فتح صفحة جديدة مع عبدالناصر، إلا أن هذه الصفحة سرعان ما انطوت لأن الأخوان دالاس وزير الخاجية جون فوستر دالاس وأخاه مدير وكالة المخابرات الآن دالاس قررا العودة لنفس أساليبهما القديمة فى مواجهة عبدالناصر والقومية العربية. ويقول مؤلف كتاب لعبة الشيطان إن مايلز كوبلاند الذى حاول تلطيخ صورة عبدالناصر من خلال كتاب لعبة الأمم كان فى هذه الفترة بعد فشل عدوان ١٩٥٦ من أشد المعجبين بعبد الناصر وقد وصفه قائلا: إنه من أكثر الزعماء شجاعة وحصانة ضد الفساد وأكثر الزعماء القوميين إنسانية فى المبادئ ويقول جون فول الخبير فى شؤون الإسلام كان من الطبيعى أن تسعى وكالة المخابرات الأمريكية ومعها المخابرات البريطانية فى دعم جماعة الإخوان المسلمين فى صراعها ضد عبدالناصر لأنها كانت البديل الوحيد له وكان من الغباء ألا يكون لهذه الأجهزة المخابراتية علاقات معهم باعتبارهم الكارت الوحيد الباقى على ساحة السياسة فى مصر فى النصف الأول من الخمسينيات.

ويختتم مؤلف كتاب لعبة الشيطان هذا الجزء من كتابه والذى جاء تحت عنوان الحرب التى شنتها المخابرات الأمريكية ضد عبدالناصر فى فترة الخمسينيات منوها إلى توجهات السياسة الخارجية الأمريكية التى مازالت ترتكب الأخطاء حتى الآن.

فبدلا من التعاون البناء مع عبدالناصر كما يقول الكتاب تعاملت معه بعجرفة شديدة ثم انخرطت فى عمليات سرية ضده من أجل اغتياله وذبحه مستخدمة فى ذلك عناصر اليمين الإسلامى ولم تكن الولايات المتحدة تدرى بذلك أنها تقوم بإعداد القمقم الذى سينطلق منه المارد الذي سيصوب سهامه نحوها فيما بعد. لقد

حركت أمريكا مارد الأصولية والتطرف الإسلامى ضد الزعماء الوطنيين ليس فقط فى مصر ولكن فى إيران وأندونيسيا وافغانستان وغيرها حتى انقلب عليها هذا المارد فيما بعد وهو الآن يشكل أكبر تحد لها. والسؤال: هل يتعلم الأمريكان من أخطائهم وهل اتضح للجميع أن ما كتبه مايلز كوبلاند فى كتاب لعبة الأمم عن عبدالناصر مجرد أكاذيب. كلما بعد الزمان بيننا وبين لحظة رحيل عبدالناصر تظهر المزيد من الحقائق التى تؤكد تاريخية الرجل وبصمته الكبرى على مصر والشرق الأوسط.

ويلتون وين : أول قائد مهزوم في التاريخ يلقى تأييداً شعبياً !!

ويقول المؤرخ السياسي الأمريكي ويلتون وين في كتابه "ناصر العرب" : (لقد أصبح ناصر زعيماً لكل العرب لأنه يمثل شعورهم اليوم أصدق تمثيل).

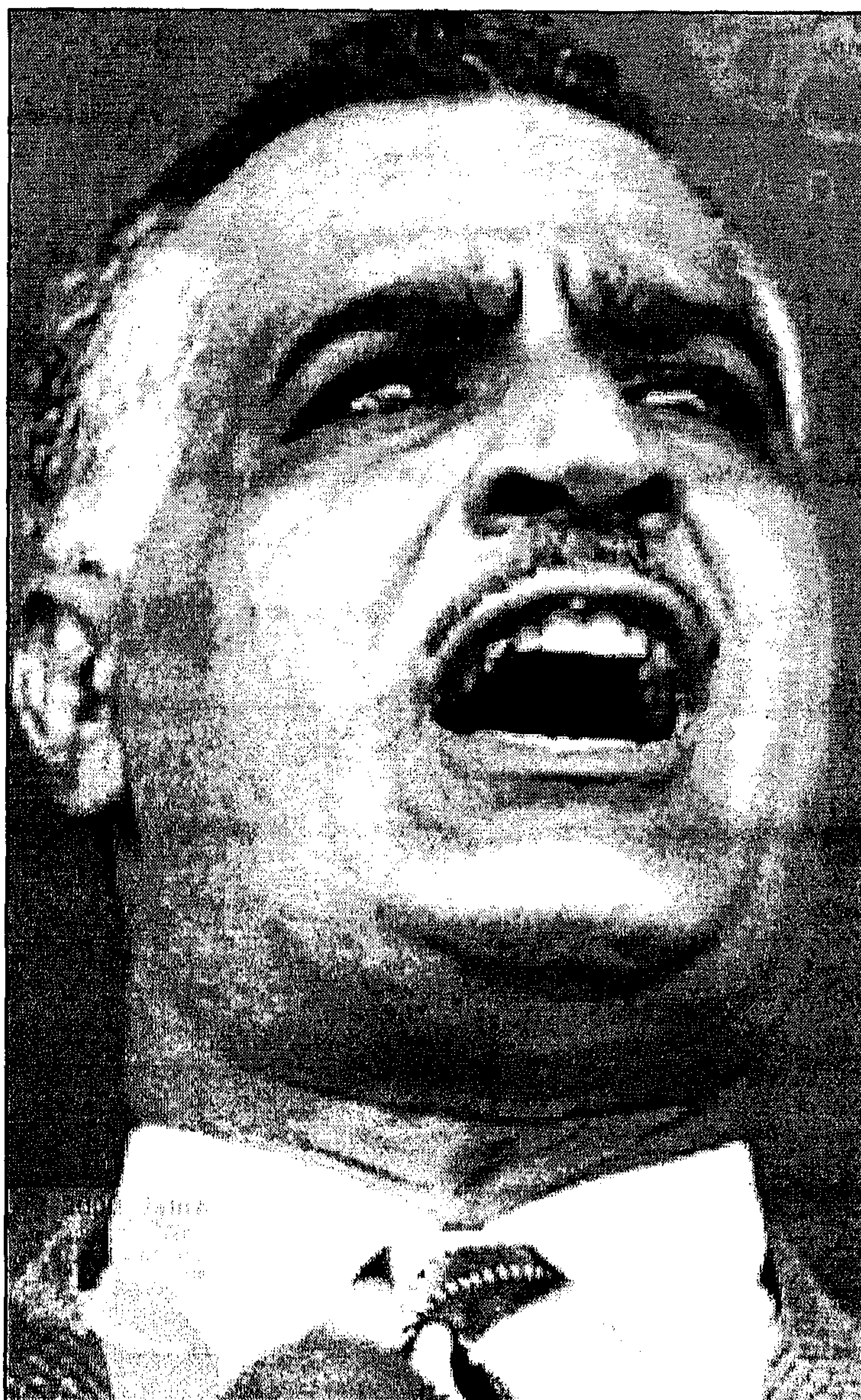
ويقول وين : (إن مواقف الغرب كانت طيبة منه حتى اشترى الأسلحة من الشيوعيين، فانقلبت وصبّ جامّ غضبه عليه، وإنه كثيراً ما كانت الصحف الغربية تزوّر الحقائق متعمدة وبخاصة الإنجليزية إبّان أزمة السويس). كما يقول:(على لسان مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق "انجلتون" إن ناصر كان مسؤولاً عن كل مشكلات الغرب في المنطقة. وليس من المستطاع إزاحته إلا بهزيمة عسكرية للجيش المصري وعندها سيبقى العرب بلا خيار سوى السلام..).

ويقول وين : بعد ذلك تدخلت الحكومة الأمريكية بشكل سري في حرب ١٩٦٧. وبإمكاني جمع عدد كبير من الدلائل وكلها تشير إلى التشجيع والتورط الأمريكي في الهجوم "الإسرائيلي". لقد فوجئنا بأن العرب حتى بعد الهزيمة النكراء التي حلّت بهم ما زالوا يتحدثون بلهجة القوي المنتصر. ويتساءل: هل ربحت "إسرائيل" الحرب؟ ويورد جوابه بشكل غير مباشر على لسان المحلل الاستراتيجي "أندريه

بوفر" الذي يعرف النصر بأنه: إما تحطيم العدو تماماً أو أن تجعله في موقف يقبل ما تمليه عليه من الشروط. فيقول: "إذا ما أخذنا بهذا التعريف نجد أن "الإسرائيليين" لم ينتصروا حقاً حينما نراقب الكلام الذي جرى بينهم وبين العرب في أعقاب الحرب.. إن موقف ناصر في بلاده أصبح أشد صلابة من موقفه لو لم تقع الحرب".

ثم يقول بعد ذلك: "لقد كان أول قائد مهزوم يلقى التأييد الجماهيري، وبخاصة في السودان، حيث تمكّن من فرض لاءاته الثلاث!!".

وقال: "لقد امتلأت البيوت والمحال في الأردن ولبنان بصور ناصر حتى إن كميل شمعون والملك حسين كانا يشعران بغيرة وحنق شديدين".



عبد الناصر نجم في جميع مذكرات الأمريكيين !!

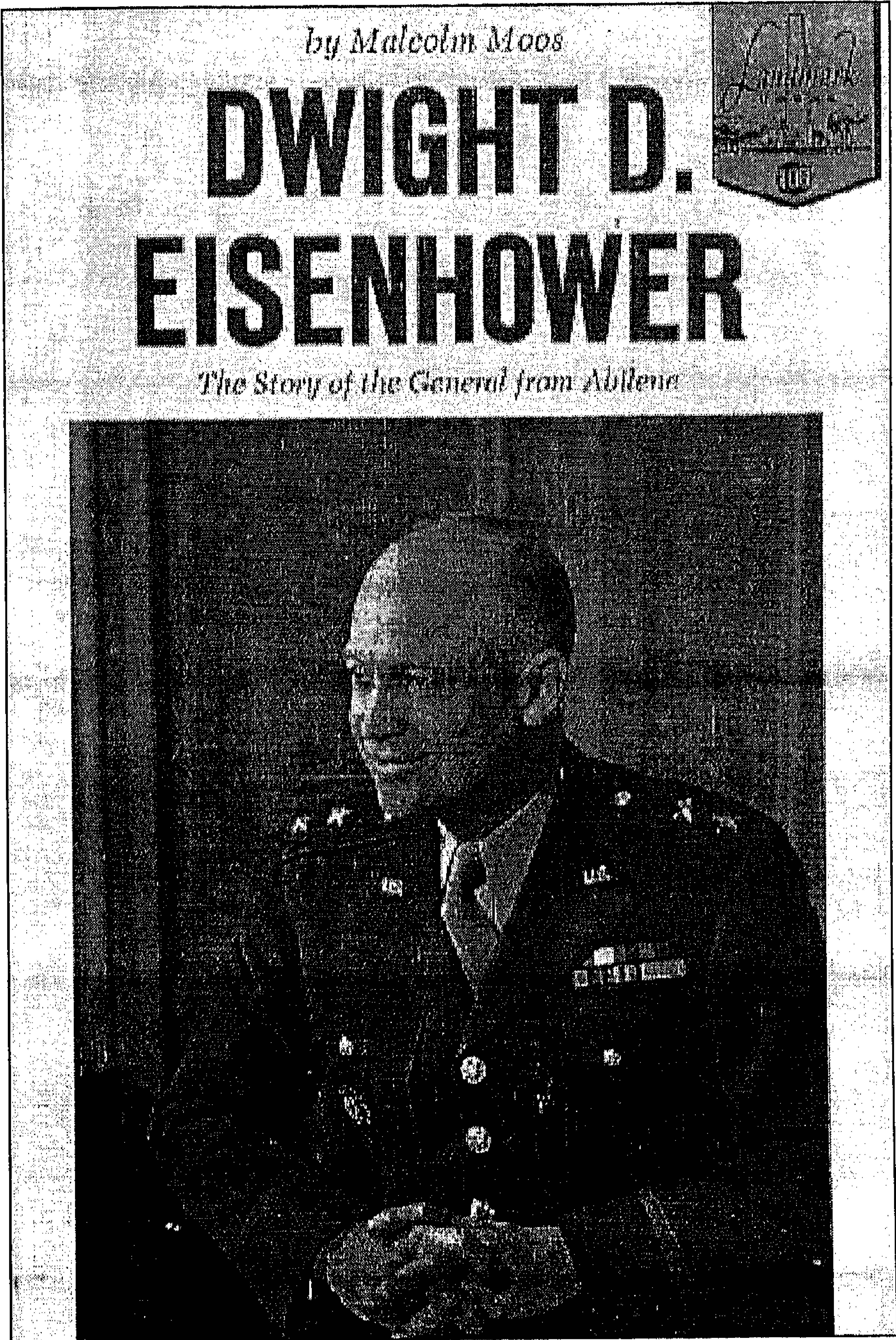


أيزنهاور : رفض سيناريوهات دالاس لتصفية عبد الناصر !!



الرئيس أيزنهاور أثناء اجتماعاته مع زير خارجيته دالاس عام ١٩٥٦ لبحث سبل التعامل

مع عبد الناصر !!



مذكرات أيزنهاور التي تحدث فيها عن الرئيس المصري الراحل عبد الناصر

October 29, 1956

MEMORANDUM OF CONFERENCE WITH THE PRESIDENT
October 29, 1956, 7:15 P.M.

Others present:
Secretary Dulles
Under Secretary Hoover
Secretary Wilson
Admiral Radford
Mr. Allen Dulles
Governor Adams
General Persons
Mr. Hagerty (after first few minutes)
Colonel Goodpaster

The meeting was called to discuss the situation arising out of the reports of Israeli invasion of the Sinai Peninsula.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تبحث هذه المذكرة السرية الصادرة عن البيت الأبيض في عهد أيزنهاور في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، التقارير المتعلقة بغزو الإسرائيليين لشبه جزيرة سيناء وتتكهن بكيفية الرد على ذلك.



الرئيس الأميريكي الأسبق نيكسون " أقصى اليمين " مع كسينجر " أقصى اليسار " وأحد مساعديه في أحد الاجتماعات المخصصة لبحث سبل التعامل مع عبد الناصر !!

٢ حافظ الأسد

حظى الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد من بين الحكام العرب بنصيب الأسد من مذكرات رؤساء ووزراء ومسئولي العالم، وبخاصة الرؤساء الأمريكيون، ووزراء خارجيتهم ، نظراً لدور بلاده المحوري في الشرق الأوسط بصفة عامة، والصراع العربي الإسرائيلي على وجه الخصوص .

وهناك أربعة رؤساء أمريكيين مثلاً أسهبوا في الحديث عن الرئيس السوري الراحل، وأجمعوا كلهم على أمر واحد أنه كان يريد سلاماً قائماً على استعادة الحقوق كاملة دون نقصان، وأن موقفه المتمسك بعودة مرتفعات الجولان كاملة، وتوجهاته القومية الراسخة في مواقفه، وتعنت إسرائيل ومراوغتها، كان السبب في عدم إقرار السلام في المنطقة !!

بوش الأب : ابني فشل

لأنه لم يعمل بنصيحة الأسد !!

آخر هؤلاء الرؤساء السابقين الذين تذكروا الأسد معترفين برؤيته الثاقبة قبل وفاته، وتحذيراته للأمريكيين من احتلال العراق قبل سنوات من غزوها، هو الرئيس جورج بوش الأب، الذي اعترف بأنه نقل لابنه بوش الابن نصيحة الأسد لمنعه من غزو العراق، ولكنه لم يعمل بها، ودفع الثمن على حد تعبير الرئيس الأسبق بوش الأب .

بوش الأب تطرق في حديث الذكريات مع قناة الـ " سي . إن إن " إلى ورطة الجيش الأمريكي في العراق، وأعرب عن أسفه على ما آل إليه حال الجيش هناك.

وفي سياق الحديث، قال بوش الأب إن الرئيس الراحل حافظ الأسد قال له: نحن لسنا مع احتلال العراق للكويت، وأنتم الآن ستدخلون إليها لإخراج القوات العراقية، ولكن عليكم أن لا تدخلوا العراق بعد ذلك، بل أن تنسحبوا من المنطقة فور تسليم الكويت لحكومتها، ويضيف الرئيس بوش الأب أن الرئيس الراحل حافظ الأسد قال له إضافة لذلك : " إن دخلتم العراق ستعجزون عن الخروج منها " .

وأضاف الرئيس بوش الأب: " لقد نصحت ولدي بعدم التورط في العراق مراراً، لكنه لم يستمع إلي وسألني علامَ أبني رأيي فأجبته بأنني أبنيه على رأي خبير وحكيم في المنطقة هو حافظ الأسد " .

وبعد مرور سبعة عشر عاماً من النصيحة التي قدمها الرئيس حافظ الأسد للرئيس بوش الأب يرتسم أمامنا المشهد المأساوي كما توقعه الرئيس السوري الراحل، الذي قال عنه جيمس بيكر وزير الخارجية في عهد بوش الأب في مذكراته : " الأسد كان يتمتع بذكاء عجيب، وفطنة سياسية غير عادية " .

ويعتبر الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون من أكثر الرؤساء الذين تناولوا في مذكراتهم التي حملها كتاب سيرته الذاتية : " حياتي " شخصية الرئيس الراحل حافظ الأسد، من خلال احتكاكه المباشر به .

كلينتون : الأسد تمسك بكامل تراب أرضه !!

الرئيس الثاني الذي أسهب في تناول شخصية الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد هو الأمريكي بيل كلينتون . وكانت آخر محاولة للتوصل إلى إقامة سلام بين سوريا وإسرائيل تلك التي قام بها كلينتون أثناء لقائه مع الأسد في ٢٦ مارس ٢٠٠٠ بجنيف، حيث قدم كلينتون في ذلك اللقاء الذي استمر خمس ساعات خريطة وضع عليها تعديلاً لحدود ١٩٦٧ ، ولكن الأسد " رفضها وفضل الانتظار لاستعادة الجولان بأكملهاغير منقوصة " كما يؤكد كلينتون .

وقبل أن نتطرق إلى ما كتبه كلينتون عن الأسد يجدر القول إنه ليس هناك رئيس أميركي كرّس وقتاً لمساعي تحقيق السلام في الشرق الأوسط أطول من الوقت الذي كرسه الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون لكنه أخفق في إنجاز السلام رغم مساعيه الكبيرة المهمة !! .

فالرئيس كلينتون ظن أنه سيرضي إسرائيل من خلال تفرغه شبه الكامل لإقامة السلام في الشرق الأوسط، وقد عمل المحال لإجبار الجانب العربي للتخلي عن القدس، والاكتفاء بسلطة رمزية على بضعة أمتار حول الحرم ، وبالتخلي عن حق العودة للفلسطينيين ، مع عروض دولية لتوطين اللاجئين في تخوم القارات الخمس وبغض الطرف عن المستوطنات التي أصبحت مدناً، مع الاكتفاء بتفكيك بضع مستوطنات من تلك التي لايزيد عدد المستوطنين فيها على عشرات !!

والكوارث التي حدثت في السنوات التالية تندرج إلى حد ما في فئة التركة التي خلفها كلينتون . ولو أنه نجح فلربما لم يكن ممكنا لأرئيل شارون – الذي يرقد في غيبوبة طويلة – أن يكون رئيسا لوزراء إسرائيل – فيما بعد – ولربما استعادت سورية مرتفعات الجولان، ولربما صارت إسرائيل تشعر بالأمن، ولربما أيضا دخلت المنطقة في حقبة من السلام والازدهار . وليس هناك شك في أن فرصة كبرى قد فاتت أثناء فترة رئاسة كلينتون وهي فرصة ضائعة يدفع الجميع ثمنها الآن .

ومن الجائز القول إن الولايات المتحدة لو نجحت في لعب دور الوساطة للتوصل الى تسوية دائمة وعادلة ومحاولة بين العرب والإسرائيليين في الفترة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ وهي تسوية كانت في المتناول عندئذ لكان من الممكن أن تختلف أوضاع المنطقة مما هي عليه الآن بكثير.

كان كلينتون يؤمن أنه مضطر إلى التفاوض والإقناع والتوفيق والمصالحة، وليس إلى اتخاذ القرارات الحازمة والعنيفة، التي من الممكن أن تسيء الى شعبيته كثيراً، ففي تعاملاته مع القادة الإسرائيليين على وجه الخصوص كان من الواضح أنه لايتمتع بقدر كاف من الحزم .

ولد بيل كلينتون في ١٩ أغسطس ١٩٤٦، لأم أرملة في مدينة هوب، واسمه وليام جفرسون بلايث الثالث على اسم والده الذي تُوفي في حادث سير في أثناء عودته من شيكاغو إلى هوب، وذلك في ١٧ مايو ١٩٤٦ ولبيل كلينتون أخوان آخران من والده وأخت، التقى في حياته بأحد أخويه وهو ليون ريتزنثالر بينما لم يلتق بأخيه الآخر وأخته شارون لي بلايث.

بعد وفاة والده عاش مع أمه وجدّيه لأمه في بيت جدّيه، وكانت أمه تعمل ممرضة، وكان جده يعمل في بقالة وحارساً ليلياً في منشرة للخشب، وتزوّجت أمه من رو جر كلينتون، وهو الذي ينتسب إليه في تسميته كلينتون.

وبدأ دراسته المتوسطة في السنة الدراسية (١٩٥٨-١٩٥٩) في هت سيريكز، وكان يرفض التمييز العنصري، رغم أنه لم يكن من عائلة سياسية، فعندما حدثت أزمة (لتل روك)، وتمثلت بدخول تسعة أولاد سود إلى ثانوية لـ(تل روك توتر الجو)، وانقسم الناس إلى فريقين: أحدهما يطالب بمنع السود من الدراسة في مدارس البيض ومشاركتهم مؤسساتهم ومرافقهم، والآخر يؤيد، وكانت المدرسة الثانوية مرحلة عظيمة بالنسبة إليه، فقد أحب الأعمال المدرسية والأصدقاء، والفرقة الموسيقية (دي مولي) وكان ما يزعجه في مدارس (هت سيريكز) أنها كانت ترفض قبول الطلاب السود، فكانوا يذهبون إلى مدرسة لانكستين.

ودرس كلينتون في جامعة " جورج تاون "، وكان في الجامعة من الطلبة القياديين، وشارك في الأعمال الطلابية السياسية والنقابية والطوعية، وعمل أيضاً في أثناء دراسته الجامعية مساعداً في لجنة العلاقات الخارجية لدى السناتور فلبرايت.

وأتم دراسته في أكسفورد في منحة جامعية يتنافس عليها الطلبة القياديون، وذوو المواهب الفكرية، وكان في أثناء دراسته معارضاً للحرب الأمريكية في فيتنام، ثم واصل دراسة الحقوق في جامعة ييل.

وفي عام ١٩٧٣ عمل أستاذا مساعداً في كلية القانون بجامعة آركنسو، وكان عمره ٢٣ عاماً، وانخرط في العمل السياسي مع الحزب الديمقراطي، وترشح في ذلك العام لانتخابات الكونغرس، ولكنه لم ينجح.

وفي عام ١٩٧٦ رشح نفسه في التنافس على منصب المدعي العام، وفاز بأغلبية ٥٥٪ من الأصوات، وفي عام ١٩٧٨ رشح نفسه لمنصب الحاكم في ولاية آركنسو، وصار حاكما للولاية وهو في الثانية والثلاثين من العمر، وتسلم هذا المنصب لمدة سنتين، وكان ذلك في عهد جيمي كارتر، وبعد سنتين عام ١٩٨٠ حاول تجديد انتخابه حاكماً لولاية آركنسو إلا أنه أخفق.

وترشح مرة أخرى عام ١٩٨٢ لمنصب الحاكم، ونجح في الانتخابات حاكماً مرة أخرى لولاية أركنسو، وكان برنامجه الانتخابي قائماً على تحسين التعليم، وتوفير فرص العمل للمواطنين، وتخفيض الضرائب، أو إعادة توزيعها توزيعاً عادلاً، واستمر في منصبه هذا لمدة حتى عام ١٩٩٢ عندما ترشح لانتخابات الرئاسة الأمريكية، وانتخب رئيساً للولايات المتحدة، ثم أعيد انتخابه عام ١٩٩٦.

وينسب إلى كلينتون النجاح في تحريك علمية السلام في الشرق الأوسط، وتحريك الاقتصاد الأمريكي، وخفض الضرائب على الطبقة الوسطى، ولكنه أخفق في إقناع أوروبا بالانضمام إلى الولايات المتحدة في اتخاذ موقف أقوى في البوسنة، رغم أنه قدم مزيداً من المعونة السياسية، وشدّد العقوبات على صربيا، وأوجد منطقة حظر

جوي، وكان يرى ثمة سبباً واحداً لاختلاط نتائجه، وهو محاولته فعل الكثير في وجه معارضة جمهورية مصممة، واختلاط المواقف على الشعب الأمريكي عما تستطيع الحكومة أن تفعل وما يجب أن تفعل.

وفي عام ١٩٩٣ استقبل كلينتون الرئيس البوسني على عزت بيغوفتش في البيت الأبيض، وكانت قد نجحت تهديدات حلف الناتو بالغارات الجوية في كبح جماح الصرب، وفي أعمال محادثات السلام من جديد، وأكّد عزت بكوفتش أنه ملتزم بالتسوية السلمية ما دامت عادلة للمسلمين البوسنيين، وأراد من الرئيس كلينتون أن يرسل قواتاً من الناتو تضم جنوداً أمريكيين إلى البوسنة لتنفيذه.

في العام نفسه أبلغه رابين أن إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية توصلتا لسلام بمحادثات سرية عقدها الطرفان في أوسلو، واتفق الطرفان على عدة مبادئ، ويبقى عمل الولايات المتحدة على مساعدة الطرفين في معالجة المسائل الصعبة، ووضع شروط التنفيذ، وتوفير المال لتمويل تكاليف الاتفاقية، من زيادة الأمن لإسرائيل، إلى التنمية الاقتصادية، وإعادة توطين اللاجئين، والتعويض على الفلسطينيين.

ووُقعت الاتفاقية في المرج الجنوبي في البيت الأبيض يوم الاثنين ١٣ سبتمبر . وفي اليوم الثاني وقّع الدبلوماسيون الإسرائيليون والأردنيون اتفاقية قرّبتهم من السلام النهائي، وتعهّد رجال الأعمال من اليهود في وزارة الخارجية والأمريكيين العرب الاستثمار في فلسطين، عندما يتحقق السلام، مما يسمح بتطوير اقتصاد مستمر.

في ١٦ نوفمبر ١٩٩٣، وقّع كلينتون قانون إعادة الحرية الدينية، وقصد به حماية مستوى معقول من حرية التعبير الديني في المرافق العامة، كالمدارس وأماكن العمل، وقد صدر لنقض قرار المحكمة العليا سنة (١٩٩٠) الذي يمنح الولايات المتحدة مزيدا من السلطة لتنظيم حرية التعبير الديني لتلك الأماكن.

وفي عام ١٩٩٤ سافر إلى روسيا، وفي طريق العودة التقى للمرة الأولى مع الرئيس

السوري حافظ الأسد، ونتج عن لقائهما بيان صريح من الأسد أنه وافق على إبرام السلام، وبناء علاقات طبيعية مع اسرائيل، والتزامه بسحب القوات السورية من لبنان عند تحقيق السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط .

وعمل كلينتون على إصلاح قانون الرفاه الاجتماعي والرعاية الصحية، لمساعدة الملايين من المواطنين الأمريكيين الذين يتلقون أجوراً منخفضة، ويدفعون الضرائب، ولكنهم غير قادرين على الحصول على الخدمات الصحية والاجتماعية، فقد كان حوالي ٦٠ مليون مواطن بدون تأمين صحي، ولا شك أنها معلومة تشير إلى الفجوة الهائلة بين الأغنياء والفقراء في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ٢٥ يوليو ١٩٩٤ جاء الملك الحسين ورئيس الوزراء رابين إلى واشنطن ليوقعا إعلان واشنطن، وينهيا حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل، ويلتزما باتفاقية سلام كاملة، وفي ١٧ أكتوبر توصّلت إسرائيل والأردن إلى اتفاقية سلام، وفي ٢٦ من أكتوبر دُعي كلينتون إلى وادي عربة بدعوة من إسحاق رابين والملك الحسين ليكون شاهداً على توقيع الاتفاقية .

استطاع كلينتون بحلول عام ١٩٩٥ تخفيض البطالة وتوفير خمسة ملايين فرصة عمل، وكان على الولايات المتحدة في ذلك العام مواجهة الأزمة المالية للمكسيك التي هددت بالانهيار الكامل للاقتصاد المكسيكي.

ومن أزمات ذلك العام وتحدياته العملية الإرهابية التي نفّذتها عصابة يمينية متطرفة، وفجرت المبنى الاتحادي في أوكلاهوما، وقتل فيها ١٦٨ شخصاً، وقد اعتقل ميكفاي منفذ العملية، وهو عسكري متقاعد ونُفّذ فيه حكم الإعدام، وأصدر الكونغرس تشريعاً لمكافحة الإرهاب والسماح للعسكريين التدخل لفرض القانون، وكان ذلك محظوراً عليهم من قبل.

وواصل كلينتون معركته مع الجمهوريين الذين يمثلون في الغالب رؤوس الأموال الكبرى، ويسعون للتقليل من ميزانيات التعليم والصحة والبيئة، وفرض ضرائب جديدة.

وحدثت تطورات إيجابية في العلاقات الخارجية، فقد تحسنت العلاقات مع

فيتنام، ووقّعت كل من كوريا الجنوبية والشمالية اتفاقية لخفض برامج التسليح النووي.

وحدث اختراق في الهدنة بين الصرب والبوسنة، فقامت قوات حلف الناتو بقصف المطار الصربي، غير أنها لم تدمره تدميراً كاملاً، ولم تدمر جميع الطائرات التي فرت منه.

في ٤ نوفمبر١٩٩٥ أُطلق الرصاص على إسحاق رابين في أثناء اجتماع حاشد للسلام في تل أبيب من قبل طالب قانون إسرائيلي كان يعارض إعادة الضفة الغربية للفلسطينيين، وقد توجه الرئيس كلينتون إلى القدس برفقة هيلاري، وحضر الجنازة، وعقد عدة اجتماعات مع زعماء آخرين في فندق الملك داوود وعاد إلى واشنطن.

وقد لخص كلينتون ما أنجزه في ١٩٩٥ بقوله: أغثنا المكسيك، واقتحمنا مدينة أوكلاهوما، وزدنا التركيز على الإرهاب، وحافظنا على الأداء الإيجابي وأصلحناه، وأنهينا حرب البوسنة، وواصلنا عملية السلام في الشرق الأوسط.

وفي يوم ٣ نوفمبر ١٩٩٦ جرت الانتخابات الرئاسية في أمريكا وقد ترشّح بيل كلنتون مرّة ثانية للانتخابات الرئاسية، وفاز بـ ٤٩ ٪ مقابل ٤١ ٪ للمرشح الجمهوري، وكان بذلك أول رئيس ديمقراطي يُنتخب لفترة ثانيه منذ الرئيس روزفلت سنة ١٩٣٦.

في إبريل ١٩٩٦ قابل كلينتون نتنياهو والملك حسين في محاولة لإنقاذ عملية السلام من الانهيار، وقد تفجّر العنف ثانية بعد قرار إسرائيل بناء مستوطنة إسرائيلية على مشارف القدس، وفي نفس الوقت قتل جندي أردني غاضب سبع طالبات مدارس إسرائيليات، وذهب الملك حسين إلى إسرائيل، وقدم اعتذاراً فأنهى بهذا التوتر بين إسرائيل والأردن.

وأما عام ١٩٩٨ فقد كان صعباً على كلينتون، وتعرّض لإذلال قاسٍ بسبب علاقته بالمتدربة في البيت الأبيض مونيكا لوينسكي !! .

ويتعرض كتاب كلينتون " حياتي " ببساطة لمسيرة الرئيس الأميركي منذ مولده

إلى ما بعد انتهاء فترة رئاسته الثانية للولايات المتحدة، الكتاب محطات هامة تعرض لتاريخ الولايات المتحدة داخليا وخارجيا كما عاشها وأدركها بيل كلينتون خلال سنوات عمره الثماني والخمسين.

وعلى ذلك يمكن أن يقسم الكتاب إلى جزأين الأول: منذ مولد بيل كلينتون في ١٩ أغسطس ١٩٤٦ وحتى بلوغه البيت الأبيض ١٩٩٢. والثاني: سنوات البيت الأبيض الثماني من ١٩٨٢-٢٠٠٠.

والكتاب عبارة عن بورتريه لزعيم ليس فقط أميركي بل عالمي نال حب وكره الناس في مختلف دول العالم، وهو أحد أكثر السير الذاتية تفصيلا وشمولا مقارنة بسيرة أي زعيم سياسي أخر في التاريخ المعاصر.

ويعتبر الرئيس بيل كلينتون أحد أكثر الشخصيات السياسية حبا أو كرها عند الكثير من الأميركيين، وخلال فترة سنوات حكمه الثماني شهدت الولايات المتحدة فترة هامة من تاريخها المعاصر تميزت بالنمو الاقتصادي وظهور تطورات تكنولوجية غير مسبوقة كما في حالة "الإنترنت" وحقق العديد من الإنجازات السياسية داخليا وخارجيا.

وأثار الكتاب منذ نزوله في الأسواق الأميركية ولا يزال الكثير من العواصف السياسية وانتهاء بما احتواه الكتاب من أسرار خاصة بحياة الرئيس وفترة رئاسته بإنجازاتها وإخفاقاتها ..

وأهم ما جاء في مذكرات كلينتون هو اعترافه الصريح بأن الرئيس الراحل حافظ الأسد كان " صادقاً في رغبته لصنع السلام "، وأنه كان " مستعداً لأن يكون مرنا وإيجابياً في المفاوضات مع إسرائيل " . وفيما يخص الجبهة السورية من المفاوضات مع إسرائيل، وصف بيل كلينتون الرئيس السوري حافظ الأسد بأنه كان "قاسيا، ولكن ذكيا". وقال إنه "قبل أول اجتماع معه في جنيف سنة ١٩٩٤، سمع عن اجتماعات الأسد الطويلة، وتوقع أن يستمر اجتماعهما لست أو سبع ساعات، لأنه كان مرهقا، لكن الاجتماع استمر لساعات أقل "

وقال كلينتون : إنه حصل على تنازلين من حافظ الأسد في ذلك الاجتماع "استعداده للاعتراف بإسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من الجولان، واستعداده للانسحاب من لبنان مقابل "حل شامل لمشكلة الشرق الأوسط".

وقال كلينتون : إن قراره بزيارة سوريا ومقابلة الأسد مرة ثانية وجد معارضة (ربما يقصد من أصدقاء إسرائيل) وذلك بسبب تأييد الأسد لحزب الله. لكن كلينتون كان يعرف أن "الأمن والاستقرار في المنطقة لن يتحققا أبدا بدون مصالحة بين سوريا وإسرائيل."

وفي الحقيقة أن كلينتون اعتنق الرأي الإسرائيلي القائل إن أي شخص يعارض احتلال " إسرائيل " للأرض العربية هو شخص " إرهابي " حين جاء نتنياهو في مايو ١٩٩٦ مملوءاً بالغرور والغطرسة، حيث أعلن أنه يرفض مبدأ مدريد " الأرض مقابل السلام " على رغم أنه كان الناطق الرسمي لوفد إسرائيل في مؤتمر مدريد.

وقد طرح الأمن مقابل السلام وكان مستشاروه - وهم مجموعة من الصهاينة المتطرفين الذين انتقل بعضهم إلى وزارة الدفاع الأميركية في عهد بوش الابن - يريدون نسف عملية السلام كلها ، وإجبار العرب على استسلام كامل دون استعادة شيء من حقوقهم وكان الرئيس كلينتون بصدد إصدار اقتراح بانسحاب إسرائيل من الضفة ومتابعة أوسلو، حين فاجأه نتنياهو بالرفض، ولكي يريه من الأقوى في الولايات المتحدة رئيسها أم رئيس وزراء إسرائيل، استعرض نتنياهو مكانته في الكونغرس وفي لجنة " ايباك " وسط تصفيق غير مسبوق وهدد بإحراق واشنطن، وتم تنفيذ الحريق بفستان مونيكا الأزرق وبمحاسبة هيلاري على كلمات قالتها قبل سنين شتمت فيها يهودياً .

وجاء باراك ، وأرسل وسطاء لدعوة سورية إلى العودة الى المفاوضات ، وعادت في مطلع عام ٢٠٠٠ في شبيرزتاون ولكن باراك أنكر تعهد رابين بانسحاب كامل من الجولان ثم اعترف ،وكان كلينتون قد خشي على نفسه من الصهيونية فجدد ولاءه لإسرائيل ، وأكد التزام أميركا بكل ماتطلبه ، ولهذا فإنه لم يستخدم نفوذه وموقعه

كحكم وراع لعملية السلام وبعيدا عن الموافقة على الانسحاب إلى ضفة بحيرة طبرية على الحدود السورية .

أراد باراك أن يوسع حدود إسرائيل لمسافة مئات الأمتار نحو الشرق لضم الطريق الملتف حول البحيرة وقام كلينتون على نحو متهور بالموافقة على هذا المطلب بدلا من مناقشته وتفنيده ، وبارتكابه هذا الخطأ ، تصرف كلينتون كمراسل لا أكثر يعمل لدى إسرائيل وليس كرئيس أميركي ، وقد حكم هذا الخطأ بالإخفاق على آخر اجتماع عقده كلينتون مع الرئيس الراحل حافظ الأسد في جنيف مارس عام ٢٠٠٠ ، فأدى ذلك الإخفاق الى إرجاع قضية السلام في المنطقة كلها الى حيث بدأت .

والمثير أن كل عوائد السياسة الأميركية تصب في الحضن الإسرائيلي ولم تكن مصادفة أن رئيس الحكومة الإسرائيلية هدد بإحراق البيت الأبيض قبل تفجر فضيحة مونيكا بأيام ، وفرض على كلينتون الذي تحول إلى (بطة مشلولة) تغييراً في جدول الأولويات ، وإذا كان نتنياهو وحكومته قد حاذروا الحديث عن الفضيحة لأنها " موضوع يخص الرئيس " -كما قال - فإن زعيم اليمين اليهودي المتطرف على الساحة الأميركية غانشرو اختصر الحالة الإسرائيلية إزاء وقيعة كلينتون وقال: إن إلهنا يعاقب كل من يحاول تهديد إسرائيل أو ابتزازها، إن مونيكا تمثل البطلة العصرية للملكة إستير التي أنقذت الشعب اليهودي من مصير مظلم بسبب زوجها الملك الفارسي احشو برش " .

يقول كلينتون فى الفصل الرابع والخمسين ص٨٨٣ـ ٨٨٨ :

"في أول يناير عام ٢٠٠٠، ذهبت إلى "شبردتاون"، في غرب فرجينيا، لبدء محادثات السلام بين سورية وإسرائيل . وكان ايهود باراك قد ضغط علي بقوة للبدء بالمحادثات في وقت مبكر من العام . كان قد بدأ يفقد صبره فيما يتعلق بعملية السلام مع عرفات، وكان غير متأكد فيما إذا كان بالإمكان حل الخلافات حول القدس" .

"بالمقابل، فإنه كان قد أخبرني قبل شهور أنه كان مستعداً لإرجاع مرتفعات الجولان إلى سورية، طالما كان بالإمكان طمأنة مخاوف إسرائيل فيما يتعلق بمحطة

الإنذار المبكر التابعة لها في الجولان، وفي اعتمادها على بحيرة تبريز، والمعروفة كذلك ببحيرة طبريا، وذلك بحصولها على ثلث مائها " .

ومن المعروف مدى حرص اليهود على المياه، وخصوصا العذبة بل إن بعض المراقبين يتوقعون أن تكون الحروب المقبلة دوافعها صراعات على الماء .

يقول كلينتون: " قبل مقتل إسحق رابين قد أعطاني تعهداً بالانسحاب من الجولان إلى حدود ٤ يونيو عام ١٩٦٧، طالما أن سورية كانت ستطمئن المخاوف الإسرائيلية . وكان التعهد قد أعطي على شرط أن أحتفظ به " في جيبي " حتى يتم تقديمه بشكل رسمي إلى سورية في سياق حل شامل، بعد موت اسحق " .

ويقول : " أكد شيمون بيريز على التعهد مرة أخرى، وعلى هذه الأسس، دعمنا محادثات بين السوريين والإسرائيليين في ١٩٩٦ في " واي ريفر " . أراد بيريز مني أن أوقع معاهدة أمنية مع إسرائيل إذا ما تنازلت عن الجولان، وهي فكرة اقترحتها على نتنياهو لاحقاً وقدمها باراك مرة أخرى . وقد أخبرتهم أنني كنت مستعداً لفعل ذلك " .

"استمر دينيس روس وفريقنا في إحراز التقدم إلى أن هزم نتنياهو بيريز في وسط اندفاع في العمليات الانتحارية الفلسطينية. ثم تداعت المفاوضات السورية" .

و" أراد باراك البدء بها مرة أخرى، رغم أنه لم يكن مستعداً لإعادة التأكيد على كلمات تعهد بيريز الثمينة .. ولا عجب فكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم"

ويقول : "كان على باراك أن يتجادل مع هيئة إسرائيلية منتخبة مختلفة تماماً عن تلك التي تعامل معها رابين . لقد كان هناك عدد أكبر من المهاجرين، والروس بشكل خاص كانوا معارضين لتسليم الجولان" .

ويواصل : " قد شرح لي ناتان شارانسكي، والذي أصبح بطلاً في الغرب خلال سجنه في الاتحاد السوفييتي والذي رافق نتنياهو إلى واي ريفر في عام ١٩٩٨، شرح

لي موقف اليهود الروس. لقد قال : إنهم جاؤوا من أكبر دولة في العالم إلى واحدة من أصغرها، ولم يعتقدوا أن من الصحيح جعل إسرائيل أصغر بالتخلي عن الجولان، أو عن الضفة الغربية . كما أنهم لم يعتبروا أن سورية تشكل خطراً على إسرائيل . فهم لم يكونوا في حالة سلام، ولكنهم لم يكونوا في حالة حرب كذلك . إذا هاجمت سورية إسرائيل، فإن بإمكان الإسرائيليين أن ينتصروا بسهولة، فلماذا يتخلون عن الجولان ؟" .

ويتابع كلينتون : " وبما أن باراك لم يوافق على وجهة النظر هذه، فقد كان عليه أن يقاومها. ومع ذلك، أراد أن يصنع السلام مع سورية، وكان مقتنعاً بأن القضايا يمكن أن يعاد حلها، وأراد مني أن أجمعهم للمفاوضات في أقرب وقت ممكن " .

ويؤكد كلينتون : " بحلول يناير ٢٠٠٠، كنت قد عملت لما يزيد عن ثلاثة أشهر مع وزير الخارجية السوري فاروق الشرع، وبالتليفون مع الرئيس حافظ الأسد للتهيئة لمرحلة المفاوضات" .

ويقول : " لم يكن الأسد في صحة جيدة وأراد أن يستعيد الجولان قبل وفاته، ولكن كان عليه أن يكون حذراً، وكان متمسكاً بأنه ينبغي أن تستعيد سورية كل الأرض، التي كانت تحت سيادتها قبل ٤ يونيو ١٩٦٧، من خلال اتفاقية يرضى عنها السوريون في بلاده " .

ويتابع كلينتون : " في خريف عام ١٩٩٩، وبناء على طلب باراك أرسلت للأسد برسالة قلت فيها إنني أعتقد أن باراك مستعد للقيام بصفقة إذا استطعنا حل تعريف الحدود، والسيطرة على المياه، ومراكز الإنذار المبكر، وأنهم إذا ما توصلوا إلى اتفاقية، فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لإقامة علاقات ثنائية مع سورية، وهي مسألة ألح باراك عليها " .

ويقول : "لقد كانت هذه خطوة كبيرة لنا، بالنظر إلى دعم سورية السابق لجماعات تهاجم إسرائيل كحزب الله اللبناني . وبالطبع، فقد كان على الأسد أن

يوقف دعم هذه الجماعات لكي يحصل على علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة، ولكننا رأينا أنه إذا استعاد الجولان، فإن دافعه لدعم هذه الجماعات مثل حزب الله سيختفي . "

ويضيف كلينتون : " لقد أراد باراك صنع السلام مع لبنان أيضاً، لأنه التزم بسحب القوات الإسرائيلية من لبنان نهائياً، وكانت اتفاقية سلام ستجعل من إسرائيل مكاناً أكثر أمناً من هجمات حزب الله على طول الحدود، ولن يبدو الأمر وكأن إسرائيل انسحبت بسبب الهجمات . وقد كان يعلم جيداً أنه لا توجد اتفاقية دون موافقة سورية وتدخلها " .

ويقول كلينتون : " وقد أجاب الأسد بعد ذلك بشهر في رسالة بدت أنها تراجعاً عن موقفه السابق، ربما بسبب حالة عدم الاستقرار، والتي سببتها المشاكل الصحية لديه، والذي بدا أنه قد استعاد صحته بشكل كامل، لقد أخبرهم الأسد أنه يريد استئناف المفاوضات وأنه كان مستعداً لصنع السلام لأنه اعتقد أن باراك كان جاداً. حتى إنه وافق على أن يقوم الشرع بالتفاوض، وهو أمر لم يفعله من قبل، طالما كان باراك سيتسلم التفاوض بنفسه عن الجانب الإسرائيلي " .

ويواصل كلينتون حديثه : " وقد قبل باراك ذلك سريعاً وأراد أن يبدأ فوراً. وقد وضحت أننا لا نستطيع القيام بذلك أثناء أعياد الميلاد، وقد وافق هو على جدولنا الزمني : محادثات تمهيدية في واشنطن في منتصف شهر ديسمبر، يتم استئنافها بعد ذلك في أول العام الجديد بمشاركة مني، وتستمر دون توقف حتى يتم التوصل إلى اتفاقية " .

ويقول كلينتون : " وقد بدأت محادثات واشنطن ببداية صعبة بسبب تصريح الشرع العلني العدواني . ومع ذلك، ففي المحادثات السرية، وعندما اقترح الشرع أن علينا أن نبدأ من حيث توقفت المفاوضات في عام ١٩٩٦، مع التزام رابين الجاهز بحدود ٤ يونيو إذا ما تمت تلبية رغبات إسرائيل، أجاب باراك بالقول بأنه طالما لم يقدم أي التزام بالأراضي، فإننا لا نمحو التاريخ " .

ويواصل كلينتون : " قد اتفق الرجلان بعد ذلك على أن بإمكاني تحديد الترتيب الذي سيتم مناقشة القضايا وفقا له، بما في ذلك قضايا الحدود، والأمن، والماء والسلام . وقد أراد باراك للمفاوضات أن تستمر بدون توقف، وكان هذا سيتطلب من السوريين أن يعملوا خلال نهاية شهر رمضان الذي يوافق ٧ يناير، وأن لا يعودوا إلى الوطن للاحتفال بعيدهم التقليدي عيد الفطر في نهاية فترة الصوم، وقد وافق الشرع، وذهب الطرفان إلى وطنيهما للاستعداد " .

ويوضح كلينتون : " رغم أن باراك كان قد ضغط بقوة من أجل مفاوضات مبكرة، إلا أنه سرعان ما بدأ بالقلق حول التبعات السياسية لتسليم الجولان دون إعداد الشعب الإسرائيلي لهذا الأمر. وقد أراد غطاء من نوع ما : استئناف المسار اللبناني، والذي ستتم إدارته من قبل السوريين بمشورة اللبنانيين، وإعلان دولة عربية واحدة على الأقل برفع مستوى العلاقات مع إسرائيل، إضافة إلى فوائد أمنية واضحة تقدمها الولايات المتحدة، ونطاق تجارة حر في الجولان " .

و" قد وافقت على دعم جميع هذه الطلبات وخطوت خطوة أبعد، فاتصلت بالأسد في ١٩ ديسمبر، وطلبت إليه أن يجري استئناف المحادثات على المسار اللبناني في نفس الوقت الذي تجري فيه المحادثات السورية، وأن يساعد في إرجاع الإسرائيليين الثلاثة، الذين لا يزالون على لائحة المفقودين منذ الحرب اللبنانية، التي جرت قبل عشرين عاماً تقريباً " .

ويقول الرئيس الأمريكي السابق في مذكراته : "وقد وافق الأسد على الطلب الثاني، وقمنا نحن بإرسال فريق شرعي إلى سورية، ولكن ولسوء الحظ، فإن المفقودين لم يكونوا حيث كان الإسرائيليون يعتقدون أنهم سيجدونهم . أما فيما يتعلق بالقضية الأولى، فقد تجنب الأسد إعطاء إجابة واضحة وصريحة، وقال إن المحادثات اللبنانية سيتم استئنافها ما أن يتحقق هناك تقدم على المسار السوري" .

ويقول : " إن شبرد تاون هي مجتمع ريفي تبعد أكثر بقليل من ساعة واحدة بالسيارة عن واشنطن، وكان باراك قد أصر على الاجتماع في مكان منعزل لتقليل

التسريبات، ولم يرد السوريون الذهاب إلى كامب ديفيد أو واي ريفر، لأن مفاوضات أخرى تتعلق بالشرق الأوسط على مستوى عال من الأهمية قد حدثت هناك " .

و"قد كان هذا جيداً بالنسبة إلي، فقد كانت أماكن المؤتمرات في شبرد تاون مريحة، وقد كان بإمكاني أن أصل إلى هناك من البيت الأبيض في غضون عشرين دقيقة بالهليكوبتر " .

"بدا سريعاً أن الطرفين لم يكونا بذلك البعد عن بعضهما في القضايا المتفاوض عليها. أرادت سورية أن تستعيد الجولان كاملاً".

ويقول كلينتون : " أرادت سورية من الإسرائيليين أن ينسحبوا في غضون ثمانية عشر شهراً، في حين أراد باراك أن يتم الانسحاب خلال ثلاث سنوات. أرادت إسرائيل أن تمكث في محطة الإنذار المبكر، في حين أرادت سورية أن تتم إدارة المحطة من قبل موظفي الأمم المتحدة أو ربما من قبل موظفين أمريكيين. أرادت إسرائيل أن تحصل على ضمانات على نوعية وكمية المياه المتدفقة من الجولان إلى البحيرة، وقد وافقت سورية على أن تحصل على نفس الضمانات على مياهها المتدفقة من تركيا " .

ويتابع : "وقد أرادت إسرائيل علاقات دبلوماسية كاملة ما إن يبدأ الانسحاب في حين أرادت سورية مستوى علاقات أقل من ذلك حتى ينتهي الانسحاب بشكل كامل".

ويقول كلينتون : "لقد جاء السوريون إلى شبرد تاون بعقلية إيجابية ومرنة، وكانوا راغبين في عقد اتفاقية. في المقابل، فإن باراك، الذي كان قد دفع بقوة من أجل المحادثات، كان قد قرر، على ما يبدو وفقاً لمعلومات الاستفتاء، أن عليه أن يبطئ من خطوه في العملية لعدة أيام حتى يتمكن من إقناع الشعب الإسرائيلي بأنه كان مفاوضاً صعباً " .

"وقد أراد أن أستخدم علاقتي الجيدة مع الشرع والأسد لإبقاء السوريين سعداء في حين يقول هو أقل ما يمكن قوله خلال الفترة التي سيفرضها على نفسه ".

ويتابع كلينتون : " إذا كان باراك قد تعامل مع السوريين من قبل، أو إذا كان قد أعطانا بعض الملاحظات المتقدمة، فلربما كان ذلك يمكن تدبره بدونه . كنا نريده أن يظهر اهتماماً أكثر برأي الإسرائيليين . ولكن الأسد كان لديه مشاكله السياسية الخاصة، وكان قد تغلب على اشمئزازه المعروف من الانخراط العالي المستوى مع الإسرائيليين لأنه وثق بي وبتطمينات باراك " .

ويتابع كلينتون : " لم يكن باراك قد دخل عالم السياسة منذ زمن طويل. وقد اعتقدت أنه قد حصل على نصيحة بالغة السوء. ففي الشؤون الخارجية، تكون الاستفتاءات عديمة الفائدة غالباً . يستأجر الناس القادة ليحرزوا لهم النصر، والنتائج هي المهمة . لم تكن كثير من قراراتي الأكثر أهمية في السياسة الخارجية ذات شعبية في البداية . لو أن باراك صنع السلام مع سورية فقد كان ذلك سيرفع موقفه في إسرائيل وفي العالم كله، وكان سيرفع من فرص النجاح مع الفلسطينيين. وإذا ما فشل، فإن أياماً قليلة ذات نتائج جيدة للاستفتاءات ستتلاشى مع الريح. وبرغم كل محاولاتي، لم أستطع تغيير تفكير باراك. فقد أراد مني أن أساعد في إبقاء الشرع على المنصة بينما ينتظر هو، وأن أفعل ذلك في شبرد تاون المنعزلة، حيث لا يوجد إلا القليل من مشاغل العمل " .

ويقول : "حاولت مادلين ألبرايت، ودينس روس التفكير بطرق مبدعة لتبيين التزام باراك بتعهد رابين، بما في ذلك فتح قناة خلفية بين مادلين ألبرايت وبثينة شعبان، المرأة الوحيدة في الوفد السوري. كانت بثينة امرأة فصيحة وذات تأثير، وكانت قد عملت دائماً كمترجمة للأسد لدى التقائنا. كانت تعمل مع الأسد منذ سنوات، وقد كنت متأكداً من أن وجودها في شبرد تاون كان لضمان وصول صورة كاملة وغير معدلة عما كان يحدث للأسد " .

ويواصل كلينتون : " في يوم الجمعة، الذي وافق اليوم الخامس توصلنا إلى مسودة اتفاقية السلام مع وضع خلافات الطرفين بين القوسين. وقد تجاوب السوريون بشكل إيجابي ليلة السبت، وبدأنا الاجتماعات حول قضايا الحدود والقضايا الأمنية. مرة أخرى أظهر السوريون مرونة حيال كلا القضيتين، وقالوا إنهم سيقبلون بتعديل فيما

يتعلق بشريط الأرض الذي يحد بحيرة طبريا ليصل إلى خمسين متراً مائة وأربعة وستين قدماً، وذلك إذا ما قبل الإسرائيليون بخط ٤ حزيران كأساس للتفاوض" .

و"قد كان هناك بعض المنطق العملي في هذا، فعلى ما يبدو فإن البحيرة كانت قد تقلصت في حجمها في الثلاثين سنة الأخيرة. وقد شجعني ذلك، ولكن سرعان ما ظهر أن باراك لم يفوض أياً في فريقه ليقبل بخط ٤ يونيو، مهما قدم السوريون" .

"وفي يوم الأحد، وفي غداء مقدم لإيهود ونافا باراك في مزرعة مادلين ألبرايت قدم كل من مادلين ودينيس عرضاً أخيراً لباراك. فقد أظهرت سورية مرونة مع ما أرادته إسرائيل، إذا ما تم تلبية حاجاتها، ولم تتجاوب إسرائيل بطريقة مقبولة. فماذا كانت تريد؟ قال باراك إنه يريد استئناف مفاوضات المسار اللبناني. وأن ذلك إذا لم يحدث، فإنه سيتوقف لعدة أيام ثم يعود " .

و" لم يكن الشرع في وضع يسمح له بسماع ذلك، فقال إن شبرد تاون كانت فشلاً. وأن باراك لم يكن صادقاً، وأن عليه أن يقول ذلك للرئيس الأسد " .

ويقول كلينتون : "في آخر عشاء، حاولت مرة أخرى حمل باراك على قول شيء إيجابي يستطيع الشرع العودة به إلى سورية، إلا أنه رفض. وأخبرني سرياً بدلاً من ذلك أن بإمكاني أن اتصل بالأسد بعد أن أترك شبرد تاون وأن أخبره أن باراك سيقبل بحدود ٤ يونيو ما أن يتم استئناف المفاوضات اللبنانية أو ما أن تبدأ " .

"وقد كان هذا يعني أن الشرع سيعود إلى سورية خاوي الوفاض من مفاوضات كان يعتقد أنها ستكون حاسمة، إلى درجة أن السوريين رحبوا بالبقاء أثناء نهاية رمضان إلى العيد" .

ويستمر كلينتون فيقول في مذكراته : " ومما جعل الأمور تزداد سوءاً، فقد تسرب نص أحدث اتفاقية إلى الصحافة الإسرائيلية .

ويقول : " عندما اتصلت بالأسد لأقدم عرض باراك بالتأكيد على التزام رابين

وعلى تعيين الحدود على ما كانت عليه ما إن تبدأ المفاوضات اللبنانية، استمع دون أي تعليق" .

و"بعد أيام قليلة، اتصل الشرع بمادلين ألبرايت، ورفض عرض باراك، وقال إن السوريين سيفتحون المفاوضات مع لبنان فقط بعد أن يتم الاتفاق على تعيين الحدود.لقد لدغوا مرة نتيجة مرونتهم وتعاونهم، ولم يكونوا ليرتكبوا نفس الخطأ مرة أخرى" .

و"كنا نحن قد تعرضنا لإرباك في ذلك الوقت، ولكني اعتقدت أن علينا أن نواصل المحاولة. فمازال يبدو أن باراك يريد السلام مع سورية، وقد كان صحيحاً أن الشعب الإسرائيلي لم يكن مستعداً للتنازلات التي يتطلبها السلام " .

ويواصل كلينتون : " وقد كان لا يزال كذلك من مصلحة سورية صنع السلام، وفي وقت قريب فقد كانت صحة الأسد مُتعَبَة ،. في نفس الوقت، كان هناك الكثير مما ينبغي عمله على المسار السوري. وقد طلبت من كل من ساندي ومادلين ودينس أن يدرسوا ما علينا فعله في الخطوة التالية، ثم صببت اهتماماتي على أمور أخرى " .

ويتحدث كلينتون أيضاً في مذكراته عن لقائه الأول بالرئيس السوري حافظ الأسد في دمشق، ويقول: " في صبيحة اليوم التالي، طرت إلى دمشق، وهي المدينة الأطول تاريخا في التاريخ لناحية عدم انقطاع الوجود السكاني فيها، لرؤية الرئيس الأسد، كنت الرئيس الأميركي الأول الذي يزور سورية منذ ٢٠ عاما، بسبب تأييد دمشق للجماعات المعارضة لسياسة أمريكا ودعمها لإسرائيل وسيطرتها على لبنان، كنت أريد للرئيس الأسد أن يعرف أنني ملتزم التوصل إلى سلام بين سورية وإسرائيل بناء على قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، وأنني، وإذا ما تم التوصل إلى سلام بين إسرائيل وسورية، فإنني سأعمل بكد من أجل تحسين العلاقات بين بلاده والولايات المتحدة، تعرضت لبعض الانتقادات الحادة بسبب زيارتي لسورية بسبب دعمها لحزب الله وغيره من الجماعات العنيفة المناوئة لإسرائيل، لكنني كنت أعرف أنه لن يكون هناك سلام واستقرار في المنطقة ما لم تتوصل سورية وإسرائيل إلى اتفاق سلام" .

ويقول كلينتون : "اجتماعي مع الأسد لم يسفر عن اختراق كبير، لكنه قدم لي بعض التلميحات المشجعة بالنسبة إلى كيفية التحرك قدما، كان واضحا أنه يريد صنع السلام، لكنني حين أشرت عليه بأن يقوم بزيارة لإسرائيل وأن يمد يده إلى المواطنين الإسرائيليين، وأن يطرح حجته كما فعل الرئيس المصري الراحل أنور السادات، شعرت أنني أنفخ في قربة مثقوبة، كان الأسد باهرا، لكنه كان شديد الحذر يقضى الساعات فى قصره بدمشق مفعماً بالمهام الجسام ولم يكن يتصور المخاطر التي ينطوي عليها ركوبه الطائرة والتوجه إلى تل أبيب، وفور انتهاء الاجتماع والمؤتمر الصحافي الإلزامي، طرت إلى تل أبيب لأبلغ رابين ما علمته من اجتماعي مع الأسد ".

روس : الأسد عدو صلب

يحافظ على التزاماته !!

وحول خفايا ما اصطلح دينيس روس على تسميته بـ قناة لاودر السرية للتوسط بين باراك وحافظ الأسد، تحدث مبعوث السلام السابق في الشرق الأوسط في مذكراته التي حملها كتابه " السلام الضائع " عن ذكرياته عما حدث في تلك الفترة التي تعرض لها الرئيس كلينتون متناولاً فيها شخصية ومواقف الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد . . يقول روس :

"وكان باراك أيضاً مشدوداً إلى التعامل مع حافظ الأسد أكثر بكثير من التعامل مع ياسر عرفات. فالأسد في نظره يمثّل كل ما لم يكن عرفات يمثّله. فلديه دولة حقيقيّة مع جيش حقيقيّ يمتلك آلاف الدبّابات ومئات الصواريخ، وكان عدوّاً صلباً، يحظى باحترام ورهبة من قبل الزعماء الآخرين في المنطقة "

ويقول روس : أخيراً، رأى باراك، على غرار إسحاق رابين، أنّ اتفاقيّة السلام مع سورية هي وسيلة الوقاية الفضلى من التهديدات التي تأتي من إيران والعراق. فتنحية إسرائيل عن هذين البلدين وبناء ائتلاف إقليميّ مشترك ضدّهما، وعزلهما في المنطقة، يتوقّف كله على إيجاد قضيّة مشتركة مع سورية " .

ويواصل روس : " لا شكّ في أنّ باراك كان يعرف بأن لا سلام مع سورية بدون إعادة مرتفعات الجولان إلى الأسد. وقد أقنعته رؤيته للأسد بأنّ التوصّل إلى اتفاق أمر ممكن. فقد تابع الأسد عن كثب بوصفه رئيساً للاستخبارات العسكريّة، وكان كرئيس لأركان الجيش الإسرائيليّ يطلب بشكل روتينيّ معرفة انطباعي عن الأسد. ويحرص على استيعاب كل نبذة من المعلومات " .

ويقول روس : " وقد عزّز نقاش باراك مع باتريك سيل، وهو صحافيّ بريطانيّ وواضع السيرة الذاتيّة المتعاطف مع الأسد، اعتقاد باراك بأنّ باستطاعته التوصّل إلى اتفاق مع الأسد. وبعيد انتخاب باراك، أبلغه سيل – وكان باستطاعته الوصول بسهولة إلى الأسد – بأنّ الأسد جادّ بشأن التوصّل إلى اتفاق، لكنّ ذلك يتطلّب تدخّلاً شخصيّاً من الرئيس كلينتون، ولا شيء أقلّ " .

ويوضح روس : "وقد ساعد سيل بعد ذلك، كما لو أنّه كان يثبت مصداقيّته، في تنظيم تبادل غير مسبوق للبيانات بين باراك والأسد بعيد فوز باراك في الانتخابات. فقد دفع باراك إلى الإشارة إلى ميراث الأسد بوصفه «سورية القويّة والمستقلّة والواثقة من نفسها... سورية مهمّة جدّاً للاستقرار في الشرق الأوسط». ثمّ حثّ سيل الأسد بأن يمتدح لأول مرّة علناً زعيماً إسرائيليّاً واصفاً باراك «بأنّه رجل قويّ وصادق». وقد كان هذا التبادل العلنيّ استثنائيّاً، حتى وإن بصورة غير مباشرة" .

ويتابع روس : " إنّ اعتقاد باراك بأنّ حدوث اختراق مع الأسد قد يكون ممكناً بتدخّل أميركيّ، جعله متلهّفاً أكثر للتحرّك نحونا وأكثر تردّداً للتحرّك تجاه الأسد، لئلا يضع في جيبه أي تنازلات إسرائيليّة استباقاً لمعاهدة سلام تتوسّطها الولايات المتحدة " .

ويضيف روس : "لكن حتى هذا التحفّظ التكتيكيّ لا يمكن أن يفسّر عدم رغبته في قبول وديعة رابين. فما الذي يفسّره ؟ اتضح لي من مباحثات بلير هاوس إلى زوريخ أنّ باراك ورفاقه تلقوا معلومات أقنعتهم بأنّ الأسد سيكون راغباً في التعايش مع شيء أقلّ من التزام إسرائيليّ بالانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧. وقد كنت مرتاباً ونبّهت داني وتسفي بأن يأخذا مثل هذه المعلومات بتحفّظ، لكنّهما بديا

مقتنعين. بعد زوريخ مباشرة، علمت ما الذي - أو بالأحرى من - أقنعهم بذلك. لقد كان رونالد لاودر، رجل الأعمال الأميركيّ وصديق بيبي نتنياهو. فقد استخدم بيبي لاودر كرسول إلى الرئيس الأسد بدءاً من صيف ١٩٩٨، حيث كان يذهب إلى دمشق حاملاً رسائل من نتنياهو. وعندما سألتني وزيرة الخارجيّة عن ذلك، قلت لها: لا مشكلة لدينا في التوصّل إلى شيء بمفردهم - إذا أمكنهم ذلك .

ويقول روس : "مع أنّ بيبي خرج الآن، إلا أنّ لاودر لا يزال في الداخل. فعند عودتي من زوريخ، علمت أنّ باراك اتصل بالرئيس كلينتون وأبلغه أنّه تحدّث إلى لاودر عن اجتماعاته مع الأسد ويبدو أنّهم مهتمّون جدّاً. وفي مكالمة أخرى، ذهب باراك إلى أبعد من ذلك بكثير معلناً أنّ لدى لاودر ورقة تتكوّن من عشر نقاط زعم أنّ الأسد وافق عليها إلى حدّ كبير. وإذا كان الأمر كذلك، فقد شعر باراك أنّ من الممكن التوصّل إلى اتفاق بسرعة مع سورية. هل كان الأسد مستعدّاً «للإقرار» بها؟ وحده الرئيس كلينتون يستطيع معرفة ذلك، لذا كان باراك يعتقد أنّ من الضروريّ أن يقابل كلينتون لاودر ليقرّر بنفسه إذا كان ذلك مساراً واعداً يمكن متابعته. فإذا كان الأمر كذلك، فإنّه يتمتّع بميزة التغطية السياسيّة الإضافيّة لأنّه يمكّن باراك من القول لليمين الإسرائيليّ إنّه يوافق فقط على ما قبل به نتنياهو" .

ويوضح روس : "التزم لاودر في وساطته أنّ يطلع كلينتون فقط عليها وطلب مني أن أغادر المكتب البيضاويّ وبعد مغادرته استدعاني الرئيس وسلّمني ورقته بمقترحاتها ..

كان ساندي ومادلين حذرين، وغير مستعدّين لقبول مقترحات باراك بأن يقابل الرئيس لاودر منفرداً «بالنظر إلى حساسيّة الأمر». فقد كانا يريدان أن أجلس في الاجتماع إلى جانب الرئيس «لأخبرهما إن كان الأمر حقيقيّاً أم لا». جاء لاودر بمفرده وأمضى عشرين دقيقة يشرح فيها كيفيّة نشوء قناته مع الأسد " .

ويقول روس : " وفي صيف ١٩٩٨، التقى بوليد المعلّم في واشنطن وأبلغه أنّ بيبي جادّ بشأن محاولة التوصّل إلى اتفاق وأنّه يريد أن يفتح قناة سريّة خاصّة مع الأسد.

وقد رتّب وليد لاجتماع ابتدائيّ مع الأسد، وخلال خمسة أسابيع تمكّن لاودر من التوجّه جيئة وذهاباً بين الزعيمين بشكل متكرّر. وقد أمضى خلال هذه الفترة ساعات كثيرة مع الأسد" .

ويواصل روس : "أبلغه الأسد بأنّه يعتقد بأنّ الاتفاق غير ممكن إلا بمثل هذه الآليّة، وأنّه يعتقد بأنّ المفاوضات الماضية كانت معقّدة جدّاً وكثيرة الأوراق، وبدلاً من ذلك فإنّ ورقة بسيطة من صفحة أو اثنتين يجب أن توضح الاتفاق على القضايا الأساسيّة. وقال لاودر إنّهما توصّلا في الأساس إلى اتفاق بشأن كافّة القضايا - الحدود والترتيبات الأمنيّة والسلام ولبنان. وأنّهما أوجزاها في عشر نقاط كان يمكن أن يصيغاها بصورة نهائيّة لولا إصرار الأسد على مراجعة الخرائط بشأن الحدود والترتيبات الأمنيّة، ورفض بيبي لئلا يفقد قابليّة التراجع عنها. ثم جاءت واي والاتفاق مع الفلسطينيّين، كما أوضح لاودر، ولم تكن لدى بيبي التغطيّة السياسيّة لمتابعة المسعى" .

ويقول روس : "وقال لاودر إنّه يحمل ورقة بعشر نقاط معه وأنّه أكّد لباراك أنّه سيطلع الرئيس فقط عليها، وقدّم الاعتذار عن طلبه بأن أغادر المكتب البيضاويّ. وقبل الخروج، طرحت عدداً من الأسئلة:

أولاً، أين أبدى الأسد مرونة؟ أجاب لاودر بشأن الحدود والترتيبات الأمنيّة وبشأن محطّة إنذار مبكّر. أخرجت خريطة وطلبت منه أن يحدّد لي المرونة بشأن الحدود، فأشار إلى أنّ الأسد كان مستعدّاً لرسم الحدود بعيداً عن بحيرة طبريّة وعن نهر الأردن.

ثانياً، ماذا يعني " توصّلا في الأساس إلى اتفاق" ؟ فكان جوابه أنّ ما سيريه للرئيس هو اتفاق بنسبة ٩٩ بالمائة. هل يشكّل الواحد بالمائة اختلافاً على أي من القضايا الأساسيّة - أي تعيين الحدود ومبدأ الترتيبات الأمنيّة (بما في ذلك الإنذار المبكّر) ومضمون السلام وتوقيت تنفيذ كل شيء؟ لم يكن لاودر يعتقد بوجود أي اختلاف هنا. فقد كانت المسائل المفتوحة بالنسبة إليه تتعلّق في التوضيح والتطبيق على الخرائط أكثر مما تتعلّق بالمفاوضات" .

ويواصل روس : "بعد أن غادر لاودر استدعاني الرئيس إلى المكتب البيضاويّ، وسرعان ما انضمّ إلينا ساندي ومادلين. سلّمني الرئيس الورقة التي تحتوي على النقاط العشر. كان عنوانها «معاهدة سلام بين إسرائيل وسورية». كانت هناك ديباجة قصيرة تفيد بأنّ إسرائيل وسورية اتفقتا على إقامة سلام بينهما وأنّ السلام يستند إلى مبادئ الأمن والمساواة واحترام سيادة الجانبين وسلامة أراضيهما واستقلالهما السياسيّ " .

ويوضح روس : وقد اتفق الجانبان» على عشرة أحكام :

(١) إنهاء حالة الحرب بينهما عند توقيع الاتفاقيّة.

(٢) تسحب إسرائيل قوّاتها من «الأراضي السوريّة التي أخذت في سنة ١٩٦٧» إلى «حدود متّفق عليها على أساس الخطّ الدوليّ لسنة ١٩٢٣».

(٣) يتمّ الانسحاب على ثلاث مراحل لكن تُركت الفترة الزمنيّة فارغة (وكتب الرئيس في الهامش أنّ الموقف السوريّ هو ثمانية عشر شهراً، فيما الموقف الإسرائيليّ ثلاثون شهراً).

(٤) يوقّع لبنان اتفاقيّة مع إسرائيل، بشكل متزامن مع سورية وإسرائيل، ويبذل السوريّون أقصى الجهود لضمان عدم القيام بمزيد من الأنشطة شبه العسكريّة أو العدائيّة ضدّ إسرائيل انطلاقاً من لبنان.

(٥) وردت هذه النقطة بين قوسين، وكانت نصّاً عن الترتيبات الأمنيّة مستعاراً من ورقة «الأهداف والمبادئ»، وعليها تعليق للرئيس مفاده «يجب صياغة النصّ».

(٦) ستكون هناك ثلاث مناطق تحدّ من انتشار القوّات ـ منطقة منزوعة السلاح ومنطقة محدودة السلاح ومنطقة خالية من الأسلحة الهجوميّة (وقد حدّدت ملاحظة الرئيس موقع كل منطقة في الجانب السوريّ من الحدود : سيكون الجولان منزوعاً من السلاح، وستمتد المنطقة الخالية من الأسلحة الهجوميّة إلى الطريق السريع قبل دمشق).

(٧) يمكن أن تبقى محطّات الإنذار المبكّر والمراقبة القائمة حالياً في مرتفعات الجولان ولكن بإدارة متعدّدة الجنسيّات من أفراد أميركيّين وفرنسيّين وسوريّين.
(٨) إقامة تطبيع كامل للعلاقات ينسجم مع القوانين السارية في كل من البلدين.
(٩) سيتمّ التعامل مع الاحتياجات والحقوق المائيّة وفقاً للمعايير الدوليّة.
(١٠) ستسعى سورية إلى جعل السلام مع إسرائيل شاملاً في المنطقة " .

ويقول روس : "ما أن فرغت من تفحّص الورقة حتى بادرني الرئيس بالسؤال عن رأيي. قلت له إنّها «شديدة الحسن بحيث يتعذّر تصديقها». لكنّني فهمت الآن لماذا كان يعتقد باراك ورفاقه بأنّهم ليسوا بحاجة إلى الالتزام بوديعة رابين وخطوط ٤ يونيو" .

ويروي روس : "انضمّ إلينا الآن ساندي ومادلين، وأخبرهما الرئيس بأنّني متشكّك بشأن مضمون الورقة. لكن هل أعتقد بأنّ لاودر كان كاذباً ؟ قلت لا، إنّه صادق وإنّني أعتقد أنّه يؤمن بالكثير مما يقول. لكنّي أخشى أنّه ليس دقيقاً وأنّ ما يعتقده اختلافات ثانويّة ليس ثانويّاً. كما أنّني أعتقد أنّ هناك بعض التعلّل بالآمال هنا. وأين تكمن شكوكي الكبرى؟ كنت أعرف أنّ خطّ ١٩٢٣ ليس فكرة صالحة البتّة بالنسبة للأسد، فتلك حدود استعماريّة في نظر الأسد ولن يقبل بها قطّ في أي وثيقة. كما كانت لديّ شكوك كبيرة بأنّ يقرّ الأسد بوجود إسرائيليّ في محطّات الإنذار المبكّر في الجولان بعد الانسحاب الإسرائيليّ، فما بالك بالقبول به. لكنّ وصف لاودر بأنّ الأسد لا يريد وثيقة معقّدة كان صحيحاً، وكذا حال عدد من النقاط العشر" .

ويستمر روس : " قال الرئيس: علينا التدقيق فيها مع الأسد بطريقة ما». وكان يعتقد بوضوح بأنّ هناك شيئاً ما في ورقة لاودر، وكان متلهّفاً لمتابعته. لكن كيف ؟ هل نطلب من لاودر مقابلة الأسد ؟ لم يكن ساندي ومادلين مرتاحين إلى ذلك، في حين قرّر الرئيس الاتصال بالأسد. لكنّنا أبلغنا، بصورة غير مألوفة، بأنّ الأسد لن يتمكّن من تلقّي المكالمة قبل عدّة ساعات. ما دفعني إلى الاعتقاد بأنّه مريض. (كنّا نتلقّى عدداً متزايداً من التقارير عن صحّة الأسد وحدّة ذهنه.) اقترحت أن أقابل لاودر

أنا ومادلين لسبر أعماقه في المجالات التي تثير شكوكي الخطيرة، وإبلاغه بأنّنا ننوي إرسال الوثيقة إلى الأسد مع رسالة مفادها أنّه إذا كان يجدها مقبولة من حيث الأساس، فإنّ الرئيس يعتقد بوجود إمكانيّة للتقدّم بسرعة كبيرة نحو اتفاقيّة نهائيّة بين سورية وإسرائيل. أعجب الرئيس كلينتون بهذا النهج وطلب منّا السير فيه " .

ويقول روس : " جاء لاودر إلى مكتب مادلين ليقابلنا. فشرحت ما نعتزم القيام به، فوافق على أنّ ذلك أمر معقول. ثم سألته ما هي الأسئلة التي يعتقد أنّ الأسد يمكن أن يطرحها بشأن الورقة. فقال إنّ الأسد سيواجه مشكلة في النصّ المكتوب بين أقواس بشأن الوجود الإسرائيليّ في محطّة الإنذار المبكّر. وأنّ هذا كل شيء. وماذا عن خطوط سنة ١٩٢٣ وليس خطوط ٤ حزيران/ يونيو ١٩٦٧؟ ولشدّ ما أدهشني إصراره على أنّ الأسد وافق على ذلك. وأنّنا سنرى أنّها ليست مشكلة عندما يتلقّى الأسد الورقة " .

ويقول روس : " عندما عدنا إلى البيت الأبيض، اتصل الرئيس بالأسد ثانية. وقد تلقّى الأسد المكالمة هذه المرّة. أبلغه كلينتون عن هذا الاجتماع مع لاودر، وورقة النقاط العشر. فهل يوافق الرئيس الأسد على هذه النقاط بالفعل؟ كان ردّ الأسد يميل إلى تعزيز شكوكي. قال إنّ «ذلك غريب نوعاً ما». أقرّ بأنّه التقى عدّة مرّات بلاودر، لكنّه أبدى عدم علمه بشأن النقاط العشر. وقال إنّ المسعى معه انتهى إلى الفشل. وانّه لا يريد إحراج أحد ويفضّل عدم مجيء لاودر إلى دمشق. وهو ما اقترحه كلينتون الآن. وبدلاً من ذلك طلب من الرئيس أن يرسل إليه الورقة التي قدّمها لاودر وسيردّ عليها " .

ويتابع روس : " بعد المكالمة طلب مني الرئيس إعداد الورقة مع ملاحظة تفسيريّة تبيّن المجالات التي قال لاودر إنّها بحاجة إلى توضيح. واستناداً إلى حواره مع لاودر ومعنا، اقترح أن نلطّف النص المتعلّق بمركز المراقبة لاستبعاد الإشارة إلى الوجود الإسرائيليّ. اعترض ساندي بحقّ قائلاً لا يمكن أن يكون لدينا نسخة اطلع عليها باراك ونسخة ثانية للأسد. واقترح ألا نجري هذا التغيير إلا إذا قبله باراك. وعندما راجعنا باراك في الأمر، قال إنّه لا يريد إدخال تغييرات على الورقة: «فهذه هي الورقة التي يفترض أنّ الأسد قبلها، وأنّ علينا اختبار ردّه». فقد كان باراك متلهّفاً إلى معرفة كيفيّة ردّ الأسد عليها " .

ويواصل روس : " سأل كلينتون «كيف سترسل الورقة إلى الأسد؟»، أجبته بأنّني سأرسلها بفاكس آمن إلى سفيرنا في دمشق مع تعليمات مشدّدة بأنّه هو وحده من يستطيع تسلمها من ماكنة الفاكس، وأنّ عليه أن يضعها في مغلّف وأن يأخذها إلى القصر الرئاسيّ على الفور دون أن يعرض أيّ تعليقات عليها. أجاب الرئيس، «حسناً». وبعد يومين، أجاب الأسد داعياً الرئيس إلى القول إنّ سورية لم تقبل هذه الورقة من قبل ولن تقبل بها الآن. انتهى المسعى مع لاودر، الأسد يفضّل العمل انطلاقاً من التزام رابين - «الوديعة» - ودعانا إلى تقديم مقترحات إلى الجانبين " .

ويستمر روس بقوله : " اتّضح الآن ما كنت أشكّ فيه طوال الوقت: لقد كانت مقاربة باراك الابتدائيّة للسوريّين تستند إلى مقدّمة خاطئة: أن ليس عليه إعادة التأكيد على التزام رابين «المشروط» بالانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو " .

" تشجّع الرئيس بحماسة باراك، بعد أن ارتفعت آماله مع لاودر، ووافق على محاولة إقناع الأسد بقبول القناة السريّة. لكن قبل أن يتصل بدمشق، أخبرته بأنّ الأسد يقاوم من حيث المبدأ فكرة الدبلوماسيّة السريّة مع إسرائيل لأنّها كانت الطريقة التي أنجز بها الجميع الأمور- السادات والملك حسين، بل وحتى الفلسطينيّين. وأنّ على الأسد أن يظهر الآن أنّه يؤدّي العمل على طريقته (كانت قناة لاودر سريّة لكنّها لم تكن مباشرة) . ولإقناع الأسد بالعمل في قناة سريّة، لا بدّ من أن تكون قناة ثلاثية الأطراف لا قناة ثنائيّة. فذلك سيسمح للأسد بأن يظهر أنّه مختلف، لا يسعى وراء الدبلوماسيّة السريّة مع الإسرائيليّين ولكن العمل مع الراعي الأميركيّ المشترك وفقاً لشروطه لتحقيق السلام الشامل والعادل كما يراه .

ويواصل روس : " أبدى الأسد اهتماماً، لكنّه أراد أن يعلم من سيرسل باراك إلى الاجتماع. فكان الجواب أوري ساغي، وكنت أعرف أنّ ذلك سيسرّ الأسد. فساغي، وهو جنرال متقاعد ورئيس سابق للاستخبارات العسكريّة الإسرائيليّة، أقرّ علناً بأنّ الأسد مستعدّ لعقد سلام مع إسرائيل إذا انسحبت إسرائيل من مرتفعات الجولان، كما أنّه من المؤيّدين المعروفين للتوصّل إلى مثل هذا الاتفاق. وكان أيضاً صلة الوصل بين باراك وباتريك سيل، كاتب السيرة الذاتية للأسد " .

ويقول روس : " لا شكّ في أنّ الأسد كان متحمّساً بشأن ساغي، وقال عنه إنّه يحظى بسمعة طيّبة لدى الجانب السوريّ. وقال إنّه سيرسل رياض الداووديّ - وهو محام سوريّ شارك في المحادثات الإسرائيليّة السوريّة في واي سنة ١٩٩٦ " .

ويقول روس : "سأل الأسد من سنرسل نحن؟ فأجابه الرئيس أنّه سيرسلني. فقال الأسد، «لم يكن السيّد روس إيجابيّاً معنا دائماً». فكان ردّ الرئيس: بإمكان دنيس الانتقال بشكل سريّ، ولا يمكنني أن أرسل وزيرة الخارجيّة، كما أنّه يعرف التفاصيل والتاريخ بطريقة لا يجاريه فيها أحد. وردّ الأسد على ذلك قائلاً، «ذلك صحيح، لكنّنا نأمل أن يكون إيجابيّاً أكثر" .

ويتابع روس : " في وقت لاحق سألني الرئيس، «ما الذي كان يعنيه؟». أبلغت الرئيس أنّه ربما يكون هناك العديد من الأسباب وراء ذلك التعليق.

أولاً، أنّني جئت لتمثيل عمليّة السلام في المنطقة في عهد بيبي فقط، وفي أثنائه ركّزنا على المسار الفلسطينيّ بشكل حصريّ تقريباً. وأنا لم أذهب إلى دمشق منذ سنة ١٩٩٦، وأنّ الأسد شعر من دون شكّ بأنّه تمّ تجاهله.

ثانياً، كنت شديداً معه بشأن الإرهاب في اجتماعنا الأخير، وكان قد عُقد بعد وقت قليل من انفجار رحلة طائرة «تي دبليو أ ٨٠٠»، حيث أبلغته أنّه إذا تبيّن أنّ الانفجار عمل إرهابيّ وثبت أنّ لأي من المجموعات الرافضة التي تتخذ من سورية مقرّاً لها، فإنّنا سنحمّله المسؤوليّة عن ذلك.

ثالثاً، أنّ الأسد كان يحاول وضع الرئيس ووضعي في موقف دفاعيّ بحيث نكون أكثر استجابة له " .

ويضيف روس : "اقترحت أن أمدّ يد المساعدة «بصيغة أميركيّة». وقلت إنّها ستمكّن رياض من الإشارة إلى شيء من قبلنا، ويستطيع أوري القول، إنّ هذه صيغة أميركيّة، ولا تلزم إسرائيل بالطبع. المؤلف يشير هنا الى رياض الداوودي المفاوض السوري وأوري سارغر المفاوض الإسرائيلي وهما المبعوثان من قبل حافظ الأسد وإيهود باراك .. أعجب الاثنان بالمقاربة، وأخذنا استراحة وذهبت لأكتب الصيغة" .

ويتذكر روس : " أردت أن أبتكر شيئاً يكون جديداً بشكل واضح من وجهة النظر السوريّة ولا يكون صريحاً من وجهة النظر الإسرائيليّة. وبهذه الخلفيّة في ذهني، صغت مسوّدة نصّ تفيد بأنّ وديعة رابين التي قدّمت إلى الرئيس كلينتون بشأن المواقف من الانسحاب الكامل يجب ألا تُسحب ويجب أن ترشد نتيجة المفاوضات إذا أريد التوصّل إلى اتفاق. وفي حين أنّني لم أفصح عن وديعة رابين من حيث خطّ ٤ يونيو (حزيران) بالتحديد، كنت أشير إليها ضمناً وأضيف شرطي، أنّها «يجب أن ترشد» و«يجب ألا تسحب». راجعت الصيغة مع ساندي ومادلين، وحثّني ساندي على تأكيد الأمر مع باراك، وبخاصّة لأنّ الولايات المتحدة لن تكون الآن حافظة لوديعة رابين فحسب، وإنّما تقول إنّها يجب أن ترشد النتيجة " .

ويقول روس : " راجعت الأمر مع أوري فأراد أن يتأكّد من أنّ باراك سيكون مرتاحاً للصيغة قبل تقديمها إلى الداوودي. نبّهت أوري إلى أنّني لا أستطيع الانتظار طويلاً لئلا يعتقد الداووديّ بأنّني أقوم بإعداد الأمر مع الإسرائيليّين. ما يميت الصيغة عند ولادتها. تفهّم أوري ذلك ونجح على الفور تقريباً في الحصول على موافقة باراك، شريطة " ألا أتقدّم أكثر ". وذلك يتجاهل الواقع بوجوب حدوث بعض الأخذ والردّ بشأن الصيغة. بيّنت لأوري أنّني تعمّدت استخدام «يجب» بدلاً من «سوف» أو «س». وقلت قد يكون عليّ يا أوري أن أعطيه " سوف " أو " س " . لا سيما لأنّه سيضغط بالتأكيد لذكر ٤ يونيو صراحة ولأنّني لن أعطيه ذلك " .

ويقول روس : " فهم أوري ذلك، ومن المثير للاهتمام أنّه أرادني أن أكون متعاوناً قدر الإمكان، مع أنّه يعتقد أنّ الصيغة تقف عند الحدود الخارجيّة لما يمكن أن يتقبّله باراك. فقد رأى أنّ الداووديّ رجل يمكنه التفاوض معه ويريد أن يدعمه لدى الأسد " .

ويسترسل روس : " عندما أطلعت رياض على الصيغة، أراد بالطبع تغيير «يجب» وإحلال «سوف» أو «س» مكانها، كما أراد ذكر خطوط ٤ يونيو صراحة. فقلت له إنّني ذهبت بعيداً في وضع مسوّدة هذه الصيغة، فالولايات المتحدة ستنتقل من حافظ غير فاعل لوديعة مقدّمة من رابين إلى تبنّي موقف فاعل بأن ترشد الاتفاق. وذلك يمنح

السوريّين ضمانة بشأن الوديعة لم تكن لديهم البتة. وثمة تساؤلات أثيرت بالفعل في واشنطن بشأن تولّينا مسؤوليّة جديدة، وأبلغت رياضاً بأنّني أشكّ في قدرتي على الذهاب إلى أبعد من ذلك: «لديك يا رياض شيء مهمّ منّا، فخذه" .

ويقول روس : " أقرّ بأنّ الصيغة تشكّل خطوة مهمّة إلى الأمام، لكنّه كان قلقاً من ألا تكون كافية في دمشق. فقرّرت أن أجرّب مسلكاً آخر. سحبت ورقة لاودر وأطلعته عليها مع تعليقات الرئيس – الإشارة هنا للرئيس كلينتون – وأبلغته أنّ الحماسة دبّت في الرئيس عندما شاهد النقاط العشر، وذكّرته بقيمة أن يكون لديك مشاركة رئاسيّة متحمّسة. ومفتاح الحلّ بالنسبة إلينا أن نأخذ بعض هذه النقاط وننشئ عليها بنية تتمحور حول العناوين التقليديّة للانسحاب والسلام والأمن والجدول الزمنيّ. علينا أن نستخدم الصيغة التي استنبطتها كطريقة لتجاوز عتبة قضيّة استئناف المفاوضات. وأضفت أنّنا في النهاية «نتفاوض الآن وأنّك سمعت بالفعل أشياء من أوري لم تُقل من قبل مباشرة أمامكم" .

ويتابع روس : "راجع الداووديّ نقاط لاودر وأبدى إعجابه بملاحظات الرئيس في الحاشية. لكنّه قال، «لقد اطلعت على هذه النقاط يا دنيس، وقد صرفنا ثلاث عشرة ساعة في دراستها وهي لا تعكس أياً من تعليقاتنا. هذه هي المسوّدة الأولى التي أعطيت لنا، لا النسخة الأخيرة». والتي كان يعرف أنّهم أصرّوا فيها على إحلال خطوط ٤ يونيو محل خطوط ١٩٢٣" .

ويقول روس : "أجبت بأنّ معرفتنا بذلك مثيرة جدّاً للاهتمام. ومع ذلك، ثمة نقاط مشروعة في ورقة لاودر، وأنّ لدينا قناة الآن ويجب الاستفادة منها. أبلغني أنّه سيحاول أن يفعل شيئاً. كان المساء قد تقدّم الآن، فتناولنا عشاء اجتماعيّاً استفسر فيه كل منّا عن أسرة الآخر. وبدا من الواضح أنّ أوري ورياض مشغولان فغادرا فور انتهاء الطعام للاتصال بعاصمتيهما" .

"وبعد قليل على مغادرة أوري، اتصل بي رئيس الوزراء باراك. لقد تحدّث إلى أوري، لكنّه يريد أن يعرف انطباعاتي عن المحادثات. أخبرته بأنّ الداووديّ منفتح

بشكل ملحوظ وأنّه يحاول أن يجد طرقاً لكي يكون متجاوباً، لكنّ الأسد مصرّ على الصيغة، وأخشى أنّنا بدلاً من الدخول في دبلوماسيّة الأخذ والعطاء الحقيقيّة، فإنّنا سنغرق في الخلاف بشأن كيفيّة معاودة المفاوضات الرسميّة. وقد حاولت القفز على ذلك الاحتمال بالصيغة التي وضعتها وبمراجعة نقاط لاودر مع الداوودي. وأبلغته بأنّ ذلك لم يُجد نفعاً لأنّ مسوّدة نقاط لاودر كان ينقصها التعليقات السوريّة - وهو اكتشاف مثير جدّاً للإزعاج" .

و يقول روس : " انزعج باراك بشكل مماثل من كشف الداووديّ لهذا الأمر، لكنّه لاحظ بعدئذ بأنّ الأسد قبل التفاوض حول نقاط لاودر معهم، حتى وإن كانت غير دقيقة. لقد اعترف الداووديّ بهذا القدر. ويريد باراك أن يكون قادراً على إجراء مثل هذا التفاوض مع السوريّين دون أن يكون عليه دفع الثمن بقبول أي شيء يتجاوز الصيغة التي وضعتها الآن. هذا هو الحدّ وقال باراك دون مواربة: «سأبلغ الرئيس (كلينتون) بأنّني أعارض أي صيغة أميركيّة تتجاوز تلك التي وضعتها" .

" في الصباح التالي طلب الداوودي أن يجتمع بي على انفراد. لقد تحدّث إلى وزير الخارجيّة الشرع، ونقاط لاودر خارج نطاق البحث. إن سورية تطالب بصيغة صريحة بشأن خطوط ٤ يونيو ولورقة «الأهداف والمبادئ» أيضاً. وهذه هي نقطة انطلاق معاودة المفاوضات الرسميّة، وأي شيء دون ذلك غير مقبول " .

ويقول روس : " تملّكني شكّ في أنّنا وصلنا إلى غاية ما يمكننا هنا في بيرن. فقد أبلغت رياضاً بأنّني لا أستطيع أن أحسّن الصيغة التي قدّمتها له وهو الآن غير قادر على قبولها.

لكنّني اقترحت ألا نيأس. لقد سمع رياض مبدأ خطوط ٤ يونيو من أوري وبإمكانه الإفادة عن ذلك إلى الرئيس الأسد. وبإمكانه الإفادة عن موقفنا المتقدّم أيضاً. فوزيرة الخارجيّة ستزور المنطقة خلال بضعة أيام ووعدت بأن أفكّر في أفضل السبل للاستفادة من اجتماعاتها المنتظرة مع الأسد وباراك. ومن المثير للاهتمام أنّ أوري كان يشعر بأنّ الاجتماعات حقّقت نجاحاً مدهشاً، لقد بات أكثر اقتناعاً من ذي

قبل بأنّ الأسد يريد التوصّل إلى اتفاق. وما علينا إلا إيجاد الطريقة الصحيحة لإدارة «المفتاح في الباب وفتح قفل التقدّم المتوفّر». قلّبت فكرة أوري في ذهني. وكانت تلازمني أيضاً ملاحظة باراك بأنّ مسعى لاودر أنتج أخذاً وردّاً جدّيين بشأن الورقة. وفيما كنت عائداً إلى زوريخ لأستقل طائرة إلى القاهرة، راودتني فكرة جديدة. لم لا نعيد فتح مفاوضات غير مباشرة على ورقة شبيهة بنقاط لاودر. يمكننا أن نحضر الجانبين إلى موقع سريّ، ويمكننا التحدّث بشكل مكثّف إلى الجانبين كل على حدة، وفي ضوء هذه المباحثات يمكننا عندئذ أن نستنبط وثيقة، ويستطيع الجانبان بعد ذلك التفاوض حول الوثيقة. وبهذه الطريقة لن يكون الأخذ والردّ حول صيغة عامّة لاستئناف المفاوضات، ولكن على فحوى كل من القضايا التي يجب حلّها " .

كارتر : إعلامنا الأمريكي المغرض يحاول تشويه صورة الأسد !!

كما يتطرق الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر في مذكراته إلى عدد من القادة العرب، حيث اعترف بأن صورتهم تواجه محاولات مغلوطة من جانب بعض دوائر الإعلام الأميركية، ذات الميول اليهودية، لتشويه صورتهم – في تعمد واضح– رغم أن الصورة الحقيقية عكس ما يروجون له تماماً !!

ويعترف كارتر في كتابه "فلسطين : سلام لا فصل عنصري" بأن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد يأتي في مقدمة هؤلاء القادة العرب الذين تعرضوا لافتراء دوائر الإعلام الأمريكية، ومحاولة رسم صورة لهم غير حقيقية بالمرة !!

يتحدث كارتر في مذكراته عن لقائه الأول بالأسد في سويسرا في عام ١٩٧٧، ويقول واصفا الأسد "وجدت الأسد أكثر قائد لباقة في التعبير عن جوهر المعتقدات العربية الخاصة بإسرائيل وبفرص السلام"، وهنا يبدأ كارتر في وصف تلك المعتقدات بلهجة تتحلى بالموضوعية مؤكدا على أن "من المهم تلخيص آراء الأسد والتي نادرا ما تسمع في العالم الغربي" .

وهنا يتحدث كارتر على لسان الأسد عن " رفض إسرائيل منذ نشأتها عودة اللاجئين الفلسطينيين، ورغبة بعض أهم قادتها في بناء إسرائيل كبرى، وكيف أن هؤلاء القادة يؤمنون بأن التوسع والغزو وضم أراض جديدة هو أفضل وسيلة لحماية أمن وحدود إسرائيل، هذا إضافة إلى إيمان إسرائيل بحقها في إعادة بناء دولة انهارت منذ آلاف السنين، في حين ترفض منح الفلسطينيين حقهم في بناء دولة عاشوا عليها لأجيال، ناهيك عن نظرة إسرائيل إلى اليهود عبر العالم على أنهم شعب واحد، في حين ترفض النظر إلى الفلسطينيين كشعب متجانس " .

كما يؤكد كارتر على : "استعداد الأسد للعمل من أجل السلام، إذا كان قائما على احترام جميع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي، ومنح الفلسطينيين حقهم في تقرير مصيرهم، واحترام القوانين الدولية التي تحرم اغتصاب الأراضي بالقوة، واحترام حدود الدول.

كسينجر : الأسد قومي يتمتع بذكاء فوق العادة !!

أما هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي في عهد الرئيس نيكسون ومستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق والذي دخل في وساطة للسلام بين سوريا وإسرائيل عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم تنقطع صلته بالأسد حتى وقت متأخر من التسعينيات، فإنه يقول " أعتقد أنني كنت أول شخص من الغرب يتفاوض معه بشكل منتظم، وكان يتمتع بذكاء فوق العادة، وبحس للدعابة، وكان أيضاً قاسياً لا يرحم، وتتملكه المشاعر القومية " .

ولدى سؤاله عن أسلوبه في التفاوض يقول كيسنجر "اتصلت به بعد أن وقع الرئيس السادات اتفاق فك الاشتباك بين مصر وإسرائيل .. وقلت له : ليس أمامك خيار الآن وعليك أن تفعل الشيء نفسه بلباقة أو بطريقة تعوزها الكياسة، فرد الأسد عليَّ بقوله: أنت مخطئ، فقد فشلتم في فيتنام، وسوف تبيعون تايوان في يوم ما، وسنظل نحن باقين عندما تتعبون من إسرائيل (يضحك الأسد) فقلت له إن هذا لن يحدث " .

ويكشف محضر من محاضر الجولات المكوكية التي قام بها هنري كيسنجر، وزير خارجية أمريكا السابق سنة١٩٧٤ ، لفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس ، وفك اشتباك القوات السورية والإسرائيلية في مرتفعات الجولان، بعد حرب أكتوبرسنة ١٩٧٣.

ونعرض في ما يلي مقتطفات من اجتماع كيسنجر مع الرئيس السوري حافظ الأسد كما جاء في مذكراته .

الأسد: إذا عم السلام لا نريد سلاحا أميريكيا أو روسيا

كيسنجر:ما نوع السلام الذي تريدونه؟

لقد كانت علاقة كيسنجر،في ذلك الوقت مع الإسرائيلين قوية، وعلاقته مع المصريين في بدايتها،أما علاقته مع السوريين كانت معدومة تقريبا.

وكانت سوريا قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع أميركا مع بداية حرب عام ١٩٦٧ ، وبقي الود بين البلدين مفقودا ،ربما حتى الآن بسبب العلاقة القوية التي كانت تربط سوريا بروسيا ، وأهم من ذلك بسبب إسرائيل:

"البيت الأبيض"واشنطن / سري / مذكرة حديث.

المشتركون

في الجانب السوري: حافظ الأسد ،رئيس جمهورية سوريا ،عبد الحليم خدام،وزير الخارجية ومترجم سوري.

في الجانب الأمريكي: هنري كيسنجر،وزير الخارجية،هارولد ساوندرز،من مجلس الأمن القومي.

المكان: مكتب الرئيس الأسد ،دمشق الزمان: ٢٠ / ١ / ١٩٧٤

الوزير كيسنجر قابل الرئيس الأسد والوزير خدام لبعض الوقت.ثم انضم إليهم جوزيف سيسكو،مساعد الوزير للشرق الأدنى،ثم خرج سيسكو،ليذهب إلى المطار،ليجهز سفر الوزير إلى إسرائيل.وحل محله ساوندر،مع بداية تناول الغداء،وسجل هذا المحضر:

- كيسنجر: الموضوع التالي،ماذا أقول للصحافيين عندما أعود من المطار،أقدر أن أقول كلاما عاما. وفي داخل الطائرة،حيث يسافر معي بعض الصحافيين الأمريكيين،أقدر أن أقول لهم الآتي: "الرئيس الأسد قدم آراء عامة وأنا سأذهب إلى لإسرائيل لأعرضها على الإسرائيلين." هل هذا معقول أم أن وزير الخارجية سينفي ذلك؟

- الأسد: (باسما) سأضع فرامل أمامه حتى لا يفعل ذلك.

- كيسنجر: خدام رفض دعوتي لتناول الغداء في سبتمبر (أيلول) الماضي،عندما كان في نيويورك لحضور اجتماعات الأمم المتحدة.

- خدام: لم أكن وصلت إلى نيويورك عندما وجهت دعوتك للغداء. (يبدو أن الدعوة كانت لعدد من وزراء الخارجية).

الأسد: الوزير خدام هو أول مسؤول سوري يقابل الأمريكيين منذ حرب عام ١٩٦٧. وفي سنة ١٩٧٢ قابل الوزير خدام مساعد الوزير للشرق الأدنى ،سيسكو وكان ذلك خلال فترة سيئة في العلاقات بين بلدينا.

-كيسنجر: عندما كنت في إسرائيل قلت لرئيسة الوزراء،غولدا مائير،إن الوقت جاء لتتقدم إسرائيل مفهوما للسلام.وكما تعرف،كانت مريضة.

-الأسد:كم عمرها؟

- كيسنجر: سبع وسبعون سنة .إنها مصابة بكل الأمراض التي يعرفها الأطباء. (باسما) كل طالب طب يكشف عليها سيحصل على شهادته في الحال.

- الأسد: ألم ينهزم حزبها في الانتخابات؟

- كيسنجر:هناك أحزاب أخرى أكثر تشددا منها.مثل الأحزاب الدينية،التي تصر على أن الله أعطى إسرائيل كل متر مربع من فلسطين.لكن غولدا مائير تحتاج إلى هذه الأحزاب لتشكيل حكومتها،هل هناك أي شيء أقوله للإسرائيليين عن أسرى الحرب الأسرائيليين الذين تعتقلهم سوريا؟

-الأسد: كما تعرف،جاء لزيارتنا السيناتور الأمريكي أبو رزق، وسمحنا له بمقابلة بعض الأسرى.وأيضا سمحنا بنشر صور الأسرى وأسمائهم، ولا داعي للقلق على طريقة معاملتهم.

-كيسنجر: الإسرائيليون قلقون على أن عددا كبيرا من جنودهم قتل،وأن عدد الذين تعتقلوهم ليس كبيرا.

-الأسد: نحن لم نقتل أي أسير حرب،لكن خلال الحرب كنا نقتل طيارين كانوا يضربوننا،وهناك طائرات إسرائيلية انفجرت عندما ضربتها مدافعنا،وهناك طيارون قتلوا عندما قفزوا من طائراتهم ،وهناك طيارون سقطوا في مناطق كان يدور فيها القتال ،وقتلوا صدفة.لكن في نفس الوقت ،هناك جثث طيارين إسرائيليين دفنت في حضور حاخام دمشق وممثلي الصليب الأحمر.لكننا لم نقتل أي أسير حرب.

-كيسنجر: لا بد أنكم تعاملون هذا الطيار معاملة ممتازة .وماذا عن السيدة الألمانية جلاسر التي جاءت إلى سورية وتحدثت عن موضوع الأسرى الإسرائيلين؟

- الأسد: جاءت على هنا وفي رأسها الظلم الذي حدث لليهود على أيدي الألمان النازيين.ونحن حاولنا أن نوضح لها ماذا يفعل اليهود النازيون.نحن حاولنا أن نطاعها على الظلم الذي حدث للعرب على أيدي الإسرائيليين .

كيسنجر: هل يمكن ان تقول لي عدد الأسرى الإسرائيليين الذين تعتقلونهم تقريبا؟هل يمكن أن تقول مثلا ،أن عددهم أكثر من خمسين وأقل من مائة؟

-الأسد: عندما تتقدم المحادثات سنتفق معكم على تقديم رقم معين.

كيسنجر: هناك موضوعان أود الحديث عنهما.الأول عن شاب أمريكي اسمه بيتز،حوكم بالسجن في سورية لأنه التقط بعض الصور(سورية حاكمته بتهمة التجسس).إذا أطلقتم صراحه، سيساعد ذلك على تحسين العلاقات بين البلدين.

-الأسد: ما هو اسمه؟

-كيسنجر: جوناثان بيتز؟ إذا أطلقتم صراحه،سيكون ذلك بادرة طيبة منكم. والده مريض.وهو ليس جاسوسا،لكنه تصرف بطريقة غير لائقة.

-الأسد: أتعهد لك بأننا سنطلق صراحه.

-كيسنجر: هل أقدر أن أنقل ذلك؟

-الأسد: نعم،سنطلق سراحه قريبا جدا.

-كيسنجر: إذا قلتم لي متى ستطلقون صراحه فاني سوف أصدر بيانا أشكر فيه سورية.

- الأسد:سنطلق سراحه خلال عشرة أيام.

- كيسنجر: هل أقدر على إصدار بيان؟

-الأسد: سنخبركم قبل إطلاق سراحه.

-كيسنجر:ونحن سنصدر بيانا ،وهناك موضوع آخر ،وهو عن استمرار المفاوضات.أنا أريد اختيار مسؤول كبير ليتابع المفاوضات في المستقبل ،هل هذا يناسب أن نصدر بيانا عن المسؤول ،وسنسمح له سرا خلال المفاوضات.

-الأسد: نحن نرحب بأي شخص.

-كيسنجر: مثلا ،عندما بدأنا المفاوضات مع المصريين،أرسلنا لهم السفير آيلتز نحتاج لإرسال مسؤول بمستوى الاتصالات معكم.

-الأسد: نحن موافققون .أهم شيء أن ترسلوا لنا شخصا تثقون به.

- كيسنجر: الوزير خدام تحدث عن اعتمادكم للدبلوماسي السوري قباني ليمثلكم في واشنطن(ربما يقصد صباح قباني،مدير قسم الإعلام في الخارجية السورية.

- الأسد: شقيقه شاعر(يقصد نزار قباني)،ماذا حدث في موضوع جزيرة باراسيل(التي تتنازع عليها الصين وتايوان)؟من هو صاحبها؟

-كيسنجر: أنا لا أتابع تفاصيل الموضوع،لكن يبدو لي النزاع سيحسم لصالح الصين. وأميركا لن تشن حربا على الصين بسبب هذه الجزيرة.

-الأسد:الصين فيها عدد كبير جدا من السكان، ولابد أنهم يحتاجون للطعام وبحتاجون لأماكن فيها طعام.

-الأسد: ماذا يريد الصينيون في رأيك؟(كيسنجر هو الذي قاد انفتاح أميركا على الصين،على أميركا قبل سنوات قليلة من هذا الاجتماع).

-كيسنجر: ربما هدف الصين في الشمال(ربما يقصد النزاع بين الصين وروسيا حول منشوريا).هل زرت الصين يا سيادة الرئيس؟

الأسد: لا، وستكون زيارة ممتعة إذا حدثت.

-كيسنجر: الصينيون لا يحبون الدولة التي تشتري منها سورية السلاح (يقصد روسيا). نحن الأمريكيين لا نحب الروس ولا نكرههم.ونحن نعترف بأن للروس مصالح في الشرق الأوسط،لهذا نحن لا نريد مواجهة معهم بسبب ذلك.

-الأسد: كيف تقول ذلك؟أنتم تحاولون إبعاد الروس من مفاوضات جنيف حول تحقيق السلام في الشرق الأوسط،ومع ذلك تقول أنكم لا تريدون مواجهة معهم؟

-كيسنجر: نحن لا نريد مواجهة معهم،لكن كل جانب يعمل لما فيه مصلحته. والروس عندهم مصالح،لهذا يساعدونكم.ولا بد أن الروس غير راضين عن زيارتي هذه لسورية.وفي كل مرة أزور فيها سورية،يقلق الروس ويرسلون لكم مزيدا من السلاح. (مازحا) يجب أن تكون سعيدا عندما أزوركم.

أسلحة أميركية

-الأسد: أنت الآن تقوم بجهود لتحقيق السلام في الشرق الأوسط.وإذا نجحت ،ربما يعم السلام،فلا نحتاج للسلاح من الروس أو منكم،ونحن لا نرفض السلاح من أي جانب.وفي الحقيقة نحن طلبنا من أصدقائنا العرب الذين ليسوا على خط الجبهة أن يشتروا لنا أسلحة أميركية.

-كيسنجر: ما هي أنواع الأسلحة التي تحتاجون إليها؟

الأسد: كل أنواع الأسلحة،دبابات صواريخ،أي شيء في الحقيقة،نحن لا نرفض الأسلحة الأمريكية،حتى لا يقال إن المشكلة بين السلاح الأمريكي والسلاح الروسي. المشكلة هي بين العرب وإسرائيل وليست بين الروس والأمريكيين. وأنا سمعت من حكام عرب أنكم قلتم لهم أنكم لن تسمحوا للسلاح الروسي أن يهزم السلاح الأمريكي.لهذا أنا أقترح أن نشتري منكم أسلحة،حتى تكون المواجهة بين السلاح الأمريكي والسلاح الأمريكي.

كيسنجر: (يلتفت إلى الوزير خدام مازحا): الرئيس الأسد ربما يريد من إسرائيل أن تشتري أسلحة روسية.(لا بد أن كيسنجر تعمد عدم الرد على الأسد).

-الأسد:انا قرأت في الصحف عن بيان أصدره الأدميرال مورار،قائد البحرية الأمريكية، عن زيارتك للشرق الأوسط.ماذا يقصد؟

- كيسنجر: بيان الأدميرال جزء من تصريحات صدرت عن الوضع في الشرق الأوسط بمناسبة زيارتي للمنطقة.

- الأسد: الأدميرال قال شيئا عن أوراق ومواضيع دبلوماسية تخصك؟

-كيسنجر: هذا النوع من المشاكل الداخلية بين كبار المسؤولين في واشنطن وهو جزء من صراع قديم بين الدبلوماسيين والعسكريين.

-الأسد: الأدميرال مورار قال إنه قلق على إرسال الروس لصواريخ "سكود" الى بعض دول الشرق الأوسط.

كيسنجر: أنا شخصيا لست قلقا كثيرا على صواريخ "سكود" لأنني أعتقد أنها لا تقدر الوصول إلى أهدافها المحددة.وأعتقد أنها لا تقدر على ضرب مدينة محددة.

-الأسد: لا صواريخ "سكود" تقدر على ضرب المدن من بعد.

-كيسنجر: نعم،كلامك صحيح.كل ما في الموضوع أن الأدميرال مورار من الذين لا يتحمسون لجهود السلام التي أقوم بها. وهم وراء تصريحات كثيرة نشرت في

الصحف عن التركيز على الخطر العسكري الروسي في الشرق الأوسط،وعن أهمية مواجهته مواجهة عسكرية.وهم لم يتحمسوا لأول زيارة قمت بها،والآن يرون أني عدت مرة أخرى إلى المنطقة.لكن التيار ضد رغباتهم، ولابد أنهم سيندمون على هذه الحملة التي يقومون بها ضدي.

الأسد: أحيانا ،الهجوم أحسن وسائل الدفاع.

كيسنجر: (مشيرا نحو الوزير خدام، مازحا):الوزير خدام يؤيدك في ذلك،لسوء الحظ.

-الأسد: قل لي ما هي فضيحة ووترجيت وما هو ووترجيت؟

-كيسنجر: ووترجيت هو اسم مبنى في واشنطن، فيه شقق سكنية ومكتبية.

-الأسد: هل هو مبنى؟

-كيسنجر: نعم مبنى ، وأيضاهو اسم منطقة حول المبنى.أما عن موضوع الأدميرال مورار ،فإن الصحف الأمريكية هي التي نشرت المشكلة بيننا.(الملاحظ أن كيسنجر يخشى الإجابة عن أسئلة الرئيس الأسد عن فضيحة ووترغيت ، وعاد إلى موضوع الأدميرال مورار ، وفضيحة ووترجيت بدأت عندما سرق موظفون تابعون للرئيس نيكسون وللحزب الجمهوري ، وثائق من مكتب الحزب الديموقراطي في مبنى ووترجيت ، وتطورت الفضيحة ، حتى تسببت في استقالة الرئيس نيكسون. وآثار الفضيحة شملت كثيرا من مساعدي نيكسون ، لكن كيسنجر نجا منه بأعجوبة، ورغم أنه كان مستشارا لنيكسون ، ثم وزيرا للخارجية. والملاحظ في هذا الحوار بين كيسنجر والرئيس الأسد أن الأسد كان يريد معرفة تفاصيل الفضيحة ، لكن كيسنجر كما هو واضح ، تحاشى الحديث عن الموضوع ، وعاد إلى موضوع الأدميرال مورار).

- كيسنجر: الصحف الأمريكية قالت أن الأدميرال مورار سرق أوراقا مني تابعة لوزارة الخارجية فيها وثائق عن السياسة الخارجية الأمريكية ، وفي اليوم التالي

قالت نفس الصحف أن الذنب ذنبي، لأني لم أعرض الصحف على الأدميرال، بحكم وظيفته العسكرية وبحكم وظيفته عن الاستراتيجية الأمريكية في الخارج.وقالت هذه الصحف أني أنفرد في اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية بدون تنسيق معه.

وهذا أغضب الأدميرال. والحقيقة أن هذه سياستي ،أنا أؤمن أن الديبلوماسيين ديلوماسييون ، والعسكريين عسكريون. وأنا أرفض إطلاع العسكريين على أشياء لا يحق لهم أن يعرفوها.

-الأسد: هذا صحيح ، العسكريون يجب ألا يعرفوا غير الأشياء العسكرية، (الرئيس الأسد كان عسكريا).

-كيسنجر: العسكريون الأمركيون طبعا ، يعرفون كل شيء عن الشؤون العسكرية، وهذه ليست مشكلة.المشكلة أنهم يشنون حملة كبيرة ضدي وضد سياستي. إنهم يعارضون سياسة خطوة بخطوة في الشرق الأوسط (كيسنجر ربما يقصد أن كثيرا من العسكريين الأمريكيين في ذلك الوقت كانوا يركزون على المواجهة العسكرية بين أميركا وروسيا. وكانوا يرون أن انتصار إسرائيل على الدول العربية كان انتصارا للسلاح الأمريكي على السلاح الروسي). والآن أعود إلى موضوع المفاوضات بيننا. وأود أن أوضح أن الإعلام الإسرائيلي ينشر أحيانا معلومات عن هذه الزيارات التي أقوم بها. وأنا لا أقدر على السيطرة على ما يقوله المسؤولون الإسرائيليون للصحافيين الإسرائيليين. لكنني من جانبي سأكون حريصا على عدم تسريب تفاصيل هذه المفاوضات بيننا. وبعد نهاية هذه المفاوضات هنا اليوم ، سأسافر إلى إسرائيل وسأقول للصحافيين في المطار أن مفاوضاتنا هنا كانت عن فك الاشتباك وعن مشكلة السلام وأنها كانت مفيدة وبناءة.

-الأسد: نعم. هذا مناسب.

الصحافيون المرافقون

-كيسنجر: وسأقول للصحافيين أننا حققنا بعض التقدم في هذه المفاوضات، وداخل الطائرة إلى إسرائيل، سأقول للصحافيين الأمريكيين، الذين يسافرون دائما

معي ، أنك أعطيتني بعض الأفكار البناءة ، وأنا سأحملها إلى الإسرائيليين. وأننا تحدثنا عن موضوع أسرى الحرب الإسرائيليين ، وسنواصل الحديث. (كيسنجر تعود الحديث مع الصحافيين الأمريكيين الذين يرافقونه داخل الطائرة ، وكان يطلب منهم ألا يشيروا إلى اسمه ، وأن يقولوا أن مسؤولا كبيرا تحدث معهم).

-الأسد: نعم. هذا مناسب.

- كيسنجر: سأسافر من هنا إلى إسرائيل ، ومن إسرائيل إلى مكان آخر ، ويبدو اني لن أعود إلى أميركا مرى أخرى ، أنا أصبحت مثل الهولندي الطائر (فيلاينج دتشمان). أنا جئت إلى دمشق لأني في انتظار رد واضح من الإسرائيليين حول انسحابهم من الجولان. لأنهم لم يقدموا في اجتماعات جنيف ردا واضحا ، بل قدموا نظريات. وأنا قلت لهم أنا جئت إلى الشرق الأوسط من أميركا ، ولن أعود إلا إذا أعطوني موقفا واضحا. وأنا توقعت أن يردوا خلال ثلاثة أيام ، وقلت ذلك للرئيس المصري السادات ، وهو قال لي أن أزوركم. وألح علي ألا أعود إلى أميركا قبل أن أتوصل إلى اتفاقية إسرائيلية سورية. هذه لم تكن خطتي ، لكن أسبوعا مضى ، وأنا في الانتظار. على أي حال سأعود اليوم إلى إسرائيل ، ومنها سأعود إلى أميركا.

دمشق وواشنطن

-الأسد : ربما ستعود إلى دمشق غدا؟

-كيسنجر: دمشق خطر، لكن واشنطن أكثر خطرا. (هنا غادر كيسنجر والأسد قاعة الطعام ، حيث تناولا الغداء ، وعادا إلى مكتب الأسد حيث عرض الأسد على كيسنجر خريطة ، يبدو أنها لمرتفعات الجولان التي تحتلها إسرائيل).

-كيسنجر: عندما تنسحب إسرائيل من المنطقة في الجولان التي سيتفق عليها، هل ستعود القوات السورية إلى المنطقة بأسلحة ثقيلة ؟

-الأسد: سيكون هناك خط يحدد المنطقة التي لن تدخلها الدبابات.

-كيسنجر: عندما أعود اليوم لإسرائيل ، لا أتوقع منهم ردا سريعا على اقتراحاتكم حول الانسحاب من الجولان. سأقدم لهم هذه الخريطة ، وأطلب منهم أن يرسلوا مسؤولا

إلى واشنطن خلال عشرة أيام ومعه الرد على اقتراحاتكم. ثم بعد ذلك سأتصل بكم وسأبذل كل ما أقدر للحصول على تسوية تناسب مكانة سورية وكرامتها.

-الأسد: شكرا.

وداع

(هنا ودع الوزير كيسنجر الرئيس الأسد واستقل السيارة إلى المطار مع وزير الخارجية السورية ، عبد الحليم خدام ، وهارولد ساوندرز، من مجلس الأمن القومي الأميركي، ومترجم من وزارة الخارجية السورية.

بيكر : مثانتي أحرجتني مع الأسد !!

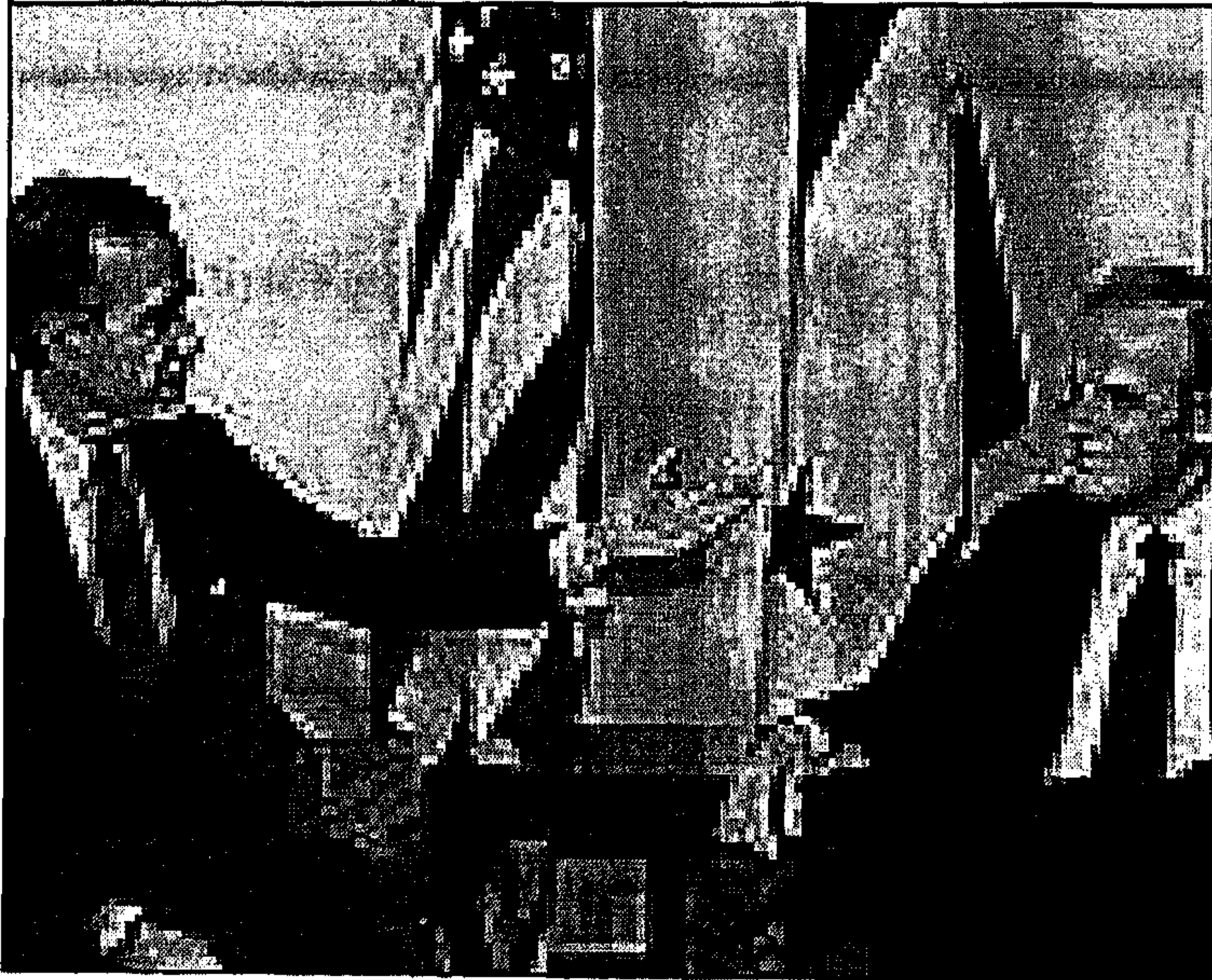
و قد خصص جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا السابق فصلا في مذكراته التي صدرت بعنوان " دبلوماسية المثانة " ، روى فيه تفاصيل مباحثاته مع حافظ الأسد، وكيف أنه كان يضطر أن يستأذن من الأسد كل خمس دقائق يذهب إلى الحمام لأنه كان مصاباً بتضخم في المثانة، فسمى جولة المفاوضات مع الأسد بدبلوماسية المثانة لأنه كان يضطر إلى موافقة الأسد على رأيه حتى يتمكن من المغادرة إلى الحمام بسرعة !!



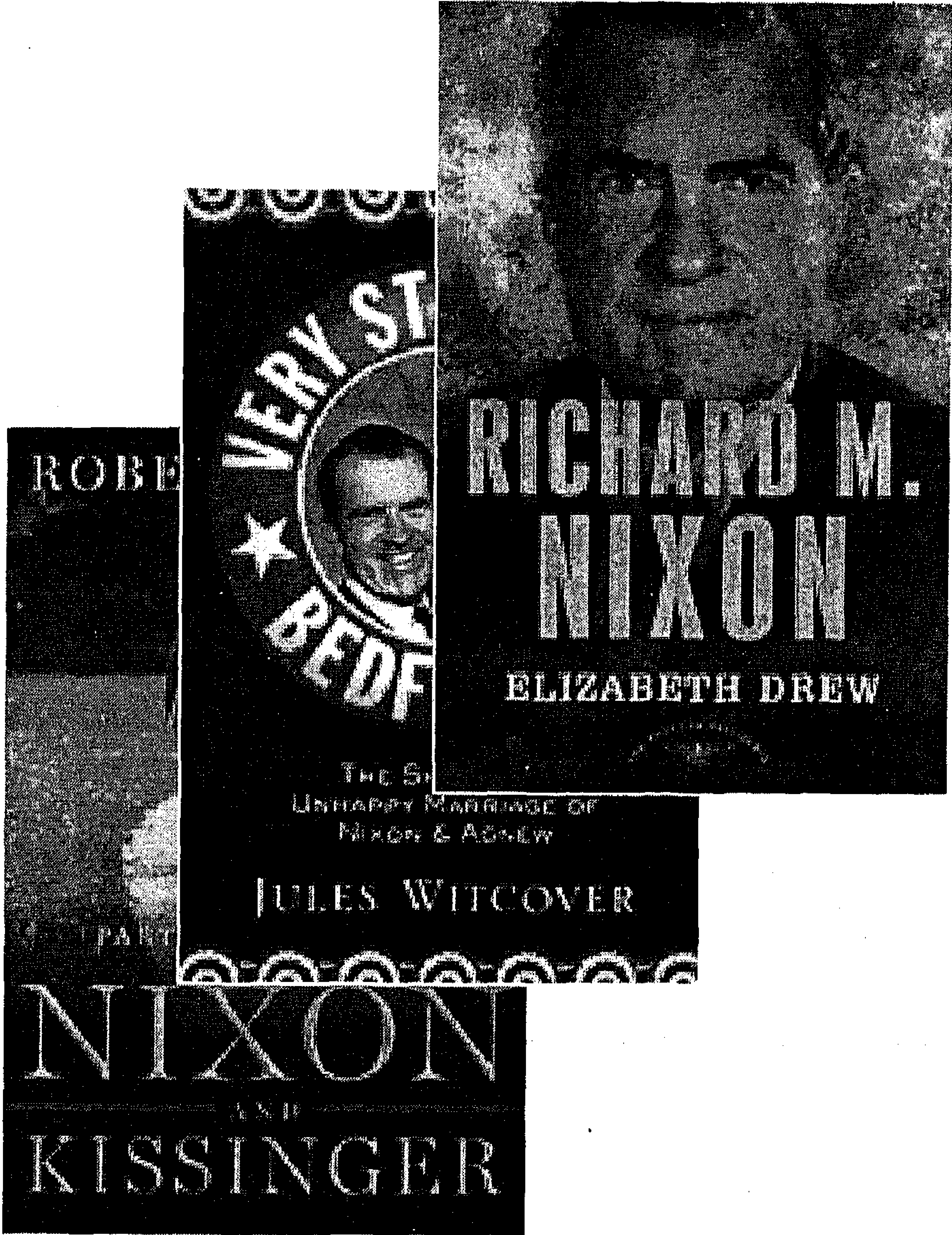
الرئيس السوري حافظ الأسد الذي أجمع كل القادة والزعماء وفي مقدمتهم الأمريكيون على أنه كان قومياً عربياً وزعيماً وطنياً سورياً أبى إلا أن يستعيد كامل أرضه التي احتلتها إسرائيل كاملة، مهما طال الانتظار!



الرئيس الراحل حافظ الأسد في لقطة تجمعه بالرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون ووزير خارجيته كسينجر وكلاهما تناول الحديث عنه في مذكراته .



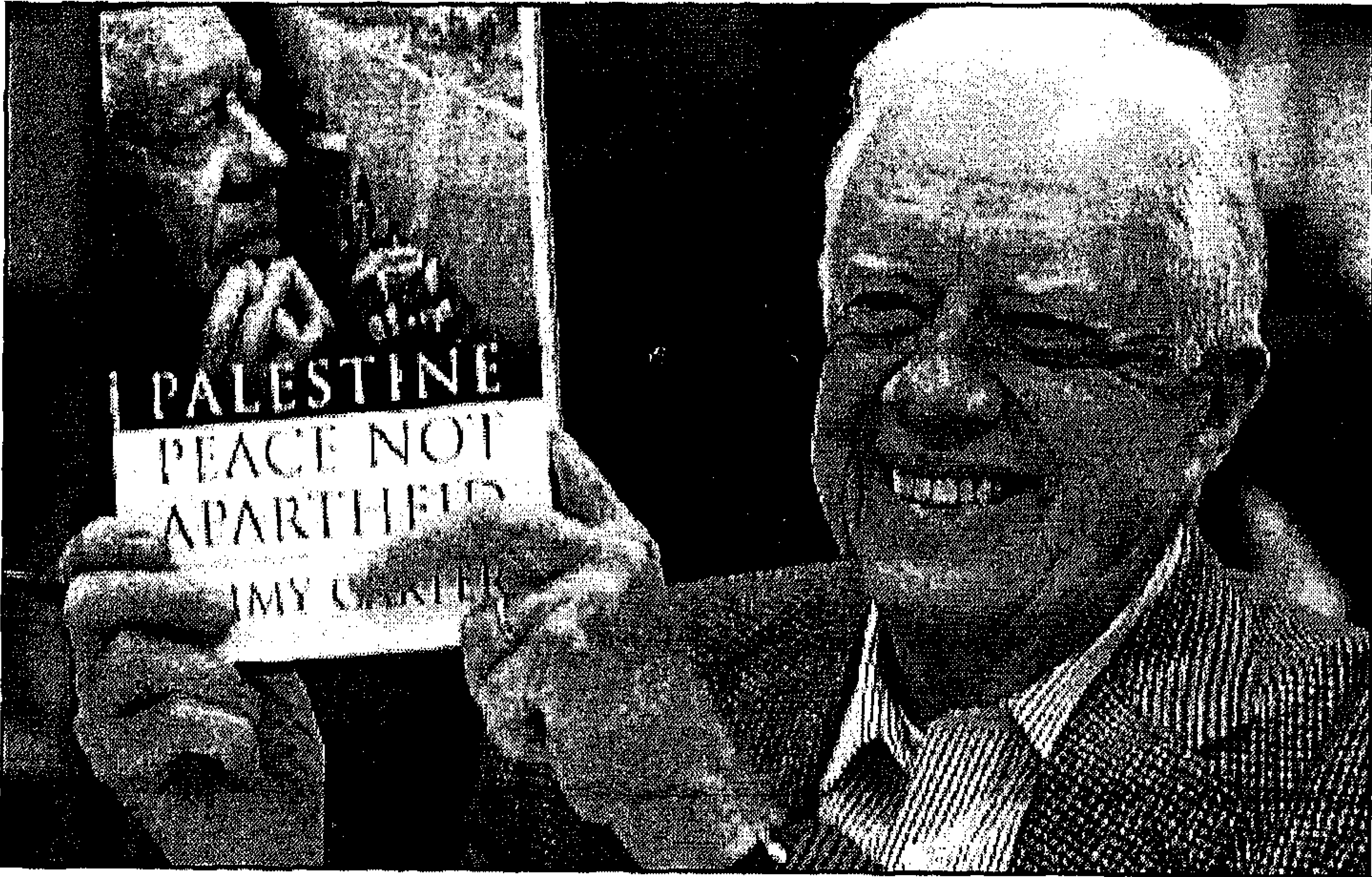
و مع الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب



نيكسون تناول الأسد في مذكراته بإسهاب وكذلك فعل وزير خارجيته هنري كسينجر.



الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون يصافح الرئيس الأسد في اللقاء الذي جمع بينهما وتناول كلينتون ما دار فيه في مذكراته .



كارتر يمسك بكتابه " فلسطين .. سلام لا فصل عنصري " الذي يؤكد فيه أن الأسد كان رجل سلام، وأن تعنت الإسرائيليين كان سبب فشل كل المفاوضات !!

٣ أنور السادات

كان الأمريكي هنري كيسنجر كان ولا يزال شخصية مثيرة للجدل .. وربما يندر أن تختلف الآراء أو تتضارب في جميع أنحاء العالم حول رجل كما حدث ويحدث بالنسبة لمستشار الأمن القومي ووزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر الذي وضع بصمات استراتيجيته ومدرسته السياسية على أهم أحداث العالم في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن العشرين.

فهناك كثيرون ينظرون إليه باعتباره عبقرية دبلوماسية استطاع أن يحدد ملامح العلاقات الدولية من خلال دوره في قضايا عديدة مثل الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق والعلاقات الأمريكية الصينية وأزمة فيتنام ومشكلة الشرق الأوسط أو الصراع العربي الإسرائيلي.

وهناك أيضا من يصبون لعناتهم على كيسنجر ويحملونه مسئولية الكثير من الكوارث والنكبات التي مني بها العالم والتي سببت، ولا تزال تسبب، الكثير من المعاناة والآلام البشرية.

وكثيراً هى الأقلام التي تناولت شخصية هذا الرجل في العالم بالنقد والتحليل، ومنها بالطبع أقلام لا تعد ولا تحصى في الشرق الأوسط، لدوره في أحداث كبرى عصفت بالمنطقة وغيرت خريطتها .

وربما لم يشهد التاريخ المعاصر أن حظيت مذكرات مسئول إحدى الدول باهتمام العالم شرقه وغربه .. شماله وجنوبه كما حظيت مذكرات داهية السياسة الأمريكية كسينجر، التي لا يزال المحللون والمفكرون السياسيون يتوقفون عندها في سياق تناولهم لأزمة عالمية طارئة، أو حدث دولي كبير .

في الوقت نفسه، يمكن القول أن أحداً في تاريخ العالم لم تصدر عشرات الكتب التي تتناول الرد أو الشرح أو تحليل مذكراته، كما حدث ولا يزال يحدث مع مذكرات هنري كسينجر، لما تحويه من أسرار وأسرار، وربما أيضاً – كما يتهمه البعض – أكاذيب وافتراءات، وتفاخرات واستعراضات من جانب هذا الداهية، الذي كلما راحت الأضواء تنحسر عنه، راح يطرح جزءاً جديداً من مذكراته للعودة مرة أخري إلي الأضواء التي انحسرت عنه، الأمر الذي جعله يدخل الثمانينيات من عمره وهو في أوج شهرته، رغم غيابه عن موقعه القديم كمهندس يحرك الأحداث الدولية والعالمية .

وهناك ما يشبه الإجماع على أن هنري كيسنجر لعب أخطر الأدوار في منطقة الشرق الأوسط، وكان أحد العوامل الأساسية التي شكلت سياسات الولايات المتحدة في هذه المنطقة بطريقة يرى البعض أنها مازالت مستمرة حتي الآن، حيث تجاوز تأثير هذا الرجل حتى حدود مسئولياته وصلاحياته كمستشار للأمن القومي أو كوزير للخارجية !!

كسينجر : أنور السادات
خدعني أنا ونيكسون والجميع !!

وقد تناول كسينجر في آخر مذكرات له، صدرت عام ٢٠٠٣ وتحمل عنوان "الأزمة: سنوات البيت الأبيض" الكثير والكثير من الحكام العرب، الذين عاصرهم إبان ترأسه للأمن القومي الأمريكي، أو للخارجية الأمريكية، وتعامل معهم، أو اصطدمت بلاده بهم، ومنهم بالطبع الرئيس المصري الراحل أنور السادات !!

وجاء تناول الوزير العجوز لهم بمزيد من التفصيل عما ذكره في أول مذكرات صدرت له في الثمانينيات بعنوان "مذكرات هنري كسينجر" .. فهنا يركز كسينجر على الحكام العرب، أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكيف كانت هذه الحرب تمثل بالنسبة للولايات المتحدة ورئيسها بشكل عام، وبالنسبة له بصورة خاصة أزمة من العيار الثقيل !!

ويبدأ كيسنجر الحديث عن الرئيس الراحل أنور السادات من خلال تتبع إرهاصات الحرب، وتداعياتها وتبعاتها في مذكراته الأخيرة التي تحمل عنواناً يقرأ: أزمة كسينجر .. سنوات البيت الأبيض حيث يقول : " إن الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشاد نيكسون كان يخشي من تكرار الأزمات في الشرق الأوسط في سنة انتخابات تجديد رئاسته، لذلك طلب منه في عام ١٩٧٠ أن يتدخل في النزاع علي الأقل لكي يحافظ على بقاء الأمور هادئة في موسم الانتخابات " .

ويقول كيسنجر : " إن نيكسون كان قد طلب من وزارة الخارجية الأمريكية السعى للتوصل إلى اتفاقية مرحلية، من شأنها تهدئة الأمور في المنطقة، وكان يدرك معارضتي للأسلوب الذي انتهجه وزير الخارجية ويليام روجرز، حيث أكدت له أن سبب خلافي مع روجرز يرجع إلى أن أي تسوية يتم التوصل إليها سيكون السوفييت المنتفعين منها، خاصة أن الجيش المصري يعتمد علي الدعم السوفيتي، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من الواضح أن الرئيس السادات يعتمد في ذلك الوقت على جيشه.!!

ويمضي كيسنجر قائلا : " إن نفاد صبر السادات أصبح واضحا في تصريحاته المتكررة التي كان يؤكد فيها أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون هو عام الحسم في الشرق الأوسط. وكانت رؤيتي الشخصية أن الاستراتيجية الأمريكية يجب أن تقوم على إجهاض أي سياسة مصرية تستند إلى التهديدات العسكرية والتعاون مع الاتحاد السوفييتي. وكانت معاهدة الصداقة التي أبرمها السادات مع السوفييت أحد الأسباب الرئيسية التي زادت من تصميمي على عرقلة الجهود السلمية في تلك المرحلة لكي أثبت للجميع أن التهديدات العسكرية وعقد المعاهدات مع الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة " .

ويمضي كيسنجر في مذكراته قائلا : إنه حتى تلك اللحظة لم يكن يعرف أنور السادات جيدا، لذلك كان لابد أن يستنتج أنه أيضا يلعب لعبة عبدالناصر " .

ويكشف كيسنجر في مذكراته كيف بدأ في معالجة قضية الصراع العربي الإسرائيلي بطريقته الخاصة، فيقول : " كانت خطوتي الأولي هي استطلاع موقف السوفيت، وما إذا كانوا مستعدين لإبداء بعض المرونة باسم مصر . وكانت خطتي أنني إذا لم يكن لديهم مثل هذه الرغبة فسوف يكون البديل عندي هو استدراجهم إلى مفاوضات تستغرق فترة زمنية طويلة، ولا تصل إلى نتيجة حتى يحدث أحد أمرين .. الأول أن يغير السوفيت موقفهم، أو أن تغير إحدي الدول العربية موقفها " !

وسقول كيسنجر إنه " بعث في ذلك الوقت بمذكرة إلي الرئيس نيكسون لدعم وجهة نظره " .. وقال فيها : " إن مصر لا تستطيع أن تنتصر في حرب ضد إسرائيل، ومعنى ذلك أن العرب ومصر بالتحديد لن يكون أمامهم سوى أحد موقفين: الأول هو اهتزاز ثقتهم في قدرة الاتحاد السوفيتي على تحقيق تسوية، والثاني أن يشن المصريون حربا تفرض علي السوفيت اتخاذ موقف حازم بشأن الدعم العسكري، الأمر الذي سيشكل مجازفة كبري بالنسبة لموسكو " .

ويقول كيسنجر في مذكراته " سنوات البيت الأبيض " إنه : " طرح استراتيجية جديدة لسد الفجوة بين رغبة إسرائيل في إجراء تغييرات في الحدود وإصرار العرب علي الانسحاب لحدود ١٩٦٧.

ويشرح كسينجر : " كانت هذه الاستراتيجية تقوم على فكرة الفصل بين موضوع الأمن وموضوع السيادة .. أي أن تسترد مصر سيادتها الكاملة على سيناء، وفي نفس الوقت تحتفظ إسرائيل بمراكز دفاعية على الأرض المصرية .. وقد وافق إسحق رابين، وموشيه ديان على هذه الفكرة . وكان موقف السوفيت هو أن تطرح واشنطن برنامجا أكثر شمولا للسلام". ويمضي الوزير الداهية فيقول : " اقترح أندريه جروميكو أن تجري مفاوضات علنية بين موسكو وواشنطن للفصل بين القوات على قناة السويس شريطة أن يتوصل هو وكيسنجر في نفس الوقت إلى تفاهم سري حول بنود تسوية شاملة يكشف النقاب عنها وتنفذ علي الفور عقب انتخابات الرئاسة الأمريكية في أواخر عام ١٩٧٢. " .

ويقول كيسنجر : "لم أعتقد أن هذا الاقتراح يمكن تنفيذه، وكان ردنا عليه هو الرفض، حيث كان يقيننا أن الزعماء السوفيت يتصرفون، وكأن وجودهم في العالم العربي أبدي، رغم أنني أكدت لـ دبرونين أن مركزهم في هذه المنطقة ليس على هذا القدر من القوة الذي يتصورونه، فسياسة الكرملين لا تحقق لحلفائه سوي الهزيمة أو الجمود . وكان رد دبرونين أن موسكو تستطيع زيادة وجودها العسكري في مصر كورقة خطيرة للمناورة، ولكنني كنت أشك في ذلك لأنني كنت مقتنعا بأن موسكو لن تصل إلى حد تورط قواتها لدرجة الدخول في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة"!!

ويقول كيسنجر: "أوضحت للرئيس نيكسون أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي ليست كما كانت في عهد عبدالناصر. فقد طلب السادات أسلحة متقدمة، ودعما دبلوماسيا وعسكريا، بحجم يشبه ما قدمه السوفيت إلي الهند أثناء حربها مع باكستان، ولكن السادات لم يتلق من موسكو ما كان يتوقعه على الصعيدين العسكري والدبلوماسي . وأنه في تقديري أن حسابات موسكو كانت تقوم علي عدم تحمل مخاطر لا يمكن السيطرة عليها . كما أن موسكو لم تكن ترى منفعة من دعم مصر إلي الدرجة التي يمكن أن تؤدي إلى تقليل اعتماد القاهرة على الاتحاد السوفيتي" !!

ويقول كيسنجر : " إن السوفيت حاولوا أن يكسبوا كل شيء، ونسوا أن السياسة هي فن الممكن، وأنهم قد يخسرون كل شيء في النهاية " .

ويواصل كسينجر حديثه عن تلك الحقبة، وبالتحديد عن الرئيس الراحل أنور السادات فيقول : "وفي شهر إبريل عام ١٩٧٢ فتحت مصر قناة اتصال سرية مع البيت الأبيض، واقترح المصريون أن أزور القاهرة أنا أوريتشارد هيلمز، وأن يأتي إلى واشنطن حافظ إسماعيل مستشار الرئيس السادات لشؤون الأمن القومي. وأرسلنا ردنا يوم ٢٩ ابريل بأننا ننتظر حافظ إسماعيل، ونشعر باهتمام لعقد اجتماع سري على مستوى عال وسنرحب باستقبال ممثل للرئيس السادات في الولايات المتحدة . وأبلغتنا مصر بأننا سنتلقي ردا رسميا في شهر يوليو التالي بعد الزيارة، التي كان من المقرر أن يقوم بها الرئيس السادات لموسكو في تلك الفترة، وبالتحديد في شهر أبريل .. وقد ظهرت مؤشرات على تزايد التوتر بين القاهرة وموسكو. وكان السادات قلقا من أن يوافق السوفيت على بقاء الأمر الواقع كما هو في الشرق الأوسط " .

ويعترف كيسنجر أيضا في مذكراته بأنه : " أخطأ في حساباته تجاه أنور السادات، حيث اكتشف أنه واحد من الزعماء البارزين القلائل الذين التقى بهم، وأنه يتميز بالشجاعة ونفاذ البصيرة، لدرجة أنه كان لديه الجرأة لأن يدخل حربا لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن ينتصر فيها، كما أنه يتصف بالاعتدال الذي يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة " !!

وبقول كيسنجر : "في عام ١٩٧٢ لم يكن أي شيء من ذلك واضحا لي . فقد وجه السادات تهديدات كثيرة لم ينفذها. وخلال الجهود السلمية بدا لي أن السادات لم يتخل عن أوهام عبدالناصر، التي كانت تجعله يصر علي مطالب لا يمكن تحقيقها. وربما كان السبب في هذا الخطأ هو أنه لم يكن لدينا من قبل حوار منتظم مع السادات لكي نكتشف كيف يفكر السادات حقا، وكانت معظم تعاملاتنا قبل فتح قناة الاتصال بين القاهرة والبيت الأبيض في أبريل ١٩٧٢ تتم من خلال موسكو. لذلك تركزت كل جهودي على إقناع السادات بعدم جدوي الطريق الذي يسير فيه" !!

ويتابع كيسنجر : اكتشفت بعد ذلك أن السادات يراهن على ماهو أكبر من كل تصوراتنا فقد فجر السادات قنبلة نسفت كل هذه التصورات السابقة عنه . ففي ١٨ يوليو ١٩٧٢ أعلن السادات إنهاء مهمة أكثر من ١٥ ألف خبير عسكري سوفيتي في مصر بحيث ينسحبون خلال أسبوع . وكان هذا القرار مفاجأة كاملة لواشنطن. وكانت استراتيجيتي هي إقناع مصر بتقليل اعتمادها على السوفيت، وبالإضافة إلي ذلك فقد كنت إلى ذلك الحين أميل إلى التقليل من تقدير شخصية الرئيس السادات، الذي لم أتوقع أبدا أن يتخذ مثل هذا القرار بخطوة واحدة ضخمة " .

وبعد دراسة قرار طرد الخبراء السوفيت، وهنا يتذكر كسينجر : "كان تقديري أن السادات حاول أن يعبر عن خيبة أمل المصريين في الاتحاد السوفيتي، أو تحسين خياراته العسكرية في العام التالي ١٩٧٣ ، بإبعاد السوفيت حتى لايعرقلوا أي تحركات هجومية مصرية . وبالإضافة إلى ذلك فربما كان السادات يسعي لإغراء الولايات المتحدة على التحرك للرد على هذه الخطوة . وقد أصاب قرار السادات موسكو بالإرتباك، وأكدت شخصيا للسفير السوفيتي دبرونين عدم وجود أي علم مسبق لدينا بهذا القرار " .

ويمضي كسينجر فيقول : "وقد بعث برجينيف برسالة إلى نيكسون حاول فيها تفسير ما حدث فقال إن خروج السوفيت من مصر جاء تنفيذا للاقتراح، الذي قدمه جروميكو في سبتمبر ١٩٧١ حول انسحاب القوات، وبالتالي فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تنفذ الشق الخاص بها في هذا الاتفاق، وهو أن تضغط على إسرائيل في اتجاه تسوية يتم بمقتضاها تحرير كل الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧" .

ويعترف كيسنجر بأن : طرد السادات للسوفييت كان مفاجأة كبرى له ولواشنطون، ولكنه يعترف بأنه لم تكن هى المفاجأة الوحيدة. فقد كانت المفاجأة الكبري هي : "حرب أكتوبر ١٩٧٣ والقرار الذي أصدره السادات بخوض هذه الحرب" !!

ويعترف كسينجر – على استحياء في مذكراته بأن السادات خدع الجميع في واشنطون وفي مقدمتهم هو نفسه وأن حساباته : " بالنسبة للسادات كانت خاطئة في جزء كبير منها " !!

ومن أهم الوثائق التي تضمنها كتاب الأزمة لهنري كيسنجر تلك التي تتناول دوره خلال الساعات الحاسمة، التي سبقت حرب أكتوبر .

ففي ساعة مبكرة من صباح يوم السبت السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ وفي الوقت الذي كان الإسرائيليون يحتفلون فيه بيوم الغفران كان وزير الخارجية الأمريكي يقضي عطلة نهاية الأسبوع في إحدي الغرف بفندق من فنادق نيويورك . وقد أبلغوه – كما يقول – بأن : " رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير حذرت الأمريكيين بصورة سرية من اعتزام المصريين والسوريين شن حرب مفاجئة على إسرائيل "

وبعد أن اندلعت الحرب ولاحت في الأفق بوادر النصر المصري والعربي حاول كيسنجر مرة أخرى وقف عجلة التاريخ ففي صباح يوم الأحد السابع من أكتوبر طلب المسئولون الإسرائيليون إمدادات عسكرية أمريكية فتحدث كيسنجر مع هيج عبر التليفون ليقول له هيج.

هيج:

هل أصيب الإسرائيليون بالرعب؟

كيسنجر:

إنهم كذلك تقريبا. وهم يريدون الحصول علي بعض المعدات التي وافق عليها الرئيس وأعتقد شخصيا أنه يجب إعطاؤهم بعض ما يريدون . إذا انتصر العرب فسوف يكون مستحيلا التعامل معهم ولن تكون هناك مفاوضات . وإذا ما تشددنامع الإسرائيليين هذه المرة فلن يستمعوا إلينا بعد ذلك . وإذا ما تخلينا عنهم في هذا الوقت فلن يكون لديهم ما يخسرونه.

وفي ظهيرة ذلك اليوم هاج كيسنجر بسبب عدم رد موسكو على اقتراح توجيه نداء أمريكي سوفيتي مشترك لوقف إطلاق النار والانسحاب إلى خطوط ما قبل الحرب، وتحدث في هذا الأمر مع هيج عبر التليفون ليتبادلا الحوار التالي.

كيسنجر:

بدأت أعتقد أن أولاد العاهرة في موسكو يراوغوننا. ونحن نتلقى استغاثات متكررة من الإسرائيليين لتزويدهم بصورايخ سايدويندرز ومازالت وزارة الدفاع تروغ في تلبية الاستغاثة.

هيج:

يمكنك أن تقول لهم إن الرئيس هو الذي أمر بذلك .

كيسنجر:

الفكرة تقوم علي أساس نقل الأسلحة إلي قاعدة جوية وتقوم طائرات شركة العال الإسرائيلية بنقل هذه الأسلحة بدون أن تلفت انتباه أي شخص.

في مساء اليوم نفسه، جرت محادثة تليفونية بين كيسنجر ونيكسون، عندما قال كيسنجر إن الإسرائيليين يقاومون هجوما مصريا كاسحا قال نيكسون إنه إذا استطاع هو وكيسنجر تحقيق وقف لإطلاق النار فسوف يعطي ذلك للرئيس نجاحا يحتاج إليه بشدة على صعيد السياسة الخارجية في ظل فضيحة ووترجيت.

ويقول كتاب أزمة كيسنجر إن السياسي الأمريكي الداهية بعد أن فشلت توقعاته في الحرب، وبعد أن ظهر خطأ تقديره لقوة المصريين، حاول أن يسيطر بعد ذلك على عملية السلام بعد أن فشل في السيطرة على الحرب والتحكم في نتيجتها لتكون لصالح أصدقائه الإسرائيليين.

كارتر : أنور السادات

أعز أصدقائي من الرؤساء !!

وفي كتابه "فلسطين.. سلام لا فصل عنصري" يتناول الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر شخصية الرئيس المصري الراحل أنور السادات بإسهاب من خلال معايشته له عن كثب قبل وأثناء وبعد كامب ديفيد .

ويتكون كتاب كارتر الصادر عن دار سايمون آند شوستر من ستة عشر فصلاً .. الكتاب أشبه بشهادة يقدمها كارتر للتاريخ تتضمن مذكراته وانطباعاته الشخصية كسياسي أميركي وصل لأعلى المناصب السياسية وبنى شبكة علاقات شخصية واسعة ومباشرة مع قادة العالم المعنيين بالصراع العربي الإسرائيلي وفي مقدمتهم السادات .

ونقطة إنطلاق مضمون الكتاب هي إتفاقات كامب دايفيد بين مصر - ممثلة في الرئيس أنور السادات - وإسرائيل - ممثلة في رئيس وزرائها مناحيم بيجن - والولايات المتحدة - ممثلة في جيمي كارتر والذي كان رئيسا لأميركا في ذلك الوقت وأشرف بنفسه على الاتفاقية وعلى إنجاح المفاوضات التي قادت إليها.

حيث يعبر كارتر - عبر صفحات كتابه - عن ارتباطه القوي بتلك الاتفاقية، ويعود إليها تكرارا لأنه أشرف عليها من ناحية ولأنها تضمنت كما يؤكد في أكثر من موضع اتفاقا شاملا على سبل ومتطلبات إحلال السلام في الشرق الأوسط التزمت به مصر ولم تلتزم به إسرائيل بشكل يجعل إسرائيل منتهكة لاتفاقية كامب دايفيد ولجهود إحلال السلام منذ توقيع الإتفاقية في عام ١٩٧٨

ويقول كارتر في الفصل الثالث من الكتاب إن "السادات أراد اتفاقية سلام شاملة" وأنه لم يأت إلى كامب دايفد بحثا عن اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل فقط، ولكنه جاء يبحث عن اتفاقية سلام عربية شاملة مع إسرائيل تقوم على إعادة الأرض المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني ووقف بناء المستوطنات وتطبيق قرارالأمم المتحدة رقم ٢٤٢.

ويقول كارتر أن بيجن تعهد لفظيا بشروط السلام التي طالب بها السادات ولم تنص عليها اتفاقية كامب دايفيد ولكن بيجن لم يف بوعوده، وهنا يشير كارتر إلى أن "الجوهر الأصلي للاتفاقية المتعلق بالأراضي الحتلة الأخرى (غير المصرية) تم التخلي عنه أو تغييره بشكل كبير"، كما يذكر أن "أخطر شيء حذف من اتفاقية كامب دايفيد كان الفشل في توضيح - كتابتا - وعود بيجن اللفظية الخاصة بتجميد المستوطنات خلال محادثات السلام التالية"، كما يوضح أن "إسرائيل لم تعط أي

استقلال ذا معنى للفلسطينيين وبدلا من أن يسحبوا قواتهم العسكرية والسياسية قام قادة إسرائيل بتقوية قبضتهم على الأراضي المحتلة" .

وهنا يعبر كارتر عن انتقاده لقادة إسرائيل السياسيين بما في ذلك مناحم بيجن موضحا أنه "لم يكن سرا أنه كان بيني وبين بيجن خلافات علنية تتعلق بتفسير اتفاقات كامب دايفيد ... وللأسف قادت هذه الخلافات إلى بعض الخلافات الشخصية أيضا"، كما أوضح كارتر أن انتقاده لبيجن ولموقف إسرائيل من عملية السلام دفع بيجن لسوء معاملته وتجاهل الرد على أسئلته في إحدى اللقاءات التي جمعتهما .

أما السادات فيخصه كارتر بأكبر قدر من المديح والتقدير حيث يقول في الفصل الخامس من الكتاب - وفي معرض حديث كارتر عن دور دول الجوار في الصراع العربي الإسرائيلي - أن "من بين حوالي مائة رئيس دولة تقابلت معهم عندما كنت رئيسا كان هو (السادات) صديقي الشخصي المفضل والأقرب"

ويعترف كارتر في مذكراته هذه بأن السادات: " كان أفضل وأعز صديق عرفه من بين مئات رؤساء الدول الذين عرفهم."

وقد أثار كارتر الكثير من الجدل إزاء ما حواه من مواقف رأت فيها بعض الأطراف الأميركية خاصة المؤيدة لإسرائيل خروجا على النهج الأميركي المعتاد في الموقف العام من مجريات الصراع .

وعلى مدى صفحات الكتاب يقدم كارتر خلاصة تجربته العملية سواء خلال توليه مهام الحكم كرئيس للولايات المتحدة أو فيما بعد ذلك كأحد الداعين للسلام من خلال دوره الذي حرص على لعبه عالميا بادئا تناوله لموضوعه من لحظة زيارته الأولى إلى إسرائيل عام ١٩٧٣ وهي الزيارة التي جعلته في قلب الصراع.

ومن هذا الجانب يتطرق الى الدور المحوري الذي لعبه خلال فترة توليه الحكم والذي مثل اختراقا على صعيد القضية برمتها من خلال الجمع بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيغن في كامب ديفيد.

وفيما يشير إلى طبيعة موقفه الحقيقي قبل أن تطغى عليه الضغوط التي يتعرض لها أي رئيس أميركي، فإنه يأتي على ذكر الأزمة التي تسبب فيها تصريحه في أعقاب توليه الرئاسة حيث أشار في مارس ١٩٧٧ إلى ضرورة تأسيس وطن للشعب الفلسطيني الذي عانى الكثير على مدى سنوات، وهو ما تسبب في انتقادات شديدة وجهت له.

ويشير كارتر إلى ما يمكن اعتباره النواة الأولى لمبادرة السادات بالذهاب إلى القدس والتي أدت إلى التطورات التي شهدناها على المسار المصري وانتهت إلى ما آلت إليه الأمور الآن. فخلال زيارة للسادات إلى واشنطن بعد نحو أسبوعين من تصريح كارتر المشار إليه صارحه الرئيس السادات بأنه يريد الإقدام على خطوة جريئة نحو السلام تقوم على أساس القرارات الدولية المتعلقة بالنزاع، وعلى ذلك جرى مناقشة أبعاد قضايا النزاع وتفاصيله وخاصة ما يتعلق بحدود إسرائيل الدائمة ومستقبل القدس والحقوق الفلسطينية.

لقد جاء ذلك في الوقت الذي تولى فيه مناحم بيغن مقاليد الحكم في تل أبيب كرئيس للوزراء منهيا بذلك رئاسة إسحق رابين من حزب العمل، مع ما هو معروف عنه من تشدد بدأه بإعلان رفضه التخلي عن غزة والضفة الغربية في أية اتفاقية سلام دائمة. ومع ذلك يشير كارتر إلى أنه لدى زيارة بيغن للولايات المتحدة فيما بعد، فإنه وجد لديه رغبة في مواصلة النقاش بشأن ما أثاره السادات في لقاءاته مع الرئيس الأميركي.

وبالطبع يشير إلى أن منظمة التحرير كانت خارج نطاق التفكير إزاء السياسة الأميركية التي كانت تقوم على تصنيفها على أنها منظمة إرهابية.

ورغم ذلك يشير كارتر إلى أنه عمل على إيجاد قناة مع ياسر عرفات يمكن من خلالها إقناعه بقبول الإطار العام للقرارات الدولية بما يمكن معه إلحاق المنظمة بالعملية التفاوضية. ورغم ذلك يبدو من سياق تناول كارتر أن السادات أقدم على خطوته بزيارة القدس دون الترتيب معه.

حيث يشير إلى أن ما يمكن اعتباره كرما ساداتيا لم يقابل بما يماثله على الجانب الإسرائيلي. فخلال اتصالات الرئيس المصري الراحل مع كارتر راح يطلعه على مخاوفه من أن تنتهي مبادرته إلى لاشيء إزاء تعنت بيغن وإصراره على بقاء المستوطنات الإسرائيلية في سيناء. وعلى هذا الأساس طلب أن يزور الولايات المتحدة ليلقي من هناك خطبة يدين فيها على الملأ موقف بيغن «الخائن لعملية السلام».

هنا بدأ كارتر جهدا مكثفا من أجل الترتيب لزيارة سلام له إلى المنطقة وتشاور مع الزعماء العرب الذين وجدهم حسب قوله يساندون مبادرة السادات في أحاديثهم الخاصة غير أن موقفهم العلني كان مختلفا جد الاختلاف.

وإزاء ما بدا من بوادر إخفاق لجهود السلام كان تفكير كارتر دعوة السادات وبيغن إلى كامب ديفيد لعقد محادثات بعيدة عن الضغوط. ويذكر في هذا الخصوص أن السادات وبيغن كانا على المستوى الشخصي غير متوافقين وعلى ذلك اتجه إلى البحث عن صيغة لاتقوم على أساس تفاوضهما مباشرة وإنما من خلال فرق العمل الخاصة بالبلدين.

وهنا يشير كارتر إلى أنه رغم متاعب هذا الأسلوب إلا أنه مكنه من تجاوز التصادم بين السادات وبيغن وإن كان هذا الأخير قد أرهقه على حد ما يذكر حيث أنه كان يدقق في كل كلمة يجري مناقشتها بشأن ترتيبات الاتفاق لدرجة الاستعانة بالقواميس وكتب المترادفات اللغوية من أجل تحديد المعنى الدقيق لبعض الكلمات التي كان يجري التفاوض على إدراجها في مسودات الاتفاقات .

ومن الجوانب الملفتة للنظر في سياق ما يتطرق إليه كارتر بشأن مفاوضات هذه الفترة أنه كان من الواضح أن بيغن قدم إلى كامب ديفيد من أجل التفاوض على سيناء فقط وأنه لم يكن في باله القضية الفلسطينية وتحديد مستقبل الضفة وغزة، بل إنه على المستوى المصري لم يكن لدى بيغن، وفق رواية كارتر، رؤية لاتفاقية سلام شاملة.

وإزاء تزايد حدة الاختلافات بين الطرفين فقد هدد السادات وبيغن في مراحل مختلفة من المفاوضات بإنهائها والعودة الى أوطانهما غير أنهما قبلا بعد تدخلات

من كارتر بالتوصل الى إطار عمل لمعاهدة سلام مثلت ما تم التعارف عليه باتفاقيات كامب ديفيد. وكانت القضية التي بقيت محل خلاف هي القدس .

حيث وضع كارتر نصا خاصا بها يتضمن حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لكل أصحاب الديانات السماوية من دون اضطهاد أو تمييز وأن تدار هذه الأماكن من قبل أتباع تلك الديانات إلا أنها صادفت رفضا في النهاية من قبل كل من السادات وبيغن وأصرا على حذفها.

ويروي كارتر تفاصيل التوصل لاتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها السادات وبيجن. ويرى كارتر أن عدم التزام إسرائيل باتفاقيات كامب ديفيد وحرصها على زيادة المستوطنات في الأراضي المحتلة، وردها العنيف بقصف وتشريد آلاف الفلسطينيين واللبنانيين في جنوب لبنان وانتهاك بيجن المتعمد لبنود الاتفاق الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة، كل هذا أدى إلى تلاشي وضياع حلم تحقيق السلام في الشرق الأوسط.

يقول :

زارني رئيس الوزراء "بيجن" في البيت الأبيض لمناقشة تفاصيل عروض السلام، وهناك.. حدثت العديد من المقابلات بين المصريين والإسرائيليين.. وصلت إلى أشدها بعد الكريسماس بفترة قصيرة، وعندما قام "بيجن" بزيارة القاهرة. رداً على زيارة "السادات" الشهيرة للقدس ؛ اتصل بي " السادات".. وأخبرني أن المباحثات بينهما كانت غير مرضية على الإطلاق.. وهو ما اعتبره "السادات" هزيمة قاتلة لمبادرة السلام التي قام بها عندما زار القدس، فلقد كان" بيجن" مصراً على أن المستوطنات الإسرائيلية الموجودة في سيناء يجب أن تبقى هناك، وبدأت تلوح في الأفق.. أن النتيجة الوحيدة الدائمة لمبادرة "السادات"... هي القضاء النهائي على أي أمل في عقد مؤتمر عالمي للسلام يضم السوفيت.

من جهتي.. قمت باستشارة العديد من القادة العرب.. خلال رحلة سريعة قمت بها في بداية العام لمنطقة الشرق الأوسط. هناك.. اكتشفت أنهم — في السر —

يؤيدون "السادات"؛ وإن كانوا علانية ينتقدونه بشدة.. بسبب احترامهم الجماعي لآراء باقي إخوانهم العرب.

خلال الجزء الأول من عام ١٩٧٨.. أرسل لي" السادات " رسالة خاصة.. أعرب فيها عن نيته لزيارة أمريكا... حيث خطط لإدانة سلوك "بيجن" وشجبه – في خطاب علني – باعتباره خائنا لمسيرة السلام، قمت أنا و" روزالين" بدعوة السادات وزوجته " جيهان " إلى كامب ديفيد في زيارة شخصية، بعد أن أمضينا عطلة نهاية الأسبوع في محادثات مكثفة.. أقنعت "السادات" بإلغاء خططه.. والانضمام إليَّ في البحث عن اتفاق.

لسوء الحظ.. فإن علاقة العمل التي تربطني بـ "بيجن"... أصبحت أكثر صعوبة في شهر مارس؛ عندما قامت "منظمة التحرير الفلسطينية" بمهاجمة إسرائيل من أحد قواعدها في جنوب لبنان، فلقد قامت بمهاجمة أتوبيس سياحي.. وتم قتل ٣٥ إسرائيلاً، ولقد أعلنت إدانتي الشديدة.. لهذا العمل، لكن تعاطفي معهم لم يؤد إلى أي نتيجة إيجابية؛ لأن إسرائيل قامت – بعدها بثلاثة أيام – بغزو جنوب لبنان.. واستخدمت القنابل العنقودية الأمريكية الصنع.. على العاصمة بيروت وغيرها من المراكز المدنية.. وهو ما تسبب في قتل المئات وتشريد الآلاف من المدنيين، لقد اعتبرتُ هذا الغزو الكبير.. رد فعل مبالغ فيه على هجوم منظمة التحرير الفلسطينية.. وتهديد خطير لمسيرة السلام في المنطقة.. بل إنه ربما يكون جزءا من خطة لتكريس وجود إسرائيلي دائم في جنوب لبنان، أيضاً فإن استخدام أسلحة أمريكية الصنع بهذه الطريقة.. يعد انتهاكاً لشرعية اتفاقيات التسليم وقيوده.. والتي بيعت بمقتضاها هذه الأسلحة لإسرائيل بغرض استخدامها في الدفاع عن النفس ضد أي هجوم.

هددت إسرائيل بقطع المعونات العسكرية فورا إذا لم تنسحب من جنوب لبنان، فانسحبت بعد أن قمت باستشارة عديد من المؤيدين الرئيسيين لإسرائيل في مجلس الشيوخ.. أخبرت "بيجن " بأنه عليَّ – في حالة بقاء قواته في لبنان – أن أنذر الكونجرس بأن "أسلحة أمريكية " استخدمت بطريقة غير شرعية في لبنان... وهو ما سيؤدي إلى قطع كل المساعدات العسكرية عن إسرائيل بطريقة تلقائية، أيضاً..

فإنني طلبت من وزارة الخارجية أن تعد مشروع قرار لمجلس الأمن يدين أفعال إسرائيل في جنوب لبنان.

قامت قوات إسرائيل بالانسحاب.. وحلت محلها في جنوب لبنان قوات من الأمم المتحدة... وهو ما منع منظمة التحرير الفلسطينية من القيام بأي هجمات جديدة على المواطنين الإسرائيليين.

وخلال الربيع والصيف.. لم تأت جهودنا لإحياء مسيرة السلام بأي نتيجة، لهذا قررت أن أدعو "بيجن" و"السادات" إلى كامب ديفيد.. حتى نتمكن – في هذه العزلة النسبية – من تجنب الواجبات الروتينية ولو لعدة أيام، وقمت أنا بنفسي بدور الوسيط بين وفدي البلدين،... وفي يوم ٤ سبتمبر من عام ١٩٧٨ بدأت المباحثات التي استمرت لمدة ١٣ يوماً كاملاً، وكان فريق كل بلد.. يتكون من حوالي ٥٠ فردا، لقد كان هدفي.. هو أن أجعل الفريقين يتفاهمان ويتقبلان أن لهما أهدافاً مشتركة؛ والفوائد التي يمكن أن تعود على البلدين من حل خلافتهما.

كان علينا أن نناقش مسائل أساسية.. مثل الانسحاب الإسرائيل ي من الأراضي المحتلة.. وحقوق الفلسطينيين.. والأمن الإسرائيلي.. ووضع نهاية للحظر التجاري الذي فرضه العرب على إسرائيل .. وفتح الحدود بين إسرائيل ومصر.. وحقوق السفن الإسرائيلية في عبور قناة السويس.. والمسألة الحساسة الخاصة بمن سيكون له السيادة على القدس.. وحرية العبادة في الأماكن المقدسة، لقد كنت آمل من تحقيق سلام دائم بين البلدين.. يتبادلان من خلاله الاعتراف الدبلوماسي الكامل.. الذي تؤكده اتفاقية سلام ثنائية.

كان هناك تنافر واضح بين شخصية "بيجن" و"السادات"، وبعد حدوث عدد من المصادمات.. قررت أنه لا يجب أن تكون هناك مفاوضات مباشرة بينهما، بدلاً من هذا.. عَمِلت – خلال الأيام والليالي العشرة الأخيرة – على أن أتفاوض مع كل منهما على حدة، وبالرغم من صعوبة هذه الطريقة – والتي تطلبت مني أن أخرج من جلسة محادثات إلى جلسة أخرى مباشرة – فإنه كان لها مميزاتها.. لأنها مكنتني

من تجنب العنتريات المنمقة والجدل الشخصي بين الزعيمين، بالنسبة لـ " بيجن ".. فإنه تفحص بدقة شديدة كل كلمة كتبت في الاتفاق النهائي؛ ولقد أمضيت – أنا وهو الكثير من الوقت في استشارة الموسوعات والقواميس، لقد كان حريصا على دراسة معنى كل كلمة ومغزاها، ولكنه ذات مرة.. فاجأني عندما اقترحت "حكم ذاتي" للفلسطينيين... ولكنه أصر على أن تكون " حكم ذاتي كامل ".

ويقول كارتر : عندما أتى بيجن إلى كامب ديفد فإنه كان ينوي أن نخرج فقط بمبادئ عامة وخطوط عريضة لاتفاقية السلام على أن يترك لمرؤوسيه مهمة حل المشاكل المتعلقة بالتفاصيل لكنه بعد فترة أظهر اهتماماً بمناقشة سيناء أكبر من اهتمامه بالضفة الغربية وغزة واستهلك معظم طاقته فى التفاصيل الدقيقة المتعلقة بكل عرض قدم له. أما بالنسبة لباقى أعضاء فريقه الرئيسيين والمتمثلين فى وزير الخارجية موشى ديان ووزير الدفاع عزرا وايزمان ووزير العدل باراك فإنهم كانوا يرغبون فى اتفاق متكامل بقدر الإمكان مع المصريين كما أنهم تمكنوا من إقناعة بأن بعض العروض فى صالح إسرائيل وأن المواطن الإسرائيل ى سوف يوافق عليها.

أما السادات فإنه كان يرغب فى الحصول على اتفاق سلام شامل حتى إنه كان أكثر أعضاء الفريق المصرى استعداداً لتقديم المساعدة. كانت طلباته تتضمن أن يترك الإسرائيليون سيناء المصرية وأن يكون هناك اتفاق شامل يتضمن باقى الأراضى المحتلة وحقوق الفلسطينيين وتعهد إسرائيل لأن تلجأ إلى الوسائل السلمية فى حل أى خلافات مستقبلية مع جيرانها. كان على الفريقين أن يتعهدا باحترام قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وكان من عادة السادات أن يترك التفاصيل لى أو للمفاوض الرئيسى فى الفربق المصرى أسامة الباز.

ويمضي كارتر فيقول : لعدة مرات أصبح بيجن والسادات مستعدين لإنهاء المفاوضات والعودة إلى بلدهما لكننا تمكنا أخيراً من الوصول إلى اتفاقية كامب ديفيد بالإضافة إلى إطار للعمل يهدف للوصول إلى اتفاقية سلام بين البلدين بل إن مستشاريهما وافقوا على فقرة صيغت بدقة تتعلق بأكثر القضايا حساسية... وهي مدينة القدس.

القدس مدينة السلام هى مدينة مقدسة لليهودية والمسيحية والإسلام ويجب أن يسمح للجميع بزيارتها والتمتع بحرية العبادة وحق الزيارة والتنقل إلى الأماكن المقدسة بدون تفرقة أو تمييز. الأماكن المقدسة بالنسبة لكل ديانة سوف تكون تحت إدارة وتحكم من يمثلون هذه الديانة ممثل لمجلس سكان المدينة المحلى سوف يشرف على الوظائف الضرورية للمدينة مثل المنافع العامة (المياه والكهرباء والغاز) والمواصلات العامة والسياحة ويعمل على التأكد من أن كل مجتمع يستطيع أن يحافظ على حضارته ومعاهده التعليمية.

أهم الأشياء التى أغفلناها فى كامب ديفيد هى عدم حصولنا على توضيح كتابي بوعد بيجن الشفوى فيما يتعلق بتجميد بناء المستوطنات

فى اللحظة الأخيرة وبعد عدة أيام من التوافق الكامل قرر كل من السادات وبيجن أن هناك الكثير من العناصر الخلافية المثيرة للجدل فى الاتفاقية وطالبا بحذف هذه الفقرة من النص النهائى.

إن علينا أن نتذكر أن اتفاقيات كامب ديفيد التى وقعها كل من السادات وبيجن وصدقت عليها حكومتا البلدين تؤكد على تعهدات محددة : مثل احترام قراري الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ و٣٣٨ والتى تمنع الاستيلاء على الأراضي بالقوة... وتدعو إسرائيل للانسحاب من أراض محتلة. هذه الاتفاقيات دعت إلى الحكم الذاتى الكامل لسكان الأراضى المحتلة وانسحاب القوات والمدنيين الإسرائيل بين من الضفة الغربية وغزة والاعتراف بالشعب الفلسطينى ككيان سياسي منفصل له الحق فى اختيار مستقبله وهى خطوة كبيرة تجاه دولة فلسطينية. كما إن هذه الاتفاقيات سمحت للفلسطينيين بالاشتراك فى المحادثات القادمة على أنهم طرف متساو على أن يتم تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة من خلال تصويت الممثلين المنتخبين لسكان الضفة وغزة.

كذلك فإن هذه الاتفاقيات قد اعترفت بصفة عامة بأن الاستمرار فى معاملة غير اليهود فى الأراضي المحتلة على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية يتنافى مع مبادئ

الأخلاق والعدل والتى بنيت على أساسها الديمقراطية واتفق بيجن والسادات على أن المشكلات الصعبة الخاصة بحقوق الفلسطينيين سوف يتم التغلب عليها فى المستقبل.

بالإضافة إلى كل هذا تم توقيع إطار العمل الخاص باتفاقية السلام المصرية الإسرائلية والذى يدعو إلى انسحاب إسرائيل من المنطقة المنزوعة السلاح فى سيناء وتفكيك المستوطنات الموجودة على أراضٍ مصرية وإنشاء علاقات دبلوماسية بين البلدين وفتح الحدود لمرور البضائع والتجارة وحق مرور السفن الإسرائلية فى قناة السويس ومعاهدة سلام دائمة للتأكيد على هذه الاتفاقيات.

كان السادات دائماً يؤكد على أن الأولوية الأولى هى الالتزام بقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وحق تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين وكان الجميع باستثناء بيجن واثقين من أن هذه الحقوق محمية فى الوثيقة النهائية وكنا جميعا بما فينا بيجن واثقين من أن البنود النهائية للمعاهدة يمكن الوصول إليها خلال فترة الشهور الثلاثة المحددة لهذا كنا جميعا نعلم أنه إذا بدأت إسرائيل فى بناء مستوطنات جديدة فإن الوعد الخاص بـ حكم ذاتى كامل مع صوت مستقل أو نهائى فى تحديد الوضع النهائى للأراضى المحتلة لن تكون له أى قيمة ولعل أهم الأشياء التى أغفلناها فى كامب ديفيد هى عدم حصولنا على توضيح كتابي بوعد بيجن الشفوى فيما يتعلق بتجميد بناء المستوطنات خلال محادثات السلام التالية.

إن أحد الفوائد الشخصية التى خرجت بها من تلك الأيام الطويلة التى أمضيناها في المفاوضات هى الصداقة الدئمة التى ربطت بينى وبين عزرا وايزمان والذى كان يشغل منصب وزير الدفاع فى ذلك الوقت. لقد كان هذا الرجل متحمسا للوصول إلى اتفاق سلام شامل وقد كان بإمكانى أن أتحدث معه بصراحة وثقة فى الكثير من القضايا الحساسة جداً كما أنه كان على علاقة طيبة بالمصريين فكان عادة ما يذهب إلى كابينة السادات ليبادله الحديث أو يلعب الطاولة معه بالنسبة لهذا الرجل كانت محادثات السلام نقطة تحول كبرى فإن وايزمان الذى كان أحد أعضاء الجماعة العسكرية السرية "إرجون" وأحد أبطال حرب الأيام الستة فهو الذى

وجه الضربات الجوية المبكرة التى قضت على القوات الجوية العربية وهو أحد المؤسسين لحزب الليكود المحافظ وقد كان أحد الصقور الكبار طوال حياته حدث له تحول كبير خلال الأسابيع التى استغرقتها المفاوضات وأصبح من المؤيدين الكبار للصلح مع العرب.

بيجن لم يحافظ على وعوده بالنسبة للضفة الغربية والفلسطينيين أو تحايل فى تنفيذها أو انتهكها عن عمد.

لم تطل سعادتنا بالتوصل لاتفاقيات كامب ديفيد لأنه كان علينا أن نتحمل أسابيع طويلة من المفاوضات المملة والمحبطة لنصل إلى معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر. بعد كامب ديفيد بسته شهور قررت زيارة القاهرة والقدس بهدف حل القضايا المتبقية وتمكنا من الوصول إلى بنود محددة للاتفاق النهائى وبالرغم من أنه لم يتم انتهاك هذه المعاهدة الحساسة أبداً إلا أن العديد من الفقرات الشرطية الهامة لم يتم احترامها منذ تركت البيت الأبيض فالإسرائيليون لم يمنحوا الفلسطينيين أبداً أي حكم ذاتي حقيقي وبدلاً من سحب قواتهم السياسية والعسكرية فإنهم قاموا بتضييق الخناق أكثر على الأراضى المحتلة.

أما السادات فإنه تحمل إدانة جيرانه العرب وشجبهم لأفعاله والذين قاموا بفرض عقوبات دبلوماسية واقتصادية وتجارية على مصر فى محاولة غير ناجحة لعزله وعقابه وبعد هذا بفترة طويلة بعد سنين طويلة من مغادرتى للبيت الأبيض كان الأردنيون ومنظمة التحرير الفلسطينية لا يزالون مترددين فى الاشتراك فى محادثات السلام مع إسرائيل هذا أكد مخاوف الإسرائيليين بأن وجود دولتهم سوف يظل مهدداً بمجرد أن يتمكن أعداؤهم من جمع القوة الكافية للهجوم عليهم عسكرياً أما بالنسبة لمناحم بيجن فإن معاهدة السلام مع مصر كانت أكثر منجزاته أهمية بالنسبة لإسرائيل فبالرغم من أنه لم يحافظ على وعوده بالنسبة للضفة الغربية والفلسطينيين أو تحايل فى تنفيذها أو انتهكها عن عمد أما بالنسبة للمعاهدة الثنائية فإن إسرائيل أصبحت قادرة على استبعاد قوة مصر الكبيرة من

المعادلة العسكرية للشرق الأوسط وهكذا فإنه أصبح لديها قدر أكبر من الحرية فى محاولة الوصول لأهداف قلة قليلة من المواطنين الإسرائيليين الذين يتوهجون حماسة بالرغبة فى مصادرة الأراضى المحتلة والاستقرار فيها والتحصن بها ومازالت نشاطات الاستيطان تتسبب فى الكثير من القلق وفى عام ١٩٨٠ قامت الأمم المتحدة بإجماع الآراء بإصدار القرار رقم ٤٦٥ (الملحق الخامس فى هذا الكتاب) والذى يدعو إسرائيل لتفكيك المستوطنات الموجودة فى الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية .

إننا نعلم جميعا أن إسرائيل يجب أن تحصل على سلام شامل ودائم وقد كان من الممكن لهذا الحلم أن يتحقق لو أن إسرائيل التزمت باتفاقيات كامب ديفيد وامتنعت عن استعمار الضفة

أما إطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فكان نصه :

"توافق إسرائيل ومصر من أجل تحقيق السلام بينهما علي التفاوض بحسن نية بهدف توقيع معاهدة السلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع هذا الإطار. وقد تم الاتفاق علي أن تتم المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة في موقع أو مواقع يتفق عليها الجانبان ونطبق كافة مبادئ قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ في هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل . ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك يتم تنفيذ معاهدة السلام في فترة تتراوح ما بين عامين إلى ثلاثة أعوام من توقيع معاهدة السلام، وقد وافق الطرفان على المسائل الآتية:

(أ) الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب.

(ب) انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من سيناء.

(جـ) استخدام المطارات التي يتركها الإسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط بما فيها الاستخدام التجاري من قبل كافة الدول.

(د) حق المرور الحر للسفن الإسرائيلية في خليج السويس وقناة السويس على أساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ التي تنطبق على جميع الدول وتعتبر مضايق تيران وخليج العقبة ممرات دولية على أن تفتح أمام كافة الدول للملاحة أو الطيران دون إعاقة أو تعطيل.

(هـ) إنشاء طريق بين سيناء والأردن بالقرب من إيلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والأردن.

أما عملية تمركز القوات العسكرية فقد جاءت كمايلي:

(أ) ألا تتمركز أكثر من فرقة واحدة ميكانيكية أو مشاة من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كيلو مترا شرقي خليج السويس وقناة السويس.

(ب) تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و٤٠ كيلو كمترا.

(جـ) أن تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية قوات إسرائيلية عسكرية محدودة لا تتعدي أربع كتائب مشاة ومراقبين من الأمم المتحدة.

ـ تلحق وحدات دوريات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدني في المحافظة علي النظام في المنطقة التي لم تذكر آنفا.

ـ أن يكون التخطيط الدقيق لحدود المناطق سالفة الذكر وفقا لما يتقرر خلال مفاوضات السلام.

ـ يجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لبنود الاتفاق.

ـ تتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية:

(أ) في جزء من المنطقة التي تقع في سيناء إلى الداخل لمسافة ٢٠ كيلو مترا تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية.

(ب) في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور في مضيق تيران ولا يتم إبعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين.

وبعد توقيع اتفاقية سلام وبعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وإنهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز أمام حركة السلع والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقا للقانون.

الانسحاب المؤقت:

تنسحب جميع القوات الإسرائيل ية خلال فترة تتراوح من ثلاثة إلى تسعة أشهر بعد توقيع اتفاقية السلام شرقي خط يمتد من نقطة تقع شرق العريش إلى رأس محمد ويتم تحرير الموقع الدقيق لهذا الخط بالاتفاق بين الطرفين.

الوثيقة المصرية التى قدمت لمؤتمر كامب ديفيد

انطلاقا من المبادرة التاريخية للرئيس السادات تلك المبادرة التي أحيت آمال كافة شعوب العالم في إيجاد مستقبل أسعد للبشرية وبالنظر إلى تصميم شعوب الشرق الأوسط وجميع الشعوب المحبة للسلام على وضع نهاية لآلام الماضي وإنقاذ هذا الجيل والأجيال القادمة من آثام الحرب وفتح صفحة جديدة في تاريخها إيذانا بعهد جديد من الاحترام المتبادل والتفهم، عازمين على جعل الشرق الأوسط الذي كان مهد الحضارة ومهبط الرسالات نموذجا مشرفا للتعايش والتعاون بين الأمم

راغبين في أن يقيموا بينهم علاقات حسن الجوار طبقا لإعلان مبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول طبقا لميثاق الأمم المتحدة مدركين أن إقامة السلام وعلاقات حسن الجوار يجب أن تبنى على أساس الشرعية والعدالة والمساواة واحترام الحقوق الأساسية .

ويقر كارتر بأن اتفاقيات كامب ديفيد شابها نقطة قصور أساسية قد تكون هي التي أدت إلى تقويض إمكانيات تحولها إلى بداية حقيقية للسلام في المنطقة تتمثل

في عدم النص على تجميد عملية الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة. فضلا عن أن إسرائيل لم تحترم نصوص الاتفاقية، حيث أنها، وفق ما يذكر كارتر، لم تقدم ما يعزز الحكم الذاتي الفلسطيني الذي نصت عليه الاتفاقيات، وبدلا من سحب قواتها العسكرية ووجودها المدني فقد شددت تل أبيب من قبضتها على الوضع في الأراضي المحتلة.

ويقول كارتر : في الوقت الذي واجه فيه السادات مواقف قاسية من قبل الدول العربية وصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية كإجراء عقابي على ما قام به، وفي ذات الوقت الذي راح فيه بيغن يعتبر أن اتفاقيات كامب ديفيد غير قابلة للتطبيق سوى في شقها المصري، متصورا أنه من خلال الاتفاقيات استطاع استبعاد القوة العسكرية المصرية من ميزان الصراع في الشرق الأوسط.

كما واصلت إسرائيل سياسات الاستيطان التي ظلت محل إدانة دولية وصدر بشأنها قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ ويدعو إلى تفكيك المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة منذ حرب ١٩٦٧ بما في ذلك تلك التي أقيمت في القدس الشرقية.

ويشير كارتر إلى محورية وضع الفلسطينيين في أي تسوية للصراع في المنطقة ويقدم كارتر رؤيته الخاصة لتطورات الصراع العربي- الإسرائيلي ويعرض من خلالها تفاصيل عديدة ليست غريبة عن القارئ العربي. ويعرض لبعض ما حرصت المنظمات الصهيونية على ترديده بشأن مساعي العرب إلى القاء إسرائيل في البحر، فيشير إلى أنه التقى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في ١٩٩٠ حيث فند التهمة الموجهة للمنظمة في هذا الخصوص .

مشيرا - عرفات - إلى أنه يعمل على إقامة دولة فلسطينية إلى جوار الدولة الإسرائيلية تضم مسلمين ومسيحيين ويهوداً. غير أن كارتر وفيما يبدو حرصا منه على التزام قدر من التوازن في تناوله يشير إلى أن أي شخص يتطرق إلى الصراع يجب أن يضع في اعتباره كذلك معاناة اليهود على مدى قرون من الشتات ومن الاضطهاد في مختلف الأقطار التي عاشوا فيها.

ويستعرض كارتر مواقف الدول العربية من تطورات الصراع العربي الإسرائيلي فيشير الى أنه باستثناء الاتصالات المصرية مع الفلسطينيين فإن بقية الدول التي تحيط بإسرائيل لا تلعب دورا يعتد به في أية عملية سلام محتملة.

ويعقد كارتر من واقع معايشته للسادات وبيجين مقارنة بين شخصيتيهما في الفصل الخامس من كتابه فيقول عن السادات "من بين حوالي ١٠٠ دولة قابلت رؤساءها كان السادات صديقي الشخصي المفضل والأقرب".. ويقول كارتر: "إن أكثر شيء جعل من السادات زعيماً بارزاً، عظمته وشجاعته وقدرته على رؤية الأحداث العالمية وتمييزها عن الأحداث الجانبية.. وكان مستعداً للتضحية بنفسه وبشعبيته في العالم العربي من أجل السلام، وكان دائماً يقول الحقيقة.. وكان سخياً جداً في تقديم تنازلات في فترات التفاوض!

أما بيجن فقد كان سياسياً انتهازياً يريد أن يأكل لحم البقرة ويشرب حليبها في نفس الوقت.. يريد السلام والأرض والقوة والسيطرة والأمن

ويقول كارتر إن بيجن تعهد شفوياً بشروط السلام التي طالب بها السادات ولم تنص عليها اتفاقية كامب ديفيد وهي تجميد الاستيطان، وتعزيز الحكم الذاتي الفلسطيني.. إلا أن "إسرائيل" "عـزَّزَتْ وجودَها في الأرض المحتلة وشددت قبضتها، وواصلت الاستيطان المرفوض دولياً وأممياً بقرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ القاضي بتفكيك المستوطنات الموجودة في الأرض المحتلة عام ١٩٦٧م".

"لم يكن السادات يطيق بيجن، ولذلك كان من المستحيل أن يتفاوضا وجهاً لوجه، ولذلك ابتكر كارتر المفاوضات عن طريق وسيط أو من خلال لجان، والسادات كان يهتم بالقضايا الكبرى ولا يأبه كثيراً بالتفاصيل في حين كان بيجن يدقق في كل شيء وفي كل كلمة، لدرجة الاستعانة بالقواميس وكتب المترادفات اللغوية من أجل تحديد المعنى الدقيق لبعض الكلمات التي كان يجري التفاوض على استخدامها في صياغة الاتفاقات.. كان بيجن في غاية التشدد عن استخدام الكتابة.. إلا أنه لم يتشدد عند إعطائه وعوداً شفوية، فقد أعطى وعوداً شفوية للسادات بتجميد المستوطنات وتعزيز الحكم الذاتي الفلسطيني وإعطائهم مزيداً من الحقوق والحريات".

سيروس فانس : السادات

ملك العرض الدرامي !!

وتشمل الوثائق التي سمح بنشرها كارتر الاستعدادات الكاملة التى قام بها تمهيداً لتوقيع أول معاهدة سلام بين العرب والكيان الصهيوني، وتبين الوثائق أن الولايات المتحدة اعتقدت في تلك الفترة أن حل القضية الفلسطينية لن يكون بدولة مستقلة، وأن كارتر ورجاله اعتقدوا أنه يمكن التوصل لحل مبتكر يمكن من استمرار الحضور الإسرائيلي في الضفة الغربية، أيضاً بعد إعداد حكم ذاتي فلسطيني، رغم أن الاتفاق النهائي تطرق إلى حكم ذاتي فلسطيني .

ويروي كارتر كيف خصص هو ومساعدوه وقتاً كبيراً في التحضير من أجل وضع خريطة كاملة لطباع كل من مناحم بيجن والرئيس أنور السادات، ودراسة نفسية لسلوكياتهما، وكيفية التعامل معهما في التوصل لاتخاذ القرارات، وتمت التوصية على اشعار كل منهما بالثقة، وأن يكونا على استعداد للتنازلات .

ويقول عن نتائج هذه الدراسة النفسية بالنسبة لبيجن : "إنه برهن أحياناً أنه قادر على التغلب على مصالح شخصية وسياسية، ولهذا أوصى كارتر أنه عندما يبدأ بيجن بالحديث عن ماضيه، أو يستصعب التقدم باتجاه اتخاذ قرار؛ فيجب أن يقال له إنك قائد عظيم، وتلك مهمة مؤلمة ووحيدة؛ فإنك تركت خلفك أصدقاء قدامى، ومواقف قديمة، والهدف من ذلك أن يجعله يشعر بأن الرئيس الأمريكي يتعاطف مع مشاعره" .

وقد وصف وزير خارجية كارتر سيروس فانس الذي أعد الوثيقة، في مذكراته التي تحمل اسمه، قادة مصر وإسرائيل بأنهم " فنانون في التحايل " مؤكداً أن السادات يجيد العرض الدرامي لما يريد، أما بيجن؛ فإنه يلتصق بالتفاصيل الصغيرة والصياغات، لهذا أوصي كارتر أن يمتنع عن الدخول في مناقشات لغوية مع رئيس الوزراء الإسرائيلي، خاصة وأن بيجن يركز على التفاصيل التي في الأساس تقنية في محاولة التهرب والمراوغة كما جاء في الوثيقة " .

كما تخوف الأمريكيون عند قدومهم إلى كامب ديفيد من عدم مرونة بيجن بما يكفي، ولهذا أوصى فانس : " أنه في المباحثات حول التسويات الأمنية يجب الانتقال إلى دائرة أوسع خلال قادة الكيان الصهيوني، حيث إن رأي ديان وربما أيضاً رأي عيزرا وايزمان من شأنه أن يكون نافعاً، وبالنسبة لمهمة ديان؛ فإن الإدارة الأمريكية أوصت بالفحص عن كيف نستطيع استغلال ديان من أجل تدريب بيجن على أن يكون أكثر مرونة " ؟

ويقول فانس : "كما توقع الأمريكيون مشاكل مع السادات أيضاً، فلقد اعتقدوا في الواقع أن عدم مقدرته على التركيز في التفاصيل يستطيع أن يمنع الاحتكاكات، ولكنهم تخوفوا أيضاً من أن ميله إلى تجاهل التفاصيل قد يؤدي إلى عدم الفهم فيما يستقبل، ويبدو أن الأمريكيين قد اعتقدوا أن دوافع السادات ليست قومية عربية، وإنما وطنية مصرية، ولهذا اعتقدوا أنهم سيصلون معه إلى مصالحة بشأن القضية الفلسطينية . لقد طلب من سفراء إسرائيل ومصر كجزء من عمل الإعداد للمؤتمر أن يستوضحوا البرنامج اليومي لكل من السادات وبيجن من أجل التخطيط " .

وقد أبلغ كارتر : "أن بيجن يستيقظ من النوم في الساعة الخامسة والنصف صباحاً ولكن السادات يستيقظ في التاسعة ، في حين أن بيجن يأوي إلى فراشه في الساعة الحادية عشرة ليلاً؛ فإن السادات يبقى مستيقظاً حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، لقد كان عمل الإعداد دقيقاً، وقد عرض أمام كارتر برنامج لكل يوم من أيام المؤتمر" .

ولقد كانت النظرية التي وجهت الولايات المتحدة هي أنه يجب أن تعرض على الزعيمين زاوية جديدة للقرار ٢٤٢، والتأكيد على أن الحديث هو عن المبدأ الأساسي في المفاوضات، فإنه يجب أن تتم ملائمته لواقع سنة ١٩٧٨ الذي يختلف عن الآخر لسنة ١٩٦٧ ، وبالنسبة لمسألة السيادة في الضفة الغربية فهي تابعة لها، أو على أساس دولة فلسطينية ذات استقلال تام، ولقد اقترح فانس اختبار إمكانية تفسير الانسحاب من الضفة الغربية كإنهاء للاحتلال دون أن يخرج الإسرائيليون منها.

وتؤكد الوثائق تخوف الأمريكيين الأكبر من أن كل طرف سيحاول جر كارتر إلى أن يؤيد مواقفه، ولهذا وضح كارتر أن الولايات المتحدة لا تقف إلى جانب أي طرف، ولكن أن يوضع هذا بلطف من أجل أن يعطي كل طرف الإحساس بأننا نفهمه كما ورد في الوثيقة. يطرح وزير الخارجية فانس سؤالاً: كيف سننجح في الحفاظ على الثقة التي يمنحنا إياها بيجن والسادات؟ عندما عرض أمامهم مواقف الولايات المتحدة بان "مواقفنا ستذهلهم" إلا أن كارتر قد أضاف بخط يده إلى جانب ملاحظة فانس "لا أعتقد أن الأمر سيكون كذلك".

وفي الوقت الذي آمن فيه المصريون والإسرائيليون بأنهم يأتون إلى كامب ديفيد من أجل تحطيم الجليد فقط، وإعادة المفاوضات إلى مسارها؛ خطّط كارتر ورجاله كل الوقت لمؤتمر مستمر تكون نهايته وثيقة مكتوبة، وقد زوّد فانس كارتر قبل دخوله من بوابات كامب ديفيد بمسودات لاتفاقات مفصلة تشبه تلك التي تم توقيعها في نهاية المطاف، ولكن الأمريكيين استعدوا أيضاً لإمكانية الفشل.

وقد ولد محمد أنور محمد السادات في قرية ميت أبو الكوم،من أب مصري وأم سودانية، والبلدة تابعة لمركز تلا من محافظة المنوفية في ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ واغتيل في ٦ أكتوبر ١٩٨١.

كان من ضمن الضباط الأحرار الذين ثاروا على الملك فاروق وقاموا بالحركة التي انتهت بعزله ثم إلى انتهاء الملكية في مصر وإعلان الجمهورية عام ١٩٥٣. حيث أصبح السادات الرئيس الثالث لجمهورية مصر العربية ما بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨١م، خلفا لجمال عبد الناصر الذي عينه نائبا له قبيل وفاته بوقت قصير.

بدأ رئاسته بما يعرف بثورة التصحيح التي تمكن فيها من القضاء على خصومه السياسيين الذين عرفوا باسم "مراكز القوى" في مايو ١٩٧١.

في بداية عهده كانت مصر لا تزال في حالة حرب مع إسرائيل وكانت العمليات العسكرية مستمرة على الجبهة عبر قناة السويس فيما عرف بحرب الاستنزاف إلى

أن تمكن الجيش المصري من شن هجوم خاطف على إسرائيل في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وتحقيق إنجازات عسكرية ملموسة أسفرت نهائيا عن توقع مصر بعدها اتفاقية سلام مع إسرائيل وتستعيد شبه جزيرة السيناء بالكامل بطريق المفاوضات.

اغتاله تنظيم من الإسلاميين بمساعدة بعض الضباط من أعضاء التنظيم أثناء الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر في عام ١٩٨١ م، إذ قام خالد الاسلامبولي وآخرون بإطلاق النار عليه أثناء الاستعراض العسكري في الاحتفال وهو جالس في المنصة.

وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كل من الرئيس الأمريكى كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين الذي صرح قبل وفاته بأن السادات قد خدعه مما حدا به إلى اعتزال الحياة السياسية حتى وفاته. أعاد الأحزاب السياسية لمصر التي ألغيت بعد قيام ثورة ١٩٥٢. أسس الحزب الوطنى الديمقراطي وترأسه شارك في تأسيس حزب العمل الاشتراكى حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين. دفن بالقرب من مكان مقتله في ساحة العرض العسكرى بجوار قبر الجندى المجهول.

ويعتبر السادات ثالث رئيس جمهوريه مصرى إذ أن قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو قد أدى إلى تحول مصر من الملكيه إلى الجمهوريه وتولى رئاساتها الرئيس الراحل محمد نجيب كأول رئيس مصرى خلفه بعد ذلك الزعيم الراحل جمال عبدالناصر ومن ثم خلفه الرئيس الراحل أنور السادات.

في فترة الحرب العالمية الثانية، كان السادات خلف القضبان لمحاولته الحصول على الدعم من دول المحور لطرد الإنجليز المحتلين لمصر في تلك الفترة. وشارك الرئيس السادات في الانقلاب الذي أطاح بالملك فاروق الأول في عام ١٩٥٢ وتقلّد عدّة مناصب في حكومة الثورة (رئيس تحرير جريدة الجمهورية الناطقة باسم الثورة، ممثل مصر لدى منظمة المؤتمر الإسلامي ورأس المنظمة، ثم رئيس لمجلس الأمة) حتى وصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية في عام ١٩٦٩، وأصبح رئيساً للجمهورية في عام ١٩٧٠ عند وفاة الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر.

في عام ١٩٧٣ وبالتعاون مع سوريا ودعم عربي، وقعت حرب ١٩٧٣ التي حاولت مصر فيها استرداد سيناء بعد الاحتلال الإسرائيلي لها في حرب الستة أيام عام ١٩٦٧. وكانت نتيجة حرب الـ ٧٣ من أهم عوامل رفع الروح المعنوية المصرية بل والعربية ومهدت الطريق لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في الأعوام التي لحقت الحرب.و ذكرت عدة مصادر أن الملك حسين بن طلال ملك الأردن قام بالسفر بطائرته المروحية الخاصة وتحت قيادته شخصيا وبمفرده إلى تل أبيب وإبلاغ رئيسة الوزراء جولدا مائير بنية الرئيس المصري انور السادات والرئيس السوري حافظ الأسد بنيتهم في الهجوم على إسرائيل ظهيرة يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وذلك عقب اجتماعه بهم في دمشق إلا أن اليهود لم يصدقوه وتشككوا في كلامه.

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ قام السادات بزيارة مفاجئة لإسرائيل دون التنسيق مع الجامعة العربية أو الدول العربية منفردة إلا أنه دعا الفلسطينيين للمشاركة وقدكانت الأجندة الثانية للمعاهدة تتعلق باتفاقية خاصة بالفلسطينيين تنص على انسحاب إسرائيل إلى داخل حدود ما قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وهو ما رفضته منظمةالتحرير وقتئذ.لم تكن ردود الفعل العربية إيجابية لزيارتة لإسرائيل وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس (العاصمة)، وكان ذلك في القمة العربية التي تم عقدها في بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقي أحمد حسن البكر في ٢ نوفمبر ١٩٧٨ والتي تمخض عنها مناشدة الرئيس المصري للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل مما سيلحق الضرر بالتضامن العربي ويؤدي إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها في الحياة العربية وانفرادها بالشعب الفلسطيني كما دعى العرب إلى دعم الشعب المصري بتخصيص ميزانية من ١١ مليار دولارلحل مشاكله الاقتصادية إلا أن السادات رفضها بتهكم مفضلا الاستمرار بمسيرته السلميه المنفردة مع إسرائيل.

اتخذ السادات اجراءات اقتصادية من شأنها تحويل الاقتصاد المصري إلى اقتصاد القطاع الخاص حيث تبنى بما يعرف بسياسة الانفتاح وقد بدأت تؤتي ثمارها وقرر

في يناير ١٩٧٧ رفع جزء من الدعم الحكومي للسلع الغذائية والأساسية مما حدى بالشعب المصري للقيام بمظاهرات كبيرة عرفت بالانتفاضة وأدت بالرئيس السادات للتراجع عن إجراءاته مسميا الانتفاضة بانتفاضة الحرامية حيث اندس الكثير من اللصوص داخل الجماهير المحتشدة وأحرقوا المحلات ونهبوها.

وفي عام ١٩٧٧، وفي كامب ديفيد، تم عقد جلسات وهي عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقيتين الأولى إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل، والثانية خاصة بأوضاع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة تنسحب بموجبها إسرائيل إلى داخل حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وقد رفض الفلسطينيون هذه الاتفاقية وهو ما اتضح الآن أنها خسارة كبيرة للفلسطينيين الذين يحاولون حتى الآن تحقيق أي مكاسب على حساب إسرائيل دون جدوى فالحقيقة أن إسرائيل كانت في مرحلة ضعف واضحة عقب هزيمتها في أكتوبر ١٩٧٣ .

واستغل السادات هذه الفرصة الذهبية- واوقفت مصر التفاوض بشأنها بعد وفاة السادات أما الاتفاقية الأولى فقد انتهت بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ التي عملت إسرائيل على أثرها على إرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر.

وقد نال الرئيس السادات مناصفة مع بيغن جائزة نوبل للسلام للجهود الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط. وبسبب الصلح المنفرد بين الرئيس السادات وإسرائيل وخروج الأخ الاكبر مصر عن الإجماع العربي واتفاقيات الدفاع العربي المشترك أصبحت القضية الفلسطينية في موقف حرج حيث انفردت إسرائيل بالفلسطينيين وارتكبت بحقهم المجازر المروعة كما قامت بغزو لبنان عام ١٩٨٢ ويعتبر الكثيرون أن خروج مصر من الصف العربي سهل تحركات الإسرائيليين. وانشق الصف العربي وزاد النفوذ الأمريكي في المنطقة.

والحقيقة أن المشكلة الكبرى كانت في نقض فرمان الباب العالي العثماني الذي كان يمنع أي يهودي من المبيت بالقدس أكثر من ثلاثة أيام فجاء من نقض هذا

الفرمان وسمح بالهجرة الواسعة لليهود وباتفاقيات رسمية (انظر نص اتفاقية فيصل وايزمان)

بحلول خريف عام ١٩٨١، انتشرت في مصر حملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية ومسئولي الكنيسة القبطية ووصل عدد المعتقلين في السجون المصرية إلى ١٦٠٠ معتقل وذلك على إثر حدوث بوادر فتن واضطرابات شعبية يبدو أن وراءها أصابع خارجية كان الرئيس السادات يتخوف على إثرها أن ترفض إسرائيل الانسحاب من سيناء بحجة أن الوضع بمصر غير مستقر وهو ما أدى به من موقع القائد إلى اتخاذ هذه القرارات الخاصة باعتقال كل من يؤجج الفتنة في ٥ سبتمبر ١٩٨١ قبيل اغتياله بنحو شهر وهو الذي كان قد صرح لبعض المقربين بأنه سوف يطلق سراح المعتقلين بعد أشهر قليلة عند إتمام الانسحاب من جانب إسرائيل.

وفي ٦ أكتوبر من العام نفسه - بعد ٣١ يوماً من إعلان قرارات الاعتقال-، تم اغتيال السادات في عرض عسكري وقام بتنفيذ العملية "خالد الاسلامبولي" التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعارض بشدّة اتفاقية السلام مع إسرائيل ولم يرق لها حملة القمع المنظمة التي قامت بها حكومة السادات في شهر سبتمبر. خلف الرئيس الراحل السادات، نائب الرئيس حسني مبارك ولا يزال الرئيس مبارك رئيساً لجمهورية مصر.

ولاستضافة الرئيس السادات لشاه إيران المخلوع محمد رضا بهلوي في القاهرة، سبب السادات أزمة سياسية حادة بينه وبين إيران وتعددت وسائل التعبير عنها من كلا الطرفين بحرب إعلامية كلامية وبرع الرئيس السادات في هذه الحرب خلال خطبه في مجلس الشعب المصري. وبعد حادث اغتيال السادات، قامت الحكومة الإيرانية بتسمية أحد شوارع طهران الرئيسية باسم "خالد الإسلامبولي".

وفي مطلع عام ٢٠٠٤، طلبت إيران عودة العلاقات الدبلوماسية مع مصر واشترطت مصر تغيير اسم الشارع الذي يحمل اسم خالد الاسلامبولي ووافقت إيران على تغيير اسم الشارع إلى شارع الانتفاضة، ولكن العلاقات الدبلوماسية لم تستأنف بعد بين البلدين.

بريماكوف يزعم : السادات

لعبها مع كسينجر !!

مذكرات أخرى تناولت شخصية السادات، ولكنها قابلة للجدل والمناقشة، مثلما صاحبها نفسه قابل للجدل والمناقشة. ففي مذكراته " في قلب السلطة " زعم يفيجيني بريماكوف رئيس المخابرات الروسية ثم وزير الخارجية ثم رئيس الوزراء السابق بأن الرئيس أنور السادات نظم حرب أكتوبر ١٩٧٣ كجزء من خطة أعدها هنري كيسنجر " .

وإذا كان لنا أن نصدق بريماكوف، كان قد قرر أن «نجاحاً عسكرياً محدوداً» يحققه السادات ضروري لتغيير الموقف وإقناع الإسرائيليين بالدخول في سلام منفرد مع مصر. بل إن بريماكوف يقول إن كيسنجر طلب من السادات ان لا يبيد قوة إسرائيلية عبرت إلى مصر بقيادة الجنرال أرييل شارون. وكان جيش شارون قد أصبح، من الناحية الفعلية، معزولاً عن القوات الإسرائيلية الرئيسية في سيناء، وكان يمكن الاستيلاء عليه من قبل المصريين. غير ان كيسنجر أبلغ السادات بأن مثل هذه النتيجة يمكن أن تعني «تفوق الأسلحة السوفياتية، التي كانت تستخدمها مصر في ذلك الحين، على الأسلحة الأميركية التي كانت تستخدمها إسرائيل. ولا يمكن للولايات المتحدة أن تسمح لحليفتها الاستراتيجية، إسرائيل، بمواجهة هزيمة كاملة.

ومن الطبيعي أنه يصعب قبول هذه النظرية بدون مزيد من الأدلة. بل إن المرء يمكن أن يدافع عن قضية مضادة بقوة مقنعة مماثلة. وابتداء فإن إسرائيل والولايات المتحدة اصبحتا حليفتين استراتيجيتين بعد عشر سنوات (في عام ١٩٨٣) كما أن معظم الأسلحة في عام ١٩٧٣ لم تكن أميركية وإنما فرنسية. والأكثر أهمية هو أنه ما من مبرر لوجوب إصغاء السادات إلى كيسنجر. فالذين يعرفون السادات جيداً يعرفون أن الزعيم المصري، شئنا أم أبينا، لم يكن من النوع الذي يتلقى الأوامر من آخرين.

ويفرط بريماكوف في الثناء على كيسنجر باعتباره «واحداً من أعظم العقول الاستراتيجية في القرن العشرين». وهذه وجهة نظر لا يتفق معها كاتب هذا المقال. فعلى العكس من ذلك يعتبر كثيرون كيسنجر أستاذاً بارعاً في العلاقات العامة، خصوصاً في تعظيم الذات، لكنه وزير خارجية فاشل. غير أن هذه قصة أخرى.

كسينجر ونيكسون ..

الكشف عن الوثائق !!

ومن خلال مذكرات نيكسون ووزير خارجيته كسينجر سنجد وثائق تعود للسنوات ١٩٧٢و١٩٧٣عن العلاقات الأمريكية المصرية، وبداية الاتصال مع الرئيس أنور السادات . هذه الوثائق يمكن تقسيمها إلى ثلاث سنوات:

السنة الأولى: سنة ما قبل حرب أكتوبر (حرب رمضان).وكانت كلها هجوما وعداء لأمريكا، وامتدادا لهجوم وعداء عبدالناصر .

السنة الثانية: سنة الحرب ضد إسرائيل. وبعدها بدأت الوساطة الأمريكية لفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس .

السنة الثالثة: سنة ما بعد الحرب، عندما اقتنع السادات أن الحل عند أميركا،وأعاد العلاقات الديبلوماسية معها،وزار الرئيس نيكسون مصر وبدأ الانفتاح على أمريكا.

وهنا مقتطفات من وثائق سنة ما قبل حرب أكتوبر ،عندما كان السادات،على طريقة عبد الناصر، يهاجم أميركا كثيراً،لكن أميركا كانت تحاول التقرب منه وتتوقع كسبه، بطريقة أو بأخرى.

عيد العمال

من: قسم المصالح الأمريكية، القاهرة

إلى: وزير الخارجية، واشنطن

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٣

ألقى الرئيس السادات خطابا بمناسبة عيد العمال، ونتوقع أن تكون وصلتكم نسخة منه عن طريق "فيبيس" (قسم التقاط الإذاعات الأجنبية التابع لوزارة الخارجية) وهذه هي ملاحظتنا عليه:

أولاً: نغمة قوية معادية لنا. وهذه طبعا، أصبحت شيئا عاديا.

ثانياً: رفض قبول "حل أمريكي" لمشكلة الشرق الأوسط. وهذه ليست المرة الأولى التي يقول فيها ذلك.

ثالثاً: تحد واضح لنا ولأسرائيل.

رابعاً: رد على بعض الإنتقادات التي يوجهها المصريون للنظام، مع حذر في علاج النقاط الحساسة .

الصحف اللبنانية

من: السفارة الأمريكية، بيروت

إلى: قسم المصالح الأمريكية ، القاهرة (نسخة إلى وزير الخارجية، واشنطن)

الموضوع: نزاع في مصر

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٨

تتحدث الصحف اللبنانية عما تراه نزاعا في مصر بين الجناحين اليساري واليميني. وقالت جريدة "البلاغ" التي تدعمها حكومة الجزائر، أن أساس النزاع هو

محاولة المؤيدين لأمريكا، والمعارضين لروسيا،التعاون مع أميركا للوصول إلى حل سلمي لمشكلة الشرق الأوسط ،وأن السادات يؤيد هؤلاء.

لكن ظهرت عراقيل أمام هؤلاء بعد مظاهرات الطلاب.واضطر السادات إلى الميل نحو تحسين العلاقات مع روسيا ، واضطر لاختيار حلفاء للروس في مناصب قيادية في الاتحاد الاشتراكي العربي(الحزب الوحيد الحاكم في ذلك الوقت).وأن قائد القوات المصرية المسلحة ،الفريق صادق يقود المؤيدين لروسيا ،بينما يقود نائب الرئيس ،حسين الشافعي،الذين"يأملون في حوار جديد مع الأمريكيين" .

وأن بعض الضباط القدامى الذين اشتركوا في قيادة الثورة المصرية سنة ١٩٥٢(مع جمال عبد الناصر،وأنور السادات، وحسين الشافعي)وقعوا على بيان الجبهة الوطنية المصرية.وهؤلاء هم:

زكريا محيي الدين،كمال الدين حسين وعبد الطيف البغدادي.وأن اليساريين الذين انتقدهم الرئيس السادات في خطابه يشكلون اتحادا سريا للطلاب المصريين بقيادة أحمد عبدالله .

اعتقال أنصار محيي الدين

من: قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

إلى: وزير الخارجية،واشنطن

الموضوع: إعتقالات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٢٠

وصلت إلى قسم المصالح الأمريكية تقارير عن اعتقال مصريين مشهورين من أنصار زكريا محيي الدين أو وضعهم تحت حراسة منزلية.

وقال لنا مصدر يعمل لصالحنا ،أن اللواء المتقاعد مهاب عبد الغفار اعتقل مع آخرين،قبل ثلاثة أيام.

وحسب معلوماتنا ،عبد الغفار من أكثر المعروفين اجتماعيا لعدد من الدبلوماسيين الأجانب في القاهرة،

وهو أيضا صديق مقرب لزكريا محيي الدين.

وقالت مصادر تعمل لصالح السفارة المصرية في القاهرة ، إنه في نفس اليوم إعتقل د.مصطفى خليل، وزير الاقتصاد السابق ،الذي كان وقع على بيان عبد اللطيف بغدادي (بيان الجبهة الوطنية المصرية).

وقالت مصادر السفارة البريطانية أن بيان البغدادي كتب في منزل اللواء عبد الغفار، رغم أن عبد الغفار لم يوقع عليه شخصيا ،ولم يوقع عليه شخصيا أيضا ،زكريا محيي الدين .

تفجير السفارة

من : قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

إلى : وزير الخارجية، واشنطن

الموضوع: تهديد

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٥

اتصل بنا شخص مجهول، وقال لموظفة استقبال الاتصالات التلفونية ،في العاشرة والعشر دقائق من صباح اليوم : "سنفجر السفارة الليلة".

وقالت موظفة استقبال الاتصالات التلفونية، وهي مصرية، أن الرجل كان يتحدث بلهجة عربية فصيحة وأنها لم تقدر على تحديد ما إذا كان الرجل مصريا، أو غير مصري.

ونحن اتصلنا بمدير شرطة القاهرة، وبمسؤول البرتوكول في وزارة الخارجية المصرية. ونصح مدير الشرطة بإغلاق مكتب القنصلية بقية اليوم، ونحن نفذنا

ذلك.وأرسل عددا من الشرطة السرية والعلنية لحراسة المبنى ووضع سيارة شرطة أمام المدخل.

ونحن شددنا مراقبة الذين يدخلون المبنى،وقام الموظفون الأمريكيون بتفتيش المبنى، وطلبنا من السكرتيرات الأمريكيات اللائي يسكن في شقق المبنى قضاء الليلة مع زميلاتهن خارج المبنى .

السادات يهدد بالحرب

من : قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

إلى: وزير الخارجية،واشنطن

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٦

ألقى الرئيس السادات أمس خطابا في ذكرى حرب سنة ١٩٦٧ أمام الجرحى العسكريين في مركز رعاية المصابين في العجوزة.

وكرر السادات أن مصر ليس أمامها أي خيار سوى الحرب ضد إسرائيل لاسترداد الأراضي المحتلة وقال:

"ليس هناك أي حل سوى النصر "،(قال ذلك قبل أكثر من سنة من إعلان الحرب).

وزير سوداني

من : قسم المصالح الأمريكية،الخرطوم

إلى: وزير الخلرجية،واشنطن(نسخة إلى قسم المصالح الأمريكية ،القاهرة)

الموضوع: تعليق وزير سوداني

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٢٨

خلال لقاء خاص مساء أمس مع إبراهيم منعم منصور، وزير المالية السوداني، قلت إن حكومة السودان كادت تعلن استئناف العلاقات الديبلوماسية معنا في منتصف الشهر الماضي لكنها تراجعت.

وقال الوزير إن السبب هو الخوف من إحراج الرئيس المصري السادات. وقال إن السادات عنده مساوئ لكن لا يوجد زعيم مصري غيره أفضل منه، بالنسبة للسودان وبالنسبة للغرب .

وقال الوزير إن السادات،عكس كثير من القادة المصريين لا يتمتع بقاعدة إقتصادية أو جغرافية أو طبقية معينة، لكنه يعتمد على تأييد عام من كل الفئات والمستويات.وأن هذه الفئات العامة لا تريد الحرب ضد إسرائيل وتفضل الحل السلمي.

وقال الوزير إنه يشك في أن السادات يريد مفاوضات غير مباشرة (مفاوضات عن قرب) مع إسرائيل حسب الشروط التالية:

أولاً : مفاوضات غير مباشرة.

ثانياً : في سرية تامة.

ثالثاً : بعد تنازلات إسرائيلية رمزية (ربما الموافقة على الانسحاب قليلا من قناة السويس، أو فتح قناة السويس للملاحة).

طرد الخبراء الروس

وزارة الخارجية،قسم الترجمة

من مقابلة جريدة "لوفيجارو" الفرنسية مع الرئيس السادات:

أنا أقرر طرد الخبراء الروس يوم ١٨ يوليو (تموز).أنا قررت يوم ١٧يوليو، وأعلنت القرار يوم ١٨ يوليو....

قصتي مع الروس طويلة،منذ أن أصبحت رئيسا للجمهورية، قابلت الزعماء الروس أربع مرات ،ومنذ أول مرة كان واضحا بالنسبة إلي أن هناك فرقا كبيرا بيني وبين الروس في تقييم الوضع في الشرق الأوسط.

أحيانا كنت أفضل عدم الجدل معهم ،علىأمل أن نتمكن من حل خلافاتنا بيننا ،وفي الحقيقة ،أنا بذلت كل ما أستطيع لإقناع الروس برأيي.

أهم خلاف كان عن فهمهم لطبيعة الشعب المصري، ثم عن الأسلحة التي كانوا يرسلونها لنا. الروس لم يضعوا أي إعتبار للوضع النفسي في المنطقة ونسوا العامل السيكولوجي.

ثم هناك الخلاف حول النظرة العالمية لمشكلة الشق الأوسط. بالنسبة لنا هذه مشكلتنا، هذه مشكلة اقليمية، لكن بالنسبة للروس كانت مشكلة عالمية، وكانت واحدة من مشاكل أخرى مع الأمريكيين .

بل ربما كانت المشكلة رقم أربعة أو خمسة في قائمة مشاكلهم مع الأمريكيين.

إجتماع القمة في موسكو بين الرئيس نيكسون والقادة الروس،في مايو(أيار)سنة١٩٧٢،كان نقطة مهمة بالنسبة لي في اتخاذ قرار طرد الخبراء الروس.لأنني، بعد الاجتماع، اكتشفت أن الخلاف بيننا عميق جدا ولابد من التوقف ومراجعة كل شيء.

ساعة الصفر

أنا قابلت الروس مرتين في سنة١٩٧١ ،في بداية السنة ثم نهايتها.في الاجتماع الأخير توصلت إلى اتفاق معين معهم على أن ينفذ قبل نهاية نفس السنة .لكن ذلك لم يحدث.

لهذا كنت أقول في خطبي خلال تلك السنة أنها ستكون سنة الحرب أو السلام،أي سنة اتخاذ القرار الحاسم .

هذا، ومع بداية سنة ١٩٧٢، وعدم تنفيذ الروس للاتفاقية معهم ،كان يجب أن أحسم الموضوع ،لكنني كما قلت، قررت انتظار مؤتمر القمة الأمريكية الروسية في موسكو.

قلت إن الروس أصدقائي وأن العلاقات بين البلدين قوية وتاريخية ،لكنهم خيبوا أملي فيهم.

ويجب ألا يعتقد أحد أنني قررت ما قررت بسبب الضغط علي من جانب القوات المصرية المسلحة .

هذا لم يحدث.وهناك إشاعات كثيرة عن أسباب أخرى،لكنها كلها كانت إشاعات.

جعفر نميري

من: قسم المصالح الأمريكية،الخرطوم

إلى: وزير الخارجية، واشنطن(نسخةإلى قسم المصالح الأمريكية في القاهرة)

الموضوع: نميري يتساءل

التاريخ:١٩٧٢/٧/١٩

الرئيس النميري استدعاني ظهر اليوم ليسأل عن رأينا في قرار السادات بطرد الخبراء العسكريين الروس. وقال النميري هناك نظرتان:

الأولى: وجود اتفاقية سرية بين أميركا ومصر بطرد الروس،مقابل تحسين العلاقة بين أميركا وروسيا

الثانية: السادات يريد إعلان الحرب على إسرائيل.لهذا فإن طرد الخبراء العسكريين الروس يحرم إسرائيل من القول أن الروس يحاربونها.

وقال النميري أن التفسير الأخير غير ممكن لأن السادات يعتمد على الأسلحة الروسية في الحرب ضد إسرائيل. وإذا قلت إن وزارة الخارجية لم ترسل لنا أي

تفاصيل وأنها أعلنت أن ما حدث شأن مصري داخلي ....ثم انضم إلى اجتماعي مع الرئيس نميري وزير الخارجية منصور خالد ،الذي جاء مباشرة من المطار قادما من أثيوبيا. وقال الإثنان أنهما يعتقدان أن طرد السادات للخبراء الروس سيوجد فرصة مناسبة للحكومة الأمريكية وللشعب الأمريكي ليقللا من تأييد إسرائيل.

ونميري كان متحمسا جدا لما فعل السادات، وقال إن قراره في السنة الماضية بالقضية مع الروس، بعد محاولة الانقلاب الشيوعي ضده،فتح المجال أمام الدول الأخرى لتفعل نفس الشيء ، وربما شجع السادات ليفعل ما فعل .

مبادرة أميركية

من: وزير الخارجية،واشنطن

إلى: قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

الموضوع: ذكرى ثورة يوليو

التاريخ: ١٩٧٢/٧/٢٦

الرجاء نقل هذه الرسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات:

بينما تحتفل الثورة المصريةبعامها العشرين يوم ٢٣ يوليو (تموز) ،يسرني باسم الولايات المتحدة أن أقدم التهنئة، مع التمنيات الطيبة ،لكم وللشعب المصري.

وأنا أتمنى أن تتمتع مصر بالرخاء والسعادة تحت قيادتكم.

التوقيع: ريتشارد نيكسون.

لا استسلام

من: قسم المصالح الأمريكية، القاهرة

إلى: وزير الخارجية، واشنطن

الموضوع:خطاب السادات

التاريخ:١٩٧٢/٧/٢٥

ألقى الرئيس السادات خطابا بمناسبة ذكرى ثورة يوليو (تموز) ،هو أول خطاب له، لأنه استمر لأكثر من أربع ساعات. وغطى الخطاب كل المواضيع الداخلية والخارجية، وتحدث عن إنجازات الثورة المصرية وعن علاقة مصر بالدول الكبرى.

وعن المشكلة مع إسرائيل، قال السادات إنه يرفض أية مفاوضات مباشرة مع إسرائيل لأنها ستكون "استسلاما" وكرر دعوته لتحرير الأراضي المصرية المحتلة "شبرا شبرا".

وكرر هجومه على أمريكا، وقال إن كل تاريخ سنوات التعامل معها ليس إلا وعودا كاذبة وأنها لا تبدو جادة في حل المشكلة العربية الإسرائيلية وأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل مائة في المائة.

وتحدث السادات عن "خلافات" مع روسيا في طريقة حل المشكلة العربية الإسرائيلية، لكنه لم يهاجم روسيا بشدة، مثلما فعل مع أميركا .

مظاهرات الطلاب

من: قسم المصالح الأمريكية، القاهرة

إلى:وزير الخارجية، واشنطن

التاريخ:١٩٧٣/١/٣

قال لنا مصدر موثوق به وعنده اتصالات مع كبار المسؤلين في وزارة الداخلية المصرية، إن الوزارة،تسلمت أمس التقارير الآتية عن مظاهرات الطلاب:

أولا: في جامعة أسيوط: تظاهر الطلاب في الثامنة مساء في الحرم الجامعي واعتقلت الشرطة ٦٨ طالبا.

ثانياً : في جامعة عين شمس: وزعت منشورات خارج الحرم الجامعي واعتقلت الشرطة أربعين من طلاب الجامعة.

ثالثاً : في جامعة الإسكندرية: قال الطلاب أنهم سيبداون إضرابا عن الطعام حتى تستجاب طلباتهم.

رابعاً : في جامعة القاهرة: اليوم، عند منتصف النهار، تسلمت وزارة الداخلية معلومات ثلاثة الآف وخمسمائة طالب تجمعوا للقيام بمظاهرة خارج الحرم الجامعي .

تحليل للمظاهرات

من:جوزيف سيسكو،مسؤول الشرق الأدنى.

إلى: وليام روجرز،وزير الخارجية.

التاريخ:١٩٧٣/١/٣

خلال الأسبوع الماضي شهدت مصر سلسلة مظاهرات قام بها الطلاب، وظلت سلمية، حتى الان.

وهذا تحليل عنها من زاوية تاثيرها في وضع الرئيس السادات:

هناك عملية بطيئة ومؤكدة تجري الآن في مصر، بقيادة السادات، وهي محاولة تحرير الوضع السياسي بإعطاء بعض الحرية للمعارضة وفي الحقيقة، طلاب الجامعات الذين تظاهروا استفادوا من هذا الانفتاح السياسي بإعطاء بعض الحرية للمعارضة .

وحسب التقارير التي وصلتنا ، هدد بعض الطلاب باستمرار المظاهرات حتى تحقيق ثلاثة شروط هي:

أولاً : إطلاق سراح الذين اعتقلوا.

ثانياً : احترام حقوق المواطنين السياسية.

ثالثاً : تقديم أدلة بأن الاستعداد للحرب ضد إسرائيل يجري حقيقة وليس مجرد كلام.

وحتى الآن يبدو لنا أن النظام يريد المحافظة على أعصابه ويحاول مواجهة الوضع بخليط من الحزم وروح المصالحة.....،

ملحم كرم

من السفارة الأمريكية ، بيروت

إلى: وزير الخارجية،واشنطن

التاريخ:١٩٧٣/١/٨

نشرت جريدة " البيرق" اليوم مقابلة أجراها صاحبها، ملحم كرم، مع الرئيس السادات ،وهذه أهم النقاط فيها:

أولاً : قال السادات إن مظاهرات الطلاب المصريين يقف وراءها "اليسار المغامر"، وإن هناك ،فقط ، سبعين طالبا مشاكسا وسط ربع مليون طالب جامعي في مصر . وإن الطلاب استغلوا الحرية السياسية التي سمح هو بها

ثانياً : أعترف أن هناك إشاعات كثيرة عن "سنة الحسم"،(موعد إعلان الحرب ضد إسرائيل ،الذي ظل السادات يؤجلها سنة بعد أخرى). وقال ضاحكا : "هناك نكات أيضا". ودعا إلى "الصبر والكتمان"، وقال: نتحرك في فراغ. نحن نعرف كيف نحسب كل خطوة.

رابعاً : قال إنه فقد كل الأمل في امريكا وأنه ما عاد يتوقع منها حلا سلميا .

وانتقد الدول العربية لأنها لا تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة بل، بالعكس ،تعمل على ازدهار هذه المصالح.

عيد الأضحى

من وزارة الخارجية ،واشنطن

إلى:قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

التاريخ:١٠/١/١٩٧٣

الرجاء نقل هذه الرسالة إلى رئاسة الجمهورية في الوقت المناسب :

عزيزي الرئيس السادات:

يسرني أن اقدم لكم تمنياتي وتهاني الشخصية بمناسبة عيد الأضحى المبارك.

المخلص لكم: ريتشارد نيكسون

الرجاء ملاحظة ان البيت الأبيض لا ينوي إعلان هذه التهنئة للصحافيين ،لكنه لا يعارض إذا أعلنها المصريون.

"هذه التهنئة "السرية" الثالثة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات: الأولى كانت بمناسبة العيد العشرين لثورة يوليو (تموز)، والثانية بمناسبة عيد الفطر. وفي كل مرة ترسل التهنئة سرا، ربما خوفا من إحراج السادات، وخوفا من اليساريين ومؤيدي روسيا قد يعارضون هذه المبادرات الأمريكية السرية".

مذكرة المثقفين

من:قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

إلى:وزير الخارجية،واشنطن

التاريخ:٢٢/١/١٩٧٣

قالت لنا مصادر ممتازة إن حوالي أربعين من الكتاب المصريين أرسلوا في الأسبوع الماضي مذكرة إلى الرئيس السادات عن التطورات الأخيرة. وأهم ما جاء فيها أن

مظاهرات الطلاب ليست فعل أقلية مشاغبة ،لكنها تعبر عن تذمر كل قطاعات الشعب المصري.

ومن الذين وقعوا على المذكرة : توفيق الحكيم،عميد الكتاب المصريين وصديق محمد حسنين هيكل ،لويس عوض ،المثقف والكاتب القبطي،لطفي الخولي ،اليساري، الذي كان شيوعيا ،يوسف السباعي ،رئيس مجلس إدارة دار الهلال ،ورئيس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية .

وفي رأينا أن المذكرة نادرة في نوعها ،لأن الذين وقعوا عليها ينتمون الى كل التيارات الفكرية والفلسفية، ولأن بعضهم من أكثر الأدباء والكتاب احتراما في مصر.

من السادات إلى نيكسون

التاريخ:١٨/٢/١٩٧٣

عزيزي الرئيس نيكسون:

وصلتنا الدعوة من حكومة الولايات المتحدة إلى محمد حافظ إسماعيل لزيارة واشنطن، لتبادل وجهات النظر حول المواضيع التي تهم بلدينا.

وأنا أرى أن هذه الدعوة دليل على اهتمام الولايات المتحدة الخاص بمشكلة الشرق الأوسط وأنا لاحظت تصريحاتكم عن قلقكم وعن عزمكم على تحقيق سلام كامل وعادل في منطقتنا.

وأنا أمرت إسماعيل بأن يسافر إلى واشنطن بناء على دعوة حكومتكم ،على أمل أن تبذل حكومة الولايات المتحدة كل إمكاناتها للدفاع عن الحرية والاستقلال والحقوق الشرعية للشعوب لتحديد مصيرها.

من نيكسون إلى السادات:

عزيزي السيد الرئيس:

أود أن أشكركم على خطابكم بتاريخ١٨/٢/١٩٧٣ الذي سلمه لي إسماعيل ،خلال زيارته الأخيرة إلى هنا .لقد سعدت باستقبال إسماعيل شخصيا وبتبادل وجهات النظر معه تبادلا كاملا وصريحا.

هذه الزيارة ساهمت في فهم أكثر لآراء حكومتكم،وأنا أتمنى أن تكون حققت نفس الشيء بالنسبة لفهمكم لآراء حكومتنا .

زوجتي تشاركني في التعبير عن شكرها لهدايا النحاس الراقي والنسيج المصري التي أرسلتموها بواسطة إسماعيل .وستكون هذه الهدايا تذكارا قيما.

المخلص لكم: ريتشارد نيكسون

من : السفارة الأمريكية،بيروت

إلى:وزير الخارجية، واشنطن

التاريخ:٨/٢/١٩٧٣

فؤاد مطر مراسل جريدة "النهار" المستقلة نشر اليوم تقريرا عن "الثورة الثقافية" في مصر ،وذلك في إشارة الى تطهير تسعين يساريا و"مغامرا" من الاتحاد الاشتراكي العربي. ومن بين الذين طردوا : لطفي الخولي، لويس عوض، يوسف إدريس وحسين عبد الرزاق .

وأن هناك قائمة أخرى ستعلن. وأن الرئيس الليبي القذافي يؤيد تخلص الرئيس السادات من هؤلاء اليساريين .لكن محمد حسنين هيكل كان يؤيدهم ،و خاصة الكتاب الذين كانوا يكتبون في" الأهرام ". وأن القذافي وهيكل اجتمعا قبل يومين ويقال إن القذافي أقنع هيكل ألا يحتج عندما يعزل السادات هؤلاء اليساريين.

هنري كسينجر

البيت الأبيض:مذكرة إلى هنري كسينجر،مستشار الرئيس للأمن القومي.

الموضوع:خطاب السادات

التاريخ:٢٨/٣/١٩٧٣

يبدو أن الرئيس السادات في خطابه قبل يومين إلى الشعب المصري، تعمد الإثارة لمواجهة الوضع الممل والقائم في مصر. قال أنه سيكون ،أيضا رئيسا للوزراء، وذلك استعدادا لمواجهة شاملة،مع إسرائيل. وكالعادة ،علينا أن ننتظر لنرى إذا كان هذا سيحدث ،لكننا نعتقد أن لا جديد في الموضوع لأن السادات لم يحدد تاريخا للحرب، بل ركز على تعبئة الجبهة الداخلية وعلى استمرار الجهود السياسية.

وكالعادة هاجم السادات أميركا هجوما شديدا،وكرر شكوكه في نياتها وقال إن خبر إرسال أسلحة أمريكية جديدة إلى إسرائيل سرب عمدا كجزء من حرب نفسية لتدعيم اليأس العربي.

لكن السادات أشار الى نقطة "إيجابية" عندما قال إن الرئيس نيكسون قال لمبعوثه حافظ إسماعيل، إن المشكلة موازنة سيادة مصر على سيناء مع حاجة إسرائيل إلى الأمن.

وقال السادات إنه لا بد من عودة السيادة المصرية إلى كل سيناء، وأن ذلك لا بد أن يشمل شرم الشيخ.

مقابلة" نيوزويك "

البيت الأبيض:مذكرة إلى كسينجر ،مستشار الرئيس للأمن القومي

التاريخ:٣/٤/١٩٧٣

نشرت مجل "نيوزويك" مقابلة أجراها مراسلها دي بورشجريف مع الرئيس السادات وقال فيها السادات بعض المعلومات الخاطئة عما قلت أنت لمستشار السادات،إسماعيل،عندما قابلك هنا.بالإضافة إلى أن جريدة "الأهرام " نشرت ترجمة لمقابلة مجلة "نيوزويك" ولكن فيها إضافات ،مثل قول السادات إنه قدم للأمريكيين أربع أسئلة وأنهم أجابوا عليها إجابات أقنعت السادات.وأن هذا كان شرطا قبل إرسال المستشار إسماعيل إلى واشنطن.

نحن لا نرى أن هناك سببا للدخول في مناقشة علنية أو سرية ،مع السادات عما قال لنا وما قلنا له.هذا سيعقد الحوار الأمريكي المصري الذي بدأ مؤخرا ،والذي لا بد أن يستمر .لكن لا بد من توضيح الموضوع للإسرائيليين،لأنهم سألوا سفيرنا في القاهرة عن هذه النقاط الأربع التى أشار إليها السادات ،وهي عن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية .

المقابلة مرة أخرى

من: وزارة الخارجية،واشنطن

إلى:قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

التاريخ:٧/٤/١٩٧٣

نحن لا نريد الدخول في نفاش علني، أو سري،مع الرئيس السادات حول ما جاء في مقابلته مع مجلة" نيوزويك" لهذا نرسل لكم ما يقول المتحدث الصحافي باسم الوزارة ،عندما يسأله الصحافيون وهو كالآتي:

"نحن لم نعلق على ما قال الرئيس السادات علنا مؤخرا. نحن على أي حال نركز على تبادل جدي للآراء. والجانبان يريان أن زيارة المستشار إسماعيل لواشنطن كانت مفيدة جدا".

ملاحظة : نفضل ألا تعلقوا على هذا الموضوع علنا في مصر،لكن يمكنكم استعمال التعليق أعلاه في المحادثات الخاصة.

الملحق الروسي

وزارة الخارجية،واشنطن،مذكرة حديث

المشتركون:أناتولي كوروليف،الملحق العسكري الروسي في واشنطن،ونورمان أندرسون،مسؤول الشؤون المصرية في الوزارة.

التاريخ:٦/ ٤/ ١٩٧٣

جاء كوروليف إلى مكتبي وسأل عما قال الرئيس السادات لمجلة "نيوزويك" عن حتمية "مواجهة كاملة"،مع إسرائيل.وأنا قلت له أي شخص عقلاني لا يغفل ذلك ،لكن السادات يمكن أن يفعل أي شيء.

وأنا سألت كوروليف إذا كان يتوقع أن يعلن السادات الحرب على إسرئيل ، وهو قال إنه لا يتوقع أن يحدث ذلك قريبا.وقال إن الرئيس السوفياتي برجنيف سيزور أميركا في يونيو (حزيران) ولا يمكن أن يعلن السادات الحرب قبيل أو خلال الزيارة. وقال إن روسيا لا تسيطر على قرار السادات بإعلان الحرب أو عدم إعلانها .و نفى أن تكون روسيا أرسلت مؤخرا إلى مصر صواريخ متطورة.

كمال أدهم

من: قسم المصالح الأمريكية،القاهرة

إلى: وزير الخارجية،واشنطن

التاريخ:٦/٤/١٩٧٣

قابلت قبل يومين كمال أدهم ، مستشار الملك فيصل ، بحضور السفير السعودي في مصر ، ناظر . وتحدث أدهم عن زيارة مستشار الرئيس السادات ، حافظ إسماعيل، إلى واشنطن . وقال إن السادات إرتاح لاجتماع إسماعيل مع الرئيس نيكسون .

وقال إن كيسنجر سأل إسماعيل إذا كانت مصر ستقبل إسرائيل كدولة مستقلّة، وأن إسماعيل أجاب أن مصر تقبل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وبالتالي تقبل ذلك.

واشتكى إسماعيل من أن اقتراح نزع سلاح سيناء ، كشرط لانسحاب إسرائيل ، معناه أن إسرائيل ستقدر على احتلال سيناء مرة أخرى. وأجاب كيسنجر أن هذه هي الطريقة الوحيدة لانسحاب إسرائيل ...

وقال أدهم أن كلام كيسنجر هذا أغضب إسماعيل، وهو العسكري الذي لا يقبل الهزيمة .

كما قال أدهم إن السادات، رغم هذا ،حريص على استمرار الاتصالات مع أمريكا.

ومن المهم هنا أن نعرج سريعاً على سيرة هنري كسينجر الذي سيطالعنا كثيراً في هذه المذكرات .

أول وزير يهودي في تاريخ واشنطن- كسينجر.. قائد أميركا الفعلي، ومهندس ميزان القوى بين الدول العظمى .

ولد "هنري الفريد كسينجر" في السابع والعشرين من مايو عام ١٩٢٣، بمنطقة "بيرات" الألمانية، وينحدر كسينجر من أسرة يهودية متدينة جداً، يصل تدينها في كثير من الأحيان إلى حد التشدد في تطبيق التعاليم الدينية اليهودية، ولعل ذلك هو ما خلق منه شخصاً شديد الولاء لكل ما هو يهودي، وكانت له العديد من المواقف

التى أظهر فيها ولاءه لإسرائيل، خاصة خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، بين مصر وإسرائيل، هاجر مع أسرته من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٣٨، هربا من ملاحقة النازيين لكل ما هو يهودي في ألمانيا، عاش كسينجر طفولة تختلف إلى حد كبير عن طفولة قرنائه من الأطفال، الذين عاش بينهم سواء في ألمانيا أو في الولايات المتحدة الأميركية، ولعل هاجس الخوف الذي لاحق أسرته دائما من مطاردة النازيين ظل ملازما له في صباه، الأمر الذي خلق منه شخصية انطوائية، لا ترغب في الاندماج مع الآخر، وأدى أيضا إلى انعدام ثقته للمقربين منه، إلا أنه في الوقت ذاته كان يتمتع بذكاء خارق، وبقدرة فائقة على جذب انتباه الآخرين، فكان حديثه المقنع ينم عن شخصية خارقة التأثير، تختلف إلى حد كبير عن عمره الحقيقي، الذي سبقه تفكيره وإدراكه لبواطن الأمور، وقراءة المستقبل، تخرج هنري كسينجر في جامعة "هارورد" وحصل منها على الإجازة العليا في العلوم السياسية والإدارية، كما حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها، وكان موضوعها بعنوان "تنظيم أوربا بعد هزيمة بونابرت"، وبعد عمله كأحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، حل ضيف دائما على كافة وسائل الإعلام الأميركية والأجنبية، للتنظير ووضع أسس واستراتيجيات سياسية وأمنية، للعديد من القضايا في مختلف دول العالم، كما اعتبرته الدوائر الرسمية في البيت الأبيض، مسئولا عن إنتاج نظام سياسي يقوم على توازن القوى كأساس لاستقرار العام، وقد كان هذا العمل هو جوهر عمله عندما أصبح وزيرا للخارجية الأميركية في الفترة من ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٣، وحتى ٢٠ يناير عام ١٩٧٧.

قبل هذا التاريخ وتحديدا في عام ١٩٦٢، كان أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة هارورد الأميركية، ومنذ هذا العم شغل أيضا عدة مناصب غير رسمية، منها رئاسة العديد من المراكز السياسية البحثية بالولايات المتحدة، في الفترة ما بين ١٩٥٥، وحتى عام ١٩٦٨، كان كسينجر مستشارا للشؤون الأمنية للرئيسين الأميركيين "جون كيندي"، و"ليندون جونسون"، وقد وصل إلى هذا المستوى من

الأهمية، بعد قيامه بتأليف كتابه الشهير "الحرب النووية والسياسة الخارجية"، الذي أصبح فيما بعد دستوراً لشريحة كبيرة من المحافل السياسية، المؤثرة على الاستراتيجية السياسية في الولايات المتحدة الأميركية، وقد وضع كسينجر في كتابه الجديد العديد من النقاط الرئيسية الخاصة بعلاقة الولايات المتحدة بالعديد من دول العالم، وشرح إمكانية إعادة صياغة سياسة واشنطن الخارجية، بشكل يمكنها من الاستفادة وتبادل المصالح الأمنية والاقتصادية، وما يترتب على ذلك من انتعاش لعلاقات الولايات المتحدة الخارجية بدول العالم، كما ناقش وزير الخارجية الأسبق الأسلوب، الذي تدار به المعارك النووية بين الدول التي تمتلك هذا السلاح، وما يسبق تلك الحروب من خلافات سياسية بين جبهة وأخرى.

وعندما تولى "ريتشارد نيكسون" منصب الرئاسة الاميركية، شغل كسينجر منصب رئيس مجلس الأمن القومي الأميركي، وكان إلى جانب هذا المنصب مسئولا فعليا عن إدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولم يكن وزير الخارجية الأميركي في حينه "وليام روجرس" سوى أداة تنفذ ما يوصي به كسينجر رئيس جهاز الأمن القومي، وكان هنري كسينجر من خلال موقعه رفيع المستوى في الإدارة الأميركية آنذاك، مسئولا عن صياغة اتفاق "سالات ١" SALT، عام ١٩٦٩، وهو الاتفاق الخاص بموضوع القيود المفروضة على الأسلحة النووية .

كما لعب كسينجر دوراً كبيراً في المباحثات، التي كانت تجرى في هذا الصدد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق، كما كان له دور كبير في التأثير على نيكسون، لخلق قنوات من التقارب بين الولايات المتحدة والصين، وكان كسينجر أيضا ممثل الولايات المتحدة، الذي وقع في باريس عام ١٩٧٣ على اتفاق وقف إطلاق النار، الذي كان من المنتظر أن يوقف الحرب الدائرة في شمال فيتنام.

وعلى خلفية هذا الاتفاق حصل كسينجر على جائزة نوبل للسلام، في سبتمبر عام ١٩٧٣، قرر الرئيس الأميركي الأسبق نيكسون تعيين كسينجر وزيراً للخارجية، ليصبح اليهودي الأول الذي يتولى هذا المنصب في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية.

مع اندلاع حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، أجرى كسينجر ما وصف آنذاك بجولة مكوكية من المباحثات، وفتح قنوات من الحوار بين الجانبين المصري والإسرائيلي، من اجل التوصل إلى اتفاق يقضي بوقف إطلاق النار بين الجانبين، وتمكن في نهاية المطاف الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية من جهة، وبين القوات السورية والإسرائيلية من جهة أخرى، بعد استقالة الرئيس في أعقاب فضيحة "ووتر جيت"، واصل كسينجر أداء مهام منصبه وزيراً للخارجية في عهد الرئيس "جيرالد فورد"، وكان في هذه الفترة مسئولا عن جولات المباحثات بين مصر وإسرائيل، والتي انتهت في نهاية المطاف عام ١٩٧٥، بالتوقيع على اتفاق سلام انتقالي بين الدولتين.

وبعد خسارة فورد في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٦، وتولى "جيمي كارتر الرئاسة خلفا له، عاد كسينجر إلى مواصلة عمله الأكاديمي، كما عمل كمحلل للشؤون السياسية لدى العديد من وسائل الإعلام الأميركية.

وقد تأثر هنري كسينجر في مفهومه العام للسياسة بالعديد من رجال السياسة في أوربا، خاصة تلك الشخصية السياسية الكبيرة المعروفة باسم "ماترنيخ"، الذي حاول وضع نظام سياسي جديد في أوربا الواسعة، في أعقاب فترة نابليون بونابرت، وكان ماترينخ هو الشخصية الأولى في الكونجرس بفيينا عام ١٨١٥، وقد بنت تلك الشخصية سياستها على خلق توازن في ميزان القوى بين الدول العظمى على مستوى العالم، معتبراً أن توازن القوى بين الدول العظمى هو السبيل الأوحد، الذي يؤدي إلى استقرار العالم، إلى جانب ذلك كان هنري كسينجر، انطلاقا من هويته وديانته اليهودية، مسئولا عن الدفاع عن إسرائيل وعن مستقبل وجودها في منطقة الشرق الأوسط إلى جوار الدول العربية.

وعلى الرغم من ذلك، وفي الوقت الذي أجرى فيه جولات من المباحثات بين مصر وإسرائيل إبان حرب أكتوبر، أو ما تطلق عليها إسرائيل "حرب الغفران"، تعرض كسينجر لحملة من الانتقادات في إسرائيل، واعتبرته الدوائر السياسية في تل أبيب - خاصة المتشددة منها - أنه يسعى إلى تفعيل خطوات وإجراءات، من

شانها أن تؤدي إلى المساس بالدولة العبرية، ومستقبلها في منطقة الشرق الأوسط، وكانت العديد من اللافتات التي رفعها المتظاهرون ضده في إسرائيل ترفض ما يقوم به من خطوات سياسية تتعلق بعلاقة إسرائيل بمصر، وكان مضمون هذه اللافتات يقول له "لا يا سيد كسينجر" "MR KISSINGER NO".

وكان رد كسينجر على المظاهرات واحداً عندما قرأ لافتاتها، حيث أشار إلى أنه معجب بأن المتظاهرين ما زالوا ينادونه بلقب "سيد"، وأضاف كسينجر أن إسرائيل لا تمتلك سياسة خارجية، وإنما تمتلك سياسة داخلية فقط، معتبرا ذلك من أقوى مؤشرات الخطر على تواجدها في منطقة الشرق الأوسط، كما تنبأ بأن إسرائيل ستدافع عن حق وجودها في تلك المنطقة، بعد عشر سنوات من التوقيع على عملية السلام بينها وبين مصر.

وبحسب كتاب جديد صدر في الولايات المتحدة تحت عنوان "نيكسون وكسينجر.. شركاء في السلطة"، الذي يتضمن العديد من الوثائق السرية، التي كُشف عنها النقاب مؤخراً حول طبيعة الصراع على السلطة بين ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق، وهنري كسينجر وزير خارجيته، ذلك الصراع الذي انتهى بفوز وزير الخارجية اليهودي الذي بدأ يعمل في الظلام للإطاحة برئيسه عقابا له على كلمات قالها ولم يلق لها بالا، وكانت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل هي الحلبة الرئيسية التي دار فيها هذا الصراع. كان نص العبارات التي قالها نيكسون ذات مرة ولم تعجب وزير خارجيته "ليس من العدل أن يتولى شخص يهودي الديانة ملف الشرق الأوسط، لأنه مهما فعل لن يراعي مصلحة الولايات المتحدة، وسيفكر فقط فيما يقول اليهود أنهم عانوا منه عبر التاريخ، لتضع نفسك مكانه.. إنه يفكر فقط في أقاربه الذين صلبوا هناك، وفي الملايين الخمسة الذين تم إحراقهم في أفران الغاز.. ياللهول ماذا يشعر إزاء ذلك".

قضى "روبرت داليك" مؤلف الكتاب أربعة أعوام في فحص تسجيلات المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض خلال فترة إدارة نيكسون، والتي تتضمن ٢٠ ألف صفحة

تحتوي على كل مكالمات كسينجر ونيكسون الهاتفية، التي اكتشف من خلالها أن وزير الخارجية لم يبلغ رئيس الولايات المتحدة بنبأ بدء العمليات العسكرية السورية والمصرية ضد إسرائيل في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، إلا بعد مرور ثلاث ساعات ونصف كاملة، رغم أن إسرائيل كانت قد أبلغته بتعرضها للهجوم فور حدوثه .

وقال الكاتب إن التسجيلات تظهر أن إدارة الولايات المتحدة كانت في تلك الفترة مقسمة فيما بين نيكسون وكسينجر، وهي حالة لم يشهد التاريخ الأمريكي لها مثيلا، كما أن المذكرات الخاصة برئيس طاقم البيت الأبيض في ذلك الوقت "هاري روبنز هولدمان" تكشف هي الأخرى أبعاداً جديدة في الصراع الذي دار في الخفاء بين الرئيس ووزير خارجيته، والذي انتهى بفوز الأخير بالضربة القاضية وكانت عبارة عن فضيحة ووترجيت الشهيرة. لا يزال كسينجر يلعب دورا في اتخاذ القرار السياسي الأمريكي، وهو بحسب الكاتب، اليد الخفية التي دفعت الولايات المتحدة للتهور بشأن الدخول في الحرب على العراق، كما كان داعماً لهذه الفكرة منذ عام ٢٠٠١ .

ويبرهن الكاتب على صحة كلامه بما أورده الصحفي الأمريكي "بوب وود وورد" في كتابه "إمبراطورية الرفض"، الذي أكد فيه أن هناك لقاءات تجمع بين كل من جورج بوش وكسينجر شهرا بعد شهر، وأن لقاءات مماثلة تعقد بينه وبين ديك تشيني شهريا، وأنه نصح الرئيس الأمريكي بإعلان الحرب على العراق، ثم نصحه بعدم الخروج أبدا إلا بعد تحقيق النصر، ويقول الكاتب: ولذلك فإنني أرى أن هذه هي اللحظة المناسبة لتصفح الوثائق التي تم الإفراج عنها حديثا، كيف كانت شخصيته مضطربة ومهزوزة، وكيف استطاع أن يحول الرئيس نيكسون إلى شخص عاجز في أشد اللحظات جدية وخطورة أثناء حرب "الغفران".

وفي مكالمة هاتفية مع رئيس طاقم البيت الأبيض وصف نيكسون وزير خارجيته بأنه "متهور وسريع الغضب ومعتل نفسيا، وأنه ديكتاتور" وقال إنه يشعر بالاضطراب والقلق كلما أمسك الرئيس بسماعة التليفون ليجري أي مكالمة هاتفية، كما أنه يشعر بأنه لا بد أن يكون حاضرا في كل لقاء يجمع نيكسون بأية شخصية مهمة، وكشفت

الأحاديث الهاتفية بين نيكسون وكسينجر أنهما كانا يدركان باستحالة الانتصار في حرب فيتنام، وكان نيكسون يخطط لسحب كافة القوات الأمريكية من فيتنام بحلول عام ١٩٧١ قبل الانتخابات الرئاسية، ولكن كسينجر حذره من الإقدام على هذه الخطوة .

كما سرب كسينجر في شهر يونيو من عام ١٩٧١ صفحات من التاريخ العسكري للبنتاجون في فيتنام لصحيفة نيويورك تايمز، عن طريق مستشاره السابق لشؤون آسيا "دانيال إليسبرج"، وحينما قابل كسينجر الرئيس الأمريكي تظاهر بالحنق الشديد، وقال:" لا أدري كيف يجرؤ هذا الأحمق الحقير على هذه الخطوة -يقصد دانيال- إنني أعرفه جيدا فهو مجنون ودائما ما يكون فاقدا لاتزانه". التسجيلات كشفت عن أن كسينجر كان يصف الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش حينما كان سفيراً لبلاده في الأمم المتحدة بـ"المعتوه" بينما كان يتملق المسئولين الكبار في البيت الأبيض بشكل مستفز، ويقول الكاتب أن الأيام الآن تدور ليبدو كسينجر مرتديا حلة الناصح الأمين لآل بوش، بينما كان هذا رأيه فيهم قبل توليهم مقعد الرئاسة .

وكان نيكسون يلاحظ هذه الصفات التي تتسم بها الحرباء في تصرفات نيكسون، وكان يرى أنه يعاني فعلا من مرض نفسي حقيقي، وأنه في حاجة لمساعدة طبيب نفسي بأقصى سرعة، وقد طلب من رئيس طاقم البيت الأبيض متابعة هذه المسألة وتقديم تقرير طبي عن حالة كسينجر العقلية، وقد أعد هولدمان بالفعل ملفا بهذه المسألة وسلمه لنيكسون. كان الرئيس الأمريكي الأسبق لا يحب المجتمعات اليهودية، ويفسر هولدمان في مذكراته الشخصية غير المنشورة وجود كسينجر في الدائرة الصغيرة المحيطة به، أن هناك شهوة في كوامن نيكسون تدعوه إلى السخرية من كسينجر، والتقليل من شأنه باستمرار، وكان منصب كسينجر يسمح للرئيس الأمريكي بإشباع هذه الرغبة، التي دفع ثمنها غاليا في وقت لاحق، وكان كسينجر يتقبل تلميحات الرئيس الأمريكي المهينة بينما لم تبد على ملامحه أي أمارات للغضب أو حتى التأثر، وفي أوقات كثيرة كان يضحك ملء شدقيه على هذه النكات المخزية وكأنما

كانت الإهانات موجهة لقوم آخرين غير قومه، بل إنه كان يحرص على ألا يحضر اجتماعات الرئيس مع أي من أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي من ذوي الديانة اليهودية .

وذات مرة نصح "ليونارد جيرمنت" مستشار الرئيس لشئون إسرائيل واليهود، بألا يطلب من نيكسون شيئا يتعلق بالمجتمعات اليهودية حول العالم. لم يحاول كسينجر مرة واحدة أن يعبر عن مشاعره الحقيقية لنيكسون، بل على العكس فقد كان محترفا للمداهنة ويحفظ من عبارات الإطراء والمديح ما تمكنه من أن تدير رأس أي مسئول، وقد كان استعماله لهذه المهارة في بعض الأحيان صفيقا ووقحا، وفي إحدى المكالمات الهاتفية التي جرت عام ١٩٧١قال لنيكسون : "إن الشيء المهم الذي يلفت النظر في أسلوب زعامتك أنك لا تصنع الأخبار الصغيرة، فبمقدورك دوما أن تكون نجم العناوين الرئيسية في الصحف، إنك رجل ذو تحركات خاصة تذهل كل الناس".

القدرات الدبلوماسية لدى الداهية.

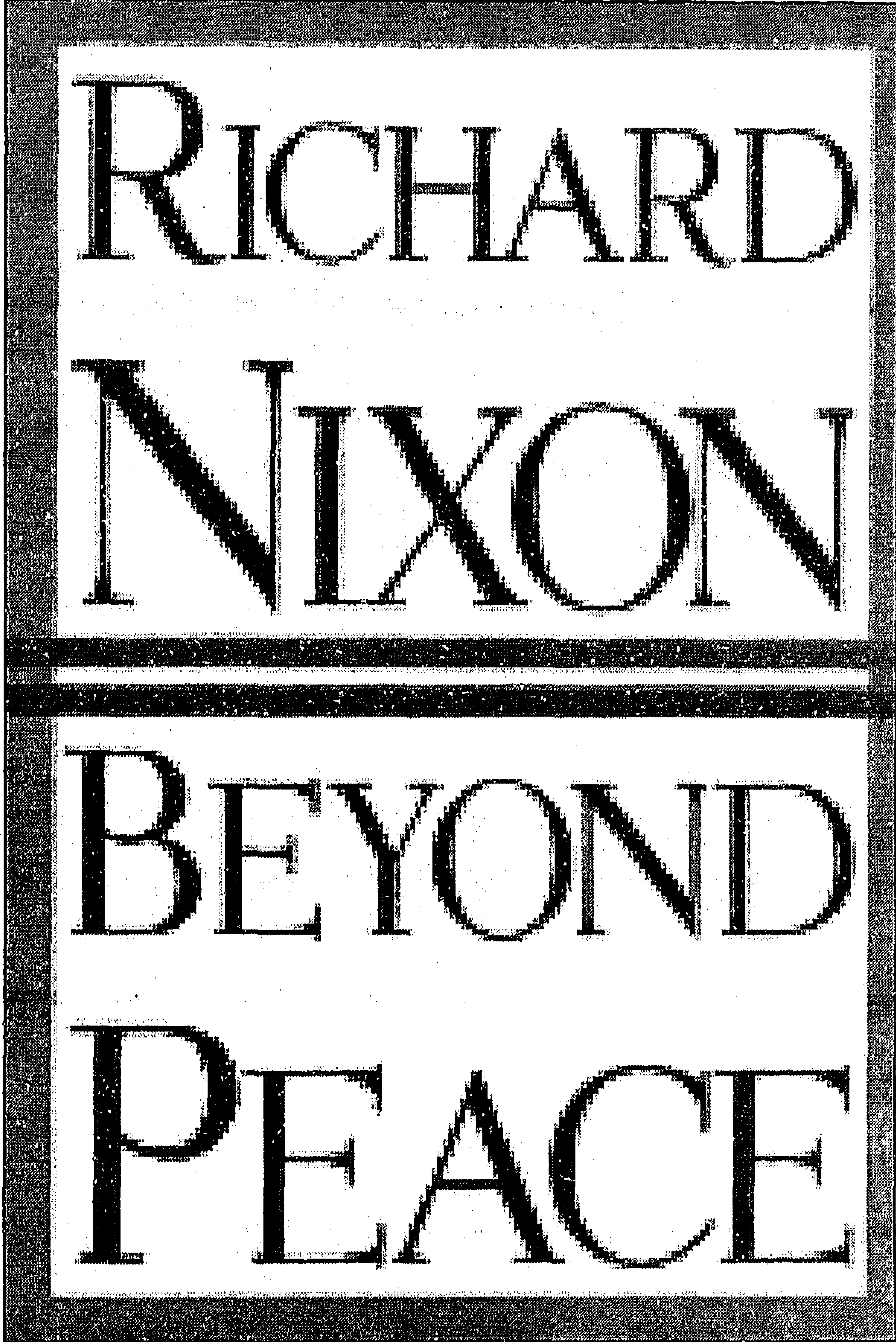
وقد تنازعت نيكسون مشاعر متضاربة في شأن وزير خارجيته، فمن ناحية يريد استغلال قدراته الدبلوماسية، ومن ناحية أخرى لا يريد أن يكون ظهوره مدعاة للتعتيم على صورته كرئيس، وقد كانت هذه الديناميكية هي عنوان العلاقة بين الرجلين، وكان التوازن في البداية محسوم لصالح الرئيس، ولكن بجرعات أكبر من التملق والمداهنة، كانت الكفة تميل شيئا فشيئا لصالح كسينجر، وحينما أعلنت الصين في عام ١٩٧١ استعدادها لاستقبال مبعوث أمريكي لأول مرة، كان كسينجر يحترق شوقا لأن يكون هو هذا المبعوث .

وأخذ نيكسون يداعبه كالدمية مستغلا شوقه لهذه المهمة، مبرزا أسماء مرشحين آخرين، وفي محادثة تليفونية كان كسينجر يرفض مرشحا تلو الآخر فديفيد بروس انخرط في محادثات باريس ولن يعجب ذلك الصينيين، ونيلسون روكفلر ليس منضبطا بما فيه الكفاية، وبعد قليل من التفكير رشح نيكسون "جورج بوش" فرد

كسينجر فورا، إنه شخص ناعم كالفتيات ولا يستطيع أن يتولى مهمة معقدة كهذه، فرد نيكسون، إذن لم يبق إلا... لم يبق إلا.. أنا!! فأصيب كسينجر بصدمة أخرسته لبرهة، فعاد الرئيس يقول له: "أعد التفكير في نيلسون"، ولكن كسينجر كان مصرا على أن يكون هو الفائز، فأشاع في وزارة الخارجية أنه الوحيد القادر على فهم طريقة تفكير نيكسون في السياسة الخارجية، وهو الوحيد الذي يعرف الفرق بين استقبال الروس والصينيين للتحركات الأمريكية، وفي اليوم التالي كان قد قرر أن يتحدث عن نفسه بشكل صريح حينما يتم فتح موضوع زيارة الصين مرة ثانية، وقال لنيكسون في محادثة هاتفية "لا أريد أن أكون مادحاً لنفسي، ولكني أنا الشخص الوحيد الذي يتمتع بالدراية الكاملة لكل مسارات التفاوض" وحينها شعر نيكسون بأنه عذب كسينجر بما فيه الكفاية فقال: "إنني أعرف أنه لا أحد غيرك يستطيع أن يتولى تلك المهمة، إن نيلسون روكفلر يمكن ببساطة أن أضعه كالخاتم في إصبعي قبل أن يدرك ماذا أفعل به" ولم يبذل كسينجر أي محاولة للدفاع عن مستشاره السابق ورد بارتياح "نعم .. نعم.. هذا صحيح". قبل بدء الزيارة تحدث نيكسون لمدة ساعة مع وزير خارجيته محذرا إياه من الدخول في مسائل فلسفية أثناء محادثاته مع رئيس الوزراء الصيني، وأن يكون لطيفا، وحينما كتب كسينجر ملخصا للزيارة لتنشر في الصحف لم يذكر شيئا عن الرئيس، وبالغت الصحف في مديح كسينجر ووصفه بالرجل الذي يعرف آسيا، وبأنه يستطيع الحديث في كل الموضوعات دون أن يدون أي ملحوظات، الرجل الفولاذي المناسب الدمث، الدبلوماسي إلى آخره .

ولكن كسينجر أجرى مقابلة مع مجلة "لايف" وفيها أخذ يمدح في دور نيكسون في هذه الزيارة. كان توجه كسينجر نحو احتلال مساحة أكبر من الأضواء أمرا مقلقا ومستفزا لنيكسون، حتى أنه أعرب عن رغبته أكثر مرة في التخلص منه وإحراقه، ولكن فضيحة ووترجيت لم تمهله الوقت لفعل ذلك، فقد كان في حاجة إليه مدافعا عنه وبذلك يكون ميزان القوى قد انقلب رأسا على عقب، وأصبحت الأمور مهيأة لأن يلعب كسينجر للمرة الأولى دور الرئيس لا دور التابع المتملق، بينما يخضع نيكسون

لكل تصرفاته، وكان وزير الخارجية يتصرف بكل الفخر والانتشاء وكأنما نفخه أحدهم إلى أقصى حد في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتشي بذلك تصرفاته، التي تعمد فيها التكتم وتعمية الرئيس، بل والاحتيال عليه رغبة في تجميع المزيد من السطوة والنفوذ لصالحه، كان الرئيس جريحا حيث كان نائبه "سبيرو أجنو" على وشك الاستقالة، بعد اتهامات بتلقي الرشا، والتهرب من ضرائب الدخل، وكان نيكسون في ذلك الوقت مكسورا دائم التأمل في ذاته مثيرا للشفقة، ومقبلا على معاقرة الخمر بنهم.



كتاب نيكسون " ما وراء السلام " الذي ضمنه بعض ذكرياته مع الحكام العرب !!

CRISIS

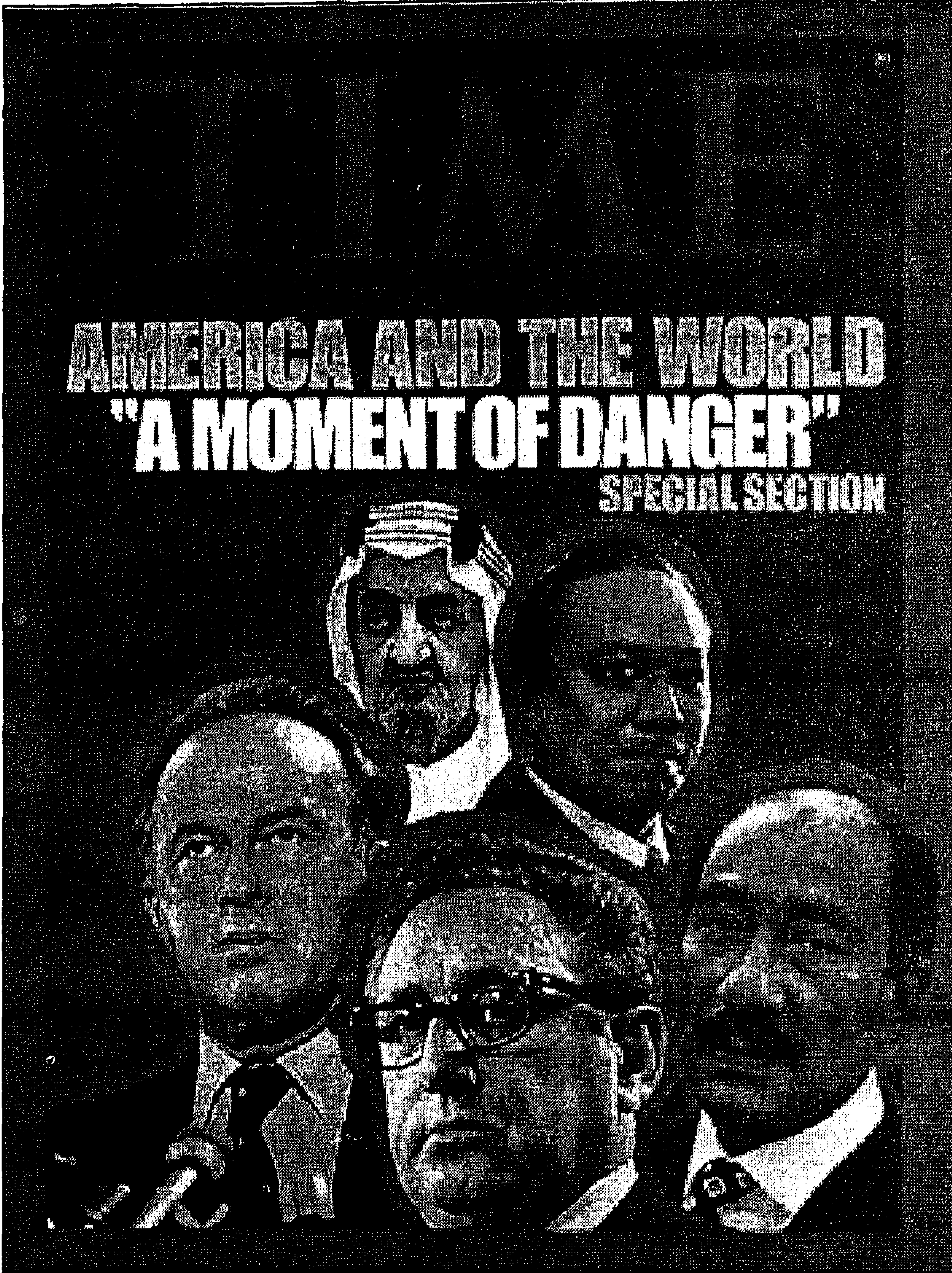
THE ANATOMY OF TWO MAJOR FOREIGN POLICY CRISES

HENRY KISSINGER

كتاب كسينجر " الأزمة " آخر كتبه التي تناول فيها شخصية " السادات " وحرب أكتوبر !!



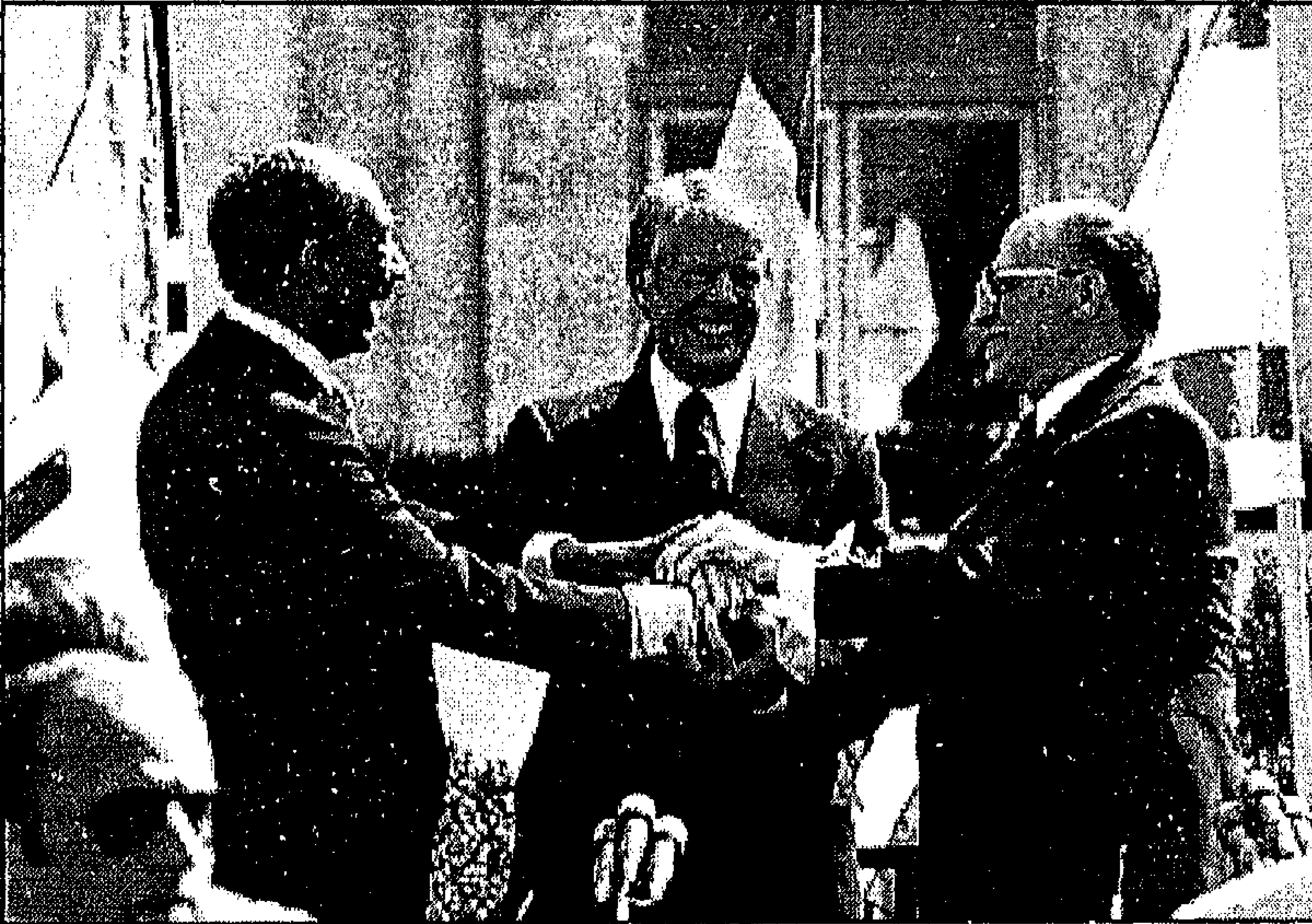
غلاف مجلة تايم الأمريكية حيث رسم كاريكاتيري لكسينجر يحاول جمع السادات وبيجين بعد انتصار أكتوبر حتى ولو للمصافحة .. وتتساءل المجلة : هل السلام لا يزال في متناول اليد ؟!



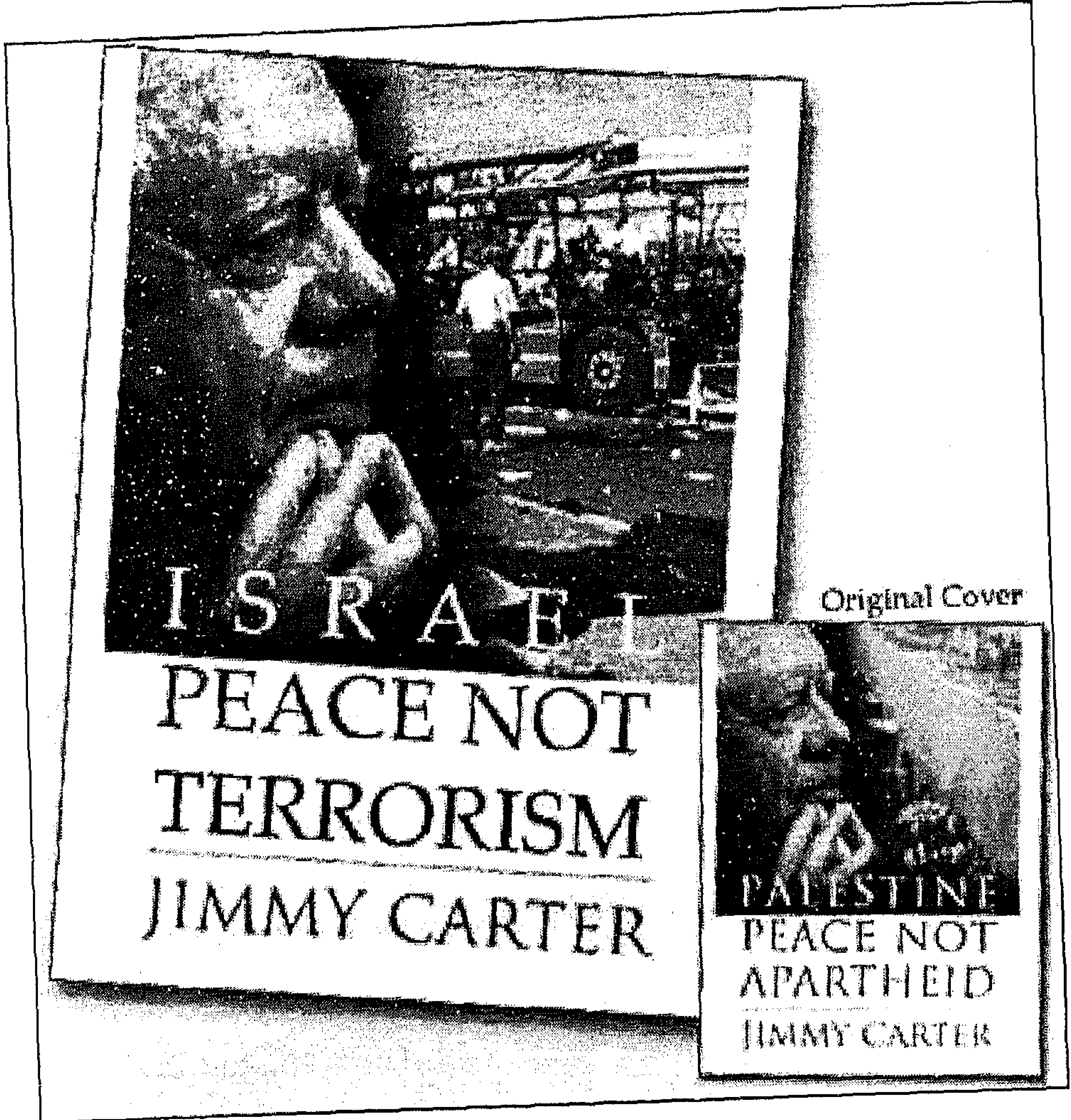
وغلاف لعدد آخر من نفس المجلة يحمل صور عاهل السعودية الراحل الملك فيصل بن عبد العزيز والسادات ورابين وكسينجر والملك محمد الخامس عاهل المغرب الراحل إبان الأزمة!!



كسينجر يطلع نيكسون على تقييمه لشخصية أنور السادات !!



كارتر في اللقطة الشهيرة التي يجمع فيها بين السادات وبيجين بعد توقيع اتفاقات كامبديفيد .



غلاف كتاب كارتر : فلسطين ..سلام لا فصل عنصري " الذي أغضب اليهود، والذي روى فيه الكثيرعن ذكرياته مع الرئيس الراحل أنور السادات، وتقييمه لشخصيته !!

٤ الملك فيصل

نيكسون : فشلت في إقناع

الملك فيصل بوقف حربه النفطية !!

المذكرات الأولى التي تناولت الملك العظيم الراحل هى لأحد أشهر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقين .. وهو " ريتشارد نيكسون " هذا الرئيس الذى عاصر فى ولايته قيام حرب العرب الكبري فى أكتوبر عام ١٩٧٣

تلك الحرب التى تلقت الولايات المتحدة عدة صفعات لا تقل قوة وتأثيرا عن التى تلقتها اسرائيل عبر اتحاد غير مسبوق بين الدول العربية .. اتحاد فى المصالح والرؤى والأهداف

وكان اكتواء الولايات المحدة بنار هذه الحرب من القوة بحيث أطارت صواب قادتها فى ذلك الوقت.

فمع بدايتها اتضح للعالم أجمع .. كيف تمكنت مخابرات دول المواجهة " مصر وسوريا " من خداع المخابرات الأمريكية بكل سمعتها الأسطورية وإمكانياتها العملاقة وتم إخفاء استعدادات الحرب حتى اللحظة الأخيرة

ثم كانت الصفعة الثانية بانحدار وانهيار العدو على الجبهتين بشكل غير مسبوق.. وظهرت فى أيدى الجنود أسلحة كأنها ظهرت من العدم .. نظرا لحداثة هذه الأسلحة فى ذلك الوقت وعلى رأسها صواريخ سام ٦ .. وغفلت مخابرات أقوى دولة فى العالم فى تتبع وصول هذه الأسلحة لمصر وسوريا قبيل الحرب .

ولم تكد الولايات المتحدة تلتقط الأنفاس قليلا إلا وجاءتها الصفعة الكبرى. وتأثير هذه الصفعة فى ضربها لمصلحة أساسية فى قلب الولايات امتحدة .. عندما أصدر الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت وبناء على اتفاق مسبق مع رؤساء دول المواجهة أوامره بإيقاف ضخ البترول السعودى إلى الولايات المتحدة إلى أجل غير مسمى .

ولم تستوعب الولايات المتحة المفاجأة الصاعقة .. إلا بعد تمامها بالفعل .. وأرسل الرئيس السادات إلى الملك فيصل برقية مختصرة مجملة تقديرا لصنيعه الذى لا ينسي قال فيها " أنجز حر ما وعد "

وكانت أياما لم ولن تغيب مشاهدها عن ذاكرة الأمريكيين بعد أن تعطلت الحياة تماما مع توقف ضخ البترول .. وتتابعت التحقيقات المصورة للكارثة من الصحف العالمية وظهرت قوافل السيارات أمام مضخات التموين البترولى العاجزة عن العمل فى مشهد خلد هذه الأيام المجيدة ..

وفشلت جهود "نيكسون" فى إقناع الملك فيصل بالتراجع مع ضمان إنهاء الحرب لصالح دول المواجهة .. وصمم الملك فيصل على أن يأتيه طلب إعادة الضخ من رؤساء دول المواجهة ويقرون فيه أن هذا الطلب للمصلحة العربية المشتركة .

وبعد أعوام من خروج نيكسون من البيت الأبيض .. عقب تفجر فضيحة " ووتر جيت " الشهيرة عام ١٩٧٧

قام نيكسون بكتابة كتابه المشار اليه بعنوان "الفرصة السانحة" وهو عبارة عن مزيج بين الكتاب الفكرى والمذكرت الشخصية .. وضع فيه تصوراته المستقبلية عقب إدلائه بشهادته التاريخية عن الفترة التى قضاها رئيسا للولايات المتحدة.

والذى يعنينا من هذا الكتاب هى الفصول التى أدلى فيها نيكسون - بناء على خبرته -بخصوص الشأن العربي ونصائحه للقادة القادمين من بعده فى شأن هذا الملف .. عقب تجربة أكتوبر ضمانا لعدم تكرارها فماذا قال نيكسون ؟

لن أفرد الفصول التى أعنيها .. فقط سأنتقي عبارة واحدة فقط .. عبارة واحدة فيها الكفاية وزيادة تلخص لنا أى نظرة رعب ينظر بها الغرب إلينا .. ونحن فى غيبوبة عن الإدراك.

عبارة واحدة ذكرت علانية وفى كتاب منشور منذ سنوات طويلة وخضع للعديد من الدراسات كتاب واضح شديد الوضوح فى دعوته .. وليس غامضا طى الملفات السرية.

هذه العبارة في مذكرات نيكسون هى " حاذروا من اتحاد مصالح العرب " .

لم يقل نيكسون حاذروا من اتحاد العرب .. لا بل قصر تخوفه من اتحاد المصالح..

فالرجل لا يتصور أبدا حدوث اتحاد كامل بين العرب ويتخوف فقط من اتحاد المصالح .. وهو الذى شهد له مثلاً حياً فى حرب أكتوبر والفضل للملك فيصل رحمه الله .

اتحاد المصالح هذه، الذى لم يدم شهورا هز الولايات امتحدة هزة لم تنسها إلى يومنا هذا وعلى نحو ركعت فيه لأول مرة أمام الإرادة العربية !!

وهكذا ارتعد نيكسون من موقف الملك الراحل .. وهكذا عبر في مذكراته عن تخوفه من انهيار المصالح الأمريكية وهيبتها الى الأبد إذا اتحدت المصالح العربية كما قال الفيصل !!

وهناك مقتطفات من وثائق سرية أمريكية أخري سمح نيكسون وكسينجر بنشرها وتضمنت مذكراتهما الإشارة إليها، وتغطي الفترة من سنتي ١٩٧٣-١٩٧٤ وتتناول بصفة خاصة عن قرار السعودية بقطع البترول عن أميركا، ثم إعادة ضخه بعد تحقيق المطالب العربية، التي أصر الفيصل عليها .

وكانت السعودية قد تزعمت مجموعة من الدول العربية البترولية الأخرى لقطع البترول عن أميركا بعد بداية حرب أكتوبر سنة١٩٧٣، التي عبرت فيها القوات المصرية قناة السويس نحو سيناء ،التي كانت تحتلها إسرائيل. وانتهت الحرب باتفاقية فك الاشتباك بين البلدين(وهذه مهدت لمفاوضات سلام في كامب ديفد بين مصر وإسرائيل).وإنتهت الحرب أيضا باتفاقية فك الاشتباك بين سورية وإسرائيل.

والوثائق السرية الأمريكية توضح أن قرار السعودية برفع حظر البترول عن أمريكا كانت له صلة وثيقة بضغط أمريكا على إسرائيل للوصول إلى اتفاقيات فك الاشتباك مع مصر وسورية.

برنت سكوكرفت

من: برنت سكوكرفت:مستشار الرئيس نيكسون

إلى: الرئيس نيكسون

الموضوع:اجتماع كيسنجر مع الملك فيصل

التاريخ:٩/١١/١٩٧٣

وزير الخارجية كيسنجر أرسل هذا التقريرعن اجتماعه مع الملك فيصل في الرياض:

قابلت الملك فيصل لثلاث ساعات في القصر الملكي في الرياض ونقلت له الاتفاقية التي توصلنا إليها بين مصر وإسرائيل لتأكيد وقف إطلاق النار على قناة السويس (بعد نهاية حرب أكتوبر).وفرح الملك بما سمع.

ثم شرحت للملك الإستراتيجية التي وضعتها أنت (الرئيس نيكسون) للعمل في المستقبل من أجل السلام ،في حذر وجدية. وفرح الملك بذلك، وأكد لي مرات كثيرة ثقته فيك ،وصداقته لأمريكا...

وتحدثت مع الملك عن تخفيف قطع البترول السعودي عن أميركا ، وقلت له إن تفاقم أزمة البترول في أميركا سيؤثر في وضعك أنت كرئيس (نيكسون)، وسيساعد الجماعات الأمريكية التي تعارض حل المشكلة، وتريد التقليل من مكانتك كرئيس(يقصد اليهود.

وقال الملك فيصل سيسعد بإعادة إرسال البترول الى الأمريكيين ،بل وزيادته ،لكنه قال إن هناك ضغوطا ...وإن كل العرب متفقون على الطلب الأساسي .وهو حل المشكلة بين العرب وإسرائيل....

ويكشف نيكسون عن رسالته التي بعث بها إلى المغفور له الملك فيصل ليخطب وده، بالتأكيد له على أنه يبذل قصارى جهده حتى يحقق المطالب العربية، التي يصر عليها فيصل .. وفيما يلي نص الرسالة :"

البيت الأبيض : ١٩٧٣/١٢/٣

"ياصاحب الجلالة "

الشهران الأخيران شهدا تطورات مهمة في الشرق الأوسط ومهدا لفرصة تاريخية لحل المشكلة وتأسيس سلام عادل ودائم حسب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢..وأنا أتأمل في السنوات الماضية،أتذكر المرات الكثيرة التي كتبت لي فيها عن قلقك عن الوضع في المنطقة ،وعن قناعتك بأننا (الأمريكيين) يجب أن نبذل جهدا أكثر لحل المشكلة.

أنت دائما تقدم لي نصائح حكيمة، وأنا أتذكر الأن ،وألاحظ أن نصائحك كانت مفيدة، وكان يجب اتباعها. والحرب الأخيرة(حرب أكتوبر)، وتأثيرها في علاقتنا مع كثير من أصدقائنا في المنطقة ،أوضحت أن الوضع الذي ظل مستمرا في المنطقة

خلال كل هذه السنوات يجب ألا يظل بدون حل. وزير الخارجية كيسنجر (خلال زيارته إلى السعودية قبل هذا التاريخ بشهر تقريبا) شرح لجلالتكم تصميمي على التحرك في جدية لحل المشكلة العربية الإسرائيلية . وأنا أفعل ذلك لأنه فيه مصلحة أمريكية، ولكن ،أيضا ،بسبب مسؤولياتنا الحقيقية نحو أصدقائنا في المنطقة.

جهودي كانت بدأت قبل الحرب الأخيرة ،ثم زادت بعد الحرب ،ومع نتائج واضحة ،منها اتفاقية وقف إطلاق النار، ثم اتفاقية فك الاشتباك " .

ريتشارد نيكسون

من:برنت سكوكروفت ،مستشار الرئيس.

إلى الرئيس نيكسون.

الموضوع:السعودية تغير موقفها .

التاريخ:٢٠/١٢/١٩٧٣

"وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودي،السقاف،قال لسفيرنا في السعودية إن الملك فيصل قرر الآتي:

أولاً : العرب برهنوا على فعالية كلمتهم.

ثانياً : العالم عرف قدرة العرب على استخدام بترولهم كسلاح فعال.

ثالثاً : بسبب قطع البترول تأثر كثير من الأصدقاء العرب ، وكثير من الدول البريئة التي لا صلة لها بالمشكلة.

لهذا قرر الملك رفع حظر البترول.

وحسب ما قال الوزير السقاف، سينفذ القرار كالآتي:

أولاً : سينقل السعوديون رأيهم هذا الى مؤتمر وزراء البترول العرب بعد خمسة أيام.

(٢٥/١٢/١٩٧٣)

ثانياً : سيقول السعوديون أنك (الرئيس نيكسون) التزمت التزاما حقيقيا بالعمل من أجل السلام وأن الملك فيصل يصدقك في ذلك ،ويتمنى لك النجاح.

ثالثاً : إذا فشلت في تحقيق السلام ،سيقطع البترول مرى أخرى ، وستكون إسرائيل المسؤولة لا الدول العربية.

رابعاً : يتوقع السعوديون أن تؤيدهم الجزائر ومصر وتعارضهم العراق وليبيا. لكن العراق وليبيا خرقتا الحظر ،ولا أهمية لرأيهما .وربما تكون هناك مشكلة بسبب الكويت وأبو ظبي.

خطاب الملك فيصل

من ايكنز ،السفير الأمريكي في السعودية.

إلى:كيسنجر،وزير الخارجية،واشنطن.

الموضوع:خطاب الملك إلى الرئيس.

التاريخ:١٩٧٣/١٢/٢٦

الوزير عمر السقاف.

أعطاني هذا الصباح خطابا من الملك فيصل إلى الرئيس. وأضاف الملاحظات التالية:

أولاً : خطاب الملك ودي ودافئ.

ثانياً : يقدر الملك الدور الذي تقوم به أنت(كيسنجر)والرئيس.

ثالثاً: الفقرة الأخيرة في الخطاب،التي تشير إلى:"سحب عاصفة"ستزول مع بداية العام الجديد،المقصود منها رفع حظر البترول، والعودة إلى مستوى سبتمبر (أيلول) قبل حرب أكتوبر

رابعاً: ربما سيصدر إعلان برفع حظر البترول في الشهر القادم ،يناير(كانون الثاني) بعدما يرى العرب حدوث تقدم نحو السلام. هذا سيكون عند بداية فك الاشتباك بين مصر وإسرائيل أو عند مجرد إعلان الاتفاقية.

خامساً: يريد الوزير الثقاف أن يذكرك(كيسنجر)بأنه تعهد لك بأن يعمل لرفع حظر البترول، اعتمادا على ما تقوم أنت بتنفيذه.لكن الملك فيصل لم يحدد رأيه النهائي،فهو أحيانا يريد رفع الحظر في الحال ،وأحيانا غاضب،ومتشائم

سادساً: الوزير السقاف قال إن الرئيس المصري السادات قال لك(لكيسنجر) أن لا تتوقع رفع حظر البترول قريبا....،

رد كيسنجر

من:كيسنجر وزير الخارجية، واشنطن.

إلى: "ايكنز "،السفير الأمريكي في السعودية.

الموضوع :خطاب إلى الوزير السقاف.

التاريخ:١٩٧٣/١٢/٢٨

عليك نقل هذه الرسالة فى الحال إلى الوزير السقاف:

"عزيزي عمر:السفير أيكنز نقل لي نتائج اجتماعه معك، ومع مسؤولين سعوديين آخرين، حول قرار منظمة الدول العربية المصدرة للبترول(اوابيك)قبل ثلاثة أيام(يوم ١٩٧٣/١٢/٢٥).أريد أن أعبر في قوة عن خيبة أملي ،وحزني.

ويجب أن تعرف أن هذا قرار فيه تفرقة واضحة،لأنه استثنى الولايات المتحدة،وقرر استمرار وقف البترول عنها.لكننا الدولة الوحيدة التي تحاول في جدية الوصول إلى الحل السلمي الذي يريده العرب.

ولكن المؤتمر قرر زيادة إرسال البترول إلى دول لاتقدر على القيام بأي دور لحل المشكلة.

ما حدث وضع الرئيس نيكسون في وضع صعب.

هذه تفرقة واضحة ضد الولايات المتحدة ،لن أقدر على الاستمرار في جهودي من أجل السلام التي شرحتها لك خلال الأسابيع الماضية

خطاب آخر من نيكسون

البيت الأبيض:١٩٧٣/١٢/٢٨

"يا صاحب الجلالة"

كما تعلمون، نحن حققنا أشياء كثيرة في سبيل السلام، مثل وقف إطلاق النار (بين القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس)، وبداية مؤتمر السلام في جنيف .

وكما كتبت لك في الماضي ،نحن ملتزمون بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢،ونحن نعمل في الوقت الحاضر ،على وضع أسس اتفاقية فك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرئيلية.

إسرائيل أرسلت عسكريين إلى جنيف،حيث يجتمعون الآن مع عسكريين مصريين للتفاوض حول إتفاقية فك الاشتباك. ونحن وضعنا ترتيبات لوزير الدفاع الإسرائيلي، موشي دايان،ليزورنا في الأسبوع القادم،لمناقشة اتفاقية فك الاشتباك.

كل هذه إنجازات مهمة تحققت بسبب جهودنا نحن فقط(لا جهود دولة أخرى)

خطاب كيسنجر

من: كيسينجر إلى ايكنز،السفير الأمريكي في السعودية.

الموضوع: خطاب إلى الوزير السقاف.

التاريخ:١٩٧٣/١٢/٣١

عليك نقل الرسالة إلى السقاف بأسرع فرصة ممكنة:

عزيزي عمر:السفير أيكنز نقل لي ما قلت له عن خطاب الرئيس نيكسون إلى الملك فيصل .وأنا أكتب إليك الآن بصفة عاجلة من سان كليمنت(في ولاية كاليفورنيا،حيث المقر الصيفي للرئيس نيكسون)لأنني لاحظت أن هناك سوء فهم لما كتبت أنا في خطابي لك.

خطابي لك كان حسب معلومات شخصية من الرئيس نيكسون،بعدما قال السفير أيكنز أنك قلت للسفير أن الرئيس المصري السادات قال لك إنني قلت للسادات إننا لن نعارض تأخير رفع حظر البترول عنا.أناكنت قلت للرئيس نيكسون إنك وعدت ببذل كل ما تستطيع لرفع حظر البترول عنا ،لهذا نحن حريصون على رفع حظر البترول ....

لهذا، مهما قال لك الرئيس السادات عن رأينا في توقيت رفع حظر البترول ،فإن حديثي مع الرئيس السادات كان مختلفا عما نتحدث عنه الآن....

خطاب آخر من كيسنجر

من : كيسنجر ،وزير الخارجية، واشنطن.

إلى : ايكنز ،السفير الأمريكي في السعودية.

الموضوع: خطاب إلى الوزير السقاف.

التاريخ: ١٩٧٤/١/٩

أرجو نقل هذه الرسالة الشفهية مني إلى الوزير السقاف :

أود أن أبلغ جلالة الملك فيصل أننا سوف نعلن منتصف هذا اليوم خبر سفري ليلة الخميس القادم إلى مصر وإسرائيل لوضع الترتيبات النهائية لإتفاقية فك الإشتباك بين البلدين .وأنا قلت لك ،خلال آخر زيارة للرياض،أنني ساضاعف جهودي في سبيل السلام في الشرق الأوسط بعد الانتخابات في إسرائيل والآن أعتقد أن اتفاقية فك الاشتباك ستكون خطوة مهمة وستمهد لمرحلة جديدة لإجراء تغييرات كبيرة في الوضع الحالي .أنا أعتقد أن إتفاقية فك الاشتباك ستعلن في المستقبل القريب.وفي نفس الوقت ،أريد أن أنقل مسبقا لك، ولجلالة الملك، خبر سفري إلى مصر وإسرائيل لأن التركيز في الوقت الحالي هو على اتفاقية فك الاشتباك.

وبسبب ضيق وقتي، سأقتصر في جولتي هذه على مصر وإسرائيل، ولا أنوي زيارة السعودية ،أو أي دولة أخرى في المنطقة،إلا إذا رأى جلالة الملك أن أزور السعودية.

وفي الختام تقبل تحياتي الشخصية.

رد السقاف

من : ايكنز ،السفير الأمريكي في السعودية.

إلى : كيسنجر، وزير الخارجية، واشنطن.

الموضوع: رد الوزير السقاف

التاريخ:١١/١/١٩٧٤

هذا هو الخطاب الذي تسلمته من وزير الدولة للشؤون الخارجية،السقاف، بالترجمة الإنجليزية التي قامت بها السفارة هنا.النسخة الأصلية سترسل في حقيبة دبلوماسية:

عزيزي هنري:أنا آمل في الخلاص،استمرار جهودكم من أجل السلام في الشرق الأوسط ،مثل نجاحكم في عقد مفاوضات جنيف(بين العسكريين المصريين

والإسرائيليين لتنفيذ فك الاشتباك في سيناء).وأن يكون ذلك بداية انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة.

موقفنا لا يزال هو انسحاب إسرائيل إلى ممر متلا ،في سيناء.وأن هذا يجب أن يكون بداية انسحاب كامل من الأراضي العربية المحتلة.

ومنح الفلسطينيين حق تقرير المصير.ونحن نرى هذا ضروريا لرفع حظر البترول، بعد تهيئة الأجواء في المنطقة.

نحن نعرف الضغوط التي يتعرض لها الرئيس نيكسون من جانب الذين يعارضونه في الكونغرس وخارجه (يقصد اللوبي اليهودي)

ونحن نرى أن سرعة الرئيس نيكسون في الوصول إلى حل عادل لمشكلة الشرق الأوسط ستعجل بتهميش هذه الأصوات المعارضة.....

كيسنجر الغاضب

من : كيسنجر وزير الخارجية.

إلى : اكينز،السفير الأمريكي في السعودية.

الموضوع : خطاب إلى الوزير السقاف.

التاريخ:٢١/١/١٩٧٤

بالإشارة إلى خطاب الوزير السقاف لي ،الذي أرسله عن طريقكم، عليكم إبلاغه الآتي:

أولاً : نحن سنطلب من إسرائيل عدم الانسحاب من الأراضي المصرية حسب اتفاقية فك الاشتباك إذا لم يرفع حظر البترول مع وقت الانسحاب.

ثانياً : إذا لم يرفع حظر البترول سنضطر لوقف جميع جهودنا لتحقيق السلام في الشرق الأوسط

ثالثاً : نحن نفذنا كل ما وعدناكم به.

رابعاً : الآن الدور على السعودية وبقية الدول العربية لتنفيذ ما وعدوا به.

وعليك أن تكون قويا جدا في إبلاغ هذه النقاط للوزير السقاف

خطاب نيكسون

من : كيسنجر،وزير الخارجية،واشنطن.

إلى : اكينز، السفير الأمريكي في السعودية.

الموضوع: خطاب الرئيس إلى الملك فيصل.

التاريخ:٢٤/١/١٩٧٤

عليك نقل هذه الرسالة من الرئيس إلى الملك فيصل في الحال:

يا صاحب الجلالة:

سعدت لما نقل إلى السفير اكينز عن إجتماعه الطويل والمفيد مع جلالتكم يوم ٢٣يناير.

ويسعدني دائما أن نقدر على تبادل الآراء في ظل الصداقة العميقة والقوية بين بلدينا في جو من الاحترام المتبادل ،وأن نقدر على تبادل الآراء عندما تظهر خلافات بيننا وأن نتغلب على هذه الخلافات.

في خطابات سابقة لجلالتكم قلت إن الأحداث برهنت على حكمة نصائحكم عبر السنوات الماضية.وقلت إن حكومتي ملتزمة بتحقيق سلام عادل وشامل في الشرق الآوسط.

وأول إنجازات هذه الالتزام هي اتفاقية فك الاشتباك بين مصر وإسرائيل التي وقعت يوم الجمعة الماضي ،والتي نأمل أن تكون الخطوة الأولى نحو حل نهائي حسب قرارمجلس الأمن رقم ٢٤٢

خطاب الملك فيصل

الرياض: ١٩٧٤/٢/٣

صاحب السعادة الرئيس ريتشارد نيكسون، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، واشنطن:

نحن أبلغنا سفيركم في المملكة العربية السعودية أننا بدأنا اتصالاتنا مع الدول العربية المصدرة للبترول(اوابيك)، ووجدنا أن معظم هذه الدول ترفض رفع حظر البترول عن الولايات المتحدة حتى يتم التوقيع على اتفاقية فك الاشتباك بين القوات السورية والإسرائيلية في مرتفعات الجولان .ونحن فهمنا من الرئيس السوري حافظ الأسد أن السوريين أعطوا وزير الخارجية كيسنجر اقتراحات لفك الاشتباك لكنهم،حتى الآن لم يتسلموا الرد على اقتراحاتهم.

يوم ١٤ فبراير (بعد عشرة أيام) سيعقد وزراء البترول العرب مؤتمرا في طرابلس (في ليبيا)،ولكن مناقشة موضوع رفع حظر البترول لن تكون إيجابية إذا لم توقع اتفاقية فك الاشتباك بين سوريا وإسرائيل .

لهذا نأمل،في قوة،أن تحاولوا تحقيق هذا الهدف قبل اجتماع طرابلس. وأرجو.يا صاحب السعادة،قبول أطيب أماني لكم بالصحة والعافية.

كسينجر : كانت أمنية فيصل

الصلاة ركعتين في القدس !!

أما وزير خارجية نيكسون الأ. هر هنري كسينجر فيعترف في مذكراته بأنه عندما التقى الملك فيصل في جدّه، عام ١٩٧٣، في محاوله لإثنائه عن وقف ضخ البترول، رآه متجهماً، فأراد أن يستفتح الحديث معه بمداعبة، فقال : " إن طائرتي تقف هامدة في المطار، بسبب نفاد الوقود، فهل تأمرون جلالتكم بتموينها، وأنا مستعد للدفع بالأسعار الحرة !؟

يقول كيسنجر : " فلم يبتسم الملك، بل رفع رأسه نحوي، وقال : وأنا رجل طاعن في السن، وأمنيتي أن أصلي ركعتين في المسجد الأقصى قبل أن أموت، فهل تساعدني على تحقيق هذه الأمنية " ؟!

وكان وزير خارجية أمريكا الأسبق كيسنجر في زيارة للملكة .. وقبل وصول الوزير الأمريكي، أمر الملك فيصل بإقامة مخيم في الصحراء لاستقباله .. وأمر بوضع مجموعة من الغنم وزرع نخلة بالقرب من المخيم .. لكي يبين للوزير الأمريكي وللعالم أن السعودية ليست في حاجة إلى الموارد المالية العائدة من تصدير النفط، وأنها قادرة على وقف تصدير النفط، أو حرق آبارها إن لزم الأمر .. وأن السعوديين من الممكن أن يتكيفوا مرة أخرى مع حياة البادية، يرعوا الغنم ويزرعوا النخل" !!

وهكذا يعرض كسينجر في كتابه هذا تجربته في الحكم والإدارة الأميركية مع الرئيس الأميركي نيكسون عندما عمل معه مستشارا للأمن القومي ووزيرا للخارجية، وهي مرحلة من حياة كسينجر تمتع فيها بنفوذ كبير، وقاد الدبلوماسية على نحو مؤثر جعله أهم وزير خارجية في تاريخ الولايات المتحدة.

ديجول : الملك فيصل صحح فهمي القضية فلسطين !!

وإذا كان هذا هو ما قاله نيكسون عن المغفور له بإذن الله الملك فيصل، فلنرى ماذا قال شارل ديجول زعيم فرنسا التاريخي في مذكراته عنه ؟

في لقاء رتبه الرئيس الفرنسي شارل ديجول معه – في محاولة منه لتخفيف عداء الملك لإسرائيل ــــ قال ديجول : " عليكم أن تقبلوا بالأمر الواقع، فإسرائيل لم تعد مزعومة ــــ كما يقول بعض العرب ــــ بل هي دوله قائمة في المجتمع الدولي " .

وعلى الفور كان رد الفيصل . " إذا كنت تطلب منا يافخامة الرئيس، أن نرضخ للأمر الواقع، فلماذا لم ترضخ فرنسا لاحتلال ألمانيا .. لماذا شكلت حكومة المنفى، وكافحت حتى استعدت وطنك ؟!

وبعد هذا الموقف من الفيصل كان ديجول دائماً يردد " الفضل لفيصل، الذي أفهمني حقيقة قضية فلسطين !!"

ويذكرنا ما حدث بما قاله الرئيس أنور السادات حول مواقف الفيصل .. قال : " إن الملك فيصل هو بطل معركة العبور، وسيحتل الصفحات الأولى من تاريخ جهاد العرب، وتحويلهم من الجمود إلى الحركه، ومن الانتظار إلى الهجوم، وهو صاحب الفضل الأول في معركة الزيت ، فهو الذي تقدم الصفوف وأصر على استعمال هذا السلاح الخطير، والعالم ونحن مندهشون لجسارته، وفتح خزائن بلاده للدول المحاربة، تأخذ منها ماتشاء لمعركة العبور والكرامة، بل لقد أصدر أوامره لثلاثة من أكبر بنوك العالم أن من حق مصر أن تسحب ماتشاء وبلا حدود من أموال المعركة"!!

ويعتبر العاهل السعودي الراحل من عظماء العرب القلائل الذين خلدهم التاريخ، وحكام العرب القليلين الذين خدموا بحق أمتهم بعيداً عن الشعارات الرنانة والخطب الطنانة، وبعيداً عن الزعماء الذين أضاع كثيرون منهم أمتهم بغوغائيتهم ومراهقتهم السياسية !!

كان المغفور له ذا باع طويل في السياسة، التي اشتغل بها لما يزيد عن الأربعين عاماً قبل توليه الحكم، حيث انتدبه والده لزيارة بريطانيا وفرنسا نيابة عنه في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأرسله، في عام ١٩٢٦، لزيارة عدد من دول أوروبا الغربية لشرح التطورات السياسية في الجزيرة العربية بعد توحيد الحجاز وضمه إلى الدولة السعودية.

وترأس الملك الفيصل، في عام ١٩٣٥، وفد المملكة العربية السعودية إلى مؤتمر لندن، المعروف بمؤتمر المائدة المستديرة، لمناقشة القضية الفلسطينية. وترأس أيضاً وفد المملكة العربية السعودية ومثلها في التوقيع على ميثاق هيئة الأمم المتحدة في مدينة سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وخلال تلك الفترة، تقلد الملك فيصل عدداً من المناصب القيادية، سواء في عهد والده الملك عبد العزيز أو في عهد أخيه الملك سعود. وعينه والده نائباً له على الحجاز في عام ١٩٢٦، ثم رئيساً لمجلس الشورى في عام ١٩٢٧، ثم أول وزير للخارجية السعودية في عام ١٩٣٠. أما في عهد الملك سعود، فقد تولى الملك فيصل ولاية العهد، وكذلك، رئاسة الوزراء في مرحلة لاحقة.

وينسب إلى الملك فيصل إدخال العديد من الإصلاحات في المجالات المختلفة في المملكة العربية السعودية، ولاسيما على مستويات الاقتصاد، والتعليم، والمستوى الاجتماعي.

وعلى المستوى الإسلامي، فيعتبر الملك فيصل مؤسس رابطة العالم الإسلامي، التي انبثق عنها مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد في ١٨ أبريل ١٩٦٥.

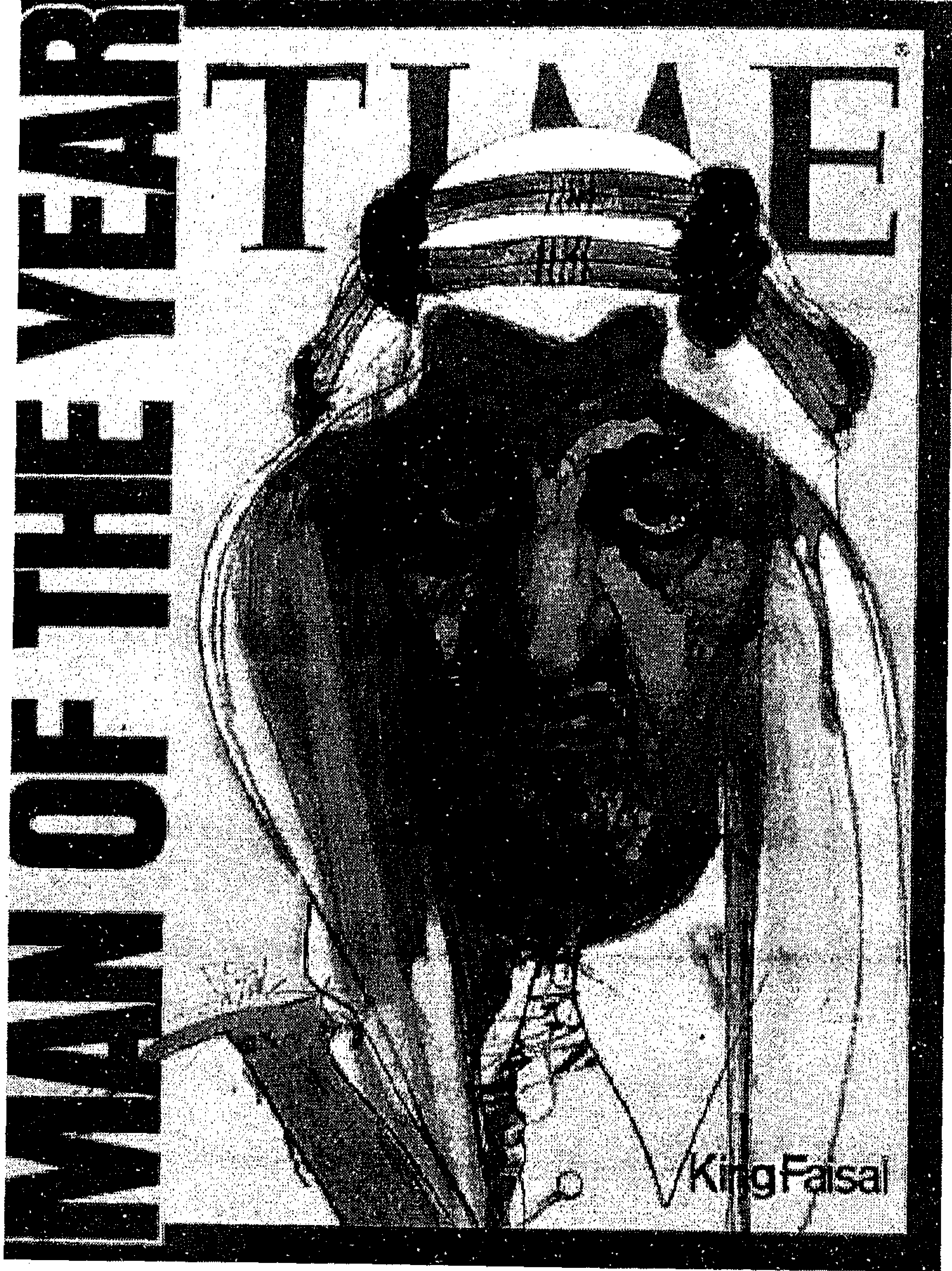
أما على المستوى العربي، فيرتبط ذكر الملك فيصل بدوره المؤثر خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، من خلال استخدامه سلاح النفط لأول مرة في تاريخ الصراع العربي–الإسرائيلي، بقطع الإمدادات عن الدول الغربية المؤيدة لإسرائيل.



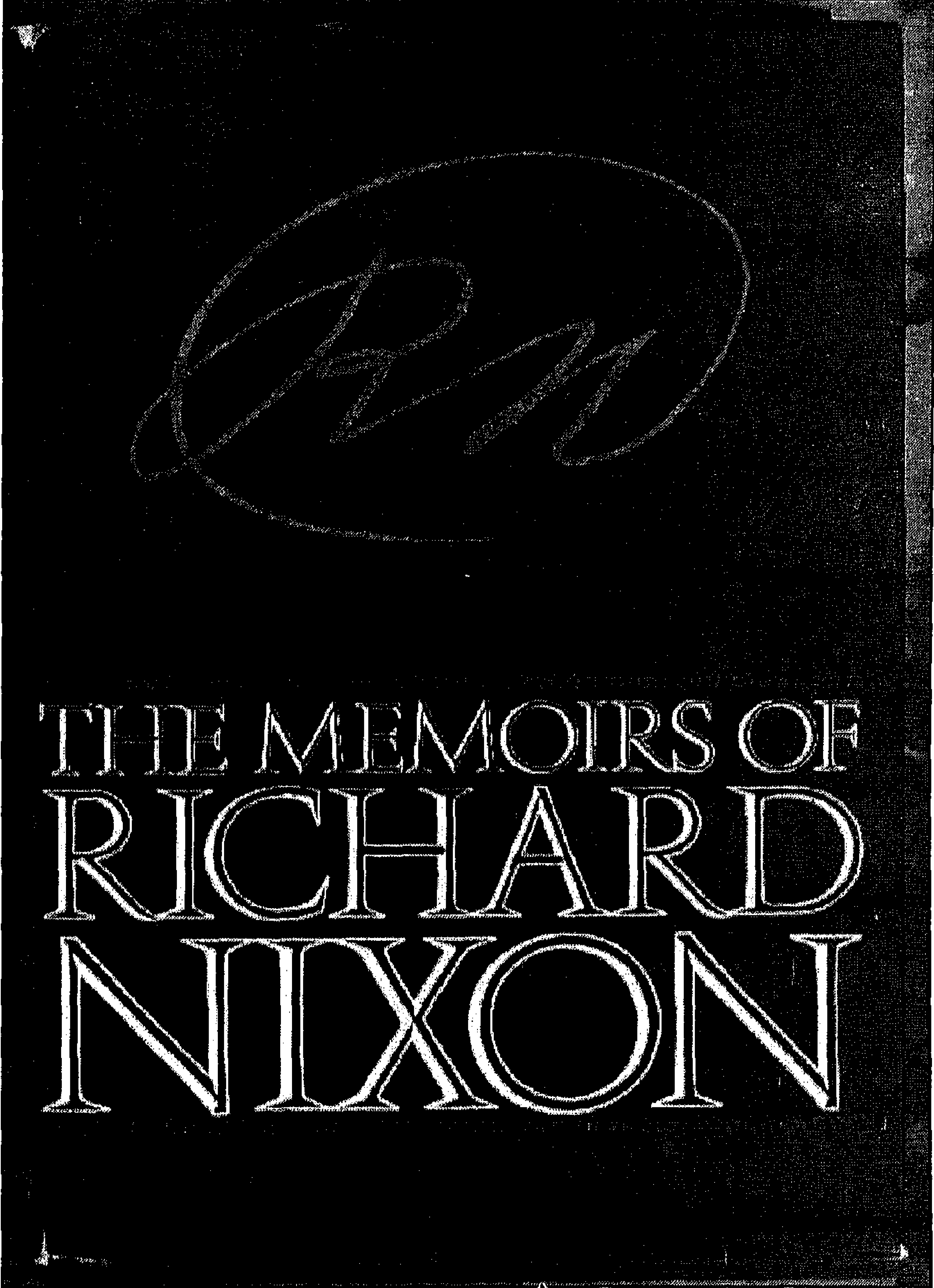
الرئيس الأسبق نيكسون يستقبل بحفاوة بالغة الراحل العظيم الملك فيصل وبينهما هنري كسينجر.



و لقطة أخرى يرد فيصل فيها على تحية حشد من العرب من شرفة البيت الأبيض.



الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز بطل معركة الكرامة على غلاف مجلة "تايم" الأمريكية التي اختارته في عام ١٩٧٣ من بين زعماء العالم كله ليكون شخصية العام.



غلاف مذكرات نيكسون الذي يتناول فيها تجربته مع العاهل السعودي الراحل

في آخر طبعة له .

٥ الملك عبد الله بن عبد العزيز

يعتبر العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز من القلائل من بين الحكام العرب الموجودين على الساحة، الذين يتمتعون بالشعبية والمكانة والاحترام ليس في بلاده فحسب ولكن على امتداد العالم العربي والخارجي أيضاً .

وبمراجعة ما يكتب عن العاهل السعودي بأقلام الزعماء والسياسيين والمؤرخين والباحثين والمفكرين السياسيين العالميين، سنجد أن الجميع يتوقف عند شخصية الملك كزعيم سعودي إصلاحي، يحاول النهوض ببلاده، حتى من قبل أن يكون ملكاً، عندما كان وليّاً للعهد، وكذلك زعيماً عربياً له أسلوبه الخاص، الذي يعتمد على النفاذ إلى لب القضايا العالقة، دون شعارات أو خطابة، ومع التمسك بقوة بالحقوق العربية، دون تنازل، أو تفريط .

ورغم وجود مصالح عربية أمريكية، إلا أن العاهل السعودي يغلب دائماً المصالح العربية العليا عليها، ويعتمد في لغة حطابه مع الأمريكيين على المصارحة، التي لا تخلو من الحزم والتمسك بحقوق العرب وخاصة الفلسطينيين .

ولا أدل على ذلك من اتفاق مكة الذي دعا فيه العاهل السعودي زعماء فتح وحماس للاجتماع في الأراضي المقدسة لوأد الفتنة، والتصالح، ووقف التقاتل بين أبناء الشعب الفلسطيني، ولحقن دماء الفلسطينيين، رغم أن الفتنة أصلاً كانت بأيد أمريكية باستبعاد إدارة بوش لحكومة حماس المنتخبة من أي اتصالات أو مفاوضات سلام، وضرب وحدة الصف الفلسطيني !!

ولد الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في مدينة الرياض في عام ١٩٢٤، ونشأ في كنف والده الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الذي رباه تربية صالحة وأثر فيه تأثيراً كبيراً ، وخصوصاً أنه عاش في عصر تحولات كبيرة من حيث التطورات السياسية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، ثم تسارع الأحداث ، ووقعت الحرب العالمية الثانية، وماكان لها من تبعات وتأثيرات ، وفي ظل هذه الظروف كان الملك المؤسس يضع لبنات الدولة ، ويقودها بحكمة في خضم الأحداث المتسارعة التي تلازمت معها متغيرات فكرية في عقل الإنسان العربي ، وكان لذلك كله أثره في تشكيل شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي عرف منذ صغره بميله إلى البساطة ، وقربة من البسطاء ، وقد اكتسب كثيراً من صفات والده – رحمه الله– كالشجاعة وقوة الإرادة والنبل، والذكاء والفراسة ، والإيمان العميق بالقيم المثلى، وحبه الشديد للخيل والفروسية . وكان تعلقه بالفروسية وراء تأسيسه ناديا خاصا بها في الرياض ، مع تشجيع على الاهتمام بها ورعايتها .

وتلقى تعليمه على يد عدد من العلماء والمعلمين، وكان تعليمه على الطريقة الإسلامية، وهي طريقة الكتاب ودروس العلماء وحلقات المساجد، وغيرها من وسائل الدرس والتعليم ، وتأثر بشخصية معلميه من العلماء والمفكرين والمشايخ الذين عملوا على تنمية استعداده بالتوجيه والتعليم .

واكب الملك عبدالله تطورات الأحداث التي مرت بالمملكة ، وتفاعلها مع محيطها الإسلامي، مما كون لديه ثقافة ومعرفة واسعتين بمجتمعه ، وبالعلاقة العضوية التي تربط بمحيطها الإسلامي والعربي ، لريادتها، والتشريف الإلهي لها بأن جعلها منزل الوحي ، وجعله خادم الحرمين الشريفين .

في عام ١٩٦٤، اختاره الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – رئيسا للحرس الوطني، وكان هذا التعيين مناسباً مع خبرته الواسعة بشؤون البوادي والقبائل ، ومع طبيعته بوصفه فارساً تعلق منذ الصغر بموروثات حياة البادية ، واستطاع خلال سنوات قلائل أن يبرز قيادته ، كما أثبت بعد ذلك كفاءة كبيرة في تطويره الحرس الوطني .

وقد أعاد تشكيله وفق الأساليب العسكرية العصرية ، وأنشأ المدارس العسكرية والفنية ، لتأهيل منسوبي الحرس في مختلف التخصصات ، كما أنشأ المدارس العسكرية التي كانت مهمتها تخريج الضباط .

وقد تحولت هذه المدارس إلى كلية الملك خالد العسكرية ، وأنشأ مدناً عسكرية ، ومجمعات سكنية لمنسوبي الحرس الوطني .

وفي سنة ١٩٧٥ أصدر الملك خالد بن عبدالعزيز – رحمه الله – أمراً ملكياً بتعيين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، إضافة إلى منصبه رئيساً للحرس الوطني .

وفي يوم الأحد ١٣ يونيو ١٩٨٢م بايع الشعب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز – رحمه الله – ملكاً للملكة العربية السعودية ، والأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولياً للعهد .

وفي اليوم نفسه أصدر أمر تعيين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني بالإضافة الى ولاية العهد .

وقد تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عدداً من المناصب ، ومن ذلك :

-رئيس مجلس العائلة .

-رئيس المجلس الاقتصادي الأعلى .

-نائب رئيس المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن .

-رئيس مؤسسة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي .

-رئيس نادي الفروسية .

وإلى جانب هذه المناصب والمسؤوليات ، ظل الملك عبدالله بن عبدالعزيز يؤدي أدواراً عظيمة على المستويين العربي والإسلامي ، داعياً إلى وحدة الصف ، والالتقاء حول مبدأ وحدة الهدف والمصير، بوصف الإسلام رابطاً قوياً يذيب مابين الأمة العربية والإسلامية من فوارق ، كما ظل داعية للسلام الدولي ، من منطلق إنسانية رسالة الإسلام الذي غايته إسعاد البشرية متجاوزاً مابين الأمم والشعوب من اختلاف .

هناك الكثير من كتب المذكرات السياسية التي يكشف فيها رؤساء الدول أو وزراء الخارجية أو غيرهم من الساسة تفاصيل لقاءاتهم السرية التي يسجلونها للتاريخ وفي كل مرة يتكلمون فيها عن الملك عبدالله تظهر لنا صورة الرجل القوي والحازم والصادق والذي يهتم لمستقبل بلده وأمته .

لويس فريه : لا يخضع للضغوط وموقفه مع كلينتون وبوش الأب خير شاهد !!

يروي لويس فريه رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي " إف بي آي " السابق الكثير عن ولي العهد السعودي، وخاصة" موقفه الصلب الرافض لاستجواب محققين أمريكيين للمعتقلين على ذمة تفجيرات "الخبر" في السعودية، التي سقط فيها أمريكيون، وتمسكه الصارم والمطلق بأن تكون التحقيقات سعودية محضة .

ويروي فريه أيضاً كيف لم يستطع الرئيس بيل كلينتون إثناء العاهل السعودي عن موقفه هذا، وكيف أنه بعد لقاءات كثيرة بين ولي العهد وكلينتون انتهى الأمر بأن قبل الأمريكيون على مضض تقديم أسئلتهم لسلطات التحقيق السعودية، التي تستجوب المعتقلين، وتنتظر ما يمكن أن ترد به عليهم !!

وقد خصص فريه رئيس مكتب الـ " إف . بي . آي " السابق فصلاً كاملاً من مذكراته التي صدرت بعنوان : " عندما كنت رئيساً لمكتب التحقيقات الفيدرالي: من تحطيم المافيا إلى التحقيق مع الرئيس بيل كلنتون فخوض الحرب ضد الإرهاب " ، للحديث عن تفجير "الخبر" في السعودية وقصة نشأة حزب الله السعودي وعلاقته بالحدث، وارتباط إيران بالتفجير، كما أن في الفصل نقاشا مهما للخلاف الذي كان مؤثرا بين كلينتون وأعضاء حكومته.

يقول فريه :

" قبل العاشرة مساءً بالتوقيت المحلي بقليل في الخامس والعشرين من يونيو من عام ١٩٩٦، توقفت سيارة من نوع داتسن يقودها هاني الصايغ، وهو عضو بارز في الفرع السعودي لحزب الله ، في الزاوية البعيدة لموقف السيارات الملاصق للبناء ١٣١ في قاعدة الملك عبد العزيز في الظهران، على طول الخليج العربي الغني بالنفط في المملكة العربية السعودية."

وكان البناء المؤلف من ثمانية طوابق، جزءًا من مجمع سكني يعرف بمجمله بـ"أبراج الخبر"، وكان وقتها مأوىً لأكثر من ألفين من القوات الأمريكية والبريطانية، والفرنسية والسعودية، وكان البناء ١٣١ يقطنه حصرياً أفراد القوة الجوية الأمريكية، التي كانت تطبق قرار حظر الطيران، الذي كان يجري تنفيذه في جنوب العراق منذ نهاية حرب الخليج الأولى، وكان مع الصايغ في سيارة الداتسن عبد الله الجَرَش الذي تم تجنيده في صفوف حزب الله السعودي .

وبعد عدة دقائق، دخلت سيارة شفروليه بيضاء ذات أربعة أبواب من نوع كابريس موقف السيارات وانتظرت كي تقوم سيارة الداتسن بإشعال وإطفاء أنوارها الأمامية بسرعة معطية بذلك إشارة واضحة تمامًا. وعندما فعلت سيارة الداتسن ذلك، تبع صهريج سيارة الشفروليه إلى موقف السيارات. وقد تم شراء ذلك الصهريج في وقت سابق من ذلك الشهر من وكيل سيارة سعودي، بمبلغ ٧٥ ألف ريال سعودي تقريبًا، وأخذ إلى مزرعة خارج القطيف، تقع على بعد مسافة عشرين دقيقة أو نحو

ذلك. وهناك تم تجهيزه بحوالي خمسة آلاف رطل من المتفجرات بحيث أصبح قنبلة ضخمة.

وبعدما توقف الصهريج بجوار السياج، تمامًا أمام الحائط الشمالي من البناء ١٣١، قفز السائق، أحمد المغسلي، وهو قائد الجناح العسكري لحزب السعودى وزميله علي الحوري، وهو منظم عناصر أساسي في حزب الله، من الصهريج مسرعين إلى سيارة الشفروليه وانطلقا بسرعة تتبعهما سيارة الداتسن، وكان الرقيب ألفيردو غيرورو يقوم بمهمة الحراسة من على سطح البناء ١٣١ عندما رأى السائق والراكب ينزلان من الصهريج، والسيارتان تنطلقان مسرعتين.

وقام غيرورو وحارسان آخران بإطلاق جرس الإنذار بعدما تأكدوا تمامًا بأنهم كانوا يحدقون بقنبلة في موقف السيارات أسفل منهم، وبعد ذلك نزل غيرورو، الذي بدأ عمله في الظهران منذ شهر واحد فقط، مسرعًا عبر الطوابق العليا من البناء ١٣١ محذرًا الناس بإخلاء المكان مباشرة. وقد أخلى الرقيب القسم الأكبر في طابقين عندما انفجر الصهريج مخلفًا حفرة عمقها ٣٥ قدمًا وعرضها ١٨٥ قدمًا ومدمرًا الواجهة الشمالية من البناء تمامًا.

وقتل تسعة عشر أمريكيًا في أبراج الخبر، ونقل أكثر من ستين آخرين إلى المستشفيات. وقد أصيب ما مجموعه ٣٧٢ عسكريًا أمريكيا في التفجير. وقد كان تفجير الخبر الهجوم الأكثر دموية على مواطنين أمريكيين خارج الولايات المتحدة الأمريكية في ثلاثة عشر عامًا، منذ هجوم أكتوبر عام ١٩٨٣ على معسكرات مشاة البحرية الأمريكية في بيروت، الذي أودى بحياة ٢٤١ من مشاة البحرية.

وربما كان العدد النهائي أكبر من ذلك بكثير. وبسبب السرعة، أوقف السائق الصهريج عموديًا مع البناء ١٣١؛ ولو أوقفه متوازيًا، ووزعت قوة الانفجار على طول واجهة أوسع، فلربما نجم عنه تدمير البناء وبخسارة أعظم في الأرواح.

كنت مع زوجتي مارلين وأطفالنا في زيارة لوالديّ في منزلهم في نورث بيرغن في مقاطعة نيوجرسي عندما وقع تفجير الخبر. وكان الخامس والعشرون من يونيو

١٩٩٦ يوم ثلاثاء، وليس يوم سبت أو أحد، إلا أن اليوم منحنا فرصة نادرة للاجتماع سوياً. وحرصت على أن يكون جدول أعمالي خفيفًا، وبنفس القدر من الأهمية، فلم يبق على دوام المدارس سوى بضعة أيام، وسرعان ما ستبدأ المعسكرات الصيفية والنشاطات الأخرى. اقتنصت وزوجتي مارلين فرصة صغيرة، ولكن سرعان ما بدا كما يحدث غالبًا في الحياة المفعمة بالحركة، أن الفرصة تلاشت تمامًا قبل أن نستغل منها أي شيء. كانت أمي تحضر العشاء للعائلة عندما هاتفني مركز قيادة التحقيقات الفدرالي ليخبرني أن الانفجار قد حدث منذ نصف ساعة. (توقيت السعودية يسبق توقيت الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية بسبع ساعات). لم أسمع قط بأبراج الخبر، ولكن لم يكن ذلك مهمًا. بدأت وزوجتي مباشرة بوضع الأطفال وأمتعتهم ثانية بالسيارة.

كان وليم سيسن، الذي عمل قبلي مباشرة كرئيس لمكتب التحقيقات الفدرالي قد سافر بكثير من التفاصيل الأمنية بما في ذلك صحبة سائق. ربما كان حكيمًا في فعله ذلك؛ فالعالم مليء بالمشاكل. ولكنني كنت نفسي عميلاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي، وواحدًا من المتذمرين، ولم أختر أسلوب الحياة الراقي الذي أعيشه الآن بحكم أنني أدير المكان، ولم أرغب لا أنا ولا زوجتي في أن يكبر أطفالنا معتقدين أنهم في سجن محمي، أو أن عليهم السفر في حراسة كي يزوروا أجدادهم.

كنت أقود سيارتي وحيدًا باتجاه نيوجرسي تيرن بايك، عندما ناقشت الهجوم لأول مرة مع النائب العام جانيت رينو، وهي رئيستي المباشرة، وأول خطوة للتواصل مع إدارة كلنتون. وتحدثت أيضًا مع ما كان يشغل وقتها منصب نائب مستشار الأمن القومي ساندي بيرغر في الساعات الأولى بعد الهجوم.

وكان ساندي، الذي تقلد منصب المستشار الأساسي في السنة التالية بعد استقالة أنتوني ليك، يساعد على تنسيق جهود الاستجابة الأمنية القومية، وكان مكتب التحقيقات الفيدرالي جزءًا هامًا من ذلك. كان خط هاتفي في السيارة غير آمن، وبالتالي فلو كان لدى جانيت وساندي معلومات أكثر مما لدي سلفًا، فما كان

بوسعهما تبادلها معي. كان لدينا جميعًا في تلك الساعات الأولية بعد الانفجار والأشهر التي تبعته، مزيد من الأسئلة وقليل من الأجوبة.

وبعدما ضُربت أبراج الخبر بست ساعات ونصف، وبعدما دُمر المبنى ١٣١ ـ في حوالي الساعة العاشرة مساءً وفقًا لتوقيت الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ـ كنت وزوجتي مارلين ندخل في طريق جريت فولز، في فرجينيا، تمامًا عندما كان بيل كلنتون يعلن للشعب لأول مرة عن الهجوم في خطاب مقتضب من المكتب البيضاوي.

"يبدو أن التفجير من عمل إرهابيين"، قال الرئيس. "وإذا ما كان الحال كذلك، فإنني مثل كل الأمريكيين، أغلي غضبًا بذلك. وينبغي ألا يفلت الذين ارتكبوا هذه الجريمة الشنعاء من العقاب. وخلال ساعات قليلة، سيكون فريق من مكتب التحقيقات الفيدرالي في طريقه للمملكة العربية السعودية للمساعدة في التحقيقات". وختم الرئيس حديثه بترديد نقطة ذكرها آنفًا:" دعني أقول ثانية: سنتابع هذه المسألة" قال ذلك بصوت غاضب:" أمريكا تهتم بمصالح أبنائها. ينبغي على أولئك الذين فعلوا ألا يفلتوا من العقاب". تلك كانت كلمات ووعيد، لن أنساهما أبدًا.

بالنسبة لمكتب التحقيقات الفيدرالي، كان تفجير الخبر بمثابة صرخة للعمل. فقد كانت مسؤوليات المكتب الأساسية وستبقى محلية، ولكن خلال السنوات الثلاث الأولى من عملي كمدير له، كنا نوسع من نطاق مجالنا على مستوى عالمي. فقد توسع نطاق الجريمة والإرهاب وأصبح متعدد الجنسيات، وعلينا أن نفعل ذلك أنفسنا إن كان علينا مواجهته بفعالية ضمن حدودنا. وعلى المكتب أيضًا مسؤولية محددة تتجاوز حدودنا الجغرافية حيث التفجيرات قتلت أمريكيين؛ منحنا ذلك حقًا قضائيًا وعلينا ممارسته بأقصى سرعة.

كان واضحًا منذ البداية أن الهجوم على أبراج الخبر لم يكن حدثًا إجراميًا عاديًا. ولسبب بسيط، لأنه وقع في مكان غير عادي.

وقد اجتمعت المصاعب العادية المتمثلة السماح بالوصول إلى موقع الجريمة على أرض أجنبية وتأسيس صلات متبادلة مع السلطات المحلية. وتلك مهمة ليست سهلة أبدًا عندما تطلب موافقة على أن تطير بعملاء لإجراء التحقيقات في هذه الحالة، كما أن هناك مصاعب تتعلق بوجوب مراعاتنا لخصوصيات القضاء السعودي، ومدى قبولنا عند السعوديين.

كان مستشاري للأمن القومي روبرت براينت، الملقب بـ"الدب"، ينتظرني. وكذلك كان جون أونيل، رئيس قسم برانيت المكلف بمتابعة قضايا الإرهاب، وبعض الموظفين الآخرين برتب مماثلة. (وتسلم منصب رئيس شعبة الأمن لمركز التجارة العالمي في سبتمبر ٢٠٠١ وقُتل في أحداث سبتمبر من العام نفسه، عندما انهار البرج الشمالي.

وفي رأيي، كان براينت أفضل موظف لدينا على الإطلاق، للتعامل مع الحالات المتعلقة بمكافحة الإرهاب والمخابرات. كان صلبًا كالصخر، وذكيًا، وموهوبًا بشكل لا يصدق؛ وكان يهتم كثيرًا بالناس الذين كانوا يعملون معه أكثر من أي إنسان آخر عرفته. ومع حلول منتصف الليل ورحيله، كنا نفكر بالتقارير الاستخباراتية، محاولين صياغة نظريات حول الهجوم.

ومع ذلك، لم تحل أي من تلك المعلومات ما كنا نعتبره جميعًا في الغرفة أكثر الحاجات إلحاحاً، ألا وهو إمكانية الوصول إلى موقع الانفجار.

ويقول فريه : سمح لوفد أمريكي أنا أحد أعضائه لزيارة السعودية وتقديم التعازي للأسرة الحاكمة السعودية وفي مقدمتها العاهل الراحل الملك فهد وولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز . ومع أن الملك فهد احتل الموقع الأكثر تشريفًا بيننا جميعًا، إلا أنه لم يتفوه إلا ببضع كلمات، عدا الترحيب وتقديم عزائه لأسر الضحايا الأمريكيين.، ولكن بدا أن ولي العهد كان يتكلم باسم الملك.

ونيابة عن الجانب الأمريكي، شكرت الملك وعائلته لاستقبالنا، وأكدت لهم جميعًا بأننا هنا لنتعاون سوياً ولكن تحت رعاية المباحث، وذلك النظير السعودي لهيئة

تدمج مكتب التحقيقات الفيدرالي بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وقدمت تعازينا للضحايا السعوديين الذين سقطوا في تفجيرات أبراج الخبر. وكما يحدث في أغلب الأحيان في الأعمال الإرهابية، فإن القتلى كانوا ممن يتابعون أعمالهم العادية في حديقة الطرف المقابل من الشارع الذي يوجد فيه المجمع السكني عندما انفجر الصهريج القنبلة.

وتحدثنا عمن يمكن أن يكون مسئولا عن التفجير ودوافعه. ولم يلمح ولا واحد من الجانب السعودي، أن أعضاءً في خلية إرهابية ثانية لحزب الله، كانوا محتجزين للاشتباه في التخطيط لهجوم مماثل.

بالنسبة لي، أوضحت الموقف الأمريكي بدقة تامة: لا نعلم من هو المسئول ولا نود القيام بافتراضات متسرعة. ولهذا السبب نحن بحاجة لإجراء تحر على الأرض السعودية. ولهذا السبب نحن بحاجة لأقصى درجات التعاون من المباحث والهيئات الأخرى، ولكن تحت سيطرة العائلة المالكة وإشرافها.

وقلت إن أقل ما نتوقعه هو أننا بحاجة لأن يبقى عناصرنا في مكان التفجير في السعودية لشهور قادمة. وعند هذه اللحظة، سمع زملائي الأمريكيون أنني أكرر النقطة كثيرًا، وكانت الساعة متأخرة ليلاً، وكان فريقنا الصغير منهكًا وجائعًا، حيث إن العديد منهم كان على وشك السقوط من على مقاعدهم. إلا أن الجانب السعودي لم يكن كذلك. لقد تعلموا التأقلم مع الحياة في أرض قاسية تحت أشعة شمس محرقة بالعمل ليلاً.

لم تكن الترتيبات مرضية تمامًا. لأنه طالما لم يكن بوسعنا التحقيق مع المشتبه بهم مباشرة، أو حتى الجلوس في غرفة التحقيق أثناء قيام السلطات السعودية بالتحقيق.

ولكن ضمن قيود ثقافة تعتمد السرية والتناقض بشكل عميق، أعتقد أن السعوديين قد فعلوا ما بوسعهم لتلبية أهدافنا. أما ممارسة مزيد من الضغط عليهم كي يتبنوا

مواقفنا، ويقوموا بالتحقيقات كما نراها نحن، فذلك أمر يحتاج إلى ضغط من أعلى الهرم في حكومتنا. ومع انتهاء التحقيقات وبروز مزيد من المعلومات الجديدة إلى السطح، هذا بالضبط ما وجدت نفسي فيه في وضع حرج تمامًا: ليس على نصف الكرة الثاني في صحراء شبه الجزيرة العربية، ولكن في وطني على بعد عدة مبانٍ من بنسليفيا أفينو، دعني أوضح:

وعندما أجريت محادثات جدية لأول مرة مع ساندي بيرغر حول كيفية معالجة التفجير. قلت لنائب مستشار الأمن القومي وقتها، إذا ما سارت الأمور وفق المألوف، فإنني أتوقع أن توكل إلينا مهمة التحقيق الجنائي؛ كان ذلك واجبنا القانوني. فلدينا الإمكانيات والمواهب للقيام بالمهمة، والإرادة في تنفيذ ذلك. وعلى القدر نفسه من الأهمية، فقد حصلنا على موافقة السعوديين كما رغبنا تقريبًا لأن يكونوا في المقدمة. إلا أن الأمور كلها لم تكن وفق المألوف. كان ذلك واضحًا.

لقد طلب مني بيل كلنتون تولي منصب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي منذ ثلاثة أعوام، ولكنه مع بداية صيف ١٩٩٦، بدأت العلاقات تسوء بيني وبينه، ربما كنت في نظر كلنتون أشبه ما يكون بخادم الكاهن في كنيسة، ربما لأنني لا أكترث بالفروقات الدقيقة في العمل السياسي.

وبغض النظر عن السبب الذي أدى إلى زرع الإسفين بيننا، إلا أن التوتر كان سرًا معروفًا فقط للدائرة الضيقة من الإدارة. كان ذلك أيضًا في حساباتي عندما حاولت توضيح موقف المكتب من التحقيقات في تفجير الخبر: لقد سقط اسمي من القائمة الأهم في شارع بنسلفينيا آفينو رقم ١٦، إلا أن ساندي بيرغر يعلم كل ذلك، وكان واضحًا في إجابته في كل مرة طرحت الموضوع معه: موقف الرئيس جليّ تمامًا من القضية، يقول لي: يريد منك أن تقوم بالتحقيقات، وقال للسعوديين ذلك. مكتب التحقيقات الفيدرالي هو المسئول، ولويس فريه هو المكلف. لقد طمأنوني أن المكتب يحظى بدعم الرئيس وتعاونه الكامل في هذه القضية. أتذكر هذه العبارة بدقة، لأن الإدارة مازالت ترددها حتى بعد ثلاث سنوات: "سنقلب كل حجر" في السعي لإلقاء

القبض على القتلة وتقديمهم ليد العدالة. والمصيبة كانت أن فعل الإدارة لم يرتق إلى مستوى أقوالها.

لقد سافرت مرتين إلى المملكة العربية السعودية خلال الأشهر التالية بعد زيارتي الأولى.

وفي مايو من عام ١٩٩٧، وفيما يُعد أول اختراق كبير في الحادثة، ألقت السلطات الكندية، وهي تعمل وفق معلومات استخباراتية من السعودية على سائق الداتسن في تفجير أبراج الخبر، هاني الصايغ. وأنكر الصايغ الذي كان يعيش في كندا منذ آب ١٩٩٦م بجواز سفر مزور أي دور له في الهجوم، ولكنه اعترف في أيار من العام نفسه أثناء التحقيق معه في مركز اعتقال في أتاوا من قبل مساعد قاضي أمريكي والعديد من موظفي مكتب التحقيقات الفيدرالي، أنه كان مرة عضوًا في خلية حزب الله التي نفذت الهجوم. وقال إن الحرس الثوري الإيراني جنده في الخلية، واشترك في عمليتين أشرف عليهما العميد في الحرس الثوري أحمد شريفي.

لا يمكن لإنسان أعمى أن تفوته الخطوط الأساسية، ولكن لبناء نقاط الوصل ووضع النقاط على الخروف، كنا نحتاج لإذن يمكن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من الجلوس مع السعوديين والمساعدة في إجراء التحقيقات مع المشتبه بهم، المعتقلين لدى السعودية. وقيل لنا مرارًا وتكرارًا، إن ذلك لن يحدث إلا إذا نجح الرئيس نفسه ومساعدوه في الحصول على موافقة ولي العهد الأمير عبد الله لتحقيق ذلك.

كان الاهتمام في البيت الأبيض، ووزارة الخارجية الأمريكية في فوغي بوتم، رغم ذلك، في اتجاه آخر. تم انتخاب محمد خاتمي في مايو من عام ١٩٩٧ رئيسًا لإيران خلفًا لرفسنجاني. إن مصطلح "معتدل" مصطلح نسبي في بلدٍ قيادته متطرفة كإيران؛ ولكن بالنسبة لفريق كلنتون المتخصص في السياسة الخارجية، بدا خاتمي أفضل أملٍ للتحرك لتطبيع العلاقات بين البلدين، وسرعان ما اتضح أن التحقيقات في تفجير أبراج الخبر، لن تكون عاملاً مساعدًا في ذلك الاتجاه.

لم يرسل مكتب التحقيقات الفيدرالي تقارير إلى وزارة الخارجية، ولكنا كنا بحاجة إلى موافقتها لإرسال عملائنا إلى هناك. وفجأة، أصبح الحصول على الموافقات أصعب مما كان. وكانت وزارة الخارجية تطاردنا الآن على جبهة أخرى. لقد بدأنا أخذ بصمات وصور لكل عناصر الفرق الرياضية التي أرسلتها إيران إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وتعليلنا كان بسيطًا: كان ضباط المخابرات دائمًا تقريبًا منخرطين في الفرق. سيأتون إلى هنا، ويقومون باتصالاتهم، ويتأكدون من بعض المعلومات، ويعودون إلى بلدهم طهران، حيث يودعهم بعض ضباط الاتصال في وزارة الخارجية، ملوحين بأيديهم متمنين لهم سلامة الوصول. كنا نعتقد أن أخذ البصمات والصور سوف يحد من تلك الممارسات، وفي الواقع حصل ذلك، إلا أنها أيضًا أثارت غضب الإيرانيين؛ وتفاقم الغضب حتى وصل إلى البيت الأبيض، الذي أصدر تعليماته لنا بالتوقف عن ذلك.

قلت لمادلين أولبرايت، التي خلفت وارن كرستوفر كوزيرة الخارجية، إن ذلك ليس فكرة جيدة. وأجابتني: " إن الإيرانيين يشكون" ؛ قلت لها: "سيشكون بالطبع"، "وتلك هي النقطة الهامة"، ولكن من دون فائدة. وفيما بعد أخبرنا مارتن إندك، الذي كان يشغل منصب مساعد وزيرة الخارجية للشرق الأوسط، أن الرئيس كان غاضبا جدًا، ولكن كنت قد تعودت على الأمر.

وهذا لا يعني أن العديد من الشخصيات المهمة والمتفانية في واشنطن، لم تقدم أقصى خدماتها في قضية تفجير الخبر. وفي هذا السياق، ينبغي ذكر بورتر غوس وآرلين سبيكتر على وجه الخصوص، اللذين لم يدخرا جهدًا في مساعدتي، وشجعوني على متابعة التحقيق إلى نهايته، بغض النظر عن التكلفة السياسية. لكن ذلك، كان يأتي من الكابيتول هيل. كنا بحاجة أن يكون الفرع التنفيذي بجانبنا أيضًا.

كانت وزارة الخارجية على الأقل شفافة في محاولتها الحؤول دون نجاحنا مع السعوديين حول تفجير الخبر. أما البيت الأبيض، فكان أكثر ضبابية، وبالتالي مثيرًا للغضب. كنا نحصل على وعد بأن الرئيس أو آلغور على وشك مقابلة ولي العهد الأمير

عبد الله أو أحد الأمراء الكبار من العائلة الحاكمة؛ كنا نقوم في الحال، باعتبار أننا أشعرنا بذلك مقدمًا، بإعداد قائمة بالنقاط الواجب مناقشتها، والتي تؤدي بالتالي إلى طلب مزيدٍ من التعاون مع تحقيقاتنا؛ ونأخذ تلك القائمة إلى ساندي بيرغر، الذي كان يشغل وقتها منصب مستشار الأمن القومي، وهو الرجل الواجب علينا مخاطبته في مثل هذه القضايا؛ وكان ساندي يؤكد لنا أن الحصول على آلية تمكننا من الوصول إلى الشهود السعوديين، هي واحدة من أولى أولويات الرئيس (أو نائبه)، وهو متأكد من أن الرئيس سيثيرها مع الجانب السعودي.

وبعدها كنا ننتظر، وننتظر، ولا شيء يحدث.

"ألم يحن الوقت". كنت أسأل "ساندي؟".

"آه، لقد حان الوقت"، كان يؤكد لي، "ولكن في سياق آخر". ماذا كان يعني ذلك. وفي الوقت ذاته كان الأمير بندر، الذي بدأت أزعجه حول فرص الحديث بهذه القضية، يهز رأسه في المرة التالية التي ألقاه بها، ويتساءل لماذا لم يقم الرئيس كلنتون أو نائبه آل غور بطرح المسألة على شكل أمرٍ ملحٍّ مع القيادة السعودية.

وبعد ذلك، وفي عام ١٩٩٧، تحركت وزارة العدل، التي توظفني، لإسقاط التهمة التي حصلنا عليها من هاني الصايغ، الذي ألقي القبض عليه في كندا. الأسباب كانت معقدة، فقد كان الصايغ بمثابة مشكلة عويصة. لقد بدّل أقواله أكثر من مرة. وبما أننا أصبنا بالإحباط في محاولتنا مقابلة أعضاء الخلية المعتقلين في السعودية، فلم يكن لدينا شاهد يدعم أقوالنا ضد الصايغ، حتى لو استطعنا الحصول منه على اعتراف. وبما أنني محام، كنت أفهم كل ذلك. ولكن كان الصايغ بمثابة رأس الخيط بالنسبة لنا؛ وما شاهدته من موقف احتفالي في البيت الأبيض، للتخلص منه كان له وقع حزين في نفسي.

وبعد ثلاثة أشهر، وفي الحادي عشر من كانون الأول عام ١٩٩٧، قابلت في أكاديمية تدريب عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي في كوانتيكو، فرجينيا، عائلات

أولئك الذين قتلوا في تفجير أبراج الخبر. كان الدافع وراء عقد اجتماع كوانتيكو بسيطًا. فقد مرَّ عام ونصف تقريبًا على هجوم الظهران، ولم تخصص لا وزارة الدفاع ولا وزارة الخارجية وقتًا حقيقيًا لإطلاع عائلات ضحايا الخبر على ما تم إنجازه. كانت عائلات الضحايا قلقة جدًا، وذلك أمرٌ مفهوم.

لم نستطع إعادة أحبائهم لهم، ولكن كان بوسعنا إخبار الآباء والأمهات، الزوجات والأزواج، الإخوة والأخوات، المخطوبات والأطفال، أننا لم ننس موتاهم. دعوت ساندي بيرغر لينضم إلينا ويوضح وجهة نظر مكتب الأمن القومي الأمريكي، ولكنه اعتذر؛ وكذلك فعلت كل الشخصيات الكبيرة في البيت الأبيض. ولبى الدعوة كل من جانيت رينو من وزارة العدل، وبيل كوهين السناتور الجمهوري السابق عن مين Main، الذي حلَّ مكان ليس آسبن كوزير للدفاع. ما زلت ممتنًا لكليهما، كانا داعمين وشريفين، وكان حضورهما موضع تقدير واحترام كبيرين.

استمرت اللقاءات ثلاثة أيام؛ وكنت هناك طوال الوقت ومع كل وجبة: صباحًا، وظهرًا وليلاً. جلبنا مجسمًا للبناء ١٣١ وللحفرة، كي نشرح كيف حدث الانفجار، وعرضنا صوراً للمشتبه بهم الذين استطعنا التعرف عليهم حتى تاريخه. لم يكن عليَّ أن أخبر هؤلاء الناس أن السعوديين كانوا غير مبالين بتزويدنا بالمعلومات.

وعندما طلبت مني العائلات أن أعدهم بأن يستمر مكتب التحقيقات الفيدرالي بتحقيقاته، وأن يفعل كل ما في وسعه لإحقاق الحق، أقسمت لهم بأننا سنقوم بذلك، وكما كتبت آنفًا، كانت تلك دائمًا بمثابة الجائزة أمامنا. وعندما سألتني امرأة، وهي أم لرقيب أول، عمره خمس وثلاثون عامًا مات في الانفجار، لماذا سمحنا للسعوديين بحجب المعلومات عنا، ومنعنا من الوصول إلى المشتبه بهم، أخبرتها بأنني رجل أمن، ولست سياسيًا. لقد قصدت الاثنين، إلا أنني تعاطفت إلى درجة كبيرة مع إحساسها بالخذلان من وطنها، بعد أن ضحى ابنها بنفسه من أجل أمريكا.

لم يطلب منا البيت الأبيض أبدًا الانسحاب من متابعة القضية، ولم يخبرنا أبدًا بأن الإدارة كانت تطرق أبوابًا أو سياسات أخرى لتحقيق الأغراض نفسها؛ ولم تقل

لنا توقفوا أبدًا. وإلى أن يقولوا، فلن نأل جهدًا أو نتقاعس في المهمة، لقد قلعت أسناني كعميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي، عاملاً على تحطيم أكبر العائلات المشرفة على الجريمة المنظمة وتمويلها في أمريكا. ولاحقًا، عندما عملت كمساعد ونائب للمحقق العام في أمريكا، حاكمت مافوسو، الذي كان يقتل الناس لمجرد التسلية تقريبًا. وكقاضي فيدرالي، لقد شاهدت ما يحدث عندما لا تكون الحكومة مخلصة مع الشعب الذي تحكمه. قد نتخلى عن حكم قضائي مقابل شهادة تمكننا من الحصول على حكم أكبر؛ ولكن لم نهرب أبدًا من الجريمة. والآن نطوي الصفحة على جريمة قتل فيها تسعة عشر أمريكيًا لأنه اتضح فجأة أنه من غير المناسب متابعة القضية. ومع ذلك، فكل الدليل الذي بوسعي مشاهدته يوحي أن ذلك هو بالضبط ما كنا نفعله.

ومع نهاية عام ١٩٩٨، كان بيل كلنتون يحاول التقرب من الإيرانيين، وكان يجد نفسه في وضع غير مريح بشكل متزايد داخليًا. كان كين ستار يطارد الرئيس، وقد أصبحت مونيكا لونسكي، ربما أكثر موظفة داخلية شهرة في تاريخ البيت الأبيض، في الوقت الذي أصبح فيه تفجير الخبر يطويه النسيان شيئًا فشيئًا.

ومع حلول الصيف، تقلص عدد عملائنا الموجودين في السعودية من عدة دزينات إلى مجرد ملحق قانوني وحيد. وفي أحد الاجتماعات أتى ساندي بيرغر على ذكر السبعة عشر شخصًا الذين قتلوا في الانفجار. قلت له "على رسلك"، لقد قتل تسعة عشر وليس سبعة عشر. قلتها مواربة دون أن أثقلها بالوزن الكامل للإحباط المرير الذي لا يطاق، الذي كنت أحس به، وأعتقد أنني نجحت بذلك، لأن كل واحد من الحضور تلقى تصويبي بآذان صاغية. بالنسبة لهم إنه لويس بمفرده، الذي ما زال يشكل مصدر إزعاج مستمر بخصوص تفجير الخبر.

وعليَّ أن أقول في هذا المقام، إنه بما أن اسم ساندي بيرغر، كان بارزًا في هذه القصة حتى الآن، إنني لا أكن له أي ضغينة على مستوى شخصي. كان دائمًا مثال الرجل المحترم، وكان أعضاء المكتب يحترمونه، كما أنا. وعلى غير شاكلة الكثيرين من موظفي البيت الأبيض، كان دقيقًا في مواعيده أيضًا، فلو قال ساندي بأنه سيعقد

اجتماعًا في العاشرة صباحًا، فمن المؤكد أنه سيعقده في العاشرة؛ ويساوي ذلك ذهبًا في واشنطن بالنسبة لي.

إلا أن ساندي، قدم من جانب حملة كلنتون السياسي: كان جزءًا من الحملة الانتخابية. وحتى عندما كان نائبًا لمستشار الأمن القومي، كان يجلس في الاجتماع السياسي الذي يعقده البيت الأبيض مرة واحدة أسبوعيًا، وما كانوا يناقشون السياسة الخارجية. وعلى غير شاكلة سابقة، توني ليك، الذي كان يتمتع بخلفية أكاديمية مهنية طويلة في القضايا الخارجية، كان ساندي محامي الجوانب التجارية لشركة هوغان وهارتس العملاقة في واشنطن.

أرجو ألا تفهموني خطأً: كان لدى ساندي اهتمام مختلف في السياسة الخارجية، كنت متأكدًا من ذلك، إلا أن العدسات التي بدا أنه كان يرى كل شيء من خلالها، كانت السياسات التي تضمن إعادة انتخاب بيل كلنتون، وفيما بعد، الاحتفاظ بأسطورته لضمان بقاء الديمقراطيين في سدة الرئاسة. وكان يعني ذلك من بين عدة أشياء، عدم القيام بالواجب الأكمل اتجاه حاجات عائلات ضحايا تفجير الخبر، أو كما تراءى لي على الأقل. ولكنني لم أستنفد كل الفرص بعد.

في سبتمبر من العام نفسه، زار ولي العهد السعودي الأمير عبد الله واشنطون. تصورت أن الزيارة كانت آخر فرصة بالنسبة لنا. قمنا مرة ثانية بتحضير النقاط الواجب مناقشتها للرئيس. ومرة ثانية اتصلت بالأمير بندر سفير الرياض أطلب منه أن يسعى لدى ولي العهد كي يخفف موقفه، عندما سيطرح الرئيس كلنتون. أو آل غور، لم أعد أكترث الآن بمن سيقوم بذلك. القضية عليه وبالضغط المطلوب. ومرة ثانية لم يحدث أي شيء. وقد أكد ساندي بيرغر لاحقًا أن الرئيس ضغط كثيرًا على الأمير عبد الله طلبًا للتعاون؛ ولكن لم تكن هناك استجابة.

وحدث مرة في إحدى المكالمات الهاتفية في أيام أيلول الأخيرة من عام ١٩٩٨، أن الرئيس السابق ذكر صدفة أنه سيلتقي ولي العهد السعودي الأمير عبد الله في ذاك السبت. قلت له: " أرجو لا تؤاخذني على سؤالي، عن ماذا تتحدث معه؟"، أخبرني

الرئيس بوش الأب، أنها كانت زيارة خاصة. فمع مرور السنين عرف كل الآخر بشكل جيد. وكان الأمير عبد الله مارًا بواشنطن ثانية في هذه المرة في طريقه إلى هواي. وكانا سيلتقيان في قصر الأمير بندر في مكلين.

"حسنًا" قلت: هلا نقلت طلبًا باسمنا له إن لم يكن لديك مانع بالطبع؟"، أجابني: "بالتأكيد". قلت: نحاول إمكانية الحصول على موافقة تمكن عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي من مقابلة المعتقلين بحادثة تفجير الخبر. فلو سمع ولي العهد الطلب منكم، أعتقد أن ذلك سيكون فعالًا".

تأكدت بأنني كنت مخلصًا مع الرئيس بوش الأب. فلم يكن لدي أية نية في استخدامه ليقوم بشيء من خلف ظهر خليفته، دون أن يكون على علم بالقصة تمامًا. قلت له إننا في مأزق. إننا نحاول حتى الآن نقل موقفنا إلى السعوديين على أعلى المستويات كي نحقق خرقًا، ولكن في كل مرة يبدو فيها أنني تلقيت تأكيدات من المستويات الأعلى في إدارتنا من أن القضية ستُطرح مع الناس المعنيين في الوقت المناسب، لا يحدث ذلك مطلقًا. يمكن لمساعدتك أن تساهم في حل هذه المشكلة، ولكن لا أريد أن أضعك في موقف حرج. لم أكن أبالغ حول تلك النقطة الأخيرة، لم أبالغ أبدًا؛ ولكنني شعرت بأنني فقدت الخيارات الأخرى لتحقيق الوعد الذي قطعته على نفسي منذ سبعة وعشرين شهرًا، عندما كان الغبار مازال يغطي ما تبقى من البناء ١٣١.

وعندما وافق الرئيس السابق، مما أسعدني، كتبت النقاط التي ينبغي إثارتها وأرسلتها عبر البريد المصور له. وبعد ذلك جلست منتظرًا، ولكن ليس لفترة طويلة. قال لي بوش عندما هاتفني في أصيل ذلك السبت "لقد طرحتها عليه، ويبدو أنهم مهتمون بالأمر، وأعتقد أنك ستسمع منهم". لقد سمعت صباح الاثنين من الأمير بندر. قال لي: "لوي، هل يمكنك أن تأتي إلى هنا، وتتحدث إلى ولي العهد".

بعد عدة ساعات، وفي ٢٩ سبتمبر من عام ١٩٩٨م، كنت أدخل بوابات قصر الأمير بندر ثانية، وفي هذه المرة بصحبة دال واتسن، رئيس قسم مكافحة

الإرهاب في مكتب التحقيقات الفيدرالي، ووايش فاولر، السفير الأمريكي لدى السعودية وقتها وبدافع الاستقامة والتفاني، كان فاولر يعرض مستقبله للخطر بتحديه البيت الأبيض، القيام بالشيء الصحيح حول هذه القضية. وكان ديل يرأس شعبة مكافحة الإرهاب، والتي أعيد تشكيلها جديد لاحقًا تحت اسم مكافحة الإرهاب، وكان بمثابة يدي اليمنى في التعامل مع أشد الحالات خطورة وأهمية، التي واجهها مكتب التحقيقات الفيدرالي في العقد الماضي، وكان القائد والخبير الأفضل والأكثر تأهيلاً وعلمًا، الذي حصلنا عليه في قسم مكافحة الإرهاب. وما كان لأي نجاح حققه مكتب التحقيقات الفيدرالي في هذه القضية من دونه.

قال ولي العهد السعودي بعد أن استقبلنا: "أخبرني ماذا تريد؟"، "نريد من سعادتكم، السماح لموظفينا دخول المنشأة التي تعتقلون فيها المشتبه بهم في تفجير الخُبر، وبالتالي يمكننا التحقيق معهم والعودة إلى محاكمنا ونرفع دعوة ضدهم". وأكدت له أننا، الولايات المتحدة الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، نحترم الشريعة الإسلامية، ووعدته بأننا سنفعل ما في وسعنا لعدم إفساد التحقيقات السعودية أو القضاء السعودي. إلا أن جوهر كلامي كان بالضبط ما كنت أحاول تحقيقه منذ البداية، وهو أن يقدم واحد من أعلى الموظفين في هرم الإدارة الأمريكية بالقول لولي العهد السعودي مباشرة: "نحتاج للوصول إلى هؤلاء المعتقلين".

اقترح ولي العهد حلاً وسطًا، يمكن لموظفينا تقديم الأسئلة إلى موظفين سعوديين الذين يقومون بدورهم بإعطائها إلى المشتبه بهم؛ ويمكن لعملائنا متابعة الأجوبة مباشرة..

بيل كلنتون : رمى بكل

ثقله لأجل السلام !!

وفي مذكرات الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون التي سماها بـ "حياتي" يشكر الملك عبدالله الذي قدم له الدعم المعنوي بعد أن تعرض فترة في حكمه للاهتزاز. وفي مكان آخر يقول بعد أن حضر قمة في شرم الشيخ عن العنف بعد عدد من أعمال العنف والتفجيرات وكان آخرها الهجوم على السفينة كول في اليمن. يقول: طرت إلى شرم الشيخ في مصر لحضور قمة في الشرق الأوسط عن العنف مع الرئيس مبارك والملك عبدالله وكوفي عنان وخافيير سولانا الذي كان آنئذ أميناً عاماً للاتحاد الأوروبي . وكانوا جميعاً يريدون إنهاء العنف، كما كان يريد ذلك أيضاً الملك عبدالله، الذي لم يكن هناك، ولكنه ألقى بثقله في الموضوع.

ويقول كلينتون : " في مثل هذه الاجتماعات السرية لا يعرف الناس في الغالب ما يحدث والملك عبدالله الذي يدعو بشكل مستمر إلى استقرار المنطقة والتوجه نحو البناء والتنمية يسهم بشكل مستمر ومن داخل هذه الغرف المغلقة لتحويل هذا الأمر إلى واقع " .

ويعرف عن الملك عبدالله دعوته إلى السلام في فلسطين .. ويكشف كلنتون في مذكراته عن " تأثير الملك عبدالله الكبير في هذا الخصوص، وحرصه وتمسكه يحفظ حقوق الفلسطينيين وعودة السلام للمنطقة " .

إفشين مولاي : ملك الشعب

وصديق الفقراء !!

وصف الكاتب والباحث الأمريكي، أفشين مولاي، خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بأنه "ملك الشعب" و"صديق الفقراء" وبأنه يعمل على توفير الكرامة الاقتصادية لأبناء بلاده ورفعة شأن المملكة على الصعيد العالمي.

وقال مولاي في الذي يعمل لدى مركز أبحاث "مؤسسة أمريكا الجديدة" إن خادم الحرمين قائد إصلاحي يعمل من داخل النظام لإصلاحه، ويمد يده للفئات المحرومة والمهمشة في البلاد ويحاول إشراك جميع السعوديين في حملة تنمية للمملكة على كل الصعد.

كما نوه الكاتب والباحث الأمريكي بالجهود التي يبذلها الملك عبدالله لإحلال السلام والاستقرار في المنطقة والعالم، مشيراً إلى جهوده الخاصة على هذا الصعيد في التوصل إلى اتفاق بين حركتي فتح وحماس المعروف باتفاق مكة الذي رحب به مجلس الأمن بالإجماع.

إلى جانب جهود خادم الحرمين الشريفين المتواصلة لنزع فتيل الأزمة المستعرة في لبنان بين الحكومة والمعارضة.

وقال افشين مولاي في إنه استشعر من خلال زياراته المتكررة للمملكة العربية السعودية، وبصورة لافتة للاهتمام، أن "الملك عبدالله – وكما أبلغني الناس في المملكة مراراً وتكراراً – يكن مشاعر عطف ورأفة خاصة تجاه الفقراء بشكل خاص تميزه عن بقية قادة العالم الذين أعرفهم، وإن هذا نادر جداً حتى في المجتمعات الغربية التي تتغنى بأنظمة ديموقراطية".

وقال مولاي في إن الملك عبدالله: "يقدم الكثير من المال للصناديق الخيرية لأبناء شعبه".

وقال الباحث الأمريكي إنه قد قيل له من مواطنين سعوديين في آخر زيارة قام بها للمملكة إن خادم الحرمين الشريفين شعر "بالألم والقلق إزاء الهبوط الذي كان قد شهده سوق الأسهم في المملكة، في فترة ذلك الهبوط الحاد، وكان قلقاً أن مواطنين سعوديين عاديين خسروا الكثير من أموالهم في تبادلات السوق، بحيث إنه قام بتوجيه التعليمات إلى مستشاريه لإعداد خطة تضع حماية تحول دون خسارة الناس هذه المقادير من الأموال في المستقبل".

واستطرد الباحث الأمريكي بأن الملك عبدالله "نشط منذ توليه الحكم في استئصال الفساد في المملكة، وهو يعمل على إرساء بيئة منفتحة، بما في ذلك توسيع مساحة الحرية للصحافة المحلية والأجنبية التي توزع في المملكة".

وقال مولاي عن خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله ورعاه – "إنه حتى أولئك الذين لا يزالون ينتقدون المملكة، لا يستطيعون سوى وصف الملك عبدالله بالقائد الإصلاحي".

مولاي الذي زار المملكة مراراً ويتتبع التطورات فيها والتغطية الصحافية لها في وسائل الإعلام الغربية عن كثب، قال إنه في آخر جولاته في المملكة التقى بالعديد من المواطنين السعوديين من مختلف المذاهب والأطياف وأن هؤلاء أجمعوا على إبلاغه بأن الملك عبدالله يقوم بفتح النظام في المملكة أمام جميع مواطنيها من دون تمييز وخصوصاً عبر الحوار الوطني الذي أقامه الملك عبدالله ويشارك فيه أبناء المملكة لطرح آرائهم ومشاعرهم تجاه كل ما يخص حياتهم كمواطنين سعوديين".

وأضاف مولاي أن رحلاته إلى المملكة مؤخراً أثبتت له القدر الكبير من الاهتمام الذي يوليه الملك عبدالله للتعليم في المملكة.

وقال إن خادم الحرمين "يدعو بنشاط إلى توفير تعليم عصري حديث لأبناء وبنات المملكة على حد سواء وهو يدعو بنشاط إلى تنمية اقتصادية مستدامة للمملكة ويمد يده بصورة نشطة للفقراء والأقليات والفئات المهمشة في المجتمع السعودي معززاً جواً من الانفتاح وواضعاً الآليات التي تعمل على استئصال الفساد والهدر من النظام الحكومي في المملكة".

وأشار مولاي إلى الخطة التي وضعها الملك عبدالله لإرسال عشرات الآلاف من الطلبة السعوديين لتلقي التعليم لجامعي في الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا في السنوات القليلة الماضية من أجل إعداد جيل جديد من السعوديين القادرين على مواكبة متطلبات العصرنة والعولمة التي باتت المملكة جزءاً لا يتجزأ منها خصوصاً بعد دخولها منظمة التجارة العالمية.

وتطرق مولايـ في إلى جهود خادم الحرمين الشريفين الدبلوماسية والسياسية على الصعيد العربي والإسلامي في الآونة الأخيرة، قائلا "الملك عبدالله أبدى نشاطاً استثنائياً في القيام بمبادرات من شأنها إحلال الاستقرار والسلام في منطقة الشرق الأوسط".

ونوه الكاتب والباحث الأمريكي في هذا الصدد إلى الجهود التي يقودها خادم الحرمين لنزع فتيل الأزمة المتأججة في لبنان بين المعارضة والحكومة ونجاحه مؤخراً في وقف حمام الدم في فلسطين بين ناشطي السلطة الفلسطينية وناشطي حركة حماس، مشيراً إلى اتفاق مكة المكرمة بين قيادة الفلسطينيين الذي أنهى المواجهات الدموية التي كانت تعصف بالشارع الفلسطيني على مدى أشهر.

كما أشار الباحث الأمريكي الى الاتصالات التي يقوم بها الملك عبدالله على الصعيد الإقليمي والعالمي منوهاً بلقاءاته بكبار المبعوثين الأوروبيين والإيرانيين ولقائه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين مؤخراً.

ووصف مولايـ في الملك عبدالله بن عبدالعزيز ب "أنه يقوم بدبلوماسية تقدمية الوجهة ويضع نصب عينيه هدفاً عريضاً وهو السلام والاستقرار في المنطقة وفي العالم".

مولايـ في قال: "كل من يزور المملكة العربية السعودية اليوم يدرك أن هذه البلاد هي في وضع متحرك.. هي في وضع متغير، والكثير من ذلك يتأتى بفضل النمو الذي يشهده المجتمع المدني في المملكة، فضلاً عن جو الانفتاح الذي يهيئه الملك عبدالله لمواطنيه".

الباحث الأمريكي الكبير تطرق إلى الوضع التنموي والاقتصادي للمملكة في ظل الملك عبدالله، وقال في هذا السياق: "إن الكثيرين من الناس لا يعتقدون أن توفير التعليم للشعب هو حق من حقوق الإنسان الأساسية، مثل ذلك الاعتقاد خطأ، فتوفير التعليم هو حق إنساني أساسي وكذلك حق الرعاية الصحية وحق التمتع بالبنى

التحتية في البلاد وما الى ذلك، وهي كلها أمور يوليها الملك عبدالله جل اهتمامه منذ وصوله إلى الحكم".

واستشهد مولاي بتقرير البنك الدولي السنوي عن الأوضاع الاقتصادية للدول الذي وصف المملكة بأنها "توفر أفضل بيئة للاستثمار الأجنبي في الشرق الأوسط".

وختم الكاتب والباحث الأمريكي أفشين مولاي في المقابلة بالقول: "إنه إذا نظر المرء إلى ما يحدث في المملكة العربية السعودية في السنوات القليلة الماضية، فإنه لابد أن يرى في الملك عبدالله قائداً إصلاحياً يعمل من داخل النظام لإصلاحه، إن الملك عبدالله يدفع البلاد إلى الأمام وإلى المستقبل".

أولبرايت: ذو هيئة تفرض وجودها

على نحو مؤثر..

في مذكرات وزيرة الخارجية السابقة مادلين أولبرايت وهي بعنوان " السيدة الوزيرة " تصف أولبرايت لقاءها المؤثر بالملك عبدالله حيث تقول إنه كان ذا هيئة تفرض وجودها على نحو مؤثر بثيابه البيضاء) وإنه كان معها كيساً ولبقاً ومهذباً.

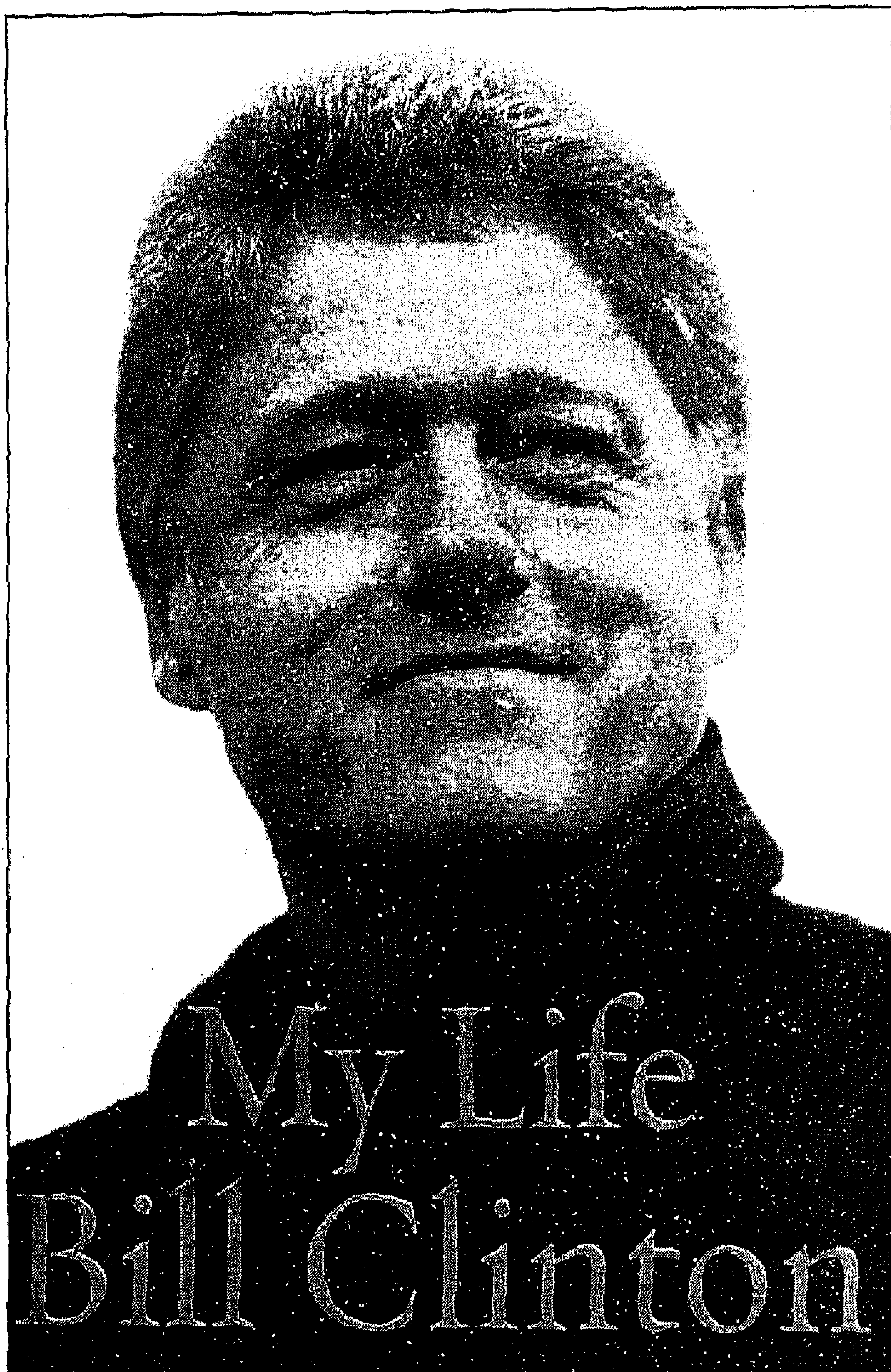
وتقول أولبرايت في حديث عن الملك عبدالله مشيرة لثقله السياسي الكبير في الساحة العربية والدولية .. تقول: (قدر لكلماته الطيبة عني لقادة عرب أن تسهل عليَّ طريقي). وتكشف أولبرايت عن لقاءاتها مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما تصفها بـ " الجادة والودية ".



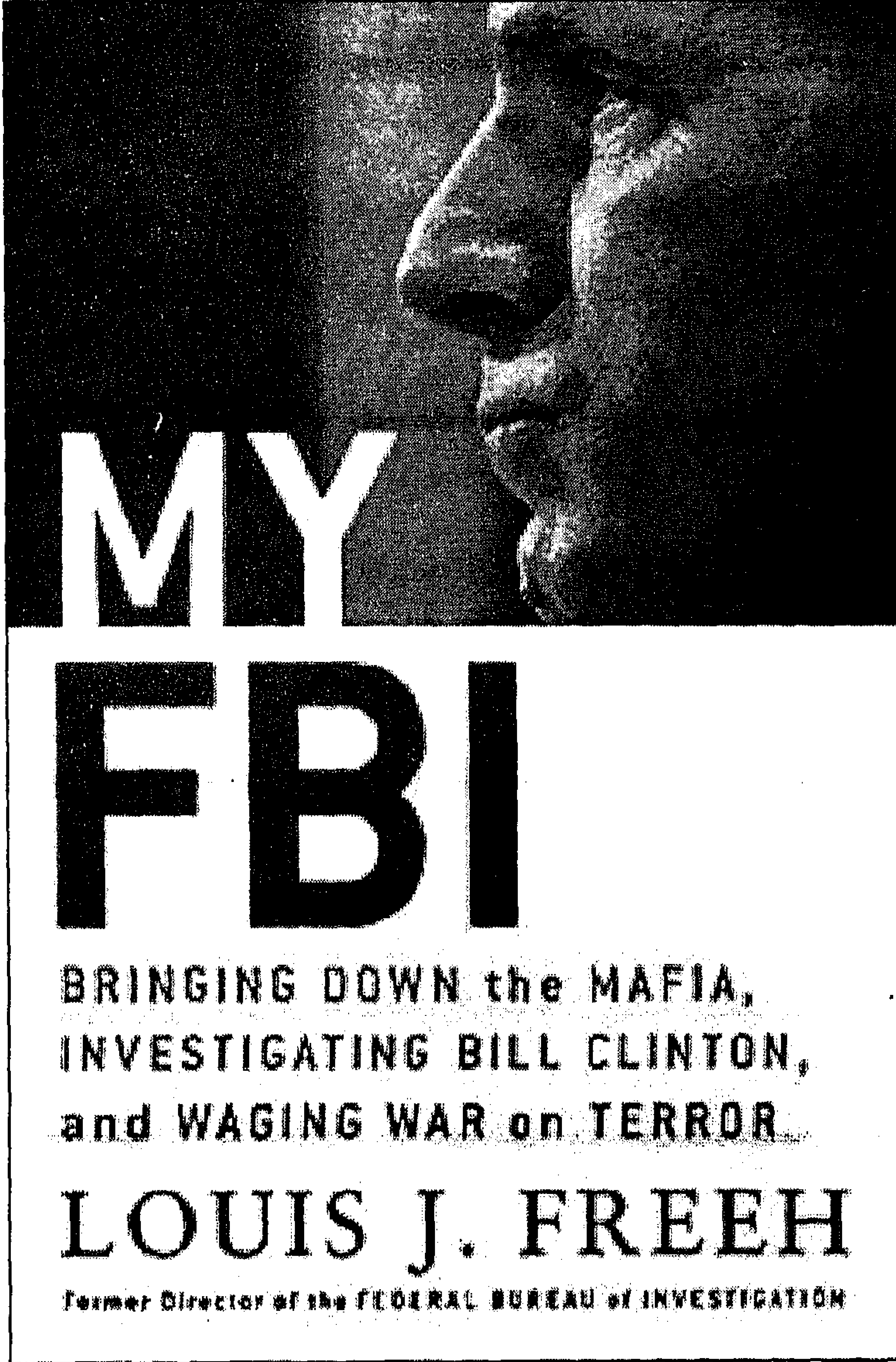
عاهل السعودية الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي أكد المسئولون الأمريكيون أنفسهم رفضه لمطالبهم وتأكيده لسيادة واستقلالية القرار السعودي رغم ضغوط كلينتون ووساطة بوش الأب !!



الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون .. لم يستجب له الملك عبد الله، ورفض مطالبه رغم إلحاحه وضغطه كما يكشف لويس فريه مدير مكتب التحقيقات الأمريكي السابق في مذكراته !!



" حياتي " .. مذكرات كلينتون التي تناول في جزء منها تجربته مع العاهل السعودي وقتما كان ولياً للعهد



مذكرات مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي السابق فريه الذي تناول فيه تفجيرات " الخبر " الإرهابية وخص في حديثه ولي العهد السعودي – آنذاك – والملك الحالي عبد الله بن عبد العزيز بالكثير والكثير من المواقف التي تعبر عن صلابة الرجل وتمسكه بمواقفه وعدم خضوعه للضغوط !!

٦ ياسر عرفات

كارتر : شهادة حق
في حق عرفات !!

يتضمن كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر " فلسطين .. سلام لا فصل عنصري " شهادة مهمة تنصف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والذي نجحت إسرائيل في تصويره على أنه رفض فرصة ذهبية لإحلال السلام، في نهاية عهد الرئيس الأميركي بيل كلينتون، حيث يقول كارتر إنه ما عرضه كلينتون وإيهود باراك – رئيس الوزراء الإسرائيلي آن ذاك – على عرفات كان مجحفا في جوانب عدة مثل حق عودة اللاجئين وإبطال القرارات الدولية السابقة والتي تحمي حقوق الشعب الفلسطيني وتمزيق الضفة الغربية بين المستوطنات الإسرائيلية وعزلها عن الأردن .

ويقول كارتر "لم يكن هناك أي احتمال أن يقبل أي قائد فلسطيني هذه البنود ويضمن لنفسه البقاء، ولكن البيانات الرسمية من واشنطن والقدس نجحت في إلقاء كل ثقل الفشل على عرفات"

يبدأ كارتر حديثه المفصل عن الفلسطينيين ولقاءاته معهم ومع قياداتهم وعن ظروف معيشتهم تحت الاحتلال، حيث يذكر أن عدد المسيحيين الفلسطينيين "فاجأه" وكيف أن نفوذ الأحزاب الدينية اليهودية داخل إسرائيل وأجندة تلك الأحزاب أدت إلى تقييد حريات الفلسطينيين المسيحيين الدينية، وكيف يعامل الجنود الإسرائيليون المواطنين الفلسطينيين معاملة غير إنسانية .

كما تحدث كارتر أيضاً عن سياسة العقابات الجماعية التي تمارسها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني وعن المعتقلين وعن غياب العدالة القانونية وعن تواجد اليهود المتطرفين في الأراضي المقدسة وعن المستوطنين الإسرائيليين وكيف يعيش بضعة آلاف منهم في الأراضي الفلسطينينة المحتلة محاطين بعدد أكبر منهم من الجنود الإسرائيليين المكلفين بحمايتهم، وكيف ينفرد هؤلاء المستوطنين بموارد وثروات الأراضي المحتلة الطبيعية بمقادير تفوق بمرات مضاعفة ما يعيش عليه الفلسطينيون أنفسهم .

لذا يقول كارتر في نهاية الفصل السادس من كتابة "بدا واضحا لى أكثر فأكثر أن هناك إسرائيليتين، واحدة تحتوي على الثقافة والقيم الأخلاقية القديمة للشعب اليهودي كما تعرفها الكتب الدينية اليهودية، وهي النسخة التي اعتدت عليها منذ الصغر والتي تمثل دولة إسرائيل الشابة كما يتصورها غالبية الأميركيين، والأخرى توجد في الأراضي المحتلة وتمارس سياسات قائمة على رفض الاعتراف بأبسط حقوق الإنسان الخاصة بالمواطنين وعدم احترامها"

ويذكر أيضا أنَّ هناك من الطبقة السياسية من لا يريد الاعتراف بأي حق من الحقوق الفلسطينية لا داخل الخط الأخضر ولا خارجه، في الأرض المحتلة عام ١٩٦٧.

ويتحدث كارتر عن اتفاقات أوسلو وما تبعها من جهود فلسطينية لإحلال السلام، وإجراء انتخابات، وبناء سلطة فلسطينية وطنية تحاول أن تكون مستقلة.. وكيف أن الكيان الصهيوني حاول ويحاول إفساد كل جهد للسلام والاستقرار.. وقد حاولوا

إفساد الانتخابات في ١٩٩٦م وهدد كارتر بعمل مؤتمر صحفي دولي للتنديد بتلك العقبات التي تضعها الإدارة الصهيونية لتعويق الانتخابات، فتراجع الصهاينة خوفاً من أن يفضحهم كارتر.

ثم تحدث كارتر عن باراك في "واي ريفر" بالاشتراك معه فيقول:

"لم يكن ممكناً لأي قائد فلسطيني أن يقبل بمثل هذا العرض خوفاً من أن يحاسبه التاريخ.. وبالرغم من ذلك فقد نجحت البيانات الرسمية الصادرة من واشنطن وتل أبيب في إلقاء اللوم على ياسر عرفات وتحميله مسؤولية الفشل"!

أما عن تفاصيل الصفقة التي كان يريدها باراك فيقول كارتر: " لم يكن العرض من باراك بل من كلينتون، وينص على سحب ٢٠٪ من المستوطنين وهذا يعني ترك ٢٠ ألف مستوطن في ٢٠٩ مستوطنات.. وتحاط كل مستوطنة ب٤٠٠ متر من جميع الاتجاهات.. ومناطق أخرى شاسعة تخصص لاحتياجات المستوطنات مثل الطرق الالتفافية التي تربط المستوطنات بعضها ببعض وتربطها بالقدس المحتلة. أضف إلى ذلك الضرورات الحيوية للمستوطنات كالماء والكهرباء والمجاري والاتصالات، وهذه المقاطع تتفاوت في عرضها من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ متر، وهي أيضاً ستكون محرمة على الفلسطينيين ".

ويواصل كارتر حديثه عن "سخاء" باراك والرئيس كلينتون في مفاوضات واي ريفر، قائلاً: " إن تلك الخلايا الاستيطانية وشبكات الاتصالات كانت ستقسم الضفة الغربية إلى الأبد إلى كانتونات وشظايا ليس بينها تواصل جغرافي وغير صالحة للسكن، وغير قابلة للحياة، ولا يمكن الوصول إليها، ومما يزيد الأمر سوءاً أن غور الأردن الذي تحتله "إسرائيل" سيحرم الفلسطينيين من التواصل شرقاً مع الأردن، وسيكون هناك أكثر من (١٠٠٠) حاجز عسكري يحيط بهم، وستبقى أكثر الطرق الفلسطينية مغلقة بالتراب والحواجز الإسمنتية ".

ثم يتحدث بعد ذلك عن مباحثات طابا ٢٠٠١ التي لم تسفر عن شيء، ثم جاءت خارطة الطريق في عام ٢٠٠٣م والتي قدمتها اللجنة الرباعية وقبلها الفلسطينيون،

ورفضتها "إسرائيل" عملياً عندما علقت قبولها على القبول بـ١٤ تعديلاً وشرطاً إسرائيلياً.

لقدأراد الرئيس كارتر الذي انشغل كثيراً بالقضية الفلسطينية أن ينتهز فرصة تسلمه جائزة نوبل ٢٠٠٢م للسلام والتي قدمت له على جهوده من أجل مقاومة الفقر والمرض ونشر الديمقراطية في العالم أجمع وفي إفريقيا على وجه الخصوص، أراد أن ينتهز هذه الفرصة للتحدث إلى العالم الذي يتجه بأنظاره إلى جنيف، أراد أن يلفت النظر إلى الظلم والتفرقة التي تمارسها "إسرائيل" في فلسطين ضد شعب أعزل إلا أنه -كما يقول- مُنع لأن هذا سيسبب إحراجاً للحكومة السويسرية!

ورأى كارتر أن تصوير الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات على أنه " عائق أمام السلام ليس صحيحاً، معتبراً أن «الولايات المتحدة تحت حكم بوش لا ترى نفسها ملتزمة السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين " .

كلينتون : عرفات جعلني

أكبر فاشل بسبب عناده !!

وكان الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون قد تناول شخصية الرئيس عرفات ومواقفه من خلال انخراطه في مفاوضات السلام بين العرب وإسرائيل .

وقد تحدث كلينتون كثيرا في مذكراته التي تحمل عنواناً يقرأ "حياتي" عن مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية وعن دور الولايات المتحدة فيها، ويذكر بتفاصيل موقف هام حدث داخل البيت الأبيض عندما ظهرت مشكلة تتعلق بالسيطرة على أحد الطرق في أحد الخرائط، وما كان على كلينتون إلا أنه كما ذكر "أخذ ياسر عرفات وإسحاق رابين إلى غرفة الطعام الخاصة به في البيت الأبيض، وبدأ يتحدث لرابين قائلا له إنه يريد أن يكون جارا جيدا وعرفات يرد، إننا كأحفاد للنبي إبراهيم أكثر من أولاد عمومة" .

ويقول كلينتون "إن تبادل الكلمات بين أعداء الأمس كان رائعا" وأضاف "بدون أن أقول كلمة، خرجت وتركتهما وحدهما في الغرفة لأول مرة" ويذكر "أنه خلال عشرين دقيقة توصلوا لاتفاق على المشكلة المثارة".

ويرى كلينتون أن تطوير " الثقة الشخصية " بين عرفات ورابين كان شيئا غير متصور من قبل، وتحدث كلينتون بتفاصيل أكبر عن محاولات الوصول لاتفاق نهائي بين عرفات ورئيس الوزراء إيهود باراك. وكانت ذكريات كلينتون عن أخر لقاء مع ياسر عرفات انعكاسا وتلخيصا من وجهة نظره لعملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية.

كلينتون يروي أيضاً طرائف مصافحة الرئيس الشهيد ياسرعرفات ورابين التاريخية ..

يقول الرئيس الأميركي السابق : " إن رابين اشترط مصافحة وليس عناقا مع القائد ياسرعرفات، ويؤكد أنه أجرى تمارين خاصة لتفادي معانقة أبو عمار " .

وكشف كلينتون أن : " رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين الذي وقع اتفاق السلام مع زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ في البيت الأبيض، اشترط بإلحاح أن يقتصر الأمر مع الشهيد ياسرعرفات على المصافحة مستبعدا أي عناق.

ويروي كلينتون "لقد قلت لإسحق إنه في حال كان متمسكا فعلا بالسلام، عليه أن يصافح عرفات لإثبات ذلك تنهد رابين وقال بصوته المتعب إننا لا نبرم اتفاقيات السلام مع اصدقائنا" فسألته ستصافحه إذن؟ فرد بلهجة جافة طيب، طيب، ولكن من دون عناق".

وتعكس هذه المحادثة بين كلينتون ورابين التي يرويها الرئيس الأميركي الأسبق في مذكراته التي صدرت في يونيو عام ٢٠٠٦، الذهنية التي كانت سائدة قبيل التوقيع على اتفاقيات السلام في أوسلو والأهمية الحاسمة لطريقة عرضها على الجماهير.

ويروي كلينتون في مذكراته : " كنت أعلم أن الرئيس عرفات يحب الاستعراض وأنه قد يحاول معانقة رابين بعد المصافحة، لقد قررنا أنني سأصافح كلا منهما أولا ثم سأوحي إليهما بأن يقتربا من بعضهما البعض، إذ كنت واثقا من أن عرفات، في حال لم يعانقني، فإنه لن يبادر إلى معانقة رابين ".

ثم يروي الرئيس الأميركي السابق التمارين التي أجراها مع معاونيه لكي يتأكد تفادي اي معانقة وذلك عبر وضع يده اليسرى على الذراع اليمنى للرئيس الفلسطيني. ويقول كلينتون " كنت أعرف أن تفادي المعانقة امر مهم لدرجة كبيرة بالنسبة لرابين ".

وكانت الحصيلة التي خلدتها الصور التلفزيونية هي مصافحة مؤثرة بين الزعماء الثلاثة بعد التوقيع على الوثيقة التاريخية، تحت شمس ساطعة.

وقد تحول كلينتون أولا باتجاه إسحق رابين الواقف على يمينه وصافحه بشدة ثم أمسك بيد عرفات الواقف مبتسما إلى يساره، فانحنى الرئيس الفلسطيني قليلا في تلك اللحظة وتابع حركته مادا يده بتردد واضح باتجاه رابين.

وبعد لحظات قصيرة من التردد، أمسك رابين الذي شارك في كل المعارك ضد الفلسطينيين بيد عرفات المدوة لمصافحته في حين ربت كلينتون، وابتسامة عريضة على محياه، على كتف رابين معربا عن تفهمه.

بعد ستة أشهر من المفاوضات السرية في العاصمة النروجية، تبادلت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطيني الاعتراف بالوجود ووقعتا على إعلان مبادئه حول حكم ذاتي فلسطيني انتقالي لمدة خمسة أعوام.

وتحدد هذه الاتفاقيات الخطوط العريضة لهذا الحكم الذاتي في الاراضي المحتلة لمدة خمسة اعوام بدءا من غزة وأريحا.

وفي مذكراته، يروي بيل كلينتون أنه، قبيل الذهاب إلى المنصة للتوقيع على الاتفاقية، التقى الزعماء الثلاثة بعض الوقت في البيت الأبيض .

ويروي كلينتون : "لقد حيا عرفات رابين ومد يده ليصافحه لكن الأخير ابقى يديه خلف ظهره ورد على عرفات بجفاء قائلا : في الخارج فابتسم الرئيس ياسر عرفات وهز برأسه، ثم قال له رابين سيكون علينا ان نعمل بجد حتى تسير الأمور" فرد عليه الرئيس عرفات قائلا أعرف ذلك، أنا مستعد لأقوم بما يتوجب علي ".

الغريب، أنه عندما وصف عرفات -الذي اعتبر سببا في تعثر المفاوضات- كلينتون - لاحقا - بأنه " الرجل العظيم " كتب كلينتون في مذكراته يرد رده المقتضب " لست رجلا عظيما. إنني فاشل وأنت جعلتني كذلك."

ويقول كلينتون : الكرة كانت في ملعب عرفات .. وقلت له : " إنني بذلت كل ما في وسعي ليكون للفلسطينيين دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة مع ضمان أمن إسرائيل في الوقت ذاته وحذرته من أنه سيساهم في انتخاب شارون وأنه سيتحتم عليه تحمل العواقب .. لم يخطر لي أنه من الممكن أن يرتكب عرفات مثل هذا الخطأ الجسيم " !!

وفي «حياتي»، يسرد كلينتون ما قاله رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل إسحق رابين له في لقاء الغداء الذي التقاه فيه على انفراد وسأله عن الأسباب التي دفعته إلى الموافقة على مفاوضات أوسلو والوثيقة التي أفرزتها .

ويقول : «أوضح لي رابين أنه أدرك، خصوصا بعد حرب الخليج لعام ١٩٩١ التي أطلق فيها العراق صواريخ سكود على إسرائيل أن الأراضي التي تحتفظ بها الدولة العبرية في الضفة الغربية وغزة لم توفر أي حماية لإسرائيل، وقال أيضا إنه إذا كانت تريد إسرائيل أن تواصل الاحتفاظ بهذه الأراضي إلى الأبد، فإن ذلك يعني أن عليها أن تقرر خلال فترة وجيزة ما إذا كان عليها أن تسمح لسكانها العرب بالمشاركة في الانتخابات في إسرائيل، كما هي حال سكانها العرب المقيمين في أراضي ما قبل العام ١٩٦٧.

وقال إنه إذا سمح لهم بذلك، فإن إسرائيل ستتوقف عن كونها دولة يهودية خلال عقود قليلة من الزمن بسبب معدلات الزيادة السكانية الطبيعية لدى العرب؛ وإذا

حرمتهم من المشاركة في الانتخابات، فإن إسرائيل ستتحول إلى دولة ذات نظام فصل عنصري (أبرطايد)، وعليه، فقد وصل إلى قناعة أن على إسرائيل أن تتخلى عن تلك الأراضي، لكن شرط أن يعود ذلك عليها بسلام حقيقي وعلاقات طبيعية مع جيرانها، بما في ذلك سورية، كان رابين يعتقد أنه قادر على التوصل إلى اتفاق مع الرئيس السوري حافظ الأسد أما قبل أو بعد إنهاء عملية التفاوض مع الفلسطينيين بقليل، ومن خلال محادثاتي مع الرئيس الأسد، فقد كنت مقتنعا أنا أيضا بذلك».

وتابع: «كنت معجبا برابين حتى قبل أن ألتقي به في العام ١٩٩٢. غير أنه وفي ذلك اليوم حين استمعت إليه يطرح حجته من أجل السلام في ذلك الاحتفال، فإنني استشعرت عظمة قيادته، لم ألتق في حياتي شخصا آخر مثله تماما، وقد صممت على مساعدته على تحقيق حلمه بإقامة سلام بين إسرائيل وجيرانها».

وكتب: «بعد الغداء مع رابين، غادر الإسرائيليون عائدين إلى إسرائيل لبدء جهد بيع الاتفاق للكنيست الإسرائيلية، لكنهم توقفوا على الطريق في المغرب لإطلاع الملك الحسن الثاني على الاتفاق، العاهل المغربي كان اتخذ دائما موقفا معتدلا تجاه إسرائيل.

وتابع كلينتون: «في تلك الليلة، استضفت وهيلاري حفل عشاء في البيت الأبيض ضم ٢٥ زوجا من بينهم الرئيس السابق جيمي كارتر وعقيلته والرئيس جورج بوش (الأب) وعقيلته والرئيس جيرالد فورد وعقيلته وتسعة من وزراء الخارجية الأميركيين الذين كانوا على قيد الحياة وقادة كونغرس من الحزبين، وقد اصطحبت الرؤساء الثلاثة السابقين في ساعة لاحقة إلى طابق المعيشة في البيت الأبيض حيث التقطت لنا صورة تذكارية لتخليد لحظة فريدة في تاريخ أميركا، بعد ذلك، دعوت الرئيسين بوش وكارتر إلى تمضية الليلة معنا في البيت الأبيض، وقبلا الدعوة، أما الرئيس فورد وعقيلته فرفضا دعوتهما لسبب وجيه: كانا حجزا جناحا في فندق واشنطن هوتيل القريب لتمضية الليلة فيه، إذ أن ذاك الفندق كان الفندق الذي أمضيا فيه أول ليلة لهما كزوجين».

أولبرايت اليهودية : عرفات

أضاع أكبر فرصة للسلام!!

في الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٩٧ وبعد مرور ٢٠٧ سنوات ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة تولت امرأة منصب وزير الخارجية، وفي هذا الكتاب تقوم صاحبة أعلى وظيفة في التاريخ الأمريكي برواية قصتها، وتقدم نظرة مقربة من الداخل على قضايا العالم في فترة من الاضطراب لم يسبق لها مثيل.

وقد جمعت في كتابها بين ما هو شخصي وما هو سياسي، ومزجت بين وصف الأحداث وبين تحليلها من مدخل العلاقات الإنسانية، وقدر من الدعابة والشهادة الشخصية.

ويقدم الكتاب ذكريات عن بعض زعماء العالم الذين تعاملت معهم أولبرايت، مثل فكلاف هافل، وياسر عرفات، وآرييل شارون، ونتنياهو، والملك حسين، وفلاديمير بوتين، وميلوسوفيتش، وزعيم كوريا الشمالية كيم يونغ إيل وبيل كلينتون وهيلاري.

ولم يكن من المستغرب أن تتناول وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت في مذكراتها التي يحملها كتابها : " تأملات في أميركا "، والصادرة عن دار ميرماكس بوكس للنشر في نيويورك " شخصية الرئيس الراحل عرفات، ولكن بالتطاول على شخصه، وتوجيه شتى أنواع الاتهامات إليه، في ضوء أصولها اليهودية وعنصريتها وكرهها للعرب تلك الصفات المتأصلة في شخصيتها !!

وكانت أول إشارة تظهر في أمريكا لتؤكد يهودية أولبرايت قد جاءت في سياق تقرير أعده الصحفي الأمريكي مايكل دوبز بصحيفة الواشنطن بوست الأمريكية . وقال فيه إن الشكوك التي حامت حول أصول مادلين اليهودية وادعاءها أكثر من مرة أنها كاثوليكية جعل الصحفي الأمريكي يسافر إلي مسقط رأسها في تشيكوسلوفاكيا السابقة حيث بحث عن أصول عائلتها والتقى بالفعل بالباقين من أفراد عائلتها ممن لم يهاجروا ليخرج من رحلته بالعديد من الوثائق التي لا تدع مجالا للشك من أن أولبرايت يهودية، فأبواها يهوديان.

ويؤكد دوبز أنه عندما واجه أولبرايت بهذه الوثائق احتدت عليه وقامت بطرده من مكتبها إبان توليها منصب وزير الخارجية، إلا أنه لم يلتفت إلى تهديداتها بعدم النشر، وقام بالفعل بنشر بعض هذه الوثائق في الواشنطن بوست في ٤ نوفمبر ١٩٩٧ تحت عنوان مأساة عائلة أولبرايت تنكشف، إلا أنها كذبتها بشكل قوي وأكدت أنها لم تكن تعرف أن ثلاثة من أجدادها كما تزعم كانوا من ضحايا المحرقة التي يدعي اليهود أنهم تعرضوا لها علي يد الألمان، وهم والدا أبيها، أرنوست وأولجا كوربل، ووالدة أمها روزينا سبيجلوفا.

وأولبرايت لها سجل حافل بالعديد من المواقف العنصرية والمناهضة للعرب والمسلمين علي حد سواء ولعل أكثر هذه الوقائع شهرة حينما قالت كأي سيدة شعبية أقطع شعري إذا تم التمديد له من جديد، كتعقيب على إمكانية التمديد لبطرس غالي من جديد.

وحينما سئلت عن حقيقة ما تردد عن وفاة أكثر من ٦٠٠ ألف طفل عراقي إثر الحصار الذي فرضته أمريكا علي العراق وعما إذا كانوا يستحقون ذلك بالفعل؟؟ قالت أولبرايت لمراسلة سي. بي. إس في الحادي عشر من مايو عام ١٩٩٦ التي أكدت في سؤالها أن هذا العدد يفوق عدد الأطفال الذين قتلوا في هيروشيما، فهل يستحقون ذلك؟؟ قالت أولبرايت بكل صفاقة تحسد عليها: نعم إنهم يستحقون ذلك مؤكدة أنه ثمن باهظ ولكننا قادرون على دفعه!

وفي كتاب مذكراتها، حملت أولبرايت في مذكراتها الفلسطينيين المسئولية الكاملة لعدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط متهمة عرفات بأنه المخرب الأول لعملية السلام فتقول: إن عرفات هو المتهم، فلقد أعطى باراك الفرصة الحقيقية لعرفات إلا أنه رفضها، فهو إرهابي لا يريد السلام وهو المسئول الأول عن فشل مباحثات السلام لأنه يريد القضاء على إسرائيل!

ولا أحد ينسى الموقف الذي اتخذته راعية السلام والديمقراطية في المنطقة العربية حينما كانت في زيارة قصيرة إلى مصر وتحديدا إلى مدينة الإسكندرية مع

منتصف التسعينيات إبان توليها منصب وزيرة الخارجية حينما رفضت أولبرايت أن تتم استضافتها في أحد أفخم فنادق الإسكندرية قصر الملك فاروق السابق وأصرت على النزول في شيراتون الإسكندرية لمجرد أن اسم الفندق يحمل اسم فلسطين"!!

وقد طال كتاب أولبرايت الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وصبت أولبرايت جام غضبها عليه وحملته مسؤولية فشل مفاوضات كامب ديفيد عندما كانت وزيرة خارجية في آخر أيام إدارة الرئيس كلينتون، وذكرت أن أيهود باراك، رئيس وزراء إسرائيل(كان مرنا، لكن عرفات كان عنيداً) وربما تعتبر أولبرايت الإصرار على الحق نوعاً من العناد والتعنت كما انتقدت السعوديين والمصريين لأنهم(لم يضغطوا على عرفات، ليقبل اقتراح كلينتون).

وتساءلت أولبرايت في كتابها: هل سيقبل أي زعيم فلسطيني مارفضه عرفات؟وشككت في أن الرئيس بوش، أو أي رئيس بعده، سيقترح ما اقترحه كلينتون. ولسان حالها يقول إن العرب هم سبب فشل المفاوضات.

بدت أولبرايت متشائمة من حل الصراع العربي- الإسرائيلي في المستقبل لسببين:

أولاً: تصر إسرائيل، منذ فترة طويلة، على الاحتفاظ بالأراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧.

ثانياً: يأمر الدين المسلمين بأن يقتلوا أعداءهم، حسب ادعائها. لكن أولبرايت فشلت في اختيار آيات قرآنية تؤكد هذا. وارتكبت بعض الأخطاء: أولاً، أشارت إلى الآية التي تقول(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) لكنها لم تكمل الآية :(ولا تعتدوا، إن الله لايحب المعتدين).

ثالثاً: أشارت إلى الآية التي تقول(واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) لكنها لم تكمل الآية:(والفتنة أشد من القتل). بالإضافة إلى أنها، جمعت الآيتين وكأنهما أية واحدة، رغم أنهما آيتان منفصلتان (في سورة البقرة).

لماذا زجت أولبرايت نفسها ـ في هذه المواضيع الدينية المعقدة؟ الرئيس كلينتون، الذي كتب مقدمة كتابها: قال إن(الكتاب مفاجأة، وصدر ضد نصيحة أصدقاء قالوا لها إنه سيسبب لها مشكلات) ووصف أولبرايت بأنها جريئة وصريحة. وقال إن الكتاب سيساهم في معرفة الآخر. لكن المراقب المدرك لحركة التاريخ لابد أن يشك في نيات السياسيين عندما يكتبون عن الدين، خاصة أن التاريخ، البعيد والحاضر، وفي أميركا وخارجها، برهن على أن كثيراً من هؤلاء يستغلون الدين لخدمة مصالحهم الخاصة.

لم تتحدث السيدة مادلين عن أخطائها السياسية، والتي انعكست على السياسة الخارجية الأميركية. مثلاً: ذهبت أولبرايت سنة ١٩٩٨ عندما كانت وزيرة الخارجية إلى اجتماع شعبي في كولومبس(ولاية أوهايو) للدعاية لخطة ضرب العراق، لأن العراق ضرب طائرات أميركية كانت تحلق في منطقة حظر الطيران، ولأنه رفض استقبال مفتشي الأمم المتحدة. استقبلت أولبرايت في أوهايو مظاهرات تهتف: لا لحرب البترول، لا لحرب العنصرية. لكن أولبرايت لم تضع اعتبارا للمتظاهرين، ولم تضع اعتباراً لعقلاء حضروا الاجتماع الشعبي، ونصحوا بعرض الموضوع على الأمم المتحدة قبل إعلان الحرب، وكررت أولبرايت أن العراق ينتج أسلحة الدمار الشامل.

وسألها أحد الأشخاص: كيف تنامين في الليل وأنت ستقتلين النساء والأطفال؟ وأجابت: نحن ندافع عنك حتى تنام في الليل، أنا فخورة بما نفعل . نحن أعظم أمة في العالم، وأذكر إجابة للسيدة أولبرايت على سؤال أحد الصحفيين عندما قال لها: إن أطفال العراق يموتون من الحصار والقصف الأميركي على المناطق العراقية، وأجابت أولبرايت بمنطق أميركي معتاد(it is the war) إنها الحرب.

لكن أولبرايت في كتابها: لم تتحدث عن مثل هذه الأشياء، وكأن الناس ينسون، وكأن المدنيين الذين قتلوا بسبب سياساتها لم يقتلوا.

بريماكوف : عرفات كان يؤيد بقوة ضم العراق للكويت !!

أما بريماكوف فقد كشف رئيس الوزراء الروسى السابق يفجينى بريماكوف النقاب عن أن رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات كان " مؤيداً من دون قيد أوشرط ضم الكويت إلى العراق بالقوة "، وذلك عندما اجتمع معه فى عمان قبل توجهه إلى بغداد عام ١٩٩٠.

جاء ذلك فى مذكرات بريماكوف التى دونها فى كتاب صدر فى موسكو . وقال بريماكوف إنه عندما أوفدته القيادة السوفييتية إلى بغداد لإقناع رئيس النظام العراقى بالانسحاب من الكويت توقف فى العاصمة الأردنية عمان حيث التقى عرفات الذى كشف له عن رأيه المذكور.

وأوضح بريماكوف فى كتابه الذى حمل اسم "سنوات فى السياسة الكبرى " إنه حاول جاهدا إقناع عرفات بتغيير موقفه وذلك بذكر موقف مشابه أثناء أحداث سبتمبر عام ١٩٧٠ فى الأردن.

وأضاف أن عرفات قال له إن : "الجماهير الشعبية المؤيدة لصدام حسين فى البلدان العربية ستخلق موقفا ثوريا مغايرا بشكل مبدئى إزاء غزو العراق للكويت".

تينيت : عرفات ليس موسى و ليس " بن جوريون " !!

وفي مذكراته التي حملت عنواناً يقرأ " في قلب العاصفة .. سنواتي في البيت الأبيض " يتناول جورج تينيت شخصية الرئيس الراحل ياسر عرفات من خلال تفاصيل المفاوضات الصعبة بين الفلسطينيين وإسرائيل .

ويقول تينيت إنه كان يجد نفسه " دائما بين مراوغة الإسرائيليين وابتزازهم وبين تسويف ياسر عرفات ورغبته في استمرار المفاوضات لمجرد استمرارها حتى يُثبت نفسه بغير منازع على رأس السلطة الفلسطينية " !!

ويقول تينيت إن عرفات " كان لا يريد سوى استمرار التفاوض دون حلول للحفاظ على سلطانه .. وأنه كان يثير المشاكل وراح يفقد ثقتنا في أيام الرئيس بيل كلينتون الأخيرة " !!

ويعترف تينيت بجريمته ضد عرفات، ويقول : " ساندت إدارة بوش في تجريد عرفات من دور اللاعب الرئيسي في المفاوضات، وقررنا عدم منحه أي مكافآت ،لا يستحقها بسبب عدم تعاونه معنا ورغبته في التفاوض من أجل التفاوض للبقاء في السلطة " !!

وكان تيتيت آخر مسؤول أمريكي يلتقي بعرفات قبل وفاته، فوجده – كما يقول في مذكراته : " هزيلاً.. شاحباً.. محاصراً ومعزولاً عن شعبه، وسجيناً في مقره الذي حاصرته الدبابات الإسرائيلية، لكنه كان لا يزال زعيماً للفلسطينيين " .

ويقول إنه قد تأكد " أن الوقت قد انقضى، وأن نافذة الأمل قد أوصدت. وأن عرفات كان يعرف ذلك، كان يعرف أنه لن يقود شعبه إلى الأرض الموعودة وعرفت أنه ليس " موسى.. ولا بن جوريون " !!

وفي هذا الجزء من مذكرات جورج تينيت الذي يتناول فيه تحليل مواقف عرفات وشخصيته من واقع معايشته الشخصية اليومية له، سنرى كيف يتعامل المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون مع الفلسطينيين وقياداتهم !!

يقول تينيت : " كان من المنتظر أن تبدأ قمّة واي ويفر للسلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين في ١٥ أكتوبر عام ١٩٩٨ . وكانت انتخابات التجديد النصفي للكونجرس على بعد أسبوعين ونصف الأسبوع . . وكنا نتساءل كيف يمكن أن يتأثّر المرشحون الديمقراطيّون بفضيحة لوينسكي؟! .. ومتى يستطيع الرئيس أن يلحق

بركب الحملة الانتخابيّة ويساعد مرشّحي الولايات والمرشّحين المحليّين ؟ .. وكان النافذون في البيت الأبيض متلهّفين لمشاركة الرئيس في الحملة، لأنّ الكثير من المرشّحين الديمقراطيّين راغبون في حضوره، ولم يديروا ظهورهم له. وكثيراً ما سمعت في الأيام التي تلت أنّ علينا إنجاح القمّة للسماح للرئيس بالتأثير على وقائع الانتخابات " .

ويتابع تينيت : "كان من المقرّر أن يلتقي الرئيس بالزعيمين عرفات ونتانياهو في البيت الأبيض قبل التوجّه إلى مزرعة واي ريفر على الشاطئ الشرقيّ لخليج تشيسبيك. وكان هدف الاجتماع الابتدائيّ مراجعة القواعد الأساسيّة للقمّة: كنّا بصدد فرض تعتيم إعلاميّ جديد، كان الناطقون الصحافيّون الأميركيّون فقط هم الذين سيصدرون بيانات يوميّة بالتنسيق مع الجانبين، ولن يتمّ الاتفاق على شيء إلى أن يتمّ الاتفاق على كل شيء، وكنّا سنقدّم نصّنا عندما نشعر بأنّنا فعلنا كل ما بوسعنا للوفاء باحتياجات كل من الجانبين. وقد أضاف هذا الاجتماع بعداً دراميّاً، ولا شكّ في أنّه أعطى الفلسطينيّين الشعور بأنّهم «وصلوا»، بأنّهم قدموا إلى المكتب البيضويّ على قدم المساواة مع الإسرائيليّين، وهو أمر سعوا إليه وأكّدوا عليه، لكنّه شيء، ساورتهم شكوك طويلة بأنّهم سيتمكّنون من تحقيقه بالفعل. أردت أن أجيد هذه الدراما مع ياسر عرفات، وبخاصة أنّني رأيت في ذلك الطريقة التي ستدفعه على الأرجح إلى التقدّم في المضمون. وقد انطبقت سيكولوجيا المعاملة على قدم المساواة على المسائل الأمنيّة " .

ويوضح تينيت : "كان التبادل هو المصطلح المفضّل لدى بيبي نتنياهو، لكنّ عرفات أراد أن ينطبق على الأمن أيضاً، وأراد، كما أشار دحلان مراراً، أن تتخذ إسرائيل إجراءً ضدّ المستوطنين الذين عمدوا إلى تطبيق القانون بأنفسهم ضدّ الفلسطينيّين، ونادراً ما كانوا يعاقبون. إذا كان الفلسطينيّون سيقومون باعتقال الفلسطينيّين، هل سيتحرّك الإسرائيليّون ضدّ المستوطنين «الأشرار»؟ ولما كنت أعرف أنّ هذا ما يدور في ذهن عرفات، طلبت من جمال أن يقابل عرفات قبل الاجتماع في البيت الأبيض

لينقل إليه اقتراحاً منّي. كان اقتراحي أن يثير عرفات قضيّة عنف المستوطنين مع بيبي على العشاء في المساء أمام الرئيس. ففي هذا الجوّ الخصوصيّ والمسترخي، يجب أن يقول لبيبي، «من العدل والصواب بوصفك رئيس وزراء إسرائيل أن تعرف دقائق الخطط الفلسطينيّة لمحاربة الإرهابيّين نظراً لأنّ حياة الإسرائيليّين معرّضة للخطر. ولسوف نقدم على ذلك لأنّه الصواب. ولكن مثلما عليك أن تتحمّل المسؤوليّة أمام شعبك، عليّ أيضاً أن أتحمّل المسؤوليّة أمام شعبي عندما يدوس مستوطن على جمجمة صبيّ في العاشرة أو يطلق النار على فتى في السادسة عشرة، ومن العدل والصواب بالنسبة إليّ أن أطّلع منك على خطّتك لحماية شعبي " .

ويقول تينيت : " أردت بهذه الفكرة أن أظهر لعرفات أنّنا حسّاسون تجاه مخاوفه، ونفكّر في كيفيّة معالجتها، في حين أذكّره أيضاً ببراعة بمسؤوليّاته تجاه الإسرائيليّين. ولا أدري إن كان «قد أدرك» أيّ شيء، لكنّه قدّر الرسالة بشكل واضح. فقبيل دخوله المكتب البيضاويّ توجّه إليّ في غرفة الحكومة وطوّقني بذراعه وشكرني على إرسال جمال مع اقتراحي. وللاستفادة من هذه السانحة والتشديد على أهميّة الاستجابة من الرئيس، قلت، «حضرة الرئيس، هذا ثالث رئيس أعمل معه، وليس هناك من يهتمّ بهذه القضيّة مثل اهتمام بيل كلينتون. لقد طلب منه كافّة مستشاريه عدم القيام بذلك عقد القمّة إلى ما بعد انتخابات الكونغرس في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) . لكنّ الرئيس أصغى إلينا، لا إلى مستشاريه السياسيّين، فلا تخذله». استمع عرفات وأمسك بيدي وأومأ برأسه. كانت لغة جسده تبشّر بالخير، لكنّنا كنّا على وشك أن نعرف إن كانت الرسالة قد وصلته " .

وهنا يقول تينيت : "حان وقت العمل. بعد أن جرت مقابلة بيبي أوّلاً في البيت الأبيض صباحاً، قرّرنا أن نعكس الترتيب وأن يلتقي الرئيس أوّلاً بعرفات في واي صباحاً. وفيما كان الرئيس ملتقياً بعرفات، جلست أنا ومادلين مع بيبي. التزم الرئيس مع عرفات بالخطّة الابتدائيّة إلى حدّ كبير. فضغط على عرفات لإنهاء خطة العمل الأمنيّة، وعندما تصبح هذه الخطّة بيده يمكننا السعي للتأثير على الإسرائيليّين

للاستجابة لاحتياجات الفلسطينيّين. وبدونها لن يكون لدينا ما نضغط به على الإسرائيليّين. انضمّ جورج تنيت إلى الاجتماع وقال عرفات للرئيس، «إنّنا نعمل مع جورج تنيت وسوف نقوم بما هو ضروريّ». كل شيء يسير بشكل حسن حتى الآن "

ويواصل تينيت مذكراته عن عرفات بقوله : " في هذه الأثناء، ضغطنا أنا ومادلين على بيبي لكي يضع انتقال ١٤,٢ بالمئة من أراضي المنطقة «ب» إلى المنطقة «أ» في جيب الفلسطينيّين ويبحث إعادة الانتشار الثالثة بشكل غير رسميّ مع أبي مازن وأبي علاء. الأولى لكي يكون لدى الرئيس ما يعرضه على عرفات عندما تدعو الحاجة إلى الاستمالة لا الضغط فقط، والثانية للحيلولة دون أن تعطّل الخلافات بشأن إعادة الانتشار الثالثة مفاوضات الوضع الدائم. لكنّ بيبي لم يستجب إلى نسبة الـ ١٤,٢ بالمئة ورفض بحث إعادة الانتشار الثالثة مع أبي علاء وأبي مازن مخافة أن يدخل في مفاوضات بشأنها. لكنّه قال إنّه مستعدّ للتحدّث بشأنها بشكل غير رسميّ مع عرفات على العشاء في وقت لاحق من تلك الليلة " .

وحان وقت لقاء الرئيس ببيبي، وتوجّهت أنا ومادلين لمقابلة عرفات. أثرت أهميّة التوصّل إلى تفاهم بعدم السماح لإعادة الانتشار الثالثة بتعطيل مفاوضات الوضع الدائم. استمع عرفات فحسب دون الإدلاء بأيّ ردّ. وعندما أبلغته أنّني أعرف بأنّه يتعاون مع جورج تنيت بشأن خطّة العمل، أومأ برأسه موافقاً. وبقدر أهميّة ذلك، كنّا بحاجة إلى ردّ رجاله على نصّنا بخصوص الوضع الأمنيّ، وكنت أريد أن أستمع إلى اقتراحات دحلان التي يفترض أن يقدّمها إليّ.

ويقول تينيت : " هنا ارتكبت خطأ، فقد ظهر بسرعة أنّ دحلان لم يبلغ عرفات بحوارنا على الشاطئ. فردّاً على إشاراتيّ الغامضة إلى التدقيق الأمنيّ وجمع الأسلحة، زعم عرفات بأنّ الإسرائيليّين يعتمدون سياسة الباب الدوّار بشأن الإفراج عن المعتقلين، وأنّهم مسؤولون عن الأسلحة غير القانونيّة في الأراضي (المحتلّة). هنا تدخّل أبو مازن بسرعة إدراكاً منه أنّني سأردّ على مثل هذه الملاحظات السخيفة الصادرة من عرفات قائلاً إنّ الفلسطينيّين سيقدّمون اقتراحاتهم لنا. أجبت قائلاً،

«حسناً، لكن يجب أن تكون واقعيّة وإلا لن نتمكّن من استخدامها». لم يكن بوسعي أن أدع تعليقات عرفات تمرّ دون الردّ عليها تماماً. أدرك أبو مازن الأمر ولم يقل عرفات شيئاً".

ويتابع: "أنهينا اجتماعنا لكنّنا وجدنا أنّ الرئيس لا يزال مختلياً مع بيبي. وعندما ظهر قدّم لنا موجزاً عن الاجتماع. رغم أنّنا شدّدنا قبل الاجتماع على وجوب أن يضغط للحصول على نسبة ١٤,٢ بالمائة من بيبي، إلا أنّ الرئيس، رغم إثارته لهذا الأمر، سلك طريقاً مختلفاً لدفع بيبي إلى قبول فكرة أنّ من مصلحته خروج عرفات قويّاً لا ضعيفاً من هذه القمّة. فلو خرج عرفات ضعيفاً لن يتمكّن من تنفيذ ما يحتاج إليه بيبي، لكنّه سيتعرّض لضغوط من أجل الإعلان الأحاديّ عن إقامة الدولة في ٤أيار (مايو) ١٩٩٩، وهو موعد نهاية الفترة الانتقاليّة التي يدعو إليها إعلان المبادئ. وقد وصف الرئيس بيبي بعد خروجه من مباحثاته الفلسفيّة معه بأنّه متجاوب".

ويؤكد تينيت: "رغم أنّني شعرت بأنّ ما فعله الرئيس مع بيبي كان مفيداً، إلا أنّني كنت أفضّل أن يضغط بشدّة للحصول على نسبة ١٤,٢ بالمائة في إعادة الانتشار. لكن في حين أنّني كنت أركّز على الأسس، كان الرئيس يحاول التأثير على رئيس الوزراء نفسيّاً بدلاً من الضغط عليه في أمور محدّدة".

ويمضي تينيت في تذكره لما حدث: "وجّهنا اهتمامنا صوب العشاء الخاصّ المقبل الذي يحضره الرئيس وبيبي وعرفات فقط. سألني الرئيس عما يجب أن يغطّيه في الاجتماع. كنت أشعر أنّ هناك موضوعين مفيدين، الأوّل هو إعادة الانتشار الثالثة - التوصّل إلى تفاهم غير رسميّ لكي لا يصبح هذا الأمر معيقاً لنا فيما بعد. والثاني قلق الفلسطينيّين من عنف المستوطنين - «قضيّة التبادل». أبلغت الرئيس عما اقترحته على عرفات، ولماذا يشكل العشاء المكان المناسب لهذا البحث، ووافق على ذلك. كما وافق أيضاً على اقتراحي «الاجتماع مع بيبي» لتليين موقفه بشأن ذلك قبيل العشاء. كان العشاء مقرّراً في ستيوارت هاوس، وهو مقرّ فاخر لكنّه صغير وناءٍ يستخدم في

الغالب للزوّار المميّزين وحفلات العشاء الخاصّة. وكان الرئيس سيتناول العشاء مع الزعيمين في غرفة الطعام. وكنّا أنا ومادلين وساندي سننضمّ إلى الآخرين في عشاء موازٍ في غرفة مجاورة أكبر ".

ويقول تينيت : "وصل بيبي قبل عرفات، وطلبت أن ألتقي به عدّة دقائق على انفراد. كان من الواضح أن مزاجه مسترخٍ، وتلك إشارة جيّدة إلي أنّ الرئيس قد طمأنه. أبلغته عن قلق عرفات بشأن «التبادل». وبخاصّة فيما يتعلّق بعنف المستوطنين واقترحت عليه أن يوضح بأنّ الحكومة الإسرائيليّة لا تقبل هذا العنف ولا تغضّ الطرف عنه. «أبلغه أنّك مصمّم على التعامل مع الأمر وأنّك لن تتحفظ على إعلان ذلك على الملأ». فأجاب بيبي بقوله «حسناً». ثم أثار قضيّة الثلاثين الذين ارتكبوا أعمال عنف ضدّ الإسرائيليّين . ثلاثة عشر منهم تابعون لجهاز الأمن الفلسطيني وقال إنّ هذه مسألة صعبة. فسألت إن كان عامي أيالون ومحمّد دحلان قد بحثا هذه المسألة. فأجاب بيبي بأنّهما لم يبحثاها. فشرحت له الآن أنّ دحلان راغب في توقيف كل من لا يستخدمه بشكل نشط ضدّ حماس. إنّ عددهم صغير لكنّهم وفقاً لدحلان فعّالون في محاربة حماس. أراد بيبي المطالبة باعتقال الثلاثين جميعاً، لكنّه كان يريد أيضاً ضمان السيطرة على حماس. ففرك جبينه، وتلك دلالة واضحة على التشوّش، قائلاً إنّه لا يعرف كيف يفسّر ذلك. «كم هو عددهم؟ أليس بوسعه أن يدع هؤلاء فقط طليقين»؟ قلت له إنّني لا أعرف، لكنّني سأستعرض الخيارات بهدوء مع دحلان وأردّ عليه. وافق بيبي على هذا النهج مشدّداً على أنّه لا يريدني أن أتحدّث إلى أحد في فريقه عن ذلك. كان النقاش صريحاً على مائدة عشاء الزعماء ".

"ووفقاً لوصف الرئيس، فقد بدأ النقاش بالطلب من عرفات التحدّث عن مخاوفه الأمنيّة. لم يعترف عرفات، رغم نصيحتي، بمخاوف إسرائيل لكنّه تحدّى بيبي مباشرة متهمّا إياه بأنّه «يطلق الأشخاص الذين يرتكبون العنف ضدّ الفلسطينيّين». أجاب بيبي قائلاً إنّ لدى إسرائيل نظاماً قضائيّاً وإنّ الإسرائيليّين يودعون في السجون على الجرائم المرتكبة ضدّ الفلسطينيّين. فردّ عرفات بأنّ لديه

قوائم بكل الإسرائيليّين الذين قتلوا أو جرحوا فلسطينيّين وليسوا في السجون، وعندما لم يطلب بيبي هذه القوائم، تخلّى عرفات عن هذه المسألة وأثار مخاوفه الأمنيّة: التهديدات من القوى الإسلاميّة المتطرّفة في المنطقة ـ وهو خوف يمكن أن يتفق عليه مع بيبي. تأخّر الوقت ولم تتمّ مناقشة إعادة الانتشار الثالثة بعد. لذا اقترح الرئيس تناول غداء خاصّ في اليوم التالي وأعطى بيبي وعرفات تكليفاً يعملان عليه في أثناء ذلك: طلب منهما العمل على التوصّل إلى تفاهم بشأن إعادة الانتشار الثالثة، والتفكير أيضاً بشأن الخطوات التي يعتقد كل منهما أنّ عليه القيام بها من الناحية السياسيّة بعد التوصّل إلى اتفاق يمكن أن يخلق مشاكل للجانب الآخر. وكيفيّة التخفيف منها. وافقا على الغداء، وكنت أنا ومادلين سننضم إليه بعد ساعة من المناقشات الخاصّة ".

ويوضح تينيت : " كان الرئيس منشرحاً، معتقداً على حقّ أنّ ما كلّفهما به يتعامل مع إحدى المشاكل الجوهريّة في عمليّة أوسلو حتى تاريخه: فكلا الفريقين لا يبدو أنّهما يفكّران في الاحتياجات اليوميّة للفريق الآخر. مع ذلك لم أكن أعتقد أنّ أيّاً منهما سيبدأ التفكير في احتياجات الفريق الآخر إلى أن نقترب من التوصّل إلى اتفاق ".

ويشرح تينيت : "عند اختتام الاجتماعات، لاحظت أنّ اليوم الأوّل كان معنيّاً بالسيكولوجيا، بجعل كل زعيم يشعر بالارتياح. وقد يكون ذلك ضروريّاً، لكنّني أميل إلى الاعتقاد بأنّ الاتفاقات تبرز من الأوضاع التي تعلو فيها الرهانات حيث يشعر كل جانب بعدم الارتياح. فلا أحد يتخذ قراراً صعباً ما لم يكن مضطرّاً إلى ذلك ".

وهنا يقول تينيت : "وقع تطوّر غريب بعد العشاء. ففيما كان الرئيس يطلعنا على ما دار على العشاء، كان ذراعه على كتف مارتن إنديك، الذي كان معنا على العشاء. بعد مغادرة الرئيس، سألت «ما الأمر»؟ أوضح مارتن أنّ الرئيس أثار معه بشكل مفاجئ مسألة جوناثان بولارد ـ الأميركيّ الذي تجسّس لصالح إسرائيل وأودع السجن منذ سنة ١٩٨٥ .. وفي اليوم الثاني للقمة: لم يتقدم نتنياهو مع عرفات إلى الباب فاعتبر ذلك إهانة !!

ويواصل تينيت : " كان يوم الجمعة جميلاً، حيث جلس بيبي وعرفات بمفردهما، ومعهما جمال بمثابة مترجم، تحت مظلّة على السطح خلف ريفر هاوس، مقرّ الإسرائيليّين. وعندما وصلنا أنا ومادلين، أوجز بيبي ما دار من نقاش. قال لنا إنّه بدلاً من القيام بما طلبه الرئيس - أي التركيز على ما بعد الاتفاق - شعر بأنّ الأهمّ هو التركيز على ما يلزم للتوصّل إلى اتفاق. لذا اختار إثارة مسألة اجتماع المجلس الوطني الفلسطينيّ و«تسليم» الثلاثة عشر شرطيّاً الموجودين على لائحة الثلاثين الذين قتلوا إسرائيليّين. كان وجه عرفات يعكس عدم الرضا، وعندما جاء دوره للتحدّث تجاهل مسألة المجلس الوطني الفلسطينيّ وتناول بدلاً من ذلك مسألة «التسليم».

ويوضح تينيت : كان صريحاً. لم يكن يثق باللوائح التي يقدّمها الإسرائيليون، وكان يعتقد بأنّها «مختلقة وتستند إلى أقوال من يُدفع لهم ليكونوا مخبرين».

في تلك اللحظة – والكلام لتينيت – استُدعيت وزيرة الخارجيّة لتلقّي مكالمة هاتفيّة، وفي غيابها التفت بيبي إليّ وسألني، بعدما سمعته، إذا كان لديّ اقتراح. دهشت لأنّه أثار مسألة رجال الشرطة الثلاثة عشر أصلاً بالنظر إلى النقاش الذي دار بيننا في الليلة الماضية. أما الآن بعدما تفحّصت الرجلين، سألت إذا ما كان الإسرائيليّون قد سلّمونا هذه القائمة لنرى ما إذا كان يمكننا الركون إليها. وللإشارة إلى عرفات بأنّنا لسنا خاتماً مطّاطيّاً على القوائم الإسرائيليّة، أضفت بأنّنا لا نشارك الإسرائيليّين رأيهم بما يجب العمل مع الأشخاص الذين توجد عليهم إثباتات قاطعة، لأنّنا «نقرأ الاتفاقيّة المؤقّتة بشكل مختلف عن الإسرائيليّين بشأن سجن المشبوهين من قبل القوى الأمنيّة الفلسطينيّة، لا تسليمهم إلى السلطات الإسرائيليّة». سأل بيبي عرفات إن كان لديه أي ردّ على اقتراحي وقال عرفات إنّه ليس لديه أي تعليق. عادت وزيرة الخارجيّة، فأوضحت ما فعلناه في غيابها، وقال بيبي الآن إنّه ليس لديه تعليق أيضاً على اقتراحي. ثم نقل الحديث إلى عقد المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ. كانت فكرته تقضي بإقناع المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ

بالتصديق على الاتفاقيّة التي يتوصّل إليها هنا والتعامل مع الميثاق. «وبذلك لا تبدون كأنّكم تعقدون اجتماع المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ من أجل الميثاق». بقى عرفات ملتزماً عدم الردّ، وفي جوابه عن سؤال من وزيرة الخارجيّة عما يمكن عمله الآن، قال إنّ على كل اللجان التي تغطّي كل هذه القضايا أن تجتمع. أنهينا الاجتماع باتفاق على أن يطلع رؤساء اللجان، الزعيمين ووزيرة الخارجيّة، على مناقشاتهم في وقت لاحق من ذلك اليوم. ودّع بيبي عرفات، لكنّه لم يرافقه إلى باب ريفر هاوس. وتلك بنظر عرفات إهانة سبّبت له الإزعاج. كشف الاجتماع عن جدول أعمال بيبي. إنّه يريد سجن الثلاثين مشبوهاً أو تسليمهم ويريد التئام المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ بشأن الميثاق كجائزتين. وكان يأمل في إقناع عرفات بهاتين القضيّتين لكنّه لم يصل إلى نتيجة. لم يسفر اجتماعهما كما هو متوقّع عن أي ردّ على ما كلّفهما به الرئيس ولم تبد ثمة إشارة إلى أنّ أيّاً منهما لديه الرغبة في التعامل مع ذلك. بعد الغداء، في هذا اليوم الثاني، لم تبد أي إشارة إلى أنّنا سنتقدّم بسرعة. كانت خطّتي التي عرضتها في الصباح الطريقة الوحيدة لتحريك الأمور. ولسوء الحظّ لم نكن قد تسلّمنا بعد الاقتراحات الأمنيّة الفلسطينيّة التي نحتاج إليها، وعندما بحثت عن أبي مازن، اكتشفت أنّه ذهب للتسوّق من متجر غير بعيد عن واي. وعندما تمكّنت من الوصول إليه في النهاية، وعد بالعمل، ولكن وجدت مرّة ثانية أنّنا الوحيدون الذين لدينا إحساس بالإلحاح.

التقت اللجان في وقت متأخّر من بعد الظهر، وقبل قليل من حلول عطلة السبت، أطلع رؤساء اللجان، الزعيمين ووزيرة الخارجيّة، عما دار في هاوتن هاوس، مقرّ الفلسطينيّين. كان التركيز منصبّاً بأكمله تقريباً على المشاكل الاقتصاديّة والممرّ الآمن بين الضفّة الغربيّة وغزّة، وهما قضيّتان تؤثّران بشدّة على الحياة اليوميّة للفلسطينيّين رغم أنّهما ليستا مركزيّتين في أي اتفاق. لم يقل عرفات الكثير طوال الاجتماع، سوى طلبه من بيبي التفكير «رجاء» في الإجابة عن كلّ مسألة " .

ويقول تينيت : "رغم أنّ الاتفاقيّة المؤقّتة تنصّ على ممرّين آمنين بين غزّة والضفّة الغربيّة، لم يتمكّن الجانبان قطّ من التفاوض على تنفيذهما" .

ويواصل تينيت هذا الجزء الخاص بعرفات، بعد انتقاله للحديث عن أسرار مرحلة ما بعد قمة عرفات ناتانياهو في " واي ريفر " .

يقول تينيت : " فيما بين إسدال الستار على قمة واي ريفر في شهر أكتوبر عام ١٩٩٨، ونهاية شهر سبتمبر ٢٠٠٠، لم يقع أي هجوم فلسطيني انتحاري ضد إسرائيل (فيما وراء الخط الأخضر). وفي ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠، قام أرييل شارون زعيم كتلة الليكود المعارضة – وقتذاك – بزيارة المسجد الأقصى في القدس القديمة.

وأعلن شارون أن الهدف من الزيارة هو بحث شكاوي علماء الآثار الإسرائيليين من قيام المسلمين بتخريب المنطقة. ولكنه وصل المنطقة مدججاً بألف جندي ورجل شرطة في اليوم التالي لمقتل جندي اسرائيلي في هجوم انتحاري وبعد الزيارة بيوم واحد اندلعت الانتفاضة الثانية، وبدأت عملية السلام تترنح " !!.

ويواصل : "في محاولة لإنقاذ عملية السلام التي كانت توشك على الانهيار، شاركت في ٣ محاولات أخرى لدفع عملية السلام في الشرق الأوسط إبان إدارة الرئيس بيل كلينتون. قمة كامب ديفيد في ١١ يوليو عام ٢٠٠٠، والتي استمرت أسبوعين كاملين دون توقف، ثم اجتماع في باريس في ٤ أكتوبر ٢٠٠٠ لمتابعة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في هذه القمة، قبل أسبوع واحد من توقف عملية السلام من جديد بسبب اندلاع الانتفاضة الثانية، وأخيراً قمة شرم الشيخ ١٦ – ١٧ أكتوبر ٢٠٠٠ برئاسة مشتركة من بيل كلينتون والرئيس المصري حسني مبارك " ..

ويوضح تينيت : " كانت الترتيبات الأمنية التي توصلنا إليها بصعوبة في واي ريفر هي أساس هذه الفعاليات الثلاث، والتي ساعدت الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني علي إدراك معنى الأمن المتبادل .

ويوضح : " في قمة كامب ديفيد لم تكن القضايا الأمنية ذات الأهمية القصوى في بداية المفاوضات، حيث دارت المحادثات حول دور اللاعبين الرئيسيين في الجانب الإسرائيلي على الأقل. فقد رحل نتنياهو عن السلطة، وحل محله إيهود باراك. وعلى

الرغم من أن عرفات كان لا يزال رئيساً للجانب الفلسطيني، وكان من الصعب بل من المستحيل إزاحته. والحقيقة أن أحداً من كبار أعضاء الوفود المشاركة في القمة لم يكن ليمتلك مثل ما لدى عرفات من صلاحيات وسلطات " .

وقد كانت – والكلام لتينيت – "علاقة مادلين أولبرايت بعرفات تتراوح مابين الحب والكره. وفي تلك الفترة كانت تميل إلى الكره أكثر منها إلي الحب. وقد حاول الرئيس كلينتون أن يساعد عرفات، ولكن الأخير لم يتعاون معه حتى رغم جهود كلينتون المضنية في هذا الصدد. ومما صدمنا هو رفض عرفات لخطة باراك الذي كان مستعداً للتوصل إلى صيغة ما لاتفاق سلام نهائي. وكان تقييمنا في سي. آي. إيه أن باراك جاء إلى كامب ديفيد وفي نيته التوصل إلى اتفاق نهائي، أما عرفات فلم تكن لديه هذه النية. فقد كان عرفات يعتقد أنه كان قد حصل من باراك على التزام راسخ بإعادة ثلاث قرى قريبة من القدس للفلسطينيين، ولكن في منتصف شهر مايو أدرك عرفات أن باراك لن يفي بتعهده ولن يعيد القرى. ومن هنا أدرك عرفات أن باراك ليس الرجل الذي يفي بوعوده، ويمكن الوثوق فيه " ..

ويقول تينيت : " أما لماذا جاء عرفات إلى كامب ديفيد فالسبب هو عدم رغبته في توجيه إهانة إلى الرئيس كلينتون إذا ما رفض الحضور " !!

ويتابع تينيت : "جاء دوري عنما بدأت المفاوضات تنهار، بعد انسحاب عرفات، وتهديده بالرحيل، وطلبت مني مادلين أولبرايت أن أذهب إليه لإقناعه بالعودة لمائدة التفاوض. فذهبت إليه وقلت له إن الإسرائيليين لن يمدوا أيديهم بغصن الزيتون كما يفعلون الآن. ورحت أذكره بالجهود التي بذلها الرئيس كلينتون لدفع مفاوضات السلام للأمام. وقلت له : الآن عليك العودة للمفاوضات، وإذا رفضت فعلى الجميع العودة من حيث أتى وينتهي كل شيء. ولشدة دهشتي، فقد وافق عرفات في الحال على العودة قائلاً إنه على استعداد لبحث أي شيء يضعه الرئيس أمامه. وقد استمرت هذه المحادثة ١٥ دقيقة فقط، قبل أن أعود إلى أولبرايت لأبلغها بعودة عرفات وسط دهشتها لسماع ذلك. ورغم ذلك فقد فشل كلينتون في إقناع عرفات بخطة باراك، وانهارت المفاوضات في النهاية وذهبت الوفود من حيث أتت خاوية الوفاض " .

وفي أكتوبر ٢٠٠٠، اجتمعت الأطراف من جديد في باريس. وتم الاتفاق على ١٠ خطوات يتعين اتخاذها لوقف العنف الذي تفجر مع الانتفاضة، وبينما كان دنيس روس يعكف على كتابة الخطوات العشر، فإذا بالرئيس عرفات يغادر الاجتماع لكي يزور الرئيس الفرنسي جاك شيراك، ومنذ تلك اللحظة وقد أخذت جميع الأمور تسوء من جديد " !!

ويوضح تينيت : "فقد استغل عرفات لقاءه مع شيراك لإثارة أكثر الخطوات العشر التي يمكن أن تثير حفيظة الرئيس الفرنسي وهي تشكيل محكمة أمريكية لمرتكبي جرائم العنف ، وطلب عرفات منه الضغط لاستبدالها بمحكمة دولية، وعدنا لنقطة البداية من جديد وانهار الاجتماع. وبعده التقينا في شرم الشيخ بمصر ورأس القمة الرئيس كلينتون والرئيس مبارك " .

ويقول تينيت في مذكراته : " كانت الثقة في عرفات دائماً مشكلة المشاكل، وخاصة أثناء السنة الأخيرة من فترة حكم الرئيس كلينتون، حيث شعر كلينتون بالإحباط إزاء عدم رغبة عرفات في قبول ما يُطرح عليه من حلول، وبدا وكأنه يريد استمرار التفاوض فقط حتى يظل الرجل الأول بالنسبة للفلسطينيين ويحتفظ بموقعه هذا وسلطاته، ويبقي لاعباً عالمياً " .

ويتابع : "عندما جاءت إدارة الرئيس بوش لم تول عرفات مثل هذا الاهتمام أو الاعتبار، رغم أن إدارة كلينتون كانت قد منحته دوراً محورياً في عملية السلام. وقد ساندت موقف إدارة بوش في عدم الاستمرار في منح عرفات مثل هذا الدور، أو المضي قدماً في ترسيخ صورته كلاعب عالمي، أو منحه أي مكافأة أخرى على سلوكه الذي لا يؤدي بنا إلى تحقيق أي شيء " !!

ويعترف تينيت : "الحقيقة أنني أعشق الإسرائيليين.. ولعهم بالحياة.. وما فعلوه لنصرة أنفسهم وإقامة دولتهم، وأيضا ارتبطتُ بالفلسطينيين وكان عرفات جزءاً من هذا الارتباط. ولم أستطع أن أمنع نفسي عن حبه. وكلمة "حب" أو "صديق" تبدو غريبة وشاذة في عمل المخابرات، ولكن تعبير "زواج مصلحة" هو الأدق ..

والحقيقة أن شخصية عرفات كانت دائماً موضع التقييم والتحليل. وكنت أتناقش ذات ليلة مع شلومو ياناي، الذي كان يشغل منصب رئيس التخطيط العسكري في الجيش الإسرائيلي حول ما إذا كان عرفات "موسى أم بن جوريون".. ومع الوقت كانت المحصلة النهائية لعملية التقييم من وجهة نظري أنه " لا موسي ولا بن جوريون". والحقيقة أن الإسرائيليين كانوا يعرفون عرفات أفضل من أي شخص آخر في العالم،

وحتى الفلسطينيين أنفسهم كانوا يعرفون أوجه القصور في شخصية عرفات، وفي مرحلة ما كانت إدارة بوش ترغب من أن يتمكن مساعدوه من إزاحته والمجيء بشخصية أخرى يمكن – من وجهة نظرنا – التعامل معها، وقد طالبناهم بذلك بالفعل، ولكنهم لم يستمعوا إلينا جيداً، رغم يقينهم بأن هناك حاجة ماسة إلى تغييره، وتأكدهم من أن نظامه لا يتيح للفلسطينيين حق مساءلة النظام أو محاسبته، أو فرض رقابة على تصرفاته " .

ويقيم تينيت شخصية عرفات – من وجهة نظره طبعاً – فيقول : "كان الراحل عرفات أكثر الشخصيات التي عرفتها في حياتي تعقيداً،.. في بعض الأحيان أكاد أجن منه، وفي أحيان أخرى كنت أريد معانقته، ولم أكن أعرف أبداً أي جانب من شخصية عرفات سأقابله في أي لقاء يجمعني به " .

ويواصل : " أستطيع أن أقول إن إدارة بوش أرادت في البداية أن أبقى بعيداً عن عملية السلام ، وأن أترك الأمور في أيدي الدبلوماسيين، رأيت هذا أمراً لا بأس به. ولكن في الأول من يونيو ٢٠٠١، وقع هجوم انتحاري على ديسكو في تل أبيب يعرف باسم " دولفناريوم " مما أسفر عن مصرع واحد وعشرين إسرائيلياً، معظمهم من المهاجرين الروس، الأمر الذي أحدث صدمة لدى الإسرائيليين وأصبحت الأمور في طرقها إلى التفاقم في المنطقة " .

ويمضي تينيت : "بعد أيام قليلة تم إرسالي للوقوف علي ما يمكن عمله لإحياء جهود السلام، ومحاولة التوصل إلى اتفاق أمني قابل للتنفيذ، يدفع عملية السلام للأمام. وفي مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي – وقتذاك – أرييل شارون استمرت الجهود بين الجانبين الأميركي والإسرائيلي لوضع اللمسات النهائية على اتفاق شامل، غير أن الإسرائيليين بدأوا في المطالبة باتفاق جانبي، وهو نوع من التحايل أو الغطاء الذي يمكنهم أن يستتروا وراءه إذا ساءت الأمور، أو بالأحرى يمكنهم تسريبه إلى الصحافة لتخريب العملية ونسفها بكاملها .. وكان ردي على الإسرائيليين بقولي: لا للاتفاقات الجانبية، فردوا علي بقولهم: لا للصفقة بأكملها " .

و يقول تينيت : " بعد ثمانية أيام من عملنا الشاق، توصلنا لاتفاق أطلق عليه اسم "خطة عمل" يتألف من قائمة تفصيلية بخطوات محددة من شأنها أن تفضي إلى استئناف التعاون الأمني وفرض التزام صارم بوقف إطلاق النار وإيقاف العمليات" الانتحارية " وإعادة نشر الجيش الإسرائيلي والوقف الفوري للاشتباكات، وقيام الفلسطينيين باعتقال " المتشددين " وتخفيف القيود التي يفرضها الإسرائيليون على السفر وسحب القوات الإسرائيلية. وبعد فترة من التهدئة، تضمنت الخطة تنفيذ اقتراحات لإقرار السلام سبق طرحها في شهر أبريل ٢٠٠١ من قبل لجنة ميتشل. وفي مساء ١١ يونيو انتهى العمل وعقد اجتماع ثلاثي من أجل التوقيع النهائي على خطة العمل. بعد ذلك بدأت رحلة الانتظار الطويلة لرد عرفات، وذهبت إلى رام الله للقائه كي أحصل على موافقته على خطة العمل " .

ويضيف تينيت : " لم يكن عرفات في مدخل مقره في رام الله لدى وصولي، وهو ما اعتبرته مؤشراً سيئاً. وقال عرفات لدى استقباله لي، وقد بدا عليه التجهم، إنه يريد اتفاقاً جانبياً مع الأميركيين قبل موافقته على خطة العمل. وعند رفضي طلبه، أصر على أن يأخذ الأمر صيغة رسالة يحررها عرفات وتوجه إلى تينيت. هذه الرسالة ذات الفقرات الثلاث، استمر التفاوض عليها طويلاً إلى أن دقت الساعة معلنة الثانية بعد منتصف الليل، حيث كتبت الرسالة في صيغتها النهائية، وسُلمت

إلي، لكنني اكتشفت أن هجاء اسمي كان خاطئاً، فأصر عرفات على كتابة الرسالة مجدداً، ومضى يعنف العاملين في مكتبه، ويطالبهم بأن توجه الرسالة في صيغتها الجديدة إلى شخصي حاملة التحية موجهة إلى " عزيزي المحبوب المدير تينيت ".

وفي اليوم التالي – كما يقول تينيت – " عقد اجتماع ثلاثي غير بعيد عن مقر ديسكو "دولفيناديوم"، واتصل الرئيس جورج دبليو بوش، الذي لم يحط بكل جوانب الموقف بي في اليوم التالي من طائرة الرئاسة ليهنئني على توفيقي في مهمتي. ولكن بعد أسبوع تقريباً انهارت هذه الصفقة برمتها، وتحولت إلى حطام على حيد الطريق الوعر إلى السلام .. وقد كنت – فيما بعد – من بين أواخر المسؤولين الأميركيين الذين التقوا عرفات وهو لا يزال على قيد الحياة في مقره برام الله في عام ٢٠٠٢. وبدا يومها هزيلاً.. شاحباً.. محاصراً ومعزولاً عن شعبه، وسجيناً في مقره الذي حاصرته الدبابات الإسرائيلية، لكنه كان لا يزال زعيماً للفلسطينيين، وكنت قد توجهت إليه لأهيب به أن يصلح أجهزته الأمنية، وينظمها ويجعل لها هيكلا قياديا واضحا، ويعين لها وزيرا يتولى مسؤوليتها. وفي هذه المرة أيضاً لم أقابله عند مدخل المقر، فقد كانت العيون الإسرائيلية بانتظار ظهوره، ولو للحظة ".

ويختتم تينيت حديثه عن الراحل عرفات في مذكراته بتلخيص تجربته معه فيقول : مع ذلك فقد تأكدت من أن الوقت قد انقضى، وأن نافذة الأمل قد أوصدت. وأن عرفات كان يعرف ذلك، كان يعرف أنه لن يقود شعبه إلى الأرض الموعودة، بل إنه لم يستطع اجتياز المدخل الأمامي لمقره سيراً على الأقدام، فهو لم يكن موسى ولم يكن بن غوريون " !!

عرفات وشروط

هنري كسينجر !!

وتروي مذكرات الساسة الأمريكيين الكثير والكثير عن تجربة منظمة التحرير خاصة حركة فتح في الحوار مع الولايات المتحدة .

وقد كان لمنظمة التحرير خاصة حركة فتح تجربة سابقة في الحوار مع الولايات المتحدة، فقد سعت الحركة وبمبادرة من عرفات مباشرة إلى فتح قنوات اتصال بكافة الطرق وعبر أكثر من وسيط، فقد كان الاعتقاد السائد منذ انطلاقة حركة فتح ولا يزال حتى أيامنا هذه أن مفاتيح الحل بيد واشنطن وكان أبو عمار يقول بأن ٩٩ ٪ من مفاتيح الحل بيد الولايات المتحدة، وأن الرهان على قوى أخرى رهان خاسر بكل امتياز، لذلك وبعد حرب تشرين عام ١٩٧٣م ومفاوضات فك الاشتباك بين إسرائيل ومصر وسوريا تشجعت حركة فتح لفتح حوار مع الإدارة الأمريكية غير أن هنري كسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وضع شروطا منذ بداية السبعينيات لم تتغير أبداً وهي:

١ - اعتراف بحق إسرائيل بالوجود.

٢ - الاعتراف بقراري ٢٤٢ و٣٣٨

٣ - نبذ العنف "الإرهاب".

وتظهر الوثائق الأمريكية صرامة الخطوط التي وضعتها وزارة الخارجية في واشنطن لأية محاولة اتصال تجرب منظمة التحرير أن تقوم بها.

رسائل وارين كريستوفر

كان "وارين كريستوفر" (وزير الخارجية الأمريكي الآن) - في ذلك الوقت (١٩٧٧) مساعدا لوزير الخارجية "سايروس فانس". وقد كتب توجيها سريا وجهه إلى كل البعثات الأمريكية في الخارج، كان نصه ما يلي:

"سري"

إلى كل البعثات الدبلوماسية الأمريكية والقنصلية

لقد لفت نظر الوزارة في الفترة الأخيرة قيام بعض ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية بمحاولة للاتصال برسميين أمريكيين في الخارج (خصوصا في جنيف). ولذلك فإن الوزارة تود أن تلفت نظر الممثلين الأمريكيين إلى حدود التعامل مع منظمة التحرير.

إن موقفنا ما زال قائماً كما كان ولم يطرأ عليه أي تغيير. وعلى ممثلي الولايات المتحدة ألا يقبلوا أية اتصالات مباشرة – نكرر مباشرة- أو موضوعية مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية. إن هذه السياسة تنطبق على أية لقاءات مع أعضاء في المجالس الرسمية لمنظمة التحرير، وبالتحديد مع أي من جماعات الفدائيين مثل "فتح"، والجبهة الديمقراطية، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وغيرها.

إن الحكومة الأمريكية لا تزال ترفض التعامل مع منظمة التحرير طالما أن هذه المنظمة لا تعترف بحق إسرائيل في الوجود، ولا تقبل بقراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ و٣٣٨. وعلى هذا الأساس فإن ممثلي الحكومة الأمريكية في الخارج عليهم أن يتجنبوا أي عمل يمكن تأويله كخروج عن هذه السياسة أو تخفيف لقواعدها.

وبالقطع، فنحن ندرك أن بعض اللقاءات حتمية ولا يمكن تجاوزها، ونموذج ذلك ما يحدث في أروقة الأمم المتحدة التي يحضر فيها ممثلو المنظمة بالضرورة، وأيضاً ما حدث في بيروت حينما جرت اتصالات بشأن رهائن أمريكيين احتجزوا في أماكن تتواجد فيها منظمة التحرير في لبنان. وفي مثل هذه الظروف إذا طرأت، فإن على ممثلي الولايات المتحدة إخطار الوزارة بالوقائع والملابسات، وطلب التوجيه في الكيفية التي يتصرفون بها.

كذلك فنحن ندرك أنه في بعض المناسبات الاجتماعية في الخارج فإن لقاءات بالمصادفة عرضة لأن تحدث، وقد يستغلها بعض من لهم علاقة بمنظمة التحرير.

وفي مثل هذه الأحوال فإن على ممثلي الولايات المتحدة أن يتجنبوا قدر الإمكان مثل هؤلاء الأشخاص دون أن يتخلوا عن ضرورات اللياقة الدبلوماسية بطريقة قد تبدو حادة. وعليهم أن يكونوا ملتزمين بالمجاملة، وأن يكونوا في نفس الوقت حريصين على ألا تظهر المجاملة وكأنها لقاء أو حديث.

إمضاء:

وارين كريستوفر

وكانت المنظمة تحس بهذا الحظر الأمريكي عليها، وحاول بعض المسئولين فيها أن ينقلوا رسائل إلى الولايات المتحدة وفيها ما كان مقصودا به إقناع واشنطن بان المنظمة لديها ما تقوله معتدلاً ومقبولاً. وفي بعض المرات فإن المسئولين الفلسطينيين آثروا أن تكون الرسائل الموجهة إلى واشنطن منقولة من وسطاء غير عرب. وتسجل الوثائق الأمريكية رسالة من هذا النوع أرسلت عن طريق السفير الأسترالي في دمشق. كان المسئول الفلسطيني الذي تحدث إلى السفير الأسترالي في العاصمة السورية عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكان حديثه بعد توقيع معاهدة "كامب ديفيد"، وكان حديثاً صريحاً. وحتى إذا قيل إن ما ورد على لسانه يعبر عن رأيه الشخصي، فمن المؤكد أن حديث عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير مع سفير غربي- لا بد أن تكون له دلالاته.

وفجأة حدث خرق لقواعد الاتصال الأمريكي. فقد تسربت رواية عن لقاء جرى بين "آندرو يونج" الممثل الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة، و"زهدي لبيب الطرزي" مندوب منظمة التحرير لدى الأمم المتحدة. وسارعت وزارة الخارجية الأمريكية بتقصي الأمر، وتأكدت من حدوث لقاء، وخشيت من تأثيره على خطوط التوجيه الرسمية في شأن الاتصالات مع ممثلي المنظمة. فإنه لم تمض غير أيام قليلة حتى كان السفير "يونج" قد طرد من منصبه بصرف النظر عن صداقته الوثيقة بالرئيس "كارتر".

ولم تنجح محاولات الاتصال على اختلاف أنواعها. ولم تخفف الولايات المتحدة قيودها على التعامل مع منظمة التحرير.

وكان الاقتراب من الباب الأمريكي يعطي معادلة جديدة – لكن واشنطن ما زالت غير مستعدة، وكانت ترى – طبقا لنظرية " ريتشارد هاس " – من أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي وأمانته الدائمة في البيت الأبيض – أن الوضع الفلسطيني لم "ينضج " بعد ولم يصبح جاهزا للتسوية المطلوبة، وان أمامه بعض الوقت تحت الحرارة والضغط حتى يلين ويصبح جاهزا للتناول !.

في نهاية السبعينيات من القرن الماضي كانت هناك عدة قنوات اتصال سواء على صعيد رجال الأعمال والأساتذة الفلسطينيين المقيمين في الولايات المتحدة أو بشكل شخصي قبل اللقاء بين ياسر عرفات والمستشار النمساوي برونوكريسكي عام ١٩٧٨م، والذي كان من قلائل زعماء أوروبا وكان له دور نشيط في الحركة الدولية الاشتراكية وعلى علاقة بعدد من ساسة حزب العمل الصهيوني، وقد كان لعصام السرطاوي دور كبير في هذه اللقاءات وبتوجيه من أبو مازن.....

كانت السياسة الأمريكية تتابع بدقة ما يجري من تطورات على كل الساحة الممتدة من بيروت إلى فيينا وما حول العاصمتين، وكانت واشنطن تجري تقييماتها للموقف بدقة تعكسها برقية سرية بمعلومات وتوجيهات صادرة من وزير الخارجية مباشرة، وجاء في نص هذه البرقية ما يلي:

برقية رقم ١٢٠٦٥ – سري جدا

٤ سبتمبر ١٩٧٩

ملحوظة: لا يطلع على هذه البرقية غير رؤساء البعثات ولا توزع على غيرهم لأن ما فيها قد يكشف مصادر معلوماتها وأسلوب الحصول على هذه المعلومات.

يراعى التزام السرية.

إن اللقاء الذي حدث أخيرا بين عرفات وكرايسكي وبرانت أعطى لمنظمة التحرير حقنة مقوية في ذراعها (a shot in the arm). أن هذا اللقاء الذي جاء سابقا مباشرا للقاء حصل بالصدفة بين المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة والمندوب الفلسطيني – زاد التوقعات في شأن الاتصالات مع منظمة التحرير، ويظن عرفات أن هذه اللقاءات قد أضافت إليه قدرا من الاحترام. ويبدو أن عرفات يعيد النظر الآن في أساليب العنف كوسيلة لتحقيق أهداف منظمة التحرير وفتح.

إن منظمة التحرير مرت في الأسابيع الأخيرة ببعض التطورات الدبلوماسية التي قد تعطيها الإحساس معها:

حدث لقاء بين فرانسوا بونسيه وزير الخارجية الفرنسي وبين فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وطرح قدومي في الاجتماع رغبة عرفات في زيارة باريس، ومعلوماتنا أن الرد عليه كان بأن الوقت ما زال مبكرا لذلك.

إن حادث الهجوم على السفارة المصرية في أنقرة واحتلالها بواسطة فلسطيني وتدخل منظمة التحرير بحزم لإنهاء هذه المشكلة – أعطى لمنظمة التحرير الفرصة للاقتراب من الحكومة التركية والحصول منها على نوع من الاعتراف الدبلوماسي. وتلك أول مرة يحدث فيها ذلك من دولة عضو في حلف الأطلنطي.

إن الرئيس الروماني تشاوشيسكو اجتمع أخيرا مرتين مع عرفات، ولم يكن هناك إلا فاصل تسعة أيام بين المقابلة الأولى والثانية، ونحن نعرف أن تشاوشسكو كالعادة منهمك في نقل الرسائل.

إن المجلس الفيدرالي السويسري أعلن أخيرا عن استعداده للسماح بلقاء بين وزير الخارجية السويسري وفاروق القدومي.

إن الرئيس الليبيري تولبرت وافق على استقبال مبعوث من منظمة التحرير رغم إنه لا يوجد مكتب للمنظمة في منروفيا.

إن استراتيجية المعتدلين في منظمة التحرير تبدو وكأنها تأخذ اتجاهين:

الاتجاه الأول هو تجاوز سمعة منتظمة التحرير كمنظمة إرهابية والسعي من أجل الحصول على مصداقية دبلوماسية في الغرب.

البناء فوق هذه السمعة المكتسبة والتغلب على رفض الولايات المتحدة المستمر حتى الآن للحوار مع المنظمة

لمتابعة هذه الأهداف فإن عرفات ذهب إلى قمة الدول الغير منحازة وهو يتوقع أن يحصّل على قرار بإدانة المعاهدة المصرية - الإسرائيلية (لاستكمال الشكل والتغطية) والدعوة إلى اجتماع خاص للجمعية العامة للأمم المتحدة يكرس لمناقشة قضية فلسطين، وهو يفكر في المجيء لنيويورك للبحث في أمر هذا الاجتماع.

ويبدو أن عرفات مستعد لتجاهل العناصر المتشددة في المقاومة الفلسطينية وفي منظمة التحرير، وهناك أدلة تشير إلى أن عرفات أوقف جميع عمليات الإرهاب الدولية التي تقوم بها فتح، كما مارس قدرا كبيرا من ضبط النفس خلال الهجمات التي قامت بها إسرائيل والقوات الموالية لها بقيادة حداد في جنوب لبنان.

يحاول عرفات أن يصل إلينا عن طريق بعض الشخصيات من السود الأمريكيين الذين يدعوهم إلى لقائه، وبينهم جاكي جاكسون، وهو يبعث لنا بإيماءات صريحة بأنه على استعداد للاعتراف بحق إسرائيل في الوجود إذا جرى اعتراف أمريكي بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم.

من الواضح أن عرفات يبدو مقتنعا الآن بأن كل الأعمال الإرهابية لن تعطيه الاعتراف الذي يريده سواء من دول أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة.

إن عرفات يتوقع أن ينفتح أمامه باب أمريكي يصل منه إلينا.

إمضاء:

" وزير الخارجية "

وكانت الولايات المتحدة رغم ذلك – وحتى هذه الدقيقة – لا تزال على تصميمها بأن منظمة التحرير يجب أن تنتظر أكثر حتى تنضج الأمور وتستوي أكثر.

جورج شولتز : عرفات

لم يقدم المطلوب !!

وثائق وزارة الخارجية الأمريكية، وكذلك مذكرات " جورج شولتز" توضح أن " ياسر عرفات" كان طوال شهر سبتمبر ١٩٨٨ على اتصال بالإدارة الأمريكية عن طريق "ويليام كوانت" الذي عمل مستشاراً في مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض على أيام رئاسة " جيمي كارتر"، ثم التحق بعد ذلك بمؤسسة " بروكنجر"، وأصبح أحد عمدها وقد ذهب " كوانت" لمقابلة " ريتشادر مورفي" مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط ليبلغه أنه تلقى رسالة من " عرفات" يركز فيها الزعيم الفلسطيني على سؤال واحد هو: " هل تقبل الولايات المتحدة محادثات رسمية معه إذا استجاب لشروطها؟" وكان الرد الذي تلقاه " كوانت" من مورفي " لينقله إلى " عرفات"إن" الأمر يتوقف على طريقة وصيغة الاستجابة للشروط الأمريكية الثلاثة " وعاد " كوانت" بعد أيام بصيغة مقترحة من " ياسر عرفات"، وعندما عرضت على " شولتر" رفضها باعتبارها غير وافية بالغرض، ثم إنه ليس مستعداً لمناقشة حولها لأن أي مناقشة حول الصياغات والكلمات قد تأخذ صورة تفاوض واعتراف بمنظمة التحرير.

ويوم ١٢ سبتمبر أعاد" ياسر عرفات" صياغة النص الذي حمله "كوانت"، وطلب عرضه على " شولتز" الذي وجده ملبياً لكل الشروط الأمريكية. وسأله "ريتشارد مورفي" عن الخطوة التالية، وكان رد شولتز أنه " عندما تعلن المنظمة رسميا ما قالته في النص الجديد المقترح، فليس هناك مفر من بدء حوار معها، وهذا هو كل ما وعدنا به" وكان " كوانت" يلح على مورفي" أن يظهر وزير الخارجية الأمريكي

بادرة طيبة ل" ياسر عرفات" حتى يتشجع ويعلن عن موقفه، ولكن " جورج شولتز" أصر على الرفض.

ويوم ٩ نوفمبر، وبعد أن نجح " جورج بوش" في انتخابات الرئاسة في اليوم السابق (٨ نوفمبر)، تقدم " زهدي الطرزي" المندوب المراقب لمنظمة التحرير لدى الأمم المتحدة بطلب إلى رئيس مجلس الأمن أن يدعو إلى دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة ليكون اجتماعها مناسبة يلقى فيها رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بياناً هاماً للمجتمع الدولي. ثم تقدمت المنظمة بطلب إلى السفارة الأمريكية في تونس تطلب فيه تأشيرة دخول باسم السيد " ياسر عرفات" إلى الولايات المتحدة ليحضر اجتماع الجمعية العامة إذا تقرر عقده.

ولم يكن " جورج شولتز" على استعداد لقبول ذلك، وفي رأيه فإن " عرفات" يجب أن يعلن عن مواقفه أولا قبل أن تسمح له الولايات المتحدة بدخول أراضيها حتى ولو كان ذلك بقصد حضور اجتماع للجمعية العامة وإلقاء بيان أمامها.

وكان هناك تعاطف دولي واسع مع طلب " ياسر عرفات" لكن الإدارة الأمريكية في فترة الانتقال من رئاسة "رونالد ريجان" إلى رئاسة " جورج بوش" لم تكن مستعدة لسماع أي نداء، وهكذا قررت الجمعية العامة أن تعقد اجتماعها الاستثنائي في المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف.

وفي تلك الأثناء عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته المنتظرة، وهي الدورة التاسعة عشرة، وفي هذه الدورة جرى إعلان قيام دولة فلسطينية مستقلة، لكن الأهم من ذلك في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني كان البند "ثانياً" – فقد جاء فيه ما يلي:

"إن المجلس الوطني ا لفلسطيني من موقع المسؤولية تجاه شعبنا الفلسطيني يؤكد عزم منظمة التحرير الفلسطينية على الوصول إلى تسوية سياسية شاملة للصراع العربي- الإسرائيلي، وجوهره القضية الفلسطينية، في إطار ميثاق الأمم

المتحدة ومبادئ وأحكام الشرعية الدولية، وقواعد القانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، وقرارات القمم العربية، بما يضمن حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني... أخذين بالاعتبار أن المؤتمر الدولي الفعال الخاص بقضية الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وجميع أطراف الصراع في المنطقة- أخذين بالاعتبار أن المؤتمر الدولي ينعقد على قاعدة قراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ و٣٣٨".

كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد صوتت يوم ٢ ديسمبر/كانون أول على الانتقال إلى جنيف لسماع "عرفات" يتحدث من جديد عن قضية فلسطين أمام اجتماع خاص للجمعية العامة، وكان " عرفات" يريد أن يتأكد من أن قبوله للشروط الأمريكية لا بد أن تترتب عليه نتائج يحق له أن يتوقعها. وتحرك وزير خارجية السويد- بتوجيه من الدولية الاشتراكية والتجمعات اليهودية الصهيونية في أوروبا وأمريكا- إلى ترتيب لقاء في ستوكهولم يضمن إخراج القبول الفسلطيني والاستجابة له.

وفي ستوكهولم كانت هناك قناة للحوار عبر" مركز السلام الدولي للشرق الأوسط".

وأعلن في ستوكهولم عن وصول السيد " عرفات" إليها، ثم أعلن عن لقاء هناك بينه وبين وزير خارجية السويد " ستين أندرسون"، أعقبه اجتماع بين رئيس منظمة التحرير ووفد من المنظمات الصهيونية.

كان الوفد ممثلاً في الظاهر لما يسمى ب"مركز السلام الدولي بالشرق الأوسط"، هو كغطاء لاتصالاتها، وكانت الشخصية المؤثرة فيه هي شخصها "ستيفين كوهين". وكان وفد "المؤسسة" يضم كلا من: "ريتا هاوز"- و"مناحم روزنسافت"- و"دورا كاس" – و"ستانلي شيباون" –و"آب أوديفيتش". وكان "انجفار كارلوس" رئيس وزراء السويد في زيارة لباريس، وعندما أخطر بأن الاجتماعات بين الفلسطينيين ووفد " المؤسسة" وصلت إلى نتائج عملية، قطع رئيس وزراء السويد زيارته لباريس وعاد إلى ستوكهولم.

وكانت النتائج والتي أذهلت الجميع قبول منظمة التحرير بالشروط الأمريكية.

ورأى "شولتز" أن المنظمة جادة في مسعاها على طريق " التسوية السلمية" ولكي يعطي لنفسه أكبر درجات الاحتياط والأمان، فقد طلب من مكتبه أن يعد له نصوص الصيغة التي يتعين على "عرفات" أن يعلن بها قبوله للشروط الأمريكية، وقام وزير خارجية السويد بعرض شروط "جورج شولتز" على " ياسر عرفات" أثناء وجود الزعيم الفلسطيني في ستوكهولم، وحصل منه على خطاب رسمي بقبولها، وكان نص الخطاب كما يلي:

منظمة التحرير الفلسطينية- ستوكهولم.

إلى مستر ستين أندرسون وزير الشؤون الخارجية- السويد.

سري

عزيزي المستر ستين أندرسون،

اتصالاً بمحادثاتنا في ستوكهولم يومي ٦و٧ ديسمبر ١٩٨٨، وبخصوص النص الذي قدمته لي من المستر "شولتز" وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، والمتصل ببدء الحوار بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين الإدارة الأمريكية- فإني أبعث إليك وفق هذا النص حاملاً موافقتي وتوقيعي عليه. وسوف نعمل على إصدار هذا النص في بيان رسمي فور إقراره من اللجنة التنفيذية.

مع رجائي أن تقبل تعبيري عن احترامي العميق.

إمضاء

ياسر عرفات

رئيس اللجنة التنفيذية

لمنظمة التحرير الفلسطينية

وكان النص المرفق بهذا الخطاب يقول بما يلي:

"إن منظمة التحرير رغبة منها في الإسهام في البحث عن سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، وممثلة بلجنتها التنفيذية التي تحولت إلى حكومة مؤقتة لفلسطين، تبدي رغبتها في إصدار التصريح الرسمي التالي:

١- إنها على استعداد للتفاوض مع إسرائيل في إطار مؤتمر دولي لتسوية شاملة للصراع العربي- الإسرائيلي على أساس قراري الأمم المتحدة ٢٤٢و٣٣٨.

٢ - إنها تتعهد أن تعيش في سلام مع إسرائيل ومع كل جيرانها، وأن تحترم حقهم في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها. وذلك سوف يكون سلوك الحكومة الديمقراطية التي تنشد إقامتها في الأراضي المحتلة منذ سنة ١٩٦٧.

٣ - إنها تدين أعمال العنف الفردي والجماعي وإرهاب الدولة في كل صورها، ولن تلجأ إلى شيء من ذلك.

إمضاء

ياسر عرفات

وأمام اجتماع الجمعية العامة في جنيف يوم ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ ألقى "ياسر عرفات" خطاباً ضمنه الصيغة المطلوبة للشروط الأمريكية. ولكن "شولتز" اعتبر أن الصيغة طارت بعض حروفها، وقال للرئيس "ريجان" على التليفون " إن عرفات في ندائه للولايات المتحدة لم يقل " أنكل" uncle كاملة وإنما قال الحروف الأولى منها، وعليه أن يكمل بقية الحروف ويذكر النداء إلى " العم" الأمريكي كاملا".

وكان أن عقد "ياسر عرفات" مؤتمراً صحفياً في اليوم التالي أكمل فيه ما اعتبره "جورج شولتز" ناقصاً من كلمته في الخطاب أمام الجمعية العامة.

واعتبر "جورج شولتز" أنه حصل على انتصار باهر ونقل في مذكراته تعليقاً لجريدة "نيويورك تايمز" قالت فيه "إن اللاءات الثلاثة الشهيرة في مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧ تحولت في جنيف لتصبح "نعم" – ثلاث مرات أيضاً."

وهكذا نرى النتيجة التي وصلت لها حركة فتح والمرحوم ياسر عرفات بعد سنوات من البحث عن الحوار والهرولة المذلة نحو الأمريكان والأوروبيين، ولا يختلف اثنان حول تعاسة اتفاقيات أوسلو ومدى الضرر التي ألحقته بالقضية الفلسطينية، ومن غير المتوقع أن يختلف الحوار على الطريقة الأمريكية والأوروبية مع الحركة.

بالنسبة للتوجهات السياسية العامة للإدارة الأمريكية والموقف من القضايا الجوهرية فإن الأمر لن يختلف كثيرا عن الإدارة السابقة، بل قد يكون هناك الأسوأ نظرا لصهيونية الإدارة الحالية وارتفاع وتيرة نفوذ المحافظين الجدد الصهاينة، وهذه التوجهات ستكون قريبة إلى حد بعيد لبرنامج حزب كديما الجديد والذي شرع في وضع الخطط للسنوات القليلة القادمة لما يسميه بالحسم التاريخي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وقد حدثت في الفترة الأخيرة مشاورات بين مقربي الهالك شارون وهم يمثلون وجهة نظر حزب كاديما والإدارة الأمريكية بشأن الخطوات المستقبلية والتي سيتم تنفيذها بعد تشكيل الحكومة الصهيونية بعد الانتخابات المزمعة في شهر آذار/مارس ٢٠٠٦م، وجوهر هذه المشاورات عدم وجود شريك فلسطيني يمكن التفاوض معه، وبالتالي التصرف ضمن خطوات أحادية يتم فرضها على الفلسطينيين فيما يشبه نكبة عام ١٩٤٨م ونكسة عام ١٩٦٧م.

وقد تجد حكومة العدو في حكومة تشارك فيها حماس دعما لموقفها في أنه لا يوجد شريك فلسطيني، وهذا ما ستقتنع به الإدارة الأمريكية .

وفي هذا السياق نشرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية خططاً مفصلة حول إيجاد بديل لخريطة الطريق ووصاية أمريكية على السلطة مع ترسيم إسرائيلي

للحدود الشرقية، وأشارت الصحيفة إلى أن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر يؤيد الخطة، وقد يكون من أوائل المبادرين ووصيته هو، والمحافظة على سرية الاتصالات الأمريكية الإسرائيلية بغرض عرض المسالة كأنها إملاء أمريكي، ويجب أن توضع هذه الطبخة على المائدة المقبلة يشتم منها نوع من الإكراه الإسرائيلي.

وتقوم الخطة الجديدة على أساس أنها بديل لخريطة الطريق التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وعلى أن بالإمكان إقرار الحدود الشرقية لإسرائيل بالاتفاق مع الإدارة الأميركية، وأن السلطة ستعجز عن تنفيذ شرط تفكيك "البنى التحتية للإرهاب"، وهذا يعني أن المرحلة الأولى من خريطة الطريق لن تنجز وأن السلطة الفلسطينية لن تفلح في إقامة سلطة جدية.

ولكن حتى لو لم تتحقق هذه الفرضية ولم يشهد الوضع الأمني تصعيدا، فإن أحدا في إسرائيل أو الولايات المتحدة أو أوروبا وفق الخطة لا يتخيل أن يتمكن الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) من إقامة سلطة توفر الحد الأدنى من شروط خريطة الطريق. وبالتالي فإن خريطة الطريق ستبقى ورقة توت يستعملها شارون كما يريد.

وترى الخطة أنه بعد أن يثبت أن خريطة الطريق عديمة الأفق، ستشرع إسرائيل والولايات المتحدة بمباحثات سرية للاتفاق على الحدود الشرقية لإسرائيل. وتوضح الخطة أن حدود الاختلاف بين تل أبيب وواشنطن في هذا المجال ليست كبيرة جدا، والاختلاف يتراوح بين ٨ إلى ١٢ في المئة من مساحة الضفة الغربية ستضمها إسرائيل إلى أراضيها.

وشدد تقرير "معاريف" على أن الفكرة عرضت على مسؤولين كبار في إدارة الرئيس جورج بوش، وأنه تم التوضيح للأميركيين أنه بسبب انعدام فرص تحقيق إنجاز عملي في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، فان واشنطن، بدورها كقوة عظمى تقرر في الشرق الأوسط، هي الشريك الطبيعي في القضية. وبكلمات أخرى تحاول إسرائيل دفع الولايات المتحدة لأداء دور الوكيل أو الوصي على الفلسطينيين العاجزين عن إدارة شؤونهم بأنفسهم.

وتشدد إسرائيل على أن الغاية من الخطة استغلال نافذة الفرص التي توفرها السنتان المقبلتان وهما الأخيرتان في عهد إدارة بوش الشديد التعاطف. والهدف هو: اتفاق موقع مع واشنطن يحدد حدود إسرائيل الشرقية، وهو اتفاق ستكون له أهمية دولية كبيرة، ويقول الإسرائيليون للأميركيين، إن بوسعهم التلويح بإنجاز تاريخي والقول أن إدارة بوش كانت الوحيدة التي نجحت في دفع إسرائيل للانسحاب من أكثر مناطق الضفة، وإخلاء عشرات المستوطنات وعشرات آلاف المستوطنين والسماح بإقامة دولة فلسطينية ذات امتداد جغرافي في الضفة الغربية.

وفي مقابل ذلك، ستنال إسرائيل إقرارا أميركيا بالرفض التام لحق العودة والسيادة في القدس القديمة كلها، مع نقل جميع الأحياء العربية في القدس إلى السيادة الفلسطينية.

وتفترض الخطة أن يشمل الاتفاق الإسرائيلي الأميركي أيضا إتمام بناء جدار الفصل وإخلاء تدريجي للمستوطنات ومساعدة مالية سخية من واشنطن، وأن ما تم هو انسحاب متفق عليه، مع الولايات المتحدة، كوكيل عن الفلسطينيين. كما أن بوسع إسرائيل الزعم أنها تواصل التمسك بخريطة الطريق إلى أن وصلت إلى طريق مسدود. وأشار التقرير إلى تحفظ مهم، وهو أن هذه الخطة لم تحصل بعد على موافقة أميركية، وأن كبار المسئولين الأميركيين سمعوها باهتمام، وعرضوا ملاحظات، لكنهم لم يعلنوا قبولهم لها.

غير أن دولة العدو لم تنتظر كثيرا فقد بدأت فعلا في تطبيق هذا المخطط، فقد أفادت صحيفة هآرتس الصهيونية "أن جيش الاحتلال أقام حواجز على طول منطقة غور الأردن وبدا في منع الفلسطينيين من دخول المنطقة والتي تشكل حوالي مساحة الضفة الغربية"، وفي إشارة إلى مشروع إسرائيل في تطبيق فصل غور الأردن عن الضفة الغربية وخلال احتفال رسمي حدد إيهود اولمرت هدفين رئيسيين سيقوم بتحقيقهما في حالة فوز حزبه في الانتخابات المقبلة، والتي تشير استطلاعات الرأي إلى حصوله على حصة الأسد من أصوات الناخبين الصهاينة، أما الهدف الأول فهو

"رسم حدود نهائية تضمن أن تكون ذات أكثرية يهودية واضحة وراسخة (يقصد الانسحاب من جميع الأراضي المأهولة بالفلسطينيين في الضفة الغربية)"

وعن موقف الإدارة الأمريكية وحماس: لقد نظرت الإدارة الأمريكية إلى حركة حماس من خلال منظار إسرائيلي بحت، ذلك أن أعداء إسرائيل في المنطقة هم أعداء الولايات المتحدة بالضرورة، حيث إن إسرائيل تمثل قاعدة خلفية إستراتيجية للولايات المتحدة وأي تهديد يمسها هو بالتأكيد تهديد للولايات المتحدة، ومن جهة أخرى فإن أنصار إسرائيل في الولايات المتحدة كُثّر سواء على مستوى التأثير في الرأي العام أو على مستوى مؤسسات الإدارة المختلفة وعلى رأسها الكونجرس الأمريكي، حيث أن مناصرين كُثّر سواء في مجلس الشيوخ أو النواب، حتى إن النواب يتسابقون في تقديم القوانين التي تخدم إسرائيل وتضع قيودا على حركات المقاومة الفلسطينية.

وقد لعب المحافظون الجدد في الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية دورا محوريا في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية، وأهمها على الإطلاق السياسات التي تخص منطقة الشرق الأوسط ودولة العدو، وهؤلاء لديهم ميل كبير وتبني كامل لسياسات أحزاب اليمين الصهيونية.

لذلك من الطبيعي أن تتبنى الإدارة الأمريكية موقف عدائي من حماس كما هو بالنسبة للقضية الفلسطينية، لذلك صنفت الإدارة الأمريكية حركة حماس كمنظمة إرهابية عام ١٩٩٦م مما يعني عدم استقبال ممثلين لهذه الحركة على أراضيها أو إقامة مكاتب أو حتى إجراء اتصالات.

ولم تنتظر الإدارة الامركية تشكيل الحكومة لتحدد موقفها، فقد أعدت شروطا كأساس للحديث مع حركة حماس وهي شروط تمثل بالضرورة تغيير جلدها بالكامل، وقد بدأ الكونجرس تحركاته لسن قوانين غاية في المغالاة والتطرف لنصرة إسرائيل، "فقد قدم العضوان الديموقراطيان إيلينا روس ليتن وتوم لانتوس مشروع قرار ينص على إغلاق كل الممثليات الفلسطينية وتقليص الاتصالات الدبلوماسية

ومنع قيادة (حماس) من دخول الولايات المتحدة، ووضع القانون الفلسطينيين في قائمة الدول التي تعطي ملاذا للمسلحين، مع العلم أن القانون لا يميز بين السلطة الوطنية كمؤسسة وبين الحكومة الفلسطينية "

وقد رفض العضوان الديموقراطيان طلبا من وزير خارجية العدو تسيفي لفني أثناء زيارتهما للولايات المتحدة في العاشر من فبراير عام ٢٠٠٦ بتجميد جهودهما الساعية نحو استصدار قرار من الكونجرس بوقف أي معونات تقدم إلى السلطة الفلسطينية لبعض الوقت حتى تنتهي المشاورات الأمريكية الإسرائيلية وحتى تتضح معالم تشكيل الحكومة المقبلة.

وقد حسمت الإدارة الأمريكية موقفها من حكومة حماس مبكرا فقد اتخذت الإدارة قرارا على نحو مفاجئ قبل أيام بعد حوار داخلي ظهر فيه موقفان الأول يدعو إلى إنهاء موقف التريث والانتظار وإعطاء فرصة زمنية أطول لحماس بدعوى أن هذا الموقف في جوهره مجرد إهدار للوقت، وأن الضغط المبكر سيكون مفيداً في كل الأحوال، إذ إنه إما يدفع حماس إلى تغيير مواقفها أو يدفعها إلى خارج الحكم في انتخابات عامة جديدة بعد فشلها في إدارة الأمور العملية في الأراضي المحتلة بسبب الضغوط.

أما الموقف الثاني فرأى أن اتخاذ قرار مبكر بالضغط على حماس ومحاولة عزلها قد يؤدي بالحركة وبالشارع الفلسطيني إلى المزيد من التشدد وربما إلى بدء "انتفاضة ثالثة". في المقابل رأى أصحاب هذا الرأي - لا سيما في وزارة الخارجية. ضرورة تجنب الضغط - الآن على الأقل - لا سيما وأن ذلك سيسيء أكثر إلى صورة الولايات المتحدة على أساس أن حماس فازت بأغلبية المجلس الفلسطيني في انتخابات ديمقراطية حرة.

وفي السياق نفسه، كشفت مصادر غربية على أن "واشنطن تراهن أن يؤدي ضغطها ماليا على الفلسطينيين إلى حدوث انتفاضة اجتماعية تسقط حركة حماس، وقالت المصادر الغربية في القدس أن الإدارة الأمريكية تعد لتجنيد ضغط دولي واسع

على حكومة حماس يؤدي إلى اعترافها بإسرائيل أو سقوطها، وأضافت المصادر التي رفضت ذكر اسمها أن إدارة بوش تسعى إلى إجبار حماس إلى الاعتراف بإسرائيل أو دفع الجمهور الفلسطيني للخروج في تظاهرات إلى الشارع لإسقاطها بعد توقف دفع الرواتب جراء وقف المعونات عنها، وأشارت إلى أن الإدارة الأمريكية تراهن على حدوث اضطرابات اجتماعية في الأراضي الفلسطينية تؤدي إلى سقوط حكومة حماس في حال قاد الحصار الذي تخطط لفرضه عليها إلى عدم تمكنها من دفع الرواتب"

أيضا وفي المشاورات الدائرة بين الإدارة الأمريكية وإسرائيل فقد كشفت صحيفة النيويورك تايمز تقريرا يفيد أن "إسرائيل والولايات المتحدة تحيكان مؤامرة تهدف إلى عزل السلطة الفلسطينية والتسبب للشعب الفلسطيني بمعاناة "تجبره على إسقاط حركة حماس وإعادة فتح إلى السلطة" على حد تعبير المصادر التي اقتبستها الصحيفة. وحسب ما تنشره الصحيفة نقلا عن مصادر إسرائيلية وأميركية، تقوم إسرائيل وواشنطن بفحص الطرق الكفيلة بعزل السلطة الفلسطينية وإسقاط حكومة حماس في حال إصرار الحركة على رفض الإملاءات الإسرائيلية-الأميركية، التي تطالبها "الاعتراف بإسرائيل والتخلي عن "طريق العنف" وتبني الاتفاقيات الإسرائيلية - الفلسطينية السابقة". وتؤكد الصحيفة أن الهدف من هذه الخطوات هو وضع عراقيل أمام حماس تمنعها من تشكيل الحكومة الأمر الذي سيقود إلى إجراء انتخابات جديدة. وأضافت أن الخطة الإسرائيلية - الأميركية تشمل العمل لمنع تقديم المساعدات المالية للسلطة الفلسطينية وعزلها دوليا بشكل يجعل من حياة الشعب الفلسطيني غير محتملة و"تجبره على إعادة حركة فتح إلى السلطة".

وقالت الصحيفة إن النبأ الذي تنشره اليوم بهذا الصدد يعتمد على معلومات سربتها مصادر إسرائيلية رسمية ودبلوماسية أميركية تدعي أن حماس تنوي "إعادة بناء قوتها العسكرية وزيادة أعمال العنف".

وأضافت الصحيفة نقلا عن المصادر ذاتها، "أن هذه الإستراتيجية تنطوي على مخاطر جمة، منها محاولة حماس تجنيد دعم مالي من العالم الإسلامي، بما في

ذلك سوريا وإيران"، كما يمكن أن تؤدي بحماس "إلى المواجهة المباشرة مع إسرائيل ما سيؤدي إلى اندفاع انتفاضة ثالثة". وكشف مصدر إسرائيلي أن إسرائيل التي تتوقع عدم تجاوب حماس مع مطالبها، تنوي وقف تحويل المستحقات المالية للسلطة الفلسطينية ابتداء من الشهر المقبل، والتي تتراوح بين ٥٠ و٥٥ مليون دولار.

كما تنوي واشنطن وقف المساعدات المالية المقررة للسلطة الفلسطينية. وتوقعت هذه المصادر أن يقدم الاتحاد الأوروبي على خطوة مماثلة أو أن يقوم بتقليص حجم المساعدات.

كما تنوي إسرائيل تشديد القيود المفروضة على تحركات الفلسطينيين بين قطاع غزة والضفة الغربية، من جهة، وداخل الضفة الغربية المحتلة من جهة أخرى. وكانت إسرائيل قد أعلنت فور انتهاء الانتخابات الفلسطينية قرار منع قادة حماس من التنقل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، فيما أعلن بعد أنها استكملت فصل القطاع الشرقي للضفة الغربية عن بقية أجزاء الضفة. كما تنوي إسرائيل الفصل التام بين الضفة الغربية وقطاع غزة."

وبناءً على هذه الدراسة، فإن هناك بعض النتائج يمكن استنتاجها على النحو التالي:

١ - أن الإدارة الحالية هي معادية للشعب والقضية الفلسطينية، وتنظر إلى القضية الفلسطينية من خلال ما تمليه المصالح الصهيونية، وهي توائم سياساتها في المنطقة بما يتوافق ومخططات دولة العدو، وما من خطوات كبيرة تتخذها دولة العدو فيما يخص المنطقة إلا أن يكون له تنسيق وضوء أخضر أمريكي.

٢ - أن الولايات المتحدة غير معنية بنجاح تجربة السلطة الفلسطينية الجديدة، والتي هي في المفهوم الأمريكي دولة تطرف إسلامي والتي بالضرورة تتعارض مع المصالح الأمريكية في المنطقة، عوضا عن أن نجاح التجربة الإسلامية الجديدة سيكون مصدر إلهام وإشعاع للدول الإقليمية والحركات الإسلامية في المنطقة مما ينبىء بتغير في الشكل والتركيبة السياسية المستقبلية في المنطقة.

٣ - ستبدأ الولايات المتحدة على الأرجح وخلال الأشهر المقبلة باتخاذ خطوات ملموسة ضد حماس وضد السلطة الجديدة وبالتنسيق مع دولة العدو الصهيوني، وسيشرع الكونغرس الأمريكي مجموعة قوانين تقيد الإدارة الأمريكية ويعيدها إلى مرحلة ما قبل عام ١٩٨٨م بالنسبة لمثلي الشعب الفلسطيني أي قبل الحوار مع منظمة التحرير، وهناك بعض الدول الأوروبية من الممكن أن تتجاوب مع الضغوط الأمريكية مثل ألمانيا، هولندا، إيطاليا، والتي ستقطع الدعم المباشر والغير مباشر للسلطة الجديدة.

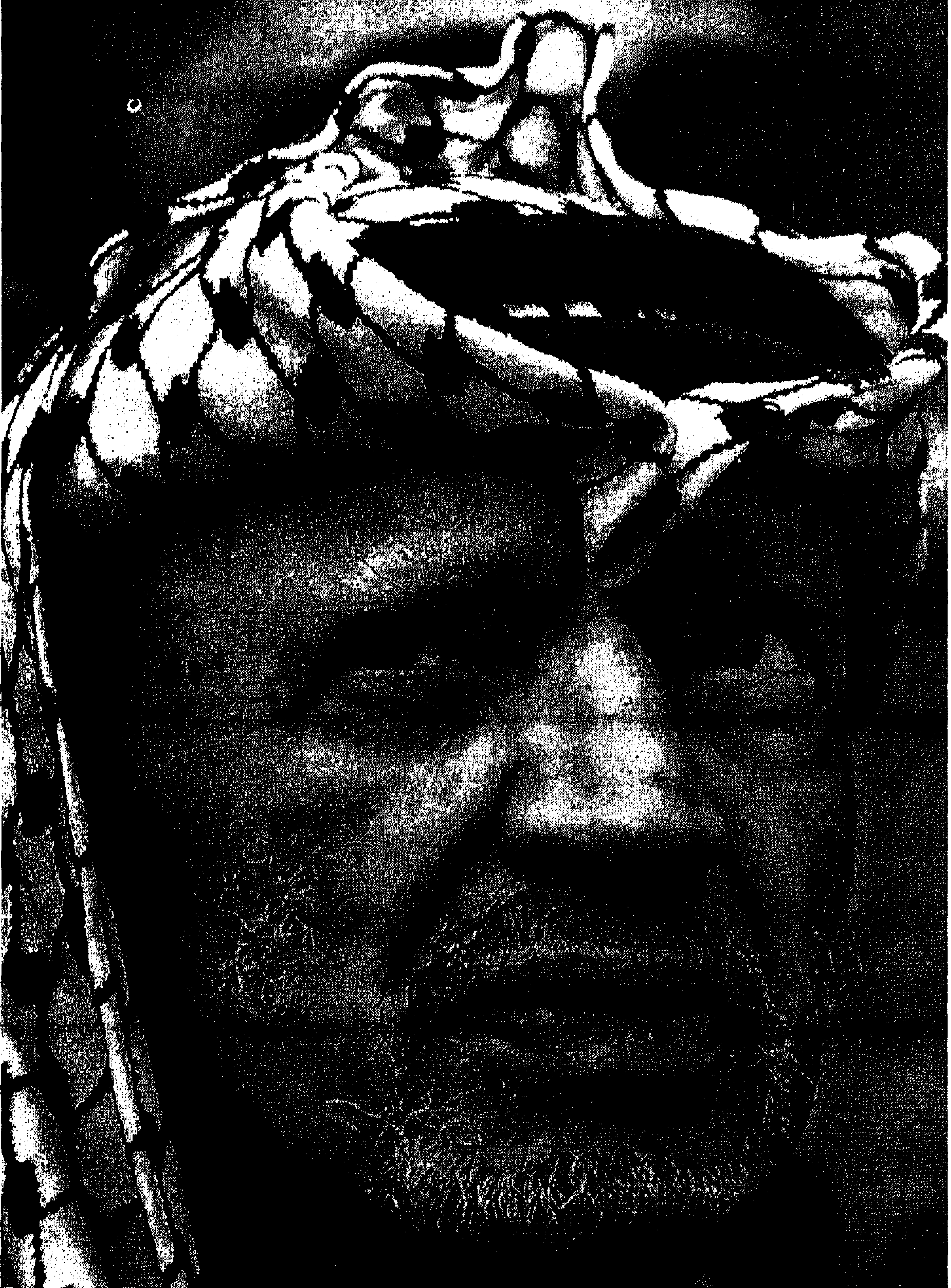
٤ - ستلجأ الإدارة الأمريكية ومن خلال القنوات السرية وأجهزة مخابراتها تنسيق خطواتها مع بعض الأطراف الفلسطينية الداخلية على قاعدة التقاء المصالح والتخلص من العدو الجديد، ولا يستبعد أن يقوم هؤلاء بإحداث قلاقل وفتنة داخل المجتمع الفلسطيني في سبيل تحقيق أهدافهم السياسية.

٥ - الدول العربية ليست بمنأى من الضغوط الأمريكية، فقد ترضخ بعض الدول العربية للضغوط الأمريكية لقطع أو تقليص دعمها المادي إلى حده الأدنى المقدم للشعب الفلسطيني.

٦ - الإدارة الأمريكية تواجه عدة جبهات في المنطقة، وتورطها حقيقة واقعة في بعضها، فمن العراق والمقاومة العراقية، وإيران وبرنامجها النووي، وسوريا ونظامها المعارضة لسياسات الإدارة الأمريكية، وحزب الله في لبنان الذي يرفض نزع سلاحه، وهي في حال لا يسمح لها بفتح جبهة جديدة في فلسطين المحتلة، لأن قطع الدعم عن السلطة الجديدة وعزلها قد يعني انهيارها، وبالتالي انتفاضة ثالثة وإشعال المنطقة من جديد، لذلك قد يعمد إلى فتح ثغرة صغيرة تبقي السلطة الجديدة على الحياة بدون موتها، لأن موتها هو سيناريو كارثي وله تبعات كثيرة.

٧ - إن فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية يشكل فشلاً للسياسة الأمريكية في المنطقة، حيث إن الإدارة الأمريكية تعتبر فوز حماس انقلابا ابيضَ على نحو مفاجئ وغير متوقع على الجماعة المحسوبة على الولايات المتحدة

والتي تدور في فلكها، حيث إن الهلال المعارض للسياسة الأمريكية في المنطقة (إيران - المقاومة العراقية - سوريا - حزب الله) اكتمل من طرفه الجنوبي، وهذا يدفع الإدارة الأمريكية إلى النظر في سياساتها في المنطقة والسماح بانتخابات حرة وديمقراطية، لأن هذه الانتخابات ستفرز حركات إسلامية تعبر عن طموحات وتطلعات الأمة بما يتعارض والمصالح الغربية ويعرضها بشكل عام للخطر.



الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات الذي كتب عنه الجميع في مذكراتهم سواء سلباً أم إيجاباً !!



رابين وعرفات وبينهما كلينتون في لقطة المصافحة الشهيرة التي روى الرئيس الأمريكي السابق قصتها في مذكراته !!



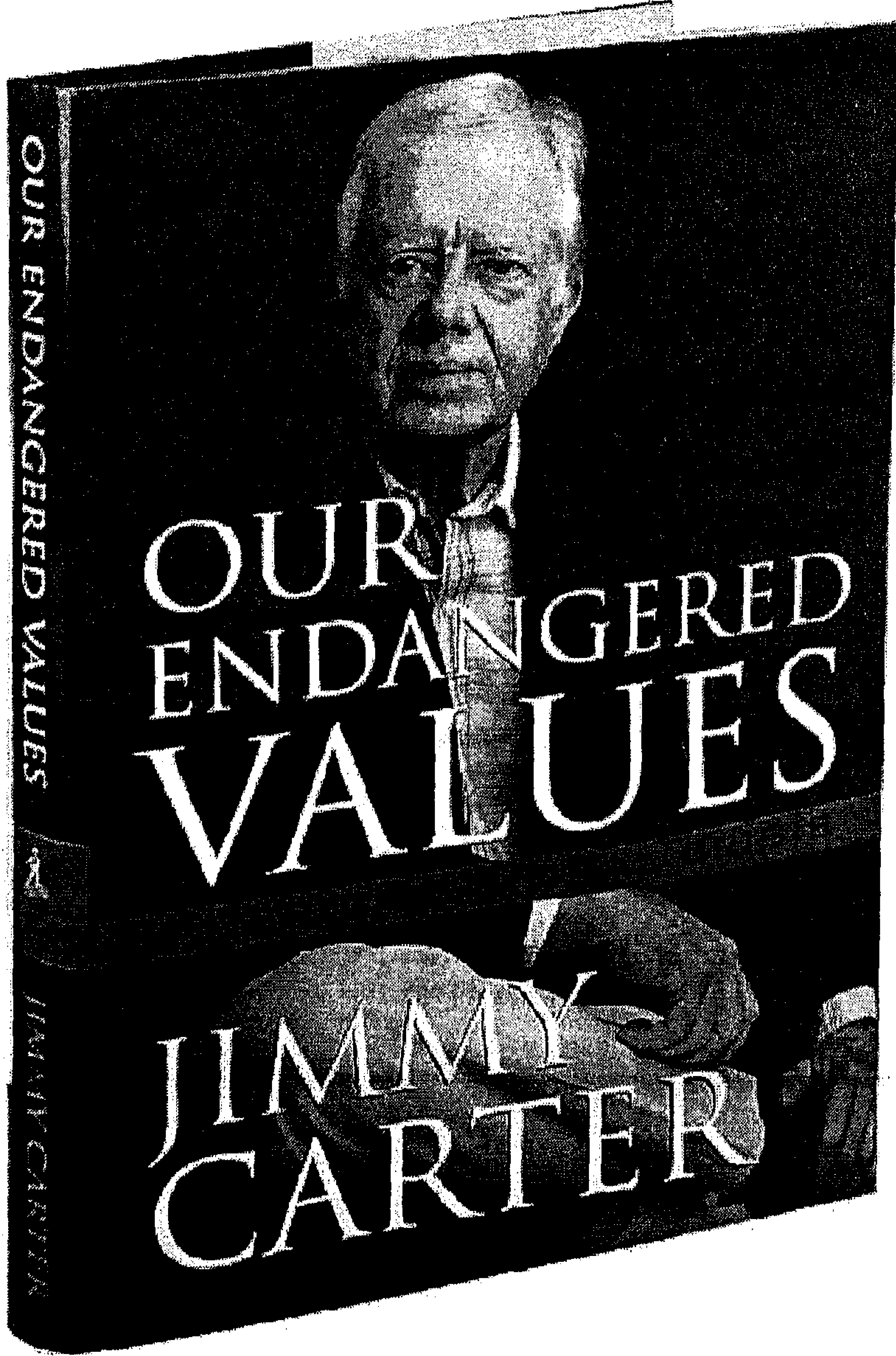
كلينتون يوقع على الاتفاق الشهيرمتوسطاً عرفات ونتانياهو



تينيت أكثر من أسهبوا في الحديث عن عرفات وكان آخر مسؤول أمريكي يلتقي به قبل موته!!



كارتر كان حريصاً على زيارة عرفات حتى بعد تركه منصبه !!



كتاب كارتر " قيمنا " الذي لم ينس فيه أن يروي جانباً من ذكرياته عن الحكام العرب ومنهم عرفات ويؤكد فيه عدالة موقف الفلسطينيين .

٧ الملك حسين

كارتر : هذه حكايتي
مع الملك حسين !!

في مذكراته يقول كارتر : " في اليوم العاشر لمفاوضات كامب ديفيد المصرية - الإسرائيلية اتصل الملك حسين، بتشجيع من رجل الأعمال المصري أشرف مروان، بالرئيس الراحل أنور السادات هاتفيا في المنتجع الرئاسي بكامب ديفيد. وأبلغ السادات الملك حسين خلال تلك المكالمة بأن المفاوضات تعثرت فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وأنه يشعر بالإحباط ومن المحتمل أن يحزم حقائبه عائدا إلى مصر. وهنا حيا الملك حسين السادات على محاولته وشجعه على التمسك بموقفه وتحميل مسؤولية الفشل للمتسببين فيه. أجرى الملك حسين كذلك ترتيبات بغرض التقاء السادات في المغرب في طريق عودته من الولايات المتحدة ووعده بمرافقته في جولة على عواصم الدول العربية لإطلاع زعمائها ومسؤوليها بما حدث.

وبعد ثلاثة أيام فقط علم الملك حسين من تقرير بثته هيئة الإذاعة البريطانية

(بي بي سي) أن اتفاقا تم التوصل إليه في كامب ديفيد. شعر الملك حسين بغضب بالغ، واعتقد ان السادات خدعه متعمدا، وبدلا من التوجه إلى المغرب عاد الملك حسين إلى الأردن. وفي حلقة اليوم من كتاب «أسد الأردن» الذي سينزل إلى الأسواق قريبا باللغة الإنجليزية، وتنفرد «الشرق الأوسط» بنشر حلقات منه بالاتفاق مع دار نشر «بنغوين» ومؤلفه آفي شليم المؤرخ والأستاذ في جامعة أكسفورد، تفاصيل المواقف الاردنية حول الاتفاق المصري - الإسرائيلي وضغوط إدارة الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر وقمة بغداد.

لم يكن السادات يرغب في حدوث خلاف بينه والملك حسين. فالسادات كان يرى أن تأييد العاهل الأردني من المحتمل أن تكون له قيمة في مواجهة المعارضة العربية المؤكدة للتوصل إلى سلام جزئي مع إسرائيل، فضلا عن أن السادات كان في حاجة إلى واجهة شرعية. بمعنى آخر، لم يكن السادات يرغب في أن يلعب الملك حسين دورا في محادثات السلام وإنما فقط كي يضفي بعض الشرعية على عملية ينظر إليها العرب كونها اتفاقية مشبوهة. وكان السادات يعتمد في هذا الجانب على أن الضغوط المصرية - الأميركية لن تترك أمام الملك حسين من خيار سوى الانخراط وراءهما. بصورة عامة، كانت للسادات وجهة نظر سلبية تجاه الحكام العرب.

وفي لقائه مع المسؤولين الأميركيين كثيرا ما قلل السادات من شأن الملك حسين، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة إلى تجاهل تحذيراته بشأن إبرام أي اتفاق سلام منفصل. القدس، وحقوق الفلسطينيين، ومستقبل المستوطنات في الضفة الغربية، كانت من أكثر القضايا الشائكة في محادثات كامب ديفيد. وأوردت وسائل الإعلام أن التفاوض بشأن كل هذه القضايا وصل إلى طريق مسدود.

تضمن اتفاق كامب ديفيد جزءين، الأول عبارة عن إطار لاستكمال معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وترتكز المعاهدة على أربعة مبادئ، هي انسحاب إسرائيلي كامل من سيناء والاعتراف بسيادة مصر على أراضيها وجعل غالبية سيناء منطقة منزوعة السلاح وإرسال قوات تابعة لمنظمة الأمم المتحدة للإشراف على نزع السلاح وضمان حرية الملاحة في خليج وقناة السويس والتطبيع الكامل للعلاقات

بين مصر وإسرائيل. ويشتمل الجزء الثاني من الاتفاق على إطار للسلام في الشرق الأوسط، وهو يتعلق بالقضية الفلسطينية. ويشتمل هذا الجزء على انتخاب ممثلين فلسطينيين للتفاوض مع إسرائيل حول تأسيس حكم ذاتي محلي محدود في الضفة الغربية وقطاع غزة. وعلى الرغم من أن هذا الاتفاق كان قائما على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، فإنه لم يحسم مسألة انسحاب إسرائيل وتركها لمفاوضات «الوضع النهائي» بعد فترة انتقالية للحكم الذاتي تكون السيطرة العسكرية خلالها لإسرائيل.

لم يرد في ذلك الاتفاق أي ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولا تقرير المصير للفلسطينيين، ولا أي اتفاق على التزام بانسحاب إسرائيل فيما عدا سيناء، ونتيجة لذلك قوبل اتفاق كامب ديفيد برفض فوري من جانب منظمة التحرير الفلسطينية وسورية ودول عربية أخرى. كان الملك حسين في حالة صدمة عندما قرأ نص الاتفاق، خصوصا في ضوء التأكيدات التي تلقاها من السادات قبل ثلاثة أيام فقط.

وبذلك أصبح واقعاً كابوسٌ توصل مصر إلى اتفاق سلام منفصل مع إسرائيل. استبعد الفلسطينيين والأردنيين، وأصبح العالم العربي في حالة من الفوضى والارتباك. كان الملك حسين يخشى من أن يؤدي اعترافه بالاتفاق الذي توصل إليه السادات إلى إفساد العلاقات مع الفلسطينيين وبقية العالم العربي. كان يشعر بالإهانة إزاء الطريقة الفجة التي حاولت الولايات المتحدة من خلالها جعله جزءا من العملية، ورفض إعطاء شرعية للاحتلال الإسرائيلي أو لعب دور الشرطي التابع لإسرائيل في الضفة الغربية.

وشعر باستياء خاص تجاه افتراض أن الأردن يمكن أن يلعب الدور الذي رسم له في وثيقة كامب ديفيد. فقد ورد اسم الأردن ما لا يقل عن ١٤ مرة في جزء الاتفاقية تحت عنوان «إطار للسلام في الشرق الأوسط» من دون مشاورة الأردن بشأن الدور الذي حدده له الذين صاغوا الوثيقة. وأكد الملك حسين وحكومته مرارا أن الأردن غير ملتزم قانونيا أو أخلاقيا بأي اتفاق لم يشارك في صياغته، مشددين على أن

الأردن سيتسمر في الإصرار على الانسحاب الإسرائيلي من كل الأراضي المحتلة وعلى حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. شعر الملك حسين بأن السادات خدعه، إلا أن تسلسل الأحداث باتجاه نهاية قمة كامب ديفيد يدل على أن بيغن هو الذي خدع جميع المشاركين الآخرين.

ففي صباح الجمعة ١٥ سبتمبر أبلغ السادات وزير الخارجية الأميركي سايروس فانس بأنه سيغادر القمة عائدا إلى بلده لأنه لا يرى أي أمل في التوصل إلى اتفاق، إلا أن كارتر نجح في إقناع السادات بالبقاء والاستمرار في المفاوضات. وفي مساء السبت التقى كارتر وسايروس فانس وبيغن وكبار مستشاريه لمدة ست ساعات وشعروا بأنهم حققوا تقدما رئيسيا، وبدأ بيغن في كتابة خطاب إلى كارتر بغرض إعلان مضمونه، وأكد في الخطاب وقف إسرائيل لبناء أي مستوطنات جديدة خلال الفترة الانتقالية المحددة بخمس سنوات للحكم الذاتي الفلسطيني.

وكان هذا الالتزام من جانب بيغن كعامل رئيسي لإقناع السادات بالتوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد في واشنطن يوم الأحد ١٧ سبتمبر ١٩٧٧. وصل خطاب بيغن يوم الاثنين واكتشف أن ما جاء فيه حول المستوطنات يتضمن تحديد تأجيل بناء المستوطنات الجديدة لفترة ثلاثة أشهر، وهي فترة المفاوضات حول السلام بين مصر وإسرائيل. كانت ملاحظات كارتر واضحة ومحددة وتلخصت في تجميد بناء المستوطنات إلى حين استكمال كل المفاوضات، وأكد سايروس فانس على هذا التفسير.

وهنا قال بيغن إنه لابد أن يكون قد حدث نوع من سوء الفهم. ولكن لم يكن هناك أي سوء فهم، فقد تصرف على نحو يفتقر إلى قواعد الأمانة والشرف. شعر كارتر بغضب بالغ تجاه بيغن ووصفه بأنه «معتوه». فتجميد بناء المستوطنات في الضفة الغربية كان بمثابة واحد من التنازلات التي ربما أقنعت العرب بجدية الولايات المتحدة في التوصل إلى سلام عادل.

وبسحبه لهذا التنازل يكون بيغن قد ألحق ضررا بالغا بالموقف الأميركي

في نظر العالم العربي، فحتى العرب الأكثر اعتدالا والمؤيدين للولايات المتحدة أحجموا عن الاعتراف بالاتفاق المنقوص الذي وقعته مصر. على الرغم من ذلك عملت الولايات المتحدة بجدية للحصول على تأييد السعودية والأردن. فقد أورد كارتر في مذكراته انه اتصل بالملك حسين في عمان وعلم أنه يتعرض لضغوط من بعض الدول العربية كي يرفض لعب أي دور في المفاوضات المقبلة حول تطبيق اتفاقيات كامب ديفيد.

وأورد كارتر أيضا أنه شرح للفلسطينيين والملك حسين فوائد الاتفاق، ووعد الملك حسين، على مضض، بعدم اتخاذ أي قرار أو بقطع التزام رسمي إلى حين الاطلاع المفصل على وثائق الاتفاقيات، ولكن لم ترد في مذكرات كارتر أي معلومات حول الخطاب الذي أرسله له الملك حسين في ٢٧ أغسطس (آب) محذرا إياه من النتائج التي يجري التوصل إليها في نهاية الأمر. وبمجرد انتهاء المفاوضات أرسل كارتر سايروس فانس إلى الأردن والمملكة العربية السعودية بغرض الحصول على التأييد اللازم للاتفاقيات، غير ان زبيغنيو بريزينيسكي، مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي كان له رأي آخر.

فقد تدخل عقب انتهاء المفاوضات وتبنى لهجة تهديد وتخويف، وقال إن صاحب الحاجة لا قرار له في اختيار ما يحتاج. وتجاهل بريزينيسكي تحذيرات وزارة الخارجية الأميركية من ان الأردن والسعودية سيحتاجان إلى بعض الوقت لقبول الوضع الجديد، كما انه ضلل الصحافة الأميركية بتصريحات زعم فيها ان الدولتين أبدتا معارضة قبل الانضمام في محادثات موسعة. لهجة الانتصار لدى وسائل الإعلام الأميركية جاءت في غير صالح سايروس فانس خلال زيارته إلى منطقة الشرق الأوسط. فقد كان كل من الملك حسين وولي العهد السعودي وقتها الأمير فهد بن عبد العزيز يشعران بالغضب تجاه السادات لأنه تعهد لهما بالتزام واضح بالتفاوض من أجل تسوية شاملة يشارك فيها بقية العرب، بمن في ذلك الفلسطينيون، أو يؤيدونها على الأقل.

أبلغ كل من الملك حسين والأمير فهد سايروس فانس بأن غالبية الدول العربية هاجمت السادات وأن القادة الفلسطينيين ليسوا على استعداد للمشاركة في المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتي. وقالا له إن السادات قد خذلهما بإبرامه اتفاقا منفصلا مع إسرائيل مقابل إعادة سيناء إلى مصر. سايروس فانس رد من جانبه قائلا إن ترتيبات الحكم الذاتي ربما تقود في نهاية الأمر إلى حق تقرير المصير للفلسطينيين. يضاف إلى ذلك أن الملك حسين والأمير فهد شككا في أن تلتزم إسرائيل بشروط وروح الاتفاقية. وفي نهاية النقاش المطول أبلغ الملك الحسين سايروس فانس بأن لديه أسئلة إضافية يريد إجابات عليها قبل إعطاء رده الذي وعد بإرساله بعد وقت قصير. ساد التردد بين غالبية مستشاري الملك حسين إزاء الانخراط في مفاوضات كامب ديفيد.

فمن ناحية، كانوا لا يريدون الإضرار بالعلاقات مع الولايات المتحدة، كما أنهم كانوا يشعرون في نفس الوقت بان الانضمام إلى كامب ديفيد ربما يسفر عن مخاطر سياسية وشخصية غير مقبولة على الملك حسين، أكبرها الانضمام إلى جانب السادات والخروج في نهاية الأمر صفر اليدين، وكان الملك حسين ومستشاروه يدركون جيدا ان ما يحدث هو عملية تتألف من مراحل، لكنهم كانوا يريدون التأكد من النتائج النهائية قبل ابتداء الرحلة.

على وجه التحديد كان مستشارو العاهل الأردني في حاجة إلى التأكد من أن النتيجة النهائية ستكون تسوية سلمية تنتهي بانسحاب إسرائيلي من الأراضي المحتلة. وأصدر الملك حسين قرارا بتشكيل لجنة من خمسة مسؤولين، برئاسة الشريف عبد الحميد شرف، لصياغة الأسئلة التي تحتاج إلى رد من جانب الإدارة الأميركية، وأعدت اللجنة ١٤ سؤالا يتعلق معظمها بتفسير الإدارة الأميركية لاتفاقيات كامب ديفيد والدور الأميركي في تطبيقها. وقع الرئيس كارتر بنفسه على الإجابات وأرسلها إلى هارولد سوندرز، مساعد وزير الخارجية، لتوصيلها إلى الملك حسين في ١٦ أكتوبر.

جاء في الإجابات أن تفسير الولايات المتحدة على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لم يتغير منذ عام ١٩٦٧، كما تضمنت الإجابات إيضاحات لوجهات نظر واشنطن تجاه قضايا محددة متضمنة في اتفاقيات كامب ديفيد، بيد أن الإجابات لم تشتمل على أي من الضمانات التي كان يسعى إليها الأردن. لم تكن هناك، على سبيل المثال، إشارة إلى أن إدارة الرئيس كارتر على استعداد لممارسة ضغوط على إسرائيل مثل الضغوط التي تمارسها على العرب. وجاء في الوثيقة أن كل القضايا الشائكة يجب أن يجري التوصل إلى حل بشأنها من خلال مفاوضات مباشرة بين الأطراف نفسها. يضاف إلى ما سبق أن الردود الأميركية لم تتضمن أي إشارة إلى عدم التوازن بين الأطراف المعنية. وأجمع مستشارو الملك حسين على أن إجابات واشنطن مبهمة وغير مقنعة وتفتقر إلى إبداء أي التزام من جانب الولايات المتحدة. قضى سوندرز ساعات مع مستشاري الملك حسين وعقد اجتماعين مع الملك نفسه، الذي أبلغ سوندرز بأن الأردن لا يستطيع المشاركة في المفاوضات الخاصة بتطبيق بنود اتفاقيات كامب ديفيد بدون تأييد من الجانبين الفلسطيني والسعودي.

والتقى سوندرز أيضا قادة الضفة الغربية لكنه لم يستطع الحصول على تأييد لمشاركة أردنية. توجه سوندرز بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية لكنه لم يكن أفضل حظا من سايروس فانس. وجه سوندرز سؤالا مباشرا إلى ولي العهدَ الأمير فهد بن عبد العزيز مستفسرا إياه حول ما إذا كانت السعودية ستؤيد الأردن في حال إعلان الملك حسين تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد، إلا أن الأمير فهد لم يرد على سوندرز بإجابة قاطعة، ثم غيرّ موضوع الحديث. عاد سوندرز مرة أخرى إلى عمان للقاء الملك حسين واعترف بفشل مهمته.

وعلى الرغم من كل هذه الإحباطات لم يكن الملك حسين يرغب في استبعاد كل احتمالات المناقشة في المستقبل. وجاء في مذكرات كارتر أنه لم يتلق إجابة قاطعة من الملك حسين، الذي ترك احتمالات مشاركة الأردنيين أو الفلسطينيين مفتوحة حسبما تم الاتفاق عليه في كامب ديفيد، لكنه لم يبد أي نوع من الالتزام.

وفي مناقشات على الصعيد الشخصي والخاص استخدم كارتر لغة أقل دبلوماسية ووصف الملك حسين بأنه ملك ضعيف لدولة ضعيفة. كان الأردن يعتمد بصورة كبيرة على مساعدات دول الخليج العربي، لذا سيكون هناك ثمن اقتصادي لخروجه على الإجماع العربي. يضاف إلى ذلك أن الخطر العسكري من كل من العراق وسورية على الحكم الهاشمي في الأردن سيزداد في حالة الخروج على الإجماع العربي، فضلا عن الخطر الذي سيتهدد الاستقرار الداخلي للأردن في حال تحدي الأردن قرار قمة الرباط وإثارة غضب النازحين الفلسطينيين في الأردن.

في ظل تلك الأوضاع آثر الملك حسين التقارب مع العرب الرافضين لاتفاقيات كامب ديفيد، وقبل الدعوة للمشاركة في قمة عربية في بغداد استبعدت مصر منها. لم تكن بغداد المكان الأنسب من بين كل العواصم العربية لزيارة الملك حسين، ذلك أن بغداد هي المدينة التي شهدت طرد الأسرة الهاشمية بصورة عنيفة قبل حوالي عشرين عاما من ذلك الوقت.

وكانت تلك أول زيارة للملك حسين إلى بغداد منذ عام ١٩٥٨. اتخذت السلطات العراقية كل الخطوات اللازمة كي يشعر الملك حسين بأنه محل ترحيب وحفاوة، وأرسل مسؤولو حزب البعث إلى المقابر الملكية لقطع الحشائش التي نمت بغزارة حول قبور أفراد الأسرة الهاشمية تحسبا لاحتمال زيارة الملك حسين لها خلال أيام مشاركته في القمة. تحدث الملك حسين في القمة ووضع الأردن في قلب الإجماع العربي الجديد، وتقدم بإطار لعمل عربي مشترك لحماية العالم العربي في مواجهة التوسع الإسرائيلي ولتأمين استعادة الأراضي العربي المحتلة.

وأكد العاهل الأردني ضرورة حشد الدول العربية لكل مواردها وإمكانياتها لمواجهة الخطر المشترك. قررت قمة بغداد تعليق عضوية مصر ونقل المقر العام لجامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس. كما أعلنت القمة أن اتفاقيات كامب ديفيد مناقضة لقرارات قمة الرباط، وأكدت تأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني، فضلا عن تصويتها لصالح مواصلة الدعم المالي

لمدة عشر سنوات لكل من سورية والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، وخصص للأردن ثلث هذه المساعدات (١٢٥٠ مليون دولار على مدى ١٠ سنوات). وكان ذلك الدعم من جانب الدول العربية المنتجة للنفط للجبهة الشرقية يهدف إلى إعادة توازن القوى الذي سببه خروج مصر. كانت قمة بغداد بمثابة بداية لعلاقة صداقة شخصية وثيقة وشراكة سياسية بين الملك حسين وصدام حسين، نائب الرئيس العراقي الشاب في ذلك الحين. وكان صدام حينها الرجل القوي في نظام حزب البعث، وتسلم الرئاسة بعد ذلك من أحمد حسن البكر. لعب صدام حسين دورا رئيسيا في إقناع الدول العربية الثرية في تقديم مساعدات مالية لبقية دول المواجهة التي تجمعها حدود مشتركة مع إسرائيل.

وأبدى الملك حسين إعجابا بالنائب الشاب النشط للرئيس العراقي وببلاغته في الحديث حول الحاجة إلى وحدة بين الدول العربية والتأكيد على مسؤوليتها الجماعية في التأكد من عدم وجود عربي جائع. صدام حسين من جانبه تعامل مع جاره الملك حسين بتهذيب ولطف بالغين، وأبدى تفهما كاملا وتعاطفا مع محنته. وشأن بقية أفراد الأسرة الهاشمية نظر الملك حسين إلى العراق بمزيج من الإعجاب والنفور. الإعجاب بثروة وقوة العراق، والنفور بسبب المذبحة البشعة لأقربائه عام ١٩٥٨. وفي نهاية الأمر رجحت الصداقة الوليدة بين الملك حسين والزعيم العراقي الكفة في صالح الإعجاب وساعدته على تجاوز الذكريات المريرة للماضي. جاء رد فعل واشنطن شرسا على رفض الأردن لاتفاقيات كامب ديفيد، وكثفت إدارة كارتر الضغوط على الأردن بغرض إجباره على تغيير موقفه والانضمام إلى مفاوضات كامب ديفيد. قطعت واشنطن مساعداتها للأردن ونصحت حلفاءها في منطقة الخليج بعدم مساعدة الأردن.

واجه الأردن أيضا صعوبات في الحصول على منح من البنك الدولي لدعم مشاريع التنمية، بل واجه الأردن خلال فترات عدم توفر السيولة لدفع رواتب الجيش. وفي مارس ١٩٧٩ زار زبيغنيو بريزينيسكي عمان وهدد بفرض قيود على إمدادات السلاح

للأردن إذا لم يغير موقفه تجاه عملية السلام التي دعمتها الولايات المتحدة. واعتقد المسؤولون الأردنيون أن الولايات المتحدة ربما لا توفر الحماية للأردن في وجه أي هجوم من إسرائيل مستقبلا. اتهم الملك حسين الولايات المتحدة بازدواجية المعايير في تشجيعها المقاومة الإسلامية ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان، وتصويرها . في نفس الوقت . الفلسطينيين كمجرمين بسبب مقاومتهم لاحتلال أرضهم من جانب إسرائيل، ووصلت العلاقات بين واشنطن وعمان إلى أدنى مستوى لها لأول مرة. قرر كارتر خفض المساعدات الأميركية للأردن من ٤٠ مليون دولار عام ١٩٧٨ إلى ٢٠ مليون دولار عام ١٩٨٠، وتجاهلت الولايات المتحدة طلب الأردن طائرات (F-١٦).

علاوة على ذلك أجاز مجلس النواب الأميركي مشروع قرار مساعدات عسكرية بحرمان الأردن من أي مساعدات إلى ان يلعب الدور المحدد له في اتفاقيات كامب ديفيد، واعتبرت عمان مشروع القرار المذكور ابتزازا. فرضت الولايات المتحدة أيضا الكثير من الشروط على طلب الأردن شراء ٣٠٠ دبابة M٦٠A٣، مما اضطر الملك حسين إلى شراء ٢٧٤ دبابة بريطانية من طراز Chieftainبمساعدة من المملكة العربية السعودية. تراجعت العلاقات الشخصية بين الملك حسين وكارتر، ووصف الأخير الملك حسين بأنه «أضعف من ان يعتمد عليه» في عملية السلام. وفي ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٠ زار العاهل الأردني واشنطن لإجراء محادثات مع كارتر، وشرح له أهمية الأسلحة التي حرم منها الكونغرس الأردن على الرغم من كونه عرضة للمخاطر. وكرر الملك حسين مجددا خلال محادثاته مع كارتر اعتراضه على اتفاقيات كامب ديفيد، مؤكدا الحاجة إلى عقد مؤتمر دولي تحت رعاية الأمم المتحدة يؤكد تمثيل الفلسطينيين ويعالج مسألة تقرير المصير لهم. دارت عملية السلام برمتها حول التوتر بشأن التسوية النهائية والتسوية المنفصلة.

الاتفاقيات التي جرى التوصل إليها في نهاية المطاف بكامب ديفيد تعارضت مع المبادئ الأساسية للأردن في مجال السياسة الخارجية. وكان الملك حسين يدرك أن مصر وإسرائيل تحتلان مرتبة أعلى من الأردن في قائمة حلفاء الولايات المتحدة في

الشرق الأوسط. لكنه شعر بأن جيمي كارتي، في خضم سعيه جاهدا لتحقيق نجاح في مجال السياسة الخارجية، أجبر العرب على دفع ثمن تعصب إسرائيل

كلينتون : الملك حسين والملكة نور أصدقاء !!

ويسرد كلينتون جزءاً كاملاً عن عاهل الأردن الراحل من خلال روايته لقصة التوقيع على اتفاق السلام الإسرائيلي - الأردني في وادي عربة في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٦، لكنه لا يكثر في الحديث عنه، أكثر من ذكر أنه كان على وشك أن يغمى عليه من شدة حر صحراء وادي عربة، ويورد: «حين وصلت إلى المكان، كاد يغمى عليّ من شدة الحر وقوة أشعة الشمس التي اجتاحت عيني فورا، ولولا تدخل مساعدي أندرو فريندلي الذي ناولني نظارة شمسية، لكنت فعلا فقدت وعيي وخربت الاحتفال كله».

ويتحدث عن علاقته وزوجته بالملك حسين وعقيلته الملكة نور، ويقول: «بعد الاحتفال، قدت وهيلاري السيارة بمعية الملك حسين وعقيلته الملكة نور مسافة قريبة إلى قصر حسين في العقبة، كان ذلك يوم عيد ميلاد هيلاري، وقد أعدوا كعكة وشموعا خادعة (لا تنطفئ) لم تقوَ هيلاري على إطفائها، ما جعلني أداعبها وأقول إن السنين أخذت مأخذها منها فلم تعد لديها رئتان قادرتان حتى على إطفاء شموع عيد ميلادها».

ويكيل كلينتون المديح للملك الأردني وعقيلته: «الملك حسين والملكة نور ذكيان، كريمان وصاحبا رؤية، فنور، وهي خريجة جامعة برنستون، هي ابنة عربي أميركي متميز وأم سويدية، أما الحسين فكان رجلا قصير القامة، قوي البنية، ويمتلك ابتسامة آسرة، كان رجلا ذا كرامة وشرف وذا عينين تنمان عن الحكمة، وقد كان نجا من العديد من محاولات الاغتيال ضده خلال سني حكمه المديد».

ويضيف: «كان يعرف جيدا أن ركوب المخاطرة من أجل السلام كان أكثر من

أجل لقمة صوتية سائغة، كنا نضحك كثيرا حين نكون معا، محاولين تناسي واجباتنا الرسمية كلما أتيحت لنا فرصة ذلك، مفضلين على ذلك رواية القصص والنوادر عن حياتنا وأطفالنا واهتماماتنا المشتركة، بما في ذلك الأحصنة والدراجات النارية، وفي السنوات اللاحقة، كانت نور تنضم إلينا في رحلات الغناء التي كنت وهيلاري نقيمها في ولاية ويومينغ، كما كنت أزور منزل الملك حسين ونور في ولاية ماريلاند القريبة من واشنطن، خصوصا للاحتفال بأعياد ميلاد الملك، وكانت هيلاري ونور تتحدثان دائما على التلفون، كانتا بركة من الله في حياتنا.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، كنت أول رئيس أميركي يخاطب البرلمان الأردني في عمان، وكانت الكلمات الأكثر تقبلا هي تلك التي وجهتها إلى العالم العربي حين قلت: إن أميركا ترفض أن حضارتينا مكتوب لهما أن تتصادما، إننا نحترم الإسلام،،، القيم التقليدية في الإسلام، التفاني من أجل الإيمان والعمل الطيب، للأسرة والمجتمع، وهي قيم منسجمة مع قيم المجتمع الأميركي ومُثله، وعليه، فنحن نعرف أن بوسع شعبينا وعقيدتينا وثقافتينا أن يتعايشا بانسجام ووئام معا».

وتابع سرده: «في خطابي في الكنيست، أثنيت على رابين وشكرته وأكدت لأعضاء الكنيست أنه كلما اتخذت إسرائيل خطوات نحو السلام، فإن الولايات المتحدة ستتحرك بخطوات لتعزيز أمن إسرائيل وتقدمها الاقتصادي، كانت تلك رسالة جاءت في موعدها، فقد كانت إسرائيل قد عانت من عملية إرهابية جديدة قاتلة، ولكن، وعلى عكس الاتفاق مع الفلسطينيين، الذي عارضه الكثير من الإسرائيليين، فإن الاتفاق الإسرائيلي الأردني حظي بتأييد كل من في الكنيست تقريبا، بمن فيهم زعيم ليكود آنئذ بنيامين ـ بيبي ـ نتنياهو، فالإسرائيليون كانوا معجبين بالملك حسين ويثقون به، لكنهم كانوا ما زالوا غير واثقين بعرفات.

وفي الثامن والعشرين من الشهر، وبعد زيارة لمتحف ذكرى المحرقة (ياد فاشيم) الرائع في القدس، ودعت وهيلاري رابين وعقيلته ليا، توجهت بعدها إلى الكويت للقاء الأمير وشكر قواتنا لإرغامها القوات العراقية على الانسحاب من الحدود مع

الكويت عبر انتشارهم السريع في تلك المنطقة، وبعد الكويت، طرت إلى العربية السعودية لساعات لرؤية الملك فهد، كنت أعجبت بالمكالمة التي أجراها معي الملك فهد في مطلع عام ١٩٩٣ حين طلب مني العمل على وقف التطهير العرقي للمسلمين في البوسنة، وفي تلك الزيارة، استقبلني الملك فهد استقبالا حارا وشكرني لنزع فتيل الأزمة مع العراق، كانت زيارة قصيرة وناجحة، لكنه كان عليّ أن أعود إلى البلاد لمواجهة موسيقى الانتخابات».

ثم يصل كلينتون للحديث عن اغتيال رابين، الذي اعتبره مثله الأعلى، بل وكان كما وصفه في إحدى المرات بـ «مثابة البطل لي»، ويقول في تذكره لحادث الاغتيال وما عناه لعملية السلام التي كان استثمر الكثير من وقته وجهده فيها: «في الساعة ٣:٢٥ بعد الظهر من يوم ٤ نوفمبر، اتصل بي مستشاري لشؤون الأمن القومي توني ليك ليبلغني أن رابين الذي كان يقود مسيرة ضخمة للسلام في تل أبيب، أصيب بعيارات نارية عدة، وإن منفذ الاغتيال لم يكن إرهابيا فلسطينيا بل طالبا إسرائيليا شابا يدرس الحقوق اسمه إيغال عمير، الذي كان يعارض بقوة التخلي عن الضفة الغربية، بما في ذلك أراض تحتلها مستوطنات إسرائيلية، للفلسطينيين، أدخل رابين إلى المستشفى، ومضى بعض الوقت قبل أن نعرف كم كانت خطيرة إصابته، اتصلت بهيلاري التي كانت في الطابق العلوي في البيت الأبيض تعمل على كتابها، حضرت في الحال واحتضنتني، وتحدثنا لبعض الوقت عن رابين وكيف أنني كنت معه حين حضر لآخر مرة إلى الولايات المتحدة قبل عشرة أيام فقط من اغتياله ليقدم لي جائزة إيشايا باسم منظمة النداء اليهودي الموحد، لقد قضينا معا حينئذ ليلة سعيدة، إسحق، الذي كان يمقت الزي الرسمي، حضر إلى تلك الحفلة التي يرتدي فيها المدعوون الربطات السوداء الخاصة، مرتديا بدلة سوداء عادية وربطة عنق عادية، استعار الربطة الرسمية من أحد مساعديّ ووضبتها له بيدي حين لبسها قبل لحظات من خروجنا معا إلى المسرح، وحين قدم الجائزة إليّ، أصر على أن أقف إلى يمينه، كنوع من التكريم لي، مع أن البرتوكول يدعو إلى أن يقف الزعماء الأجانب إلى يمين الرئيس، وقال: الليلة، سنعكس هذا النظام، وقد رددت بأن ذلك قد يكون

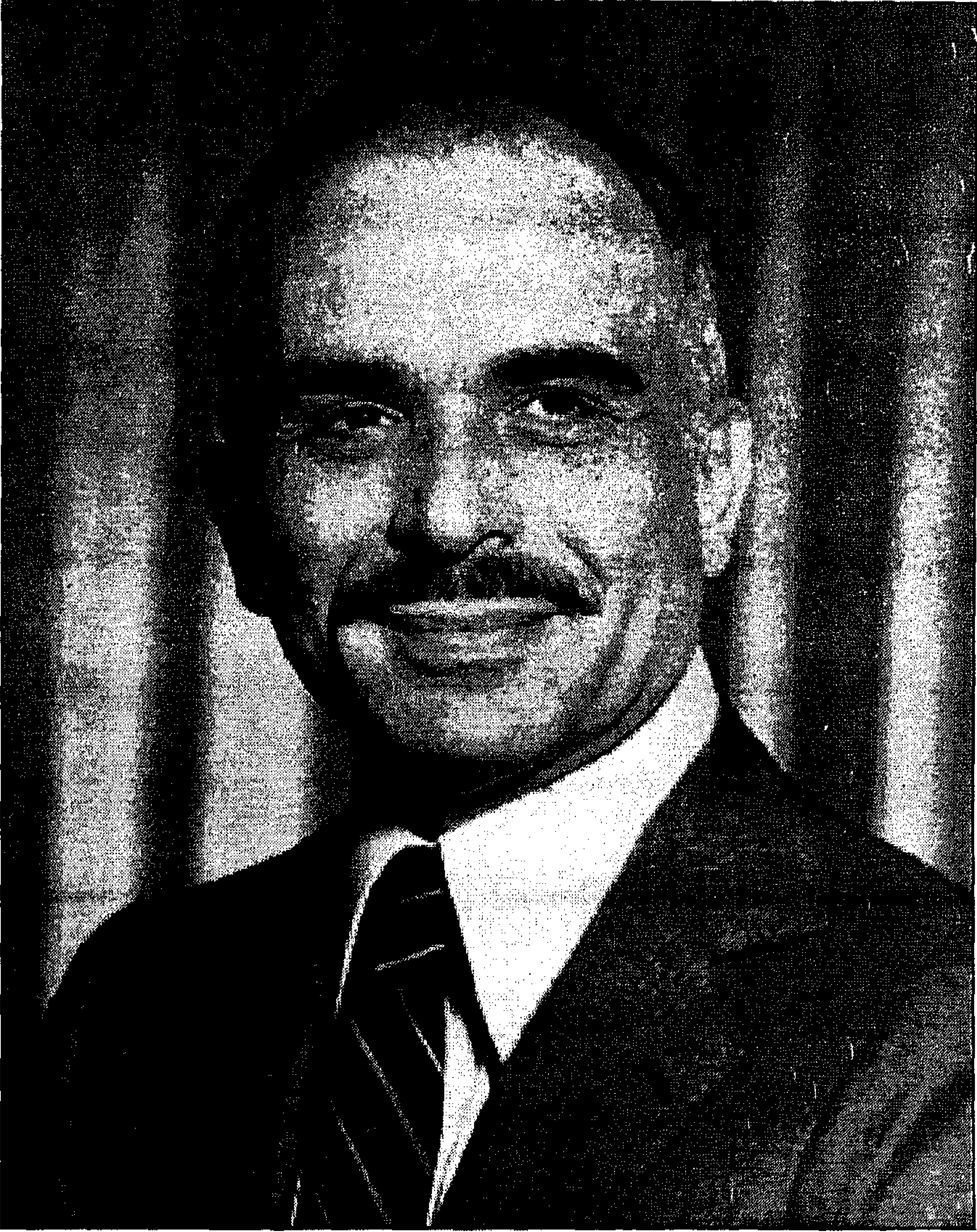
مناسبا أمام جمهور منظمة النداء اليهودي الموحد لأنهم قد يكونون جمهورك أكثر منهم جمهوري، وضحكنا كثيرا تلك الليلة، الآن، وبعد تلقي خبر إطلاق النار عليه، تمنيت لو أننا نتمكن من الضحك مرة أخرى كما فعلنا تلك الليلة».

واورد: «بعد ٢٥ دقيقة من ذلك الوقت، اتصل ليك ليقول لي ثانية إن إصابة رابين كانت بليغة، لكنه لا يعرف أكثر من ذلك، حضنت التلفون قليلا وقلت لهيلاري إنني سأذهب إلى مكتبي البيضوي، وبعد أن تحدثت إلى موظفي مكتبي وذرعي المكان جيئة وذهابا عدة مرات، طلبت أن أكون لوحدي، تناولت قفازين من قفازات الغولف وبعض الطابات وخرجت إلى الساحة الجنوبية للبيت الأبيض، حيث صليت وتضرعت إلى الله أن ينقذ إسحق وضربت إحدى كرات الغولف في الهواء من دون هدف.

بعد ١٥ دقيقة، رأيت باب المكتب البيضوي ينفتح ويتبدى منه توني ليك سائرا على المسار المرصوف بالحجارة في اتجاهي، أيقنت من النظرة التي كست وجهه أن رابين مات، حين أبلغني توني بذلك، طلبت منه العودة لإعداد بيان لكي أتلوه للصحافة».

ويواصل كلينتون الحديث عن رحلته مع رابين وكيف شعر بالتيه حول ما يمكن أن يفعل في الشرق الأوسط حين بلغه نبأ وفاته، فيقول ما لم يقله في زعيم أجنبي آخر: «في السنتين والنصف سنة اللتين عملنا فيهما معا، بنيت علاقة وثيقة غير اعتيادية مع رابين، تميزت بالصراحة والثقة والفهم غير الاعتيادي للخيارات السياسية لكل منا وطريقة تفكيره، وقد أصبحنا صديقين بهذه الطريقة الفريدة التي يقيم فيها الناس الصداقات عندما يخوضون صراعا يعتقدون أنه عظيم وخير، وفي كل مرة كنت ألتقيه فيها كنت أزداد احتراما ومحبة له، وحين قتل، لم أكن أحببت في حياتي رجلا مثله، وفي أعماقي كنت أشعر دائما أن الرجل يغامر بحياته من أجل السلام، لكنني لم أكن أتصور أنه سيقتل، ولم أكن أعرف ما يمكنني أن أفعله في الشرق الأوسط من دونه، وإذ طغى عليّ الحزن، عدت إلى الطابق العلوي لأكون مع هيلاري لساعتين تقريبا.

في اليوم التالي، وبعد ما ذهبنا إلى الكنيسة، توجهت وهيلاري إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن لنتقدم بعزائنا للسفير الإسرائيلي إيتامار رابينوفتش وزوجته، كتبنا عبارات العزاء في كتاب العزاء الذي كان موضوعا على طاولة في وسط قاعة القدس بالسفارة، وكان ليك ومبعوثي الخاص للشرق الأوسط دنيس روس قد سبقانا إلى هناك، عدنا من السفارة إلى البيت الأبيض لنستعد لرحلتنا إلى القدس في اليوم التالي لألتقي فيها الكثير من زعماء العالم، بمن فيهم عدد غير قليل من الزعماء العرب».



الملك حسين أحد أكثر الحكام العرب الذين تحدث عنهم زعماء العالم في مذكراتهم !!



العاهل الأردني الراحل والملكة نور مع الرئيس ريجان وزوجته نانسي.



ومع الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري قبيل رحيله.



يصافح رابين وكلينتون يصفق بعد توقيع اتفاق السلام.



ويشهد على اتفاق عرفات وناتانياهو في أيامه الأخيرة حيث قطع برنامج علاجه بأمريكا ليحضر عملية التوقيع النهائي وفي الصورة كلينتون راعي الاتفاق.

٨ الملك الحسن الثاني

بيير توكوا : الحسن الثاني ورشوة المجتمع الدولي لضم الصحراء !!

يعد عاهل المغرب الراحل الملك الحسن الثاني أحد الحكام العرب في فترات الاضطراب الكبرى التي شهدت أحداث جسام هزت المنطقة العربية، وغيرت وجه الحياة فيها، ورغم أن مملكته لم تكن من بين دول المواجهة مع إسرائيل كمصر وسوريا، إلا أنه جعل منها لاعباً في الصراع العربي الإسرائيلي، رغم تحفظ الكثيرين

ومما يروى أن الملك الحسن الثاني عاهل المغرب الراحل كان قد جعل مشكلة الصحراء الغربية هما وطنيا جوهريا ورهانا استراتيجيا. ولتحقيق هذا الهدف القومي من المنظور المغربي، تحركت لوبيات ومجموعات ضغط مغربية، في إطار دوائر دولية لتجسيد توصيات الخطاب الرسمي في عهد الحسن الثاني الذي جعل من ضم الصحراء الغربية إلى الحظيرة الوطنية استراتيجية دولية أخذت حصة

الأسد من سياسة الإغواء والتضليل والإغراء باتجاه المجموعة الدولية التي قادتها الدبلوماسية المغربية للاستحواذ على المربع الصحراوي، وهو ما يواصل العمل به الملك الجديد.

هذا ما يكشق عنه الكاتب والصحافيبجريدة "لوموند" الفرنسية جون بيير توكوا في كتابه الأخير "جلالة الملك.. لوالدك فضائل كثيرة علي" الصادر عن دار النشر الفرنسية الشهيرة ألبان ميشل.

ويتناول الكتاب الملف الدبلوماسي المغربي حول موضوع النزاع الصحراوي، حيث كشف كثيرا من نقاط الظل عن ممارسات دبلوماسية خارج المألوف انتهجها المسؤولون المغاربة للدفاع عن مغربية الصحراء . ويرى "توكوا" في هذا المقام أن المخزن لم يتردد في سلك كل السبل لتذليل العقبات الدبلوماسية والدولية والقانونية لاقناع هذا البلد أو ذاك كي يكون له نصيرا له في قضيته في المحافل الدولية، بل إنه تبني منذ أمد بعيد سياسة الأظرفة المالية، وهي كناية عن أسلوب الرشوة الموصوف الذي تحول إلى عقيدة دبلوماسية واختصاصا لدي المسؤولين المغاربة للتغطية على ضعفهم الدبلوماسي في تسيير الملف الصحراوي.ولكي يدلل علي هذه الخلاصات الخطيرة في حق الدبلوماسية المغربية ومن ثم مصداقية المخزن، تحاشى "جون بيير توكوا" تهويمات التحاليل الغوغائية، والاستقراءات التي لا تنتهي من وحي المعطيات الجيو استراتيجية، فتبني فلسفة القرائن الدامغة التي استقاها شكلا ومضمونا من سلسلة الحوارات التي أجراها مع وزير الداخلية السابق نفسه، إدريس البصري المقيم في باريس حاليا بعد إقالته من منصبه سنة ١٩٩٩ بقرار من الملك الجديد، باعتباره المسؤول الأول وقتئذ عن الملف الصحراوي، بالإضافة إلى لقاءات أخرى أجراها مع ممثلين للهيئة الأممية، وتشكلت من خلال ذلك مادة قوية وغنية في آن، جديرة بالنظر والتمحيص كونها تحاصر بالفعل وبالقوة العملية الدبلوماسية المغربية من كامل الأوجه، وتعري في المطلق الآلية التي تشتغل بها.

ويقول صحافي لوموند في هذا السياق إن كل الاستراتيجية المغربية تلخصت في شراء ذمم بعض مسؤولي جبهة البوليزاريو، والدبلوماسيين الأجانب والمسؤولين في

هيئة الأمم المتحدة عن الملف الصحراوي استنادا إلى تصريحات (برنارد ميللي) مستشار سابق في قصر الإليزيه.وما من شك أن شهادة هذا الدبلوماسي الفرنسي المحنك الذي اشتغل من سنة ١٩٩٧ إلى سنة ٢٠٠٠ كمستشار دبلوماسي للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة كوفي عنان، والذي كانت تعتبره الأوساط الدولية وقتها الرجل الثاني في البيت الأممي في تسيير المسألة الصحراوية، لها ثقلها ووزنها على أكثر من صعيد.وتجدر الإشارة في هذا المقام أن (برنارد ميللي) الذي التقاه الصحافي جون بيير توكوا في شهر أيار (مايو) من السنة الماضية لتسجيل شهادته كأحد أبرز الفاعلين في القضية الصحراوية، قادته مهامه الأممية بجولة إلى كل من العاصمة المغربية الرباط حيث التقي فيها العاهل المغربي الراحل، كما زار مخيمات تندوف قرب الصحراء الجزائرية والجمهورية الموريتانية، والجزائر العاصمة .

وانطلاقا من هذه الذكريات التي تعتبر من أهم المحطات الدبلوماسية منذ توليه الملف الصحراوي أكد برنارد ميللي لمحدثه أن السلطات المغربية أمنت لي إقامة فخمة بفندق هيلتون الدولي بالرباط، ورغم أني كنت بمفردي فلقد وضعوا تحت تصرفي غرفتين، وغرفتي حمام وضعوا في إحداهما ما لا يقل عن ٣٠٠ نوع من العطور موضحا لقد كانوا يريدون شراء ذمتي وبتهكم قال معلقا إنها هدية حسن الاستقبال، ولكن تمرسه في الحقل الدبلوماسي الملغم جعله يحترس من رشوة من هذا النوع.ورغم أن محاولة المخزن في استمالة المبعوث الأممي لمصلحة المغرب أجهضت، إلا أن مخططاته حسب مؤلف الكتاب لن تتوقف عند هذا الحد بل تعدته إلى قلب الهيئة الأممية بنيويورك، وتحديدا عن طريق سكرتيرة برنارد ميللي نفسه، وهي معلومة على قدر كبير من الأهمية والمصدقية كونها انطلقت من فيه الرجل القوي في عهد الملك الحسن الثاني إدريس البصري الذي أسر لصحافي لوموند في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٥ بأن سكرتيرة ميللي كانت الشخصية الوحيدة التي تفهمت الموقف المغربي مفيدا في نفس الاتجاه أن هذه الأخيرة ساعدتنا كثيرا ولقد استقبلتها في بيتي عدة مرات .وحسب توكوا، فإن الرباط لجأت إلى هذه المتعاونة مع برنارد

ميللي نظرا للمنصب الحساس الذي كانت تتبوأه في عملية استباق للأحداث وتحسبا لأي طارئ من شأنه أن يقوض المخططات المخزنية باتجاه المجتمع الدولي عن طريق الهيئة الأممية .

وكان الهدف من الاقتراب من هذه الموظفة الأممية هو الاستحواذ على الوثائق والمراسلات التي ترسلها لجنة هيئة الأمم المتحدة حول المسألة الصحراوية لمجلس الأمن، ومرة أخرى هو نفسه إدريس البصري من يفتح مثل هذه الأقواس عن فصول العمل المخابراتي المغربي في دهاليز الهيئة الأممية لصاحب الكتاب مؤكدا أنه كان مهما لدينا، عندما تقع بعض الوثائق لدينا أن نرسلها فورا إلى جلالة الملك الحسن الثاني والغرض من ذلك يواصل البصري هو تمكين الملك من أن تكون له ردة فعل سريعة مع رؤساء الدول الأعضاء في مجلس الأمن .

وفي مقام مختلف، يستنتج المؤلف من خلال استقراء المعلومات المتوفرة لديه، بأن اللوبي المغربي كان ينشط على أكثر من مستوى لتكريس مغربية الصحراء كحقيقة لا غبار عليها، ويري في هذا المنحى أن المغرب أولى اهتماما كبيرا بوسائل الإعلام الفرنسية في المقام الأول لترويج موقفه منتهيا إلى محصلة مفادها أن وسائل الإعلام الفرنسية نادرا ما أثارت الملف الصحراوي وهم مخطئون في ذلك مدليا بقناعة فحواها أنه إذا حصل وأن انتفض الموقف الرسمي المغربي ضد وسائل الإعلام الفرنسية فسيكون حتما بسبب الصحراء الغربية وليس شيئا آخر.

أما عن الرؤية الفرنسية للملف الصحراوي، فإن الصحافي (جون بيير كوتوا) يجزم بما لا مجال فيه للشك أن ثمة مجموعة من الدبلوماسيين الفرنسيين من قدمت مساعدة واستشارة لنظرائهم المغاربة بإيعاز من الإليزيه، ويوضح في هذا السياق أنهم قاموا بذلك من باب الواجب أولا والقناعة ثانيا، وهي إحالة واضحة إلى ميل الموقف الفرنسي أكثر الي الجماعة في المغرب.وحسب جون بيير توكوا، فإن الواجب في مساندة المغرب من الجانب الفرنسي يفهم من زاوية أن فرنسا تخشى من أن توجد في المنطقة دويلة (الصحراء الغربية) تكون لغتها الرسمية الإسبانية تتقلص

من خلالها مساحة اللغة الفرنسية باتجاه أفريقيا الغربية مع تهديد واضح للثقافة التي تحملها وهو احتمال يقول "توكوا" لا تحبه باريس.وهي معادلة فهمها جيدا المغرب يفيد الكاتب، مع توظيف كل الأدوات التكتيكية لخدمة الاستراتيجية اللغوية للمستعمرة السابقة لفرنسا، ومن بين هذه الأدوات الفاعلة هو التقرب من الوسط الدبلوماسي الفرنسي والتودد إليه لضمان تأييد السفراء الفرنسيين في الرباط .

ويذكر الكاتب هنا اسم جون برنارد ميريمي السفير الفرنسي السابق في الرباط، أحد أكبر المدافعين عن الموقف المغربي، والذي أوكلت إليه مهمة استراتيجية في اللجنة الدائمة لهيئة الأمم المتحدة لتمثيل بلاده، ما يحيل ولاشك أنه تخندق في اللوبي المغربي عبر القناة الأممية.

وجدير بالذكر، بأن هذه الشخصية ذاتها متهمة بتورطها في جريمة النفط العراقي مقابل الغذاء التي مازالت تحرج السلطات الفرنسية لحد اليوم.وفي معرض حديثه عن السفير ميريمي ،يشير الكاتب أن هذا الأخير اتهمته الجزائر في الماضي بتلقيه عمولات لقاء دفاعه المستميت علي أحقية المغرب بالصحراء الغربية، مذكرا بأن هذا الاتهام الجزائري كان فنده وزير الداخلية المغربي إدريس البصري في حينه، في الوقت الذي اعترف فيه هذا الأخير للكاتب في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ٢٠٠٥، أن السفير الفرنسي ميريمي مد المملكة بيد العون، وكان يقوم بذلك مجانا، مستدركا بشكل لا يخلو من الجدية والتهكم في آن ولكن يجب أن لا ننسي عطاءات واغداقات الملك الحسن الثاني لأصدقائه .

وترجمة ذلك بالنسبة لجون بيير توكوا من الناحية العملية أن عشية ذهاب السفير ميرمي من وزارة الخارجية الفرنسية، شرفه البنك الخاص المغربي بي إم سي أو بمنصب ذى بريستيج في مجلس الإدارة لقاء أجر شهري معتبر، علاوة على تمكينه من امتلاك منزل أنيق على بعد أمتار من بحيرات ورزازات الشهيرة. وذات المنزل، حسب توكوا، استنادا إلى شهادة البصري نفسه هو عبارة عن بيت ريفي خشبي على الطريقة السويسرية منحه إياه الملك الحسن الثاني بما فيه الميدان المحيط به. القدس العربي

التحق الأمير مولاي رشيد، الشقيق الأصغر للملك محمد السادس، وولي العهد الثاني للعرش المغربي، بابن عمه مولاي هشام في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قرر اللجوء، حسبما كشفته صحيفة "الموندو" الإسبانية، التي أرجعت قرار الأمير إلى اختلافه مع الملك في طريقة تسييره للبلاد" مما دفع بهذا الأخير إلى التوقف عن الاستماع إليه وعن إشراكه في تسيير البلاد".

كشفت صحيفة "الموندو" الإسبانية، في عددها ليوم الأحد الماضي، في مقال وقعه الصحفي المغربي علي لمرابط، عن قرار الأمير مولاي رشيد باللجوء الطوعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، جراء تعرضه للتهميش في القصر الملكي وبلوغ الخلافات بينه وبين شقيقه خط اللا رجعة. كما أخبرت الصحيفة أن مولاي الرشيد سيقيم بمدينة فيلادلفيا، في ولاية كونيكتيكيت، التي تعد إحدى أغنى المدن الأمريكية.

وأرجعت الصحيفة قرار شقيق ملك المغرب محمد السادس والثاني في ولاية العرش المغربي، نقلا عن مصادر وصفتها بـ "الجديرة بالثقة"، لخلافات شخصية بين الملك وشقيقه "بسبب تطوير هذا الأخير لرؤية مخالفة تماما لكيفية إدارة شؤون الحكم تشبه رؤية والده الراحل الملك الحسن الثاني"، بينما نسبت الصحيفة إلى من وصفته بـ "المصدر الدبلوماسي الأجنبي المعتمد بالرباط" أن هذا الاختلاف أدى إلى أن الملك "لم يعد يستمع إليه ولم يعد يرغب في إشراكه في تسيير البلاد".

ولم تستبعد مصادر أخرى في الرباط، حسب "الموندو" أن يكون الملك محمد السادس قد اتخذ قرار تهميش شقيقه لأسباب شخصية تتعلق باحتفاظ هذا الأخير بعلاقة وطيدة وسرية مع وزير الداخلية الأسبق إدريس البصري، الذي يقيم حاليا بالعاصمة الفرنسية باريس، ويشن منها حملة عنيفة على الملك وحاشيته مما جعله يحتل المرتبة الأولى في قائمة أعداء محمد السادس.

وإن كان الرجل القوي السابق في نظام الحسن الثاني لم يؤكد معلومات علاقته بمولاي رشيد لكنه لم يكذبها، وقال معلقا على الخبر في تصريح للصحيفة الإسبانية "الأمير هو ضحية مثلنا جميعا".

ولا يستبعد العارفون بشؤون المخزن ضلوع المجموعة المحيطة بالملك محمد السادس في تعميق هوة الخلاف بينه وبين شقيقه مولاي رشيد الذي كان يريد تمثيل الملك شخصيا في الخارج، وهو المنصب الحساس الذي كان الحسن الثاني قد عين فيه أخاه الأصغر مولاي عبد الله، قبل أن ينجح العقلان المدبران في لنظام المخزن فؤاد علي الهمة، والطيب الفاسي الفهري، الوزيران المنتدبان للداخلية والخارجية، في إقناع الملك بالتراجع عن ذلك.

وتؤكد نفس المصادر على أن الدائرة الملكية الضيقة، التي اختار الملك تشكيلتها من أصدقاء الدراسة، والتي تضم أيضا مسؤول الأمن الخارجي في المخابرات المغربية، ياسين المنصوري، ومستشار الملك الخاص المكلف بتسيير ممتلكات الملك، علي مجيد، هي نفسها التي أوقعت بين الملك وبين إدريس البصري، وابن عمه مولاي هشام، والوزير الأول الأسبق عبد الرحمن اليوسفي، زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. كما أنها المجموعة التي انتقلت في الأسابيع القليلة الماضية بين باريس ومدريد وواشنطن لتسويق مقترح الحكم الذاتي الذي يسعى المخزن من خلاله لتكريس احتلاله للصحراء الغربية .

وتبقى الإشارة إلى أن لجوء مولاي رشيد إلى الولايات المتحدة الأمريكية يأتي ليفاقم حالة النزيف التي أصابت نظام المخزن والأسرة العلوية منذ اعتلاء محمد السادس سدة الملك، فهو يضاف إلى لجوء ابن العم مولاي هشام إلى أمريكا، ووالدة الملك، لالة لطيفة، إلى فرنسا التي جاءتها مرفوقة بالجنرال المديوري، قائد حرس الملك الخاص في عهد الحسن الثاني، حسب رواية الكاتب الصحفي الفرنسي جون بيار توكوا التي أوردها في كتابه الأخير "جلالة الملك .. إنني أدين بالكثير لوالدك.."

"سوليس" وزير فرانكو ..

هكذا فاوضت الحسن الثاني !!

أفرجت وزارة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في يوم ٦يوليو ٢٠٠٦ عن وثيقتين هامتين تهمان قضية الصحراء المغربية وتعودان إلى ما بين إعلان الملك الحسن الثاني رحمه الله عن قرار تنظيم المسيرة الخضراء مباشرة بعد إعلان محكمة العدل الدولية عن رأيها الاستشاري في الموضوع يوم السادس عشر من أكتوبر١٩٧٥ ، ويوم انطلاق المسيرة في السادس من نوفمبر من نفس السنة. وهو ما يتجلى في الكثير مما جرى بين هذين التاريخين الحاسمين في التطور السريع الذي انتهى بخروج إسبانيا من الصحراء بعد أن كانت أياما قليلة قبل ذلك تعتبرها أرضا إسبانية.

الوثيقتان عبارة عن رسالة بعثت بهما سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بمدريد يوم الخامس والعشرين من أكتوبر ١٩٧٥ إلى البيت الأبيض وتحملان طابع سري للغاية. وموضوعهما المعلن في العنوان هو"المفاوضات الإسبانية-المغربية حول الصحراء؛ حوار مع سوليس".

ويتحدث"خوسيه سوليس" الذي كان – آنذاك - وزيرا في حكومة فرانكو في مذكراته عن خلفية بعثته إلى الرباط وعن الأسباب الأساسية التي حتمت أن تسعى إسبانيا إلى إجراء مفاوضات ثنائية مع المغرب حول الصحراء الكبرى. وأوضح كذلك لماذا اضطرت إسبانيا إلى أن تركز على المفاوضات الثنائية مع المغرب حول الصحراء وتتفادى التدخل في موقف الجزائرتجاه المغرب."سوليس" تكلم عن تفضيله - آنذاك - لمنح الصحراء حكما ذاتيا تحت سيادة المملكة المغربية.

وقال أيضا إن الحكومة الإسبانية خلصت إلى استنتاج أنه إذا ما قام نزاع مسلح بين إسبانيا والمغرب فإن الولايات المتحدة الأمريكيبة سوف تصطف بجانب المغرب. غير أنه قيل له بأن الولايات المتحدة سوف تتخذ موقف الحياد التام بين البلدين

في حالة أي نزاع مسلح. والسؤال الذي لابد وأن يطرح من خلال قراءة هاتين الوثيقتين هو لماذا أطلع"سوليس" الأمريكيين حينها عن كل ما كان يجري بينه وبين المغاربة؟ هل كان"سوليس" الوزير في الحكومة الإسبانية الذي فضله الملك الحسن الثاني للتفاوض معه عوض وزير خارجية فرانكو"كورتينا"؛ عميلا لدى المخابرات الأمريكية"السي.آي.إي"؟ هذه ترجمة للوثيقتين:

يقول محرر الرسالتين؛ من سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بمدريد:

"ونتيجة لرغبتنا المشتركة في أن نتبادل المعلومات مباشرة دعاني الوزير"سوليس" لمقابلته بعد ظهر أمس. وخلال اجتماعنا الذي دام ساعة كاملة، قال ما يلي مع التعبير عن احترامه للصحراء:

أكد"سوليس" أنه تم انتدابه من طرف الحكومة الإسبانية لمقابلة وزير الخارجية أحمد العراقي مبكرا على انفراد؛ وفي المطار في اليوم الذي من المفترض أن يلتقيه للعشاء مساء ومعهما كل من الوزير الأول"آرياس" ووزير الخارجية"كورتينا" اللذين كان العراقي سيجري مع كل منهما لقاء منفصلا بعد ظهر نفس اليوم. (وهذا مايفسر لماذا لم يكن"كورتينا" هو الذي استقبل العراقي ذلك اليوم في المطار) يذكر"سوليس" أن زيارة العراقي إلى مدريد جاءت كرد مباشر على الزيارة (الخاصة) التي كان قد قام بها"سوليس" نفسه إلى الرباط في وقت سابق من نفس الأسبوع.

ويضيف محرر الرسالتين قائلا:"سوليس" أخبرني أنه في الرسالة الجوابية التي بعثها الملك الحسن إلى"فرانكو" ردا على رسالة هذا الأخير ليوم ٨ أكتوبر١٩٧٥؛ قد طالب الملك"فرانكو" بإيفاد مبعوث حقيقي؛ واقترح لهذه المهمة"سوليس" نفسه. وأشار"سوليس" إلى أنه في ثلاث مناسبات متفرقة خلال السنوات القليلة السابقة كان"فرانكو" قد بعثه مندوبا عنه لمناقشة بعض الأمور التي وجب التفاوض حولها بين إسبانيا والمغرب. وهو ما سمح له بربط صداقة مع الملك الحسن الثاني استمرت على مر السنين.

وعندما أعلن الحسن الثاني عن"المسيرة الخضراء"شعرت الحكومة الإسبانية بالخطر الكبير الذي أصبح محدقا. فمسيرة من هذا النوع الذي لا يمكن إلغاؤه بعد أن أعلن الملك عنه ولا التحكم فيه؛ من شأنها أن تضم في صفوفها أو تُخترق من طرف عناصر قد تثير الاستفزازات (وقد يكون من بين هذه العناصر جزائريون مدسوسون أو عناصر من البوليزاريو، أو ربما حتى عناصر من جماعات إرهابية مختلفة)؛ وهذا ليس من شأنه إلا أن يؤدي إلى مواجهات كارثية بين إسبانيا التي سوف يكون عليها أن تدافع عن أراضيها وبين المغرب، مما سيتسبب في مقتل عدد كبير من الناس، وإلى دوامة متصاعدة من العنف. ففي الوقت الذي يمكن فيه إيقاف جيش ومنعه من التقدم فإن مئات الآلاف من المدنيين الغوغاء، لا يمكن دفعهم إلى الوراء إذا حدث أن انطلقوا في المسير.

وتوجهت إسبانيا إلى مجلس الأمن في البداية، ولكن سرعان ما أدرك الإسبان أنه لا يمكن انتظار من مجلس الأمن إلا مساعدة قليلة أو ربما لا يستطيع أية مساعدة في الموضوع وأن هذا المجلس سوف فقط يدعو إلى مفاوضات لن يكون في مقدورها أن تقلل من الخطر الكبير الذي قد يأتي من المسيرة. وقال"سوليس" إن الدبلوماسية الإسبانية (وهنا وعلى الرغم من أنه لم يوجه انتقادات مباشرة إلى"كورتينا" إلا أنه أشار إليه ضمنيا في تعليقه) قد اتبعت أساليب تقليدية عبر الأمم المتحدة، من خلال الجهود المبذولة في إطار اللجنة الرباعية؛ إلخ. ومن جهة أخرى نجحت أيضا في أن تجعل أي اتصالات ثنائية بين إسبانيا والمغرب بدون مغزى.

وفي يوم الإثنين الماضي خلال مجلس الوزراء في مدريد، استعرضت الحكومة الوضع القائم. حيث أكد"سوليس" بقوة على أنه في ضوء الأخطار البالغة المحدقة، وفي ظل عدم اتخاذ اجراءات حقيقية من طرف مجلس الأمن، وفي سياق تصاعد خطر المسيرة المزمع تنظيمها إلى الصحراء؛ فإنه لا مناص لإسبانيا ولا مصلحة لها إلا في التفاوض المباشر مع المغرب. هذا ما استلزم نقاشا طويلا في مجلس الحكومة ذاك. وتم الاتفاق في نهاية المطاف على أن يتوجه رئيس الحكومة"آرياس" نفسه إلى

الرباط. هذا القرار تم باتفاق جميع الوزراء، بما فيهم العسكريون، حكام مدينتي سبتة ومليلة. والكولونيلات قادة الفرق العسكرية الإسبانية في منطقة الصحراء. وفي الساعة الخامسة من صباح الواحد والعشرين من أكتوبر؛ تلقى "سوليس" اتصالا هاتفيا من "آرياس" الذي أبلغه بالنوبة القلبية المفاجئة التي تعرض لها "فرانكو" في تلك الليلة وطلب منه التوجه إلى الرباط للقيام بالمهمة.وقد غادر مدريد بعد ذلك بساعات قليلة.

قال لي "سوليس" إن محادثاته مع الملك كانت واقعية، إيجابية، شاقة، ومثمرة، وإنه أكد في لقائه مع الملك أن إسبانيا والمغرب لا يمكن إطلاقا أن يدخلا في حرب. وأن إسبانيا تنشد صداقة جيدة مع المغرب وتتمنى للمغرب الازدهار ولحكم الحسن الثاني الاستمرار.

كما أكد للملك أن إسبانيا أيضا تريد الخروج من الصحراء. فيم الملك أكد أنه لا يستطيع أن يوقف المسيرة لأنه إذا فعل فسيكون ذلك نهاية حكمه. ولكن يمكن تأجيلها لخمسة عشر يوما من أجل إتاحة الوقت لمزيد من التفاوض.وفي خلال محادثته مع الملك الحسن الثاني طفت على السطح مسألة مدينتي سبتة ومليلية. فقال الحسن الثاني: إذا ما تم التوصل إلى اتفاق حول الصحراء فإن المغرب سوف يطرح حينها فقط قضية مستقبل سبتة ومليلية إذا ما استرجعت إسبانيا جبل طارق الذي تحتله بريطانيا.الملك قال هذا بطريقة تنكيتية؛ ولكن بما يوحي بأن المشكل قد يطرح في مستقبل من الأيام وإن لم يكن مستقبلا قريبا.

ومضى "سوليس" يقول بأنه أكد للملك بأن إسبانيا تدرك تماما موقف الجزائر والأخطار التي يمثلها هذا الموقف. ولكن من ناحية أخرى، أكد بأن المشكلة هي في الحقيقة واحدة بالنسبة لإسبانيا إنها مع المغرب أساسا وبشكل ثانوي جدا مع موريتانيا. فإسبانيا يجب عليها أن تجد حلا للمشكلة مباشرة مع المغرب من أجل تجنب أي مواجهة كارثية بسبب المسيرة.

أما المشكل مع الجزائر فهو بالنسبة للحكومة الإسبانية مشكل منفصل تماما بما أن الجزائر ليست لها أية مطامع ترابية في الصحراء. وأعرب عن أمله في أن

الأمم المتحدة ستكون قادرة بشكل أو بآخرعلى المساعدة في تليين موقف الجزائر التي لها نوايا عدائية للغاية تجاه المغرب كما تعادي أي اتفاق قد يحصل بين إسبانيا والمغرب.

ولكن الأهم بالنسبة لإسبانيا؛ كما أكد "سوليس" للملك هو الفصل تماما بين المشكلين. فمن جهة هناك المشكل المباشر للمفاوضات الإسبانية-المغربية حول الصحراء.

ومن جهة أخرى هناك موقف العداء الجزائري تجاه المغرب. وإذا كان من البديهي أن يكون مفيدا جدا أن تتوصل جميع الأطراف إلى اتفاق، فإن الأخطار الممكن نشوبها بسبب المسيرة لا تسمح بادخار أي جهد ولا أي تأخير في إيجاد حلول لها.

"سوليس" قال إنه شخصيا يفضل للصحراء حكما ذاتيا تحت السيادة المغربية. وهذا الموقف كان يبدو أن "آرياس" متفقا معه تماما. وقال إنه بصراحة لا يعرف بماذا ستخرج المفاوضات، ولكن المهم بالنسبة له أن يرى العالم بأن إسبانيا من جانبها تبذل كل ما في وسعها من جهد لتجنب المواجهة. خصوصا وأنها كانت ستكون كارثة بالنسبة لإسبانيا أن ترى جيشها المرابط في الصحراء يدخل في نزاع مسلح. ثم إن انسحابها في ظروف كهذه سيكون أمرا مستحيلا؛ كما أن دخول جيشها في حرب في الصحراء لا يمكن إلا أن تكون له عواقب سياسية خطيرة في داخل إسبانيا نفسها. بينما لن يكون هناك أي مشكل مع المؤسسة العسكرية إذا كان في الإمكان أن تترك الصحراء سلميا وبشكل مشرف.

وفي الختام قال محرر الرسالة التي بعثتها سفارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى وزارة الخارجية بواشنطن بأن "سوليس" أكد له بأن الحكومة الإسبانية استنتجت بأنه إذا ما قامت حرب بين إسبانيا والمغرب فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستقف بجانب المغرب. ولكنني بقول: قلت له إن موقف الولايات المتحدة الأمريكية هو الحياد التام والحاسم بين الطرفين.

وإنه نظرا لجوهرية القضية فإنها تحث الطرفين معا على بذل كل الجهود لإيجاد حل سلمي متفاوض حوله ومتفق عليه. ويضيف: قلت له إننا مثل إسبانيا، نعتقد أنه من مصلحة الغرب دعم نظام معتدل كما هو في إطار حكم الملك الحسن في المغرب.

وهنا أثار معي برنامج مبيعات الأسلحة، لكنني أكدت له بأننا نضع الحكومة الإسبانية على اطلاع تام بهذه الأمور. إن إسبانيا والمغرب هما معا من أحسن أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية. ونحن نتمنى أن يجدا طريقا للتفاوض ولحل مشاكلهما سلميا وأن نتمكن جميعا من تفادي المواجهة. وأبديت له قلقي من كون استنتاجات الحكومة الإسبانية خاطئة تماما وأن موقف الولايات المتحدة الأمريكية فيما يخص مشكل الصحراء يعتمد الحياد التام بين المغرب واسبانيا.

وتطوع "سوليس" بالقول إنه سوف يسمح لي أن أعرف كيف كانت محادثاته مع وزير الخارجية المغربي أحمد العراقي. وبالفعل كان هذا هو موضوع الوثيقة الثانية التي بعثت بها يقول سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بمدريد إلى وزارة الخارجية الأمريكية بواشنطن؛ والتي: قال لي "سوليس" : عقدت مع وزير الخارجية المغربي أحمد العراقي لقاء دام ثلاث ساعات ما بين ليلة أمس الرابع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٥ وصباح يومه الخامس والعشرين من أكتوبر" .

ويعلق بالقول: "وكان وزير الاتصال والسياحة الإسباني قد صرح في مساء نفس اليوم أنه قد تم تقديم مشروع قانون للعرض على البرلمان الإسباني (الكورطيس) بغرض السماح للحكومة باتخاذ أية إجراءات في أفق إنهاء استعمار الصحراء. ومما قاله "سوليس" أيضا إنه متفق تماما مع المقترح الذي تم إرساله إلى الأمين العام الأممي في يوم الثالث والعشرين من شهر ماي ١٩٧٥ الرامي إلى إنهاء الاستعمار في إطار الأمم المتحدة مع الحفاظ على الحوار بين جميع الأطراف المعنية؛ على أساس أنه إذا ما تعذر ذلك تحتفظ الحكومة الإسبانية بحق اتخاذ إجراء من جانب واحد.

علما أن وسائل الإعلام كانت قد تحدثت عن كون المسيرة قد تم تأجيلها بالفعل؛ لكن تواردت أخبار عن كون قبائل موريطانية أخذت في تجميع المتطوعين قرب الحدود الجنوبية للصحراء. وأن العديد من الأوروبيين بدؤوا يغادرون الصحراء منذ عدة أيام . كما نقل بعض الملاحظين المتواجدين على مقربة من مسرح الأحداث أن العديد من المتاجر قد أغلقت أبوابها.

كان وزير الخارجية المغربي قد استُقبل يوم الرابع والعشرين من أكتوبر في المطار من طرف "سوليس". وفي مدريد، وبعد محادثات مع نظيره الإسباني "كورتينا" انتقلا إلى مقر رئاسة الحكومة حيث التقى مع الوزير الأول السيد "آرياس" لمدة ثلاث ساعات، وعند بلوغ مرحلة صياغة البيان الختامي أشارالعراقي إلى الروابط التاريخية بين البلدين وأكد على جدوى استمرار أبواب الحوار مفتوحة. وقال "سوليس" إن مهمته في هذه القضية تتمثل في الاتفاق الكلي مع السياسة التي يضعها وزير الخارجية كورتينا؛ فهو وحده "ربان سفينة المفاوضات مع المغرب".

وعاد العراقي كذلك للاجتماع مع الوزير الأول الإسباني "آرياس" في صبيحة الخامس والعشرين من أكتوبر. وخرج البيان المشترك في يوم الخامس والعشرين من أكتوبر يؤكد على ضرورة أن يتم بين المغرب وإسبانيا حل مشكل الصحراء وفقا لقرارات مجلس الأمن.

وكان وزير الاتصال والسياحة قد عقد ندوة صحفية في وقت متأخر من مساء الرابع والعشرين من أكتوبر أبلغ خلالها وسائل الإعلام أن سياسة حكومة "أرياس" فيما يخص الصحراء لا تزال قائمة على أساس المبادئ التوجيهية الواردة في رسالة يوم الثالث والعشرين من مايو ١٩٧٥.أي تصفية الاستعمار على أساس الحوار مع جميع الأطراف المعنية.وعلى أساس أنه إذا لم يتم التوصل إلى أي حل عبر هذه القناة الحوارية فإن الحكومة الإسبانية تحتفظ لنفسها بحق التصرف من جانب واحد.

بعد ذلك نقلت الصحافة والتلفزة أن المسيرة الخضراء تم تأجيلها إلى يوم الواحد والثلاثين من أكتوبر، على الرغم من كون أزيد من عشرة آلاف متطوع كانوا

قد وصلوا بالفعل إلى طرفاية على مشارف الصحراء؛ وفي والوقت الذي كانت تصل تقارير من مدينة العيون تؤكد أن بعضا من القبائل الرحل المرتبطين بمريطانيا قد تم تجميعهم على الحدود الجنوبية للصحراء.

الشاذلي بن جديد والحسن الثاني

محاولة لرأب الصدع !!

وهناك وثيقة صادرة من مجلس الأمن القومي الأمريكي في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٩، عبارة عن رسالة إلى بريجينسكي مستشار الأمن القومي بخصوص الجزائر ورئيسها – آنذاك – الشاذلي بن جديد .. ونصها :

"جاء هذا الصباح كورد ماير للتحدث حول الأوضاع في أوروبا الشرقية...الخ . ألا أنه طلب مني أن أنقل إليك ملخص حديث عن الجزائر تبادله مع ....(تم طمس الاسم من الوثيقة) مؤخرا وهو (الشخص المطموس اسمه) منخرط مع الجزائريين منذ عام ١٩٥٠ويعرف معظم أصحاب النفوذ ومناضلي الاستقلال بالتبعية.

وهو يقول: إن الشاذلي بن جديد هو رجل موضوعي في الأساس ويرغب فى ردم الفجوة بينه وبين الملك الحسن الثاني واعادة تشكيل العلاقات الجزائرية/ المغربية على أساس أكثر عقلانية. إلا أن مشكلة الشاذلي تأتي من مساعده الرئيس: "يحيى" الذي يسيطر على الحزب. وهو رجل متعصب ويرغب في أن يرى الحسن الثاني مطاحا به. وهو يملك من النفوذ ما يكفي لأن يسبب للشاذلي الكثير من المتاعب. ولذلك فإن الشاذلي يرغب في أن يتقدم بخطى حذرة جدا. وينتاب الأطراف التى تدعم يحيى القلق من الدعم الليبي الواسع للبوليزاريو وهم لا يريدون للبوليزاريو أن تحقق مكسبا فقط حتى لا يجدون القذافي قد هيمن على الصحراء.

إننا يجب أن نتفهم وضع الشاذلي، وفي ذات الوقت نظهر بأننا نسانده في تحركه تجاه تصحيح السياسة الجزائرية. و"كورد" يرى أن الأمر يستحق أن تتصل بـ(....) للحصول على رؤية حول أوضاع الجزائر قبل الذهاب إلى هناك.

بنسيمون : الحسن الثاني

وهجرة اليهود المغاربة !!

وقد أثير الكثير حول هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل والمراحل التي مرت بها أيضا . وهناك القصة الشهيرة والموثقة التي نشرتها المؤرخة والكاتبة الفرنسية اينيس بنسيمون في كتابها " الحسن الثاني واليهود : قصة هجرة سرية " . ويذكر أن هذه الكاتبة مسيحية في الأصل واعتنقت اليهودية .

ويعود تواجد اليهود في المغرب وحسب الكثير من المصادر التاريخية إلى ما قبل دخول الإسلام ولكن عددهم قبل الفتح الاسلامي كان قليلا جدا ، إلا أنه وبعد سقوط دولة الاندلس وطرد المسلمين واليهود منها لم يكن أمامهم إلا المغرب فاستضافهم ورحب بهم لذلك نجد أن معظم اليهود المغاربة كانوا قد استقروا بداية في المدن الساحلية كالرباط والصويرة والعرائش والقنيطرة وطنجة وتطوان وغيرها ثم بدأوا بالتنقل إلى مدن داخلية كفاس ومراكش ومكناس .

وحسب مصادر مغربية رسمية وصل عددهم في أواخر الأربعينات إلى أكثر من ٣٠٠ ألف يهودي وكانوا مقربين من المستعمر الفرنسي ومتحكمين في الكثير من مفاصل الحياة الاقتصادية والسياسية المغربية ، لكن وبعد إعلان قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨ بدأت تصلهم رسائل من بن غوريون ومن قادة إسرائيليين آخرين يطالبونهم بالهجرة إلى أرض الميعاد ودعمها هناك ، وبالفعل وبدعم من المستعمر الفرنسي بدأت هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل على دفعات (حوالي ٢٠ ألفا سنتي ١٩٤٨ و١٩٤٩ و٤٠ الف ما بين ١٩٥٢ و١٩٥٥). لكن وبعد حصول المغرب على استقلاله سنة ١٩٥٦ وبسبب الوضع في الشرق الأوسط وأيضا تشكيل حكومة بزعامة حزب الاستقلال المغربي ذى النزعة القومية اعلن الملك محمد الخامس منع هجرة اليهود إلى إسرائيل ولكنه منحهم كافة حقوقهم السياسية والمدنية والاقتصادية . ومع هذا استمرت هذه الهجرة سرا لكن تضايق اليهود من محمد الخامس لأنه فعلا رفض الكثير من دعوات الصهاينة للسماح لكل اليهود بالهجرة واستمر الوضع كما هو إلى

غاية سنة ١٩٦١ حين توفي الملك ونصب مكانه الحسن الثاني لتبدأ بعد هذا مرحلة جديدة من هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل .

وحسب نفس الكتاب وأيضا كتب أخرى تحدثت عن هذه الفترة مثل كتاب مايكل لاسكير " يهود شمال أفريقيا في القرن العشرين : يهود المغرب وتونس والجزائر " ، فان الرئيس الأمريكي أيزنهاور وقبل انتهاء ولايته سنة ١٩٦١ وأيضا الرئيس كينيدي والفرنسي مانديس وممثلون عن الموساد وعن جمعيات يهودية عالمية عرضوا على الملك مساعدته ماديا ومعنويا إن هو سهل هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل . وبالفعل تمت الصفقة التي وحسب نفس الكتاب تمثلت في مبلغ مالي وصل إلى ٢٥٠ دولار عن كل يهودي مغربي يهاجر إلى إسرائيل .

ولأن هجرة كهذه وعلنا كانت ستسيء للملك أمام شعبه المتعاطف مع فلسطين فقد تم التغطية عليها بأن قيل إن هؤلاء هاجروا فقط إلى فرنسا وأمريكا الشمالية وليس إلى إسرائيل ، لكن الكتاب تحدث عن هجرة سرية من المغرب إلى إسبانيا وفرنسا ثم إلى إسرائيل وعبر بواخر أمريكية . الصفقة وكافة التفاصيل عنها نشرت في هذا الكتاب ويقال إنها تمت في أحد فنادق سويسرا بين ممثل عن الملك وهو أحمد العلوي (شخصية مغربية معروفة) وممثل عن الجمعيات اليهودية التي كانت تمول هجرة اليهود من كافة أنحاء العالم إلى فلسطين . وأشار الكتاب أن عدد اليهود الذين هاجروا في هذه الصفقة بلغ ١٠٠ ألف لكن مصادر أخرى أشارت إلى أن العدد وصل إلى ٢٠٠ ألف ، لكنها على العموم أدت إلى هجرة عدد كبير منهم إلى فلسطين المغتصبة .



عاهل المغرب الراحل الحسن الثاني الذي تناولته مذكرات الكثيرين في الغرب سلباً وإيجاباً!!


King Hassan II with President Kennedy during his March 1963 visit to Washington

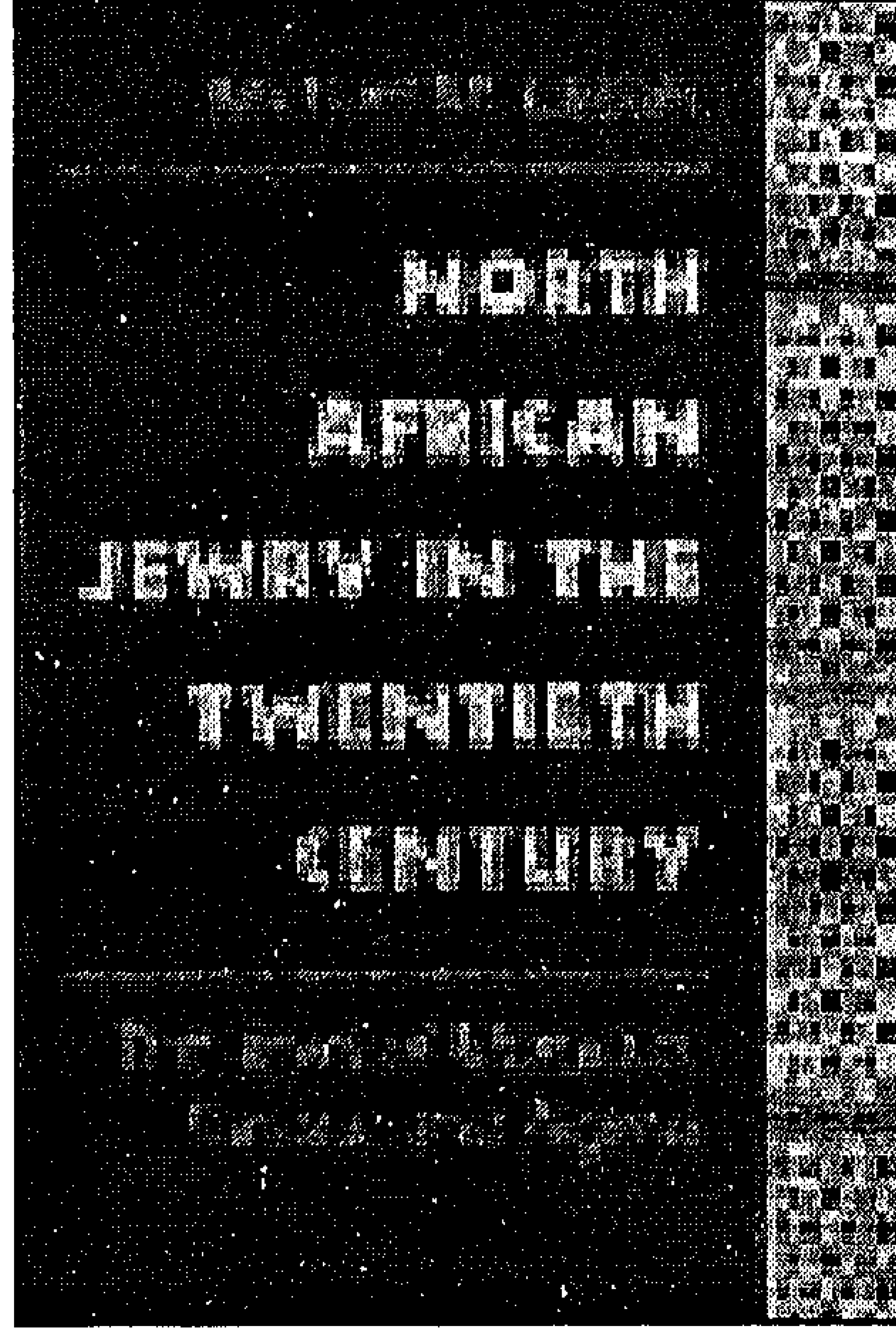
الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي يستقبل الحسن الثاني في البيت الأبيض أثناء زيارته لأمريكا في شهر مارس عام ١٩٦٣



ومع الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر بالقاهرة في الخمسينيات.



ومع رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق رابين والرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في المغرب.



كتاب مايكل لاسكير "يهود شمال أفريقيا في القرن العشرين : يهود المغرب وتونس والجزائر " الذي تحدث فيه عن دور الملك الحسن الثاني في هذه الهجرة !!

٩ صدام حسين

يشغل الرئيس العراقي الراحل صدام حسين مساحة كبيرة في مذكرات زعماء وقادة ورؤساء حكومات ومديري أجهزة مخابرات العالم، لا سيما وأنه قد ظل في السلطة طويلاً، ليعاصره الكثيرون والكثيرون منهم، وأيضاً لأنه ارتبط بأحداث جسام غيرت العالم، منها الحرب العراقية الإيرانية، وغزوه الكويت، ثم هزيمته المروعة، وانسحابه منها، ثم الغزو الأمريكي، فسقوطه، ثم محاكمته وإعدامه شنقاً.. إلخ !!

جيمس كريتشفيلد : هكذا قلبنا قاسما وساعدنا صداما لاغتصاب السلطة !!

كشف مسؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ" سي.آي.إيه" في كتاب صدر مؤخرًا، أن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الرئيسي في تنظيم

وإعداد عملية الانقلاب التي قام بها حزب البعث ضد عبد الكريم قاسم العام ١٩٦٣ وأدت إلى الإطاحة به وبنظامه وإلى بدء حكم صدام حسين وحزب البعث، والسبب الرئيسي آنذاك كان الكويت .

هذا السر المهم كشفه "جيمس كريتشفيلد" المسؤول عن نشاطات وعمليات المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط في مطلع الستينيات، فقد أكد كريتشفيلد أن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الأساسي والحاسم في عملية الإطاحة بعبدالكريم قاسم ونظامه وتأمين نجاح انقلاب حزب البعث عليه في ٨ فبراير ١٩٦٣م، لأن قاسم كان ينوي احتلال الكويت وضمها إلى العراق وهو سعى إلى تحقيق ذلك العام ١٩٦١، ولأن قاسم اتخذ أيضًا قرارات وإجراءات سياسية ونفطية متعارضة مع المصالح والتوجهات الأمريكية، وأوضح كريتشفيلد أن عناصر المخابرات الأمريكية تولت آنذاك تنظيم وتنسيق نشاطات وتحركات الانقلابيين البعثيين انطلاقًا من مقر السفارة الأمريكية في بغداد، وتأمين نجاة هذا الانقلاب الذي شكل في رأيه "ضربة معلم" للمخابرات الأمريكية و" انتصارًا كبيرًا لها " .

هذا الانقلاب البعثي المدعوم أمريكيًا والذي أتى بعبد السلام عارف رئيسًا للعراق خلفًا لقاسم، مهد الطريق. بعد خمس سنوات من الاضطرابات والتقلبات في العراق، لانقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ ولحكم أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين الذي أصبح في يوليو ١٩٧٩ حاكم العراق المطلق . وقام في أغسطس ١٩٩٠م بتحقيق ما عجز عنه عبد الكريم قاسم أي احتلال الكويت !!

تينيت : دخلت العراق سرا قبل الغزو وخططت بنفسي لاغتيال صدام !!

ويكشف جورج تينيت المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي . إيه " في مذكراته " في قلب العاصفة " كيف حاولت إدارة الرئيس جورج بوش

من خلال وكالته وعملائها اغتيال الرئيس الراحل صدام حسين، خلال تواجد فرق " سي . آي . إيه " .

وفي هذا الجزء الخاص بصدام من مذكرات تينيت سنرى ـ ويا كيف أن الشهواني قائد قوات صدام الخاصة كان عميلاً للأمريكيين وكيف التقاه تينيت بنفسه سراً في خيام سي . آي . إيه بصحراء العراق قبل الغزو بشهور قليلة !!

يقول تينيت : " عملنا في الداخل العراقي فيما وراء المناطق الشمالية، ووصلنا حتى حدود الدول المجاورة من الجنوب والشرق. وقدمنا للعسكريين الأمريكيين رؤية واضحة وشفافة للاتصالات التي كنا نجريها، وتقديم القوات الأمريكية الخاصة لعملاء لنا داخل العراق الذين نأمل في قيامهم بتأمين عملية انشقاق عدد من وحدات وضباط الجيش العراقي وتمردهم على نظام صدام متى بدأت الحرب البرية، بحيث تنضم إلينا هذه الوحدات المنشقة، أوتستسلم لنا " !!.

ويواصل تينيت : " في النهاية كانت المحصلة هي انشقاق عدد قليل من الوحدات العراقية ولكن الأهم أن الكثير من وحدات جيش صدام التي لم تنشق لم تحارب أيضاً.

وقد كانت قوات جيش صدام النظامية تدرك أنها ستواجه الموت إذا ما تقدمت لمواجهة القوات الأمريكية، وتدرك أيضاً أن قوات الحرس الجمهوري العراقي خلفهم وما لم يساندوا نظام صدام فسوف يقتلونهم. وقد اختارت الاستسلام على القتال بعد أن نقل عملاؤنا رسالة تشجعهم على الاستسلام بدلاً من دفعنا لقتلهم " ..

ويمضي تينيت فيقول : " لكن ظهرت مشكلة لم تكن في الحسبان، وهي ماذا سنفعل مع العدد الهائل من الجنود الذين استسلموا، والمفروض أن نعاملهم وفق اتفاقات جنيف. وسبب المشكلة هي أن عدد الأسرى الهائل في حاجة لقوات أمريكية تفوق الأعداد الموجودة على أرض العراق. ونتيجة لهذا فقد تم إبلاغ جنود وضباط الجيش العراقي من خلال منشورات ألقتها الطائرات العسكرية الأمريكية، أن ألقوا

بأسلحتكم وعودوا لبيوتكم. وقد تلقي العراقيون الرسالة بترحاب بالغ، ونفذوا ما دعتهم إليه عن طيب خاطر بمجرد أن سمعوا الطلقات الأولى لقواتنا " !!

ويتابع تينيت : "فيما بعد وبالتحديد في ٢٣ مايو ٢٠٠٣ ،عندما اراد الحاكم العسكري الأمريكي للعراق جيري بريمر مواجهة الانتقادات الموجهة إليه وتبرير موقفه بتسريح الجيش العراقي رد بقوله إن الجيش حل نفسه بنفسه. وقد يكون بريمر قد أصاب كبد الحقيقة، ولكن الجيش العراقي قد حل نفسه ولكن مضطراً وبدرجة كبيرة بسبب الخوف من عواقب القتال، مع الأخذ في الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجنود قد احتفظوا معهم بأسلحتهم، وهم يعودون لبيوتهم، ولم يكن لديهم ما يساعدهم على إعالة عوائلهم " !!

ويقول : " كنت قد قمت بعدة زيارات لضباط الـ " سي. آي. إيه "، قبل الحرب، في قواعدهم السرية المنتشرة في الصحراء شرق وجنوب العراق، بعيدة عن الأعين، وكان دورها هو تزويد الخلايا التي شكلناها من رجال القبائل العراقيين بالسلاح لدخول المدن والقيام بعمليات استطلاع وتخريب، قبل نقل حصيلة ما جمعوه من معلومات إلى قواتنا العسكرية " .

ويوضح تينيت : " كان هؤلاء الضباط الذين التقيت بهم يقيمون منذ شهور في خيام للإعداد للحرب، وكانوا يترقبون بدء الحرب بفارغ الصبر . وبعض هؤلاء الضباط كانوا من صغار السن، ومعظمهم كان في أول مهمة خارجية له، وبالنسبة لعدد كبير منهم كنت أول مدير مخابرات أمريكية يخدمون معه لحداثة عهدهم بالخدمة في " سي. آي. إيه " .

ويقول : " وقد حاولت في هذه الزيارة أن أرفع من معنوياتهم، وأن أجعلهم يدركون كم أنا فخور بهم، وواثق من قدرتهم على مواجهة التحدي. ولكني في قرارة نفسي، كنت أعرف أن عدداً كبيراً منهم قد يلقي حتفه بمجرد اندلاع الحرب !!

ويتذكر تينيت : " في إحدي زياراتي للعراق سرا قبل الحرب التقيت في خيامنا الصحراوية مع مجموعة من العسكريين العراقيين في مقدمتهم اللواء محمد عبد

الله الشهواني قائد قوات صدام الخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وكان قد تم تقديم الشهواني لـ "سي. آي. إيه " في عام ١٩٩١، ليصبح بسرعة أكبر شركائنا العراقيين في سعينا للإطاحة بصدام " !!

ويوضح تينيت : "كان الشهواني، الذي بدأ سجله العسكري طياراً حربياً، نموذجاً للرجل الذي يعتمد عليه الأمريكيون لا سيما وأنه يتمتع بالحظوة والمكانة لدي العراقيين ، بعد ما أظهره من قدرات ومهارات في الحرب ضد إيران وقيادته لطائرة مقاتلة وشنه هجوماً ناجحاً ضد موقع إيراني محصن أعلي تبة، سرعان ما علا نجمه بعده، وتقلد على أثره الأوسمة، ثم أصبح قائداً لقوات صدام الخاصة ".

ومن هنا – والكلام لتينيت – "فقد استطاع هذا الرجل إقامة شبكة لنا من العملاء داخل العراق. ولكن في منتصف التسعينيات تم اكتشاف أمره، على أيدي أجهزة الأمن العراقية، فأمر صدام بإعدام أبنائه الثلاثة، واستمر الشهواني رغم ذلك في التعاون معنا لإقامة شبكة لنا من العملاء داخل العراق، من مهامها أن تكون همزة اتصال بيننا وبين الزعامات الدينية والقبلية في الشهور المؤدية للحرب في ربيع عام ٢٠٠٣فشلنا في إقناع زعماء جماعة دينية في الشمال بالتعاون فقبلوا بـ٢ مليون دولار.

وكانوا يأتوننا بـ ٤ ضباط جيش على الأقل كل أسبوع لكي نتخذهم عملاء !!

و"من خلال الشهواني استطعنا تجنيد العشرات من ضباط وجنود الجيش العراقي، وتمكنا من خلاله باستخدام آخرين لتأمين وحماية الكباري والجسور المنتشرة علي نهر الفرات، والمؤدية إلي بغداد، لتسهيل عملية دخول قواتنا البرية العاصمة وإسقاط النظام. كما استطعنا بمعاونة الشهواني تجنيد بعض الضباط والجنود للعمل على منع صدام من إحراق خطوط أنابيب بترول الجنوب " !!

ويقول تينيت : " مع اقتراب الحرب، انتقل كبير ضباطنا في بغداد "شارلي أس"– اسمه الحركي – إلي الدوحة، حيث بقي إلي جوار الجنرال تومي فرانكس، ليصبح أحد أهم أفراد الفريق العسكري الأمريكي " .

و"كانت مهمة رجلنا "شارلي أس" مع فرانكس هي نقل المعلومات إليه من خلايانا داخل العراق، ومساعدته على تحديد الأهداف، التي يتعين ضربها، والأهداف التي لا ينبغي أن يشملها القصف. على سبيل المثال، تم توجيه أمر لمقاتلة أمريكية بقصف موقع يتحصن داخله أحد أبرز قيادات مخابرات صدام، واستمات تشارلي لإلغاء الأمر، واستبداله بأمر للقوات بالعمل علي اعتقاله حياً، لأنه حسبما أكد رجلنا سيكون كنز معلومات وقد كان".

و"في الشمال، حققت فرق "سي. أي. إيه" خلال الفترة ما بعد شهر يوليو عام ٢٠٠٢، نجاحاً هائلاً في تجنيد أعداد كبيرة من العملاء العراقيين الراغبين في العمل معنا على الإطاحة بنظام صدام، رغم عدم وجود غطاء عسكري لحماية فرقنا هذه، وانتشار عيون صدام من قوات أمنه في المنطقة".

ويواصل تينيت: "كانت هناك جماعة تجمعها روابط مذهبية وكانت مهمة لنا على وجه الخصوص. وقد استطعنا إقناع زعمائها بأننا جادين في سعينا للإطاحة بصدام، ولكن لم ينجح مسعانا في كسب ولاء هذه الجماعة إلا بعد أن سلمنا هؤلاء الزعماء مليوني دولار، فراحوا على الفور يتعاونون معنا، ويمدوننا بالمعلومات. وكانت هذه الجماعة تأتي إلى ضباطي بأربعة ضباط عراقيين على الأقل كل اسبوع يعلنون انضمامهم إلينا".

ويقول تينيت: "استطاع رجالنا ومن خلال اختراقهم لشبكة اتصالات صدام، تتبع حركته داخل بغداد في فترة ما قبل الغزو بقليل"..

و"قبل يومين فقط من المهلة التي قدمتها إدارة بوش للنظام العراقي للانصياع لمطالبها وشروطها وإلا تكون الحرب، علمنا من أحد مصادرنا أن هناك اجتماعا لصدام وجميع أفراد أسرته بما فيهم ولداه عدي وقصي، وأن الاجتماع سيكون في مزرعة زوجة صدام في "الدرة". وأن هدف الاجتماع هو تحديد ما يمكن عمله حال وقوع الغزو الأمريكي. وقد مرر مصدرنا هذه المعلومات إلى فرق الـ "سي. آي. إيه" في شمال العراق، وعلى الفور طيروا الخبر إلى الجنرال تومي فرانكس وفريق عمله العسكري في الدوحة بقطر.

وفي صباح اليوم التالي ١٩ مارس، ابلغنا المصدر أن صدام سيذهب مرة أخري إلى مزرعة زوجته بـ " الدرة " مساء ذاك اليوم، وتأكد رجالنا من هذه المعلومة من مصادر أخرى بمنطقة المزرعة نفسها " .

وهنا يقول تينيت : " فما كان مني، وبمجرد علمي بأنباء اجتماع صدام المرتقب إلا أن اصطحبت نائبي ماجلوغلين معي، إلى مكتب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، الذي كنت قد طلبت لقاءه علي الفور، وفي جراج السيارات لمحت أحد كبار مساعدي المسئول عن العمليات في الوكالة، فقلت له : تعالى معنا. وبمجرد إطلاعي رامسفيلد علي ما لدي، رد بأن عملاً عاجلاً لابد من اتخاذه ما دمنا نعلم مكان صدام يقينا" .

ويقول تينيت : " طلبت الرئيس بوش، وطلب الترتيب لكي نلتقيه في البيت الأبيض على الفور، لوجود أمر هام لا يمكن تأجيله " !!

و"قبل الدخول فاجأنا رامسفيلد، الذي كان يصطحب معه رئيس أركانه ديك مايرز، بأن " كوندوليزا رايس وأندي كارد موجودان (فوق) مع الرئيس ".. وما هي لحظات حتي طلب بوش من باول أن ينضم إلينا " .

ويوضح تينيت : " وقد أبلغت أنا ونائبي ماجلوغلين الرئيس بما لدينا، وقلنا إن هذه المعلومات موثوق فيها، ولكننا لا نستطيع أن نقسم بأنها صحيحة بنسبة ١٠٠٪، ولا نستطيع أن نقسم أيضاً أنها ليست خدعة، ولكننا نعتقد أنها معلومات جيدة جداً، مع احتمال أن يغير صدام مكانه، حتى نضرب هدفاً خاطئاً فيستخدم هذا في حرب دعاياته.. والحقيقة أن توجيه ضربة لمكان صدام لم يكن بالقرار السهل " .

وقلنا للرئيس إنه ليس من المحتمل أن نتمكن من الحصول علي أية معلومات إضافية لمساعدته على اتخاذ القرار. ولكن بعد لحظات حصلنا بالفعل على المزيد. فقد تلقينا في الحال مكالمة حولت لي من مصدر لنا بالمنطقة يؤكد أن حرس صدام وقوات أمنه شوهدت تصل المنطقة تباعاً، وأن هناك شائعات بأن الرئيس العراقي سيصل فيما بين الساعة ٣ والساعة ٣,٣٠ فجراً بتوقيت بغداد " .

ويمضي تينيت فيقول : " ما هي لحظات حتي جاءنا بلاغاً آخر عبر خط تيليفون آمن من رئيس فريق عملياتنا السرية بالعراق يوضح فيه بأن صدام سيجتمع وأسرته في " ملجأ " بالمزرعة موضحاً أنه خندق محصن تحت الأرض، لن تخترقه صواريخ طائراتنا من طراز " كروز ". وهذا معناه أننا سنكون في حاجة إلي قنابل ذكية " !!

ويعترف تينيت : "الحقيقة، لقد كنا علي شفا لحظة فارقة.. لحظة اتخاذ القرار.. وبعد أن استجمع الرئيس نفسه، وقطع الغرفة جيئة وذهاباً.. امر بتوجيه الضربة. وصدرت الأوامر لتومي فرانكس في الدوحة واستعد الطيارون، وجهزت مقاتلاتنا بي- ٢، واتخذت القنابل المضادة للأنفاق تحت الأرض أماكنها علي قاذفات الطائرات، وتمنى الجميع ألا يكون مع صدام في الفيلا بالمزرعة أطفال ونساء كثيرون، حتي لا نتعرض لمشكلات على الساحة الدولية " .

ويقول : "بعد قصف مكان اجتماع صدام، أبلغنا مصدر لنا أنه قد تم انتشال جثة تشبه كثيراً صداما من مكان الهجوم. وقد منينا النفس بأن تكون هذه هي بداية الحرب التي ستكون بالتأكيد أقل تكلفة، في ضوء مقتل رأس النظام " .

ويقول تينيت : "لكن لسوء الحظ لم يحدث ما تمنيناه. وعلمنا أنه كان هناك فعلاً اجتماع، ولكن في مبني مجاور للمبني الذي استهدفناه، ثم علمنا فيما بعد أن صداما وولديه لم يكونوا من بين الموجودين، وأن مصادرنا كانت تبلغنا بما تعتقده، وليس ما تراه بأم أعينها " !!

وهكذا، وبعد استعراضنا لما قاله تينيت، نقول إنه مع أن الأمريكيين قد تمكنوا بالتعاون مع دول التحالف العربي- الدولي من تحرير الكويت وضرب العراق وتطويقه وحصاره وإخضاعه لعقوبات دولية مشددة، لكنهم لم يتمكنوا من إسقاط صدام أو تصفيته وتكرار ما قاموا به قبل في بغداد .

هذا السر الأمريكي هو بعض ما ورد في كتاب جديد ومثير للاهتمام صدر مؤخرًا ويحمل عنوان "الخارج من تحت الرماد"، الكتاب من تأليف صحافيين بريطانيين

بارزين وخبيرين في شؤون الشرق الأوسط عمومًا والعراق ومنطقة الخليج خصوصًا، وهما باتريك كوكبورن مراسل صحيفتي "الفاينتشل تايمز" و"الإندبندنت" البريطانيتين في الشرق الأوسط منذ العام ١٩٧٩م، ومن بين المعلقين الأكثر خبرة ودراية في الشؤون العراقية، ويعتبر واحدًا من الصحفيين القلائل الذين بقوا في بغداد أثناء حرب الخليج الثانية، وأندرو كوكبورن وهو كاتب وباحث مقيم في واشنطن وينشر مقالاته في عدد من المجلات العالمية بينها "در شبيغل" الألمانية، وكذلك كتب عن منطقة الشرق الأوسط لصحيفة "نيويورك تايمز"، قد ساند في إنتاج فيلم وثائق عن العراق يحمل عنوان "الحرب التي خلفناها وراء ظهورنا"، وأهمية هذا الكتاب أنه يعتمد في مضمونه على مقابلات مع عدد كبير من الشخصيات الأمريكية والبريطانية والعراقية والأردنية والعربية المعنية مباشرة بالمشكلة العراقية، وكذلك على معلومات ووثائق مهمة حصل عليها المؤلفان من مصادر مختلفة .

ومحور هذا الكتاب الأساسي هو : هل سعت الإدارة الأمريكية فعلا إلى التخلص من صدام حسين والإطاحة به بعد غزو الكويت ؟ ولماذا فشلت في مسعاها هذا ؟ وما هي العوامل التي مكنت الرئيس العراقي من البقاء في السلطة إلى اليوم .؟!

والجواب السريع والواضح عن الأسئلة السابقة هو : نعم حاول الأمريكيون طوال السنوات الماضية التخلص فعلا من صدام حسين .

حاول الأمريكيون اغتيال صدام حسين خلال حرب تحرير الكويت إذ ينقل مؤلفا هذا الكتاب عن "برنت سكو كرفت" مستشار الرئيس بوش لشؤون الأمن القومي قوله إن التعليمات أعطيت إلى القادة العسكريين الأمريكيين منذ بدء الحرب الجوية ضد العراق في ١٧/يناير "كانون الثاني" ١٩٩١م بقصف عدد كبير من المواقع التي يمكن أن يختبئ فيها صدام حسين بهدف قتل الرئيس العراقي، وتم بالفعل تنفيذ هذه التعليمات وتدمير عدد كبير من هذه المواقع والمخابئ والملاجئ خاصة "ملجأ العامرية" لكن صدام حسين نجا من الموت .

ومنذ فشل عملية الاغتيال هذه إلى اليوم وضع المسؤولون الأمريكيون شروطًا محددة للتخلص من الرئيس العراقي صدام حسين، ويمكن القول انطلاقًا مما

ورد في كتاب "الخارج من تحت الرماد" ومما كشفته كتب عدة وضعتها شخصيات عسكرية وسياسية لها علاقة بهذه القضية أن الولايات المتحدة، سواء في عهد جورج بوش الأب أو في عهد بيل كلينتون، اعتبرت أن عملية التخلص من صدام حسين يجب أن تتم وتنفذ على أساس ثلاثة شروط رئيسية هي الآتية :

الشرط الأول : أن يبقى العراق موحدًا بعد رحيل صدام حسين، فلا تؤدي عملية التخلص من الرئيس العراقي إلى تفكيك العراق وتقسيمه وإلى نشوء دولة شيعية في الجنوب ودولة كردية في الشمال، ودولة سنية في بغداد لأن ذلك يعرض أمن منطقة الخليج العربي وأمن دول عدة لأخطار جسيمة وتغييرات كبيرة .

الشرط الثاني : أن تتم عملية التخلص من صدام حسين من دون أن تضطر الولايات المتحدة إلى غزو العراق مما يتطلب إرسال أكثر من ثلاثمائة ألف جندي إلى هذا البلد ويؤدي إلى سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى الأمريكيين وغير الأمريكيين وإلى ردود فعل سلبية للغاية ضد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

الشرط الثالث : أن تؤدي عملية التخلص من صدام حسين إلى مجيء نظام مقبول من الولايات المتحدة وليس معاديًا لها متحالفًا مع إيران أو مع دول أخرى تتعارض أهدافها وتوجهاتها ومصالحها مع الأهداف والتوجهات والمصالح الأمريكية.

هذه الشروط شكلت قاعدة العمل الأساسية التي اعتمد عليها المسؤولون الأمريكيون، منذ تحرير الكويت إلى نهاية عهد كلينتون، في تعاطيهم مع ملف صدام حسين ومع الجهود والخطط والمشاريع المختلفة للتخلص منه .

وعلى هذا الأساس اعتبر المسؤولون الأمريكيون، طوال عشر سنوات، أن السبيل الأفضل والأنسب بالنسبة إلى واشنطن للتخلص من صدام حسين ليس تشجيع تنظيمات المعارضة العراقية على القيام بهذه المهمة لأنها غير قادرة على ذلك من دون تورط عسكري أمريكي كبير داخل العراق، وليس دعم ثورة أو انتفاضة شعبية

واسعة ضد النظام العراقي لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى حرب أهلية وإلى تقسيم هذا البلد وتفكيكه، وليس السماح لإيران أو تركيا بإسقاط الرئيس العراقي أو وضع خطط مشتركة مع هذين البلدين في هذا الشأن لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى مجيء نظام غير ملائم للأمريكيين، السبيل الأفضل والأنسب للتخلص من صدام حسين وفقًا للأمريكيين، هو حدوث انقلاب ضد الرئيس العراقي تنفذه عناصر من داخل النظام والمؤسسة الحاكمة وتكون لواشنطن علاقة ما بها، أو أن يطلق أحد المقربين من الرئيس العراقي رصاصة عليه فيقتله وتكون واشنطن جاهزة ومستعدة لاستيعاب الوضع الجديد .

هذا الموقف الأمريكي غير المعلن رسميًا، من الرئيس العراقي ومن تغيير النظام في بغداد يدفع الكثيرين في العالم العربي وخارجه إلى القول إن الولايات المتحدة كانت لها مصلحة في بقاء صدام حسين في الحكم في عهدي بوش الأب وكلينتون لأن بقاءه يبرر التشدد الأمريكي في التعامل مع العراق كما يبرر السياسة الأمريكية وما يرافقها من إجراءات وخطوات في المنطقة من جهة، ومن جهة ثانية لأن استمرار صدام حسين في الحكم يساعد على إبقاء العراق مطوقًا ومحاصرًا ومعزولاً وغير قادر على التأثير على مجريات الأمور والأحداث في المنطقة، حيث يستغل المسؤولون الأمريكيون بقاء صدام حسين في الحكم وما يقوم به من أعمال ونشاطات في تحقيق ما يريدونه، فبقاء صدام حسين في الحكم في بلد محاصر ومعزول ومطوق بالعقوبات الدولية المشددة أفضل- من وجهة نظرهم- من رحيله أو سقوطه الذي يؤدى إلى تقسيم العراق وتفكيكه، أو أن يكون ثمن رحيله قيام الأمريكيين بعملية عسكرية برية كبيرة داخل العراق، أو أن يعزز رحيله مصالح ومواقع دول أخرى غير صديقة كإيران، أو أن يمهد رحيله لمجيء نظام جديد معاد للولايات المتحدة الأمريكية .

وضمن هذه الحقائق والمعطيات نستطيع أن نفهم وندرك الأعمال والتصرفات والخطط الأمريكية بشأن العراق ورئيسه ومعارضيه في عهد جورج بوش وكلينتون .

فحين وقعت في مارس "آذار" ١٩٩١م أكبر انتفاضة شعبية ضد نظام صدام حسين، إذ تمكن الأكراد في الشمال من السيطرة على مناطق ومدن عدة، وخرج

معظم الجنوب العراقي عن سلطة الدولة، امتنعت الإدارة الأمريكية عن دعم هذه الانتفاضة وتحويلها إلى عملية تطيح بالنظام بل سمحت لهذا النظام باستخدام طائرات الهيلكوبتر ومختلف إمكاناته العسكرية البرية لقمعها وإنهائها خلال أقل من شهر، ويومها قال ريتشارد هاس مستشار بوش لشؤون الشرق الأوسط : "هدفنا الحقيقي التخلص من صدام حسين لا من نظامه لأننا لا نريد أن يتفكك العراق وتنشأ دولة شيعية في الجنوب ودولة كردية في الشمال" .

واعتبر المسؤولون الأمريكيون بعد إحباط هذه الانتفاضة، أن تشديد العقوبات على العراق هو الذي سيطيح بصدام حسين إذ أن ذلك سيشجع عناصر من داخل المؤسسة العسكرية الحاكمة على القيام بانقلاب وتسلم الحكم وإبقاء العراق موحدًا.

ولذلك قال روبرت غيتس في مايو "أيار" ١٩٩١م، وكان آنذاك مستشارًا لبوش: "لا مجال للمصالحة مع صدام حسين، العقوبات الدولية ستستمر إلى أن يرحل ويخلفه نظام حكم جديد مختلف في توجهاته عنه" .

لكن صدام حسين صمد طوال هذه السنوات، وبقيت العقوبات الدولية مفروضة على العراق .

والآن في عهد جورج بوش الابن ما الذي تغير في النظام العراقي لكي تطالب الإدارة الأمريكية بإسقاط النظام ؟

لقد عاد هذا النظام ببلده خمسين عامًا وأكثر إلى الوراء : عراق معزول ومحاصر وخاضع لرقابة الدول الكبرى ووصايتها وقوانينها ولعقوبات مشددة وقاسية ومحكمة يحرص مجلس الأمن الدولي على تطبيقها بحذافيرها!!

وهل تغيرت الشروط الأمريكية الثلاثة السابقة الذكر للتخلص من صدام حسين.؟

الواقع يؤكد أنه لم يتغير أي شيء، ولكن الإدارة الأمريكية الحالية تحاول من خلال الأزمة التي افتعلتها مع النظام في العراق هو فرض الخطة السرية التي وضعتها

وتقضي بابقاء العراق لسنوات طويلة أخرى تحت الوصاية الدولية ورقابة الولايات المتحدة الأمريكية لمنع القيادة العراقية من التصرف بحرية بعائدات النفط بعد رفع الحظر النفطي والعقوبات الدولية عن هذا البلد، وللتأكد من أن العراق لن يعيد بناء آلته الحربية وإنتاج أسلحة دمار شامل من جديد، وهو ما ستثبته الأيام والشهور القادمة من حيث أن هذه الأزمة قد أفتعلت لإنقاذ النظام ومساعدة العراق على الخروج من نفق الحظر النفطي والعقوبات الدولية ليبقى تحت الوصاية الأمريكية إلى الأبد !

بيكر وكورت : صدام
كان عميلاً مهماً لنا !!

اعترف بعض الوزراء والمسؤولين المخابراتيين الأمريكيين السابقين في مذكراتهم بان صداما كان عميلاً للأمريكيين، بل إنه كان صناعة أمريكية، وأن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان قد عمل على إرسال رامسفيلد له لتحفيزه على مهاجمة إيران، التي كانت تقلقهم آنذاك إزاء موقف الخوميني، حيث كانت تعتزم بدعم صدام موازنة ثقل إيران في المنطقة. وعندما بدأت حرب العراق – إيران، دعمت الولايات المتحدة صدام علنًا، حيث زودته بالسلاح والمكونات الكيميائية للقنابل الخانقة.

ويقول رجل المخابرات الامريكي روجر موريس في مذكراته إن المخابرات الأمريكية المركزية شاركت في انقلابين في العراق خلال الأيام الحالكة للحرب الباردة، أحدهما، كان انقلاب ١٩٦٨ الذي ثبّت صدام بإحكام على الطريق إلى السلطة. "هذا يقودك إلى طريق طويل مظلم فيما يتعلق بالتورط الأمريكي"، على حد اعتراف موريس، ضابط في القسم الأجنبي في وزارة الخارجية الذي كان عضوا في مجلس الأمن القومي أثناء إدارات جونسون ونيكسون السابقة، إضافة إلى أن هذا الغطاء والتغاضي عن جرائم صدام كان باعتراف وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر ذاته في مذكراته بعد حرب تحرير الكويت !!

ويقول دافيد هو كورت ضابط المخابرات الأمريكية السابق في مذكراته التي تحملها عدة كتب صدرت له، وجعلته من كبار الكتاب الأمريكيين الآن .. يقول كورت في آخر إصداراته التي صدرت عقب غزو العراق :

"أتمنى أن تتوقف أعمال السلب والنهب في العراق وأن يعم السلام على الشعب العراقي البرئ الذي عانى الأمرين منذا أن جندت المخابرات المركزيه الأمريكيه صدام حسين لخدومة المصالح الأمريكيه في المنطقه قبل نحو أربعين عاما ففي سنوات الحرب الباردة وعندما سيطر شعار ((الموت أفضل من الشيوعية)) على الإدارات الأمريكية ذلك الوقت كانت هذه الإدارات الأمريكية تتحالف مع أي نظام حكم بغض النظر عن ديكتاتورية او استبداده مادام مناهضا للشيوعية وكان الأمريكيون على استعداد للتعامل مع أي كان إذا كان سيساعد أمريكا في حربها ضد الشيوعية " .

ويقول : "لذلك فعندما بدأ رئيس الوزراء العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم التقارب مع الاتحاد السوفيتي في الستينيات وقام بتعين عدد من الشيوعين في مناصب حكومية مرموقة بدأت واشنطن تحاول البحث عن وسيلة للتخلص منه " .

ويقول ضابط المخابرات السابق : "في هذا الوقت أعلن مديروكالة المخابرات المركزية الأمريكية ((آلان فوستر دالاس)) ان العراق هو ((اخطر بؤرة في العالم))وهنا ظهر اسم صدام حسين في ملفات المخابرات المركزيه بعتباره معارضا لحكومة عبدالكريم قاسم ولديه استعداد لاستخدام القوة والعنف للوصول إلى أهدافه لذلك تم اختيار صدام للوصول إلى أهدافه ليكون رجل أمريكا في العراق لمواجهة تهديد نشر صواريخ سوفيتية في العراق أو لضمان استمرار تدفق البترول الخليجي إلى أمريكا وحلفائها الغربين " .

ويواصل كورت : " الحقيقة أن دموية صدام حسين كانت واضحة منذ اشتراكه في محاولات اغتيال شخصيات سياسية عديدة خلال الخمسينيات وعندما تولى الحكم في العراق شن الحرب الدامية ضد إيران لمدة ثماني سنوات ثم قام بغزو

الكويت عام ١٩٩٠ ورغم كل ذلك لايبدو أن الإدارة الأمريكية أجادت قراءة شخصية صدام حسين من الواضح ان الرجل يفقد أعصابه بسرعة كبيرة ويميل إلى العنف والدموية " .

ويوضح كورت : "بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس الوزراء العراقي عبدالكريم قاسم فر صدام حسين إلى مصر حيث التقطته المخابرات الأمريكية ثم عاد صدام حسين بامان إلى بغداد حيث بدأ يصعد السلم السياسي بسرعة مذهلة وقد اصبح رئيس الجهاز الخاص وهو جهاز مخابرات مرعب تابع لحزب البعث العراقي الحاكم في ذلك الوقت ومن هذه النقطه وبمساعدة المخابرات المركزية الأمريكية وصل الرجل مؤامراته ومذابحه التي تهدف إلى اخلاء الطريق امامه نحو السلطة المطلقة في العراق " .

ويتابع كورت : " بعد قيام الثورة الإيرانيه عام ١٩٧٩وفقدان أمريكا لنظام الشاه الحاكم في إيران الذي كان يعد من أصدقاء أمريكا في المنطقة بدأت المخابرات والإدارة الأمريكية تخلع اللقب على صدام حسين الذي صعد للحكم مع قيام الثورة في إيران " .

ويضيف كورت هنا : "عندما تحولت إيران من أقوى حلفاء أمريكا إلى الد أعدائها بعد الثورة شن صدام حسين حربه ضد إيران حيث تمتع بدعم أمريكي غير محدود ووفرت له الولايات المتحدة الأمريكية كل مايحتاج إليه من أسلحة بما في ذلك الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والمعلومات الاستخباراتيه عن إيران وقواتها بل إن وزير الدفاع الامريكي الحالي دونالد رامسفيلد زار صدام حسين في أحد قصوره مبعوثا خاصا للرئيس الأمريكي في ذلك الوقت رونالد ريجان عام ١٩٨٣ ليقدم له شيكا على بياض يضمن حصوله على كل مايحتاج إليه من أسلحة وذخيرة من الترسانه الأمريكية " !!

ويواصل كورت : "بعد أن قام القادة الأمريكيون بتدريب صدام حسين على كيفية استخدام كل هذه الأسلحة المتطورة التي حصل عليها من مخازن الجيش الأمريكي

خلال الثمانينيات تصرف الرجل بنفس الحماقه التي تصرف بها الرئيس البنامي الأسبق الجنرال مانويل نوريجا فقد عض صدام حسين اليد الأمريكية التي أطعمتة عندما قام بغزو الكويت عام ١٩٩٠ التي تعد واحدة من أهم مناطق المصالح البتروليه الأمريكية في العالم وقد تحولت الكويت بعد ذلك إلى محطة أساسية لانطلاق القوات الأمريكية التي فرضت العقوبات الدوليه على العراق على مدى أكثر من ١٢ عاما منذ حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ " !!

ويقول كورت : "والآن فان الولايات المتحدة التي أنفقت مليارات الدولارات لتنصيب ديكتاتور العراق ومساندته على مدى سنوات طويلة أنفقت مليارات أخرى للإطاحة به ومن المنتظر أن تنفق المزيد من أجل اقامة حكومة عراقيه جديدة مستقرة ولكن هذا يتوقف على عدم لجوء واشنطن إلى الخيارالسهل وهو تنصيب ديكتاتور جديد يخدم المصالح الأمريكيه الضيقة ويحتاج إلى عشرة أوعشرين عاما حتى تكتشف أمريكا أنه أصبح خطرا على مصالحها فتنفق الجهد والمال والدماء من أجل التخلص منه " !!

وقد يكون من الطريف هنا أن نروي ما كان قد تم الكشف عنه قبل إعدام صدام من تفاصيل الحوار بين صدام ورامسفيلد وبما يؤكد الخداع والزيف الأمريكى، كما جاء في محضر الاجتماع، الذي تم تسريبه، بين صدام ورامسفيلد من مصادر أمريكية موثوقة، وهذا هو نص المحضر :

في بداية الحديث كان الرئيس صدام يبدو هادئا للغاية، ربما يكون قد فوجئ بأن ضيفه هو رامسفيلد، إلا أنه لم يبد عليه أي توتر عصبي، بدأ رامسفيلد الحديث بالقول:

رامسفيلد: لقد جئت للقائك لأتفاوض معك حول الموقف في العراق، لقد أجرينا اتصالات مع بعض أنصارك داخل وخارج العراق، وقد نصحونا بأن نستمع إليك.

صدام حسين: وماذا تريدون؟ لقد احتلت قواتكم أرض العراق **الأبي**، وأسقطتم نظام الحكم دون سند من شرعية واعتديتم على سيادة بلد حر **مستقل ذي** سيادة،

وارتكبتم جرائم سيسجلها التاريخ ليكون شاهدا على حضارتكم المخضبة بالدماء، فماذا تريدون بعد كل ذلك.

رامسفيلد (يحاول أن يكتم غيظه): لا داعي للخوض في الماضي لقد جئت خصيصا لأعرض عليك عرضا واضحا ومحددا، وأريد أن أسمع منك إجابة واضحة ومحددة.

صدام حسين (ساخرا): أظنك جئت للاعتذار وإعادة السلطة للعراقيين.

رامسفيلد: ليس هناك ما نعتذر عنه، لقد شكلت خطرا على جيرانك وسعيت لامتلاك أسلحة دمار شامل ومارست الديكتاتورية على شعبك وكان طبيعيا أن نمد أيدينا لشعب العراق لنخلصه من المخاطر التي واجهته على مدى أكثر من ثلاثة عقود.

صدام حسين: أعرف أنك جاهل بالتاريخ، وأعرف أن رئيسك لا يقل جهلا، ولكن يبدو أنكم ظللتم تكذبون حتى صدقتم أنفسكم، إذا كنت تقصد بجيراننا الكيان الصهيوني فنحن فعلا كنا نشكل خطرا ونعد العدة لتحرير أرضنا المغتصبة في فلسطين، وهذه أمنية كل إنسان عربي وليس عراقيا فهذه الأرض عربية وشعبها عربي والصهاينة هم الذين احتلوا الأرض وجاءوا إلينا من كل أنحاء العالم بمساندتكم أنتم وقوى الاستعمار القديم أما إذا كنت تقصد الكويت، فأريد أن أسألك: هل انسحبتم من الكويت أم لا؟

رامسفيلد: هذه قضايا أمنية، ثم إنه بيننا وبين الكويت ودول الخليج الأخري اتفاقات أمنية.. لقد جئنا بناء على طلب منهم، لحمايتهم من تهديداتك.

صدام حسين: أليس مضحكا أن يؤتمن الذئب على الخراف، إن شعب الكويت شعب عربي، والكويت هي أرض عربية، ولذلك أدعوك أن تقرأ التاريخ جيدا، وإن كنت علي ثقة أنك لن تستوعبه.

رامسفيلد: دعك من هذا الهراء، أنا أعرض عليك...

صدام (مقاطعا): قبل أن تعرض عليّ بضاعتك الفاسدة أنا أسألك: هل وجدتم أسلحة الدمار الشامل في العراق أم لا؟

رامسفيلد (مرتبكا): لم نعثر عليها حتي الآن، لكن حتما سنعثر عليها في يوم ما، هل تنكر أنه كانت لديك نوايا لصناعة قنبلة نووية؟

صدام: لم تكن لدينا أسلحة دمار شامل منذ عام ١٩٩١ لقد كنا صادقين ونحن نتحدث مع بعثة التفتيش الدولية، وكنا صادقين في رسائلنا إلى كوفي عنان، وكنتم تعرفون هذه الحقائق، لكنكم كنتم تبحثون عن أية ذرائع كاذبة لاحتلال العراق وإسقاط سلطته الشرعية.

رامسفيلد: لقد استقبلنا العراقيون بسعادة بالغة ورحبوا بنا، وكان السبب هو ممارسات نظامك الدموي على مدى كل هذه السنوات التي حكمت فيها العراق.

صدام: أرجوك يا سيد رامسفيلد.. كفاك كذبا، فأنتم الذين فجرتم شلالات الدماء على أرض العراق، لقد تآمرتم علينا وجئتم ببعض الخونة ليحتلوا السلطة على أرض العراق العظيم.

رامسفيلد: من تسميهم خونة اختارهم الشعب العراقي كقادة له بطريقة ديمقراطية وانتخابات نزيهة لم تحدث في ظل حكمكم للبلاد.

صدام: لقد عرفت أنكم جئتم بجوقة الخونة وفي مقدمتهم الطالباني، (ضحك ساخرا)، العراق العظيم يحكمه الطالباني والجعفري، ألا يدعو ذلك للسخرية؟!.. ثم عن أي انتخابات تتحدث.. هل يجوز أن تجري انتخابات حرة كما تقول في ظل احتلالكم لبلدنا؟ يا سيد رامسفيلد لقد تعلمنا من التاريخ أن المحتل لن يأتي إلا بأعوانه وعملائه، ثم تريد بعد كل ذلك أن تقنعني بأن شعب العراق يتمتع بالحرية والديمقراطية، إنك حقا تهذي.

رامسفيلد (يكتم غيظه بشدة): أنت معزول ولا تعرف حقائق ما يجري في الخارج، إن الشعب العراقي تحرر من ظلمك، ولو رأوك أنت أو أيا من رجالك في الشارع لفتكوا بكم!!

صدام: وأنا أراهنك إذا استطعت أن تعلن عن مكان تواجدك في العراق، لو علمت المقاومة العراقية بمكانك لما استطعت أن تخرج حيا، إنني أريد أن أسدي نصيحة إلى رئيسك الغبي، عليك أن تبلغها له وهي أن ينقذ ما تبقى من جنوده، إن الموت يحاصرهم من كل مكان، والتاريخ لن يرحمه.

رامسفيلد: لقد جئت للحديث معك حول عمليات الإرهاب التي يحرض عليها رجالك وينفذونها.. لقد قام رجالك مؤخرا بعملية دنيئة استهدفت سجن أبو غريب، حيث أصابوا وقتلوا أكثر من خمسين أمريكيا، كما أنهم قتلوا عددا من المقبوض عليهم بتهم مختلفة، إن رجالك يستعينون بالإرهابيين من كل أنحاء العالم وهم يهددون التجربة الديمقراطية في العراق.

صدام حسين: وما هو المطلوب بالضبط؟.

رامسفيلد: أنا أعرض عليك عرضا واحدا وهو أن يفرج عنك وتختار لنفسك منفى اختياريا في أي بلد تشاء بشرط أن تظهر على شاشة التليفزيون لتعلن إدانة الإرهاب وتطالب رجالك بالكف عن هذه الممارسات.

صدام حسين: وهل حصلت على موافقة رئيسك على هذا العرض؟

رامسفيلد: نعم هذا العرض تم الاتفاق عليه في جلسة شارك فيها الرئيس ونائبه ووزيرة الخارجية ورئيس جهاز الاستخبارات، وقد كلفت بإبلاغك بهذا العرض.

صدام حسين: إنه ثمن بخس.

رامسفيلد (بلهفة): مستعدون أيضا لإشراك عناصر مقربة منك في الحكم.

صدام حسين: وماذا أيضا؟

رامسفيلد: سنقدم لك إعانة مالية محترمة وسوف يحفظ أمنك وأمن أسرتك في البلد الذي ستختاره.

صدام حسين: هل تريد أن تسمع شروطي؟.

رامسفيلد: يا حبذا.

صدام حسين (بلغة فيها كثير من الغرور والتعالي): أنا أريد أولا منك أن تحدد لي جدولا زمنيا للانسحاب من العراق، وأن تلتزم به حكومتكم أمام العالم، وأن تبدأوا عملية الانسحاب علي الفور.

وأنا أطلب ثانيا.. الإفراج فورا عن كافة المعتقلين العراقيين والعرب في السجون التي أقمتموها أو تلك التي قيدتم فيها حرية عشرات الألوف من شرفاء العراق.

وأطلب ثالثا منكم.. التعهد بتقديم التعويضات الكاملة عن الخسائر المادية التي لحقت بالشعب العراقي من جراء عدوانكم على بلدنا منذ أم المعارك في عام ١٩٩١ وحتى اليوم، وأنا أقبل بالاستعانة بلجنة دولية وعربية لتقدير هذه الخسائر.

وأطلب رابعا.. أن تردوا الأموال التي نهبها رجالكم من خزائن العراق ونفطة خاصة هذا المجرم بريمر وأزلامه من الخونة والمارقين.

وأطلب خامسا.. إعادة الآثار التي سرقتموها، فهذه كنوز لا تقدر بمال الدنيا، لأنها تحمل تاريخ العراق وحضارته صحيح أنكم لا تملكون حضارة ولا تاريخا وأن عمر بلدكم لا يتجاوز بضع مئات من السنين، ولكن كل ذلك لا يجب أن يبرر سرقاتكم وحقدكم علي حضارة العراق وثروة العراق.

وأطلب سادسا.. أن تسلموني أسلحة الدمار الشامل إذا كنتم قد عثرتم عليها وأن تعيدوا إلينا حياة كل الشهداء الذين أزهقت أرواحهم، وأن تردوا شرف الماجدات العراقيات الذي سلبتموه.

رامسفيلد: هل هذا نوع من السخرية؟

صدام: لا، بل هذه هي الحقيقة المرة، التي تعرفونها.. يا سيد رامسفيلد أنتم ارتكبتم أكبر جريمة في التاريخ ضد بلد عربي مسالم.. لقد التقينا سويا في الثمانينيات، هل تذكر عروضك؟

رامسفيلد: دعنا من الماضي، نحن بصدد إعادة تقييم مواقفنا منكم ومن العديد من القوي التي ناصبتنا العداء في الماضي، نحن قررنا أن نتحاور مع الإسلاميين

المعتدلين، وليس لدينا مانع في وصولهم للسلطة عبر صندوق الانتخاب بل الأهم من ذلك أننا قررنا أن نفتح قنوات للحوار مع منظمات إرهابية مثل حماس والجهاد وحزب الله الموالي لإيران، وأيضا منظمات أصولية أخرى في العالم كله، بل حتي لدينا مشروع للاتصال بحركة طالبان في أفغانستان لدراسة مشاركتها في السلطة مقابل التخلي عن السلاح.

صدام: إذن بدأتم تعيدون التفكير في نهجكم الخاطئ؟

رامسفيلد: إنه التطور الطبيعي للأمور، نحن نسعى إلى نشر الديمقراطية في كافة البلدان والحركات الخاضعة للاستبداد.

صدام حسين: أفلحتم إن صدقتم، أنا أعرف حقيقة أهدافكم، وإذا كنتم صادقين حقا فعليكم أن تبدأوا فورا أنتم وحلفاؤكم الانسحاب من العراق، وعليكم أيضا أن تراجعوا موقفكم الداعم لإسرائيل. إنني أعرف أن رئيسك عنيد ومكابر وليس صادقا.

رامسفيلد: إنه رئيس ديمقراطي منتخب، وليس حاكما دمويا مثلك.

صدام: الإرهاب صناعتكم والكذب أسلوبكم.

رامسفيلد: إن هذا العرض هو فرصة تاريخية لكم، سنفرج عنك وسنتشاور معك في كل ما يخص شؤون الحكم في العراق، إذا رفضت هذا العرض فالفرصة لن تعوض.

صدام حسين: أنا لا أبحث عن الفرص، ولا أبحث عن طريق لإنقاذ رقبتي من حبل المشنقة التي نصبتموها للعراق كله، لو أردت ذلك لقبلت بالعرض الروسي وأنقذت ولديَّ وحفيديَّ من الشهادة، أنا لا أعرف ما هو مصير أسرتي وبناتي وأحفادي، ولكن ثق أنني مهتم بكل مواطن عراقي وبمستقبل العراق العظيم أكثر من اهتمامي بنفسي وأسرتي.

لقد سبق أن عرضتم عليّ قبل ذلك عن طريق رجالكم أن أقرّ بأن أسلحة الدمار الشامل هربت إلي سوريا وقلتم إن الثمن هو الإفراج عني، فرفضت وها انذا أكرر الرفض مرة أخرى.

رامسفيلد: أنا لا أريد منك رفضا، أنا أريد منك التفكير، نحن نعاود تقييم مواقفنا في الوقت الراهن، نحن نريد وقف الدماء التي تتدفق من كلا الجانبين، ولذلك يأتي عرضنا من منطق القوة وليس من منطق الضعف.

لقد طلبنا من جلال الطالباني أن يدلي بتصريح ينفي فيه أية نوايا لإعدامكم كبادرة حسن نوايا منا، ونحن لدينا استعداد لمراجعة موقفنا كاملا من العملية السياسية في العراق بأكملها وأن نتحاور معك ومع رجالك في هذا الأمر.

صدام حسين: هل أنتم مستعدون للانسحاب أم لا؟

رامسفيلد: يمكن أن نبحث إعادة الانتشار، إن قواتنا أعدت قواعد للبقاء فترة طويلة يمكن أن ننسحب من الشوارع والمدن ولكن سنبقى في القواعد لفترة من الوقت.

صدام حسين: إذن أنتم تريدون عميلا جديدا يضاف إلى هذا الطابور من العملاء، لا يا سيد رامسفيلد.. لا تنس أنك تتحدث مع صدام حسين رئيس دولة العراق.

رامسفيلد: لكنك خسرت السلطة.

صدام حسين: لم يبق لي سوى الشرف، والشرف لا يباع ولا يشترى.

رامسفيلد: لكن الحياة لها قيمة لا تقدر.

صدام حسين: لا قيمة للحياة بدون الكرامة، وأنتم سلبتم العراق كرامته عندما دنستم أرضه وسوف نسترد كرامتنا سواء بقي صدام حسين أو استشهد.

رامسفيلد: إن أنصارك الذين تحاورنا معهم قالوا لنا إنك صاحب القرار الأول والأخير، هل كانوا يتوقعون رد فعلك؟

صدام حسين: بالقطع هم يعرفون أن صدام حسين لايستطيع أن يتراجع على حساب وطنه وكرامته.

رامسفيلد: التاريخ سيحملك مسئولية الدماء التي تسال في العراق.

صدام حسين: بل التاريخ سيحاكمكم على جرائمكم.. لقد حذرتكم من قبل وقلت لكم ستنتحرون على أسوار بغداد، وها أنتم تدفعون الثمن، أرجوك أن تذهب إلى لندن وتقرأ سجلات وزارة الخارجية البريطانية لتعرف بعضا من ملامح كفاح الشعب العراقي في مواجهة أصدقائكم البريطانيين الذين تكررون أخطاءهم وتشركونهم معكم.. الشعب العراقي شعب عنيد ولا يخاف الموت.. والمقاومة أقوى مما تتصورون ولذلك أبشركم بالمزيد" .

جورج بيرو : صدام بكى أمامي

كالطفل لحظة سماعه قرار شنقه !!

وعندما قررت المخابرات الأمريكية رفع السرية عن جزء بسيط ويسير من كنز المعلومات والملفات الهائلة التي تراكمت من التحقيق مع صدام خلال فترة ثمانية أشهر كاملة وبمعدل سبع ساعات يوميا .. بموجب هذا القرار تمكن ضابط من المخابرات الفيدرالية الأميركية " إف . بي. آي" وهو رئيس قسم التحقيق مع صدام ويدعى جورج بيرو، من الحصول على موافقة بسرد جزء من مذكراته أثناء إجراء التحقيق اليومي مع صدام، والتي استمرت لثمانية أشهر .

ويروي جورج بيرو، في كتابه الذي يحمل عنوان : "مراقبة الإرهابي" "ذا تيروريست واتش"، ووضعه الصحافي في واشنطن رونالد كيلسر الحائز عدة جوائز، كيف أدار فرقة استجواب صدام، بعدما قبضت عليه القوات الأمريكية في ديسمبر ٢٠٠٣.

وكان بيرو يومها في الـ٣٦ من العمر، ويشغل منصب رئيس لقسم مكافحة الإرهاب في مكتب التحقيقات الفيدرالي. وهو يتقن العربية، لكونه مولوداً في بيروت، قبل أن تهاجر عائلته إلى الولايات المتحدة، وهو في الـ ١٢ من العمر .

ويصف بيرو صدام حسين بأنه مهووس بالنظافة، مشيراً إلى أنه حاز ثقته بعدما مده بكميات كبيرة من فوط الأطفال الرطبة، لتنظيف يديه وبعض المأكولات مثل التفاح. ومع ان صدام كان يصلي ٥ مرات في اليوم خلال اعتقاله، فإنه كان يحب النبيذ والويسكي من نوع "جوني ووكر بلو ليبل" والسيجار الكوبي. وكانت تلفته النساء الجميلات .

ويقول كيسلر في كتابه "عندما أتت ممرضة أمريكية لأخذ عينة من دمه، قال صدام لبيرو أن يقول لها بالإنجليزية إنها فاتنة. لكن بيرو رفض" .

ودحض بيرو الاعتقاد السائد أن صدام حسين كان غالبا ما يلجأ إلى شبيه له في ظهوره العلني. ويقول بيرو ضاحكا "قال لي (صدام) إن أحدا لا يمكنه أن يقلده". وكان موظف الـ"إف بي آي" يمضي بين ٥ و٧ ساعات مع صدام يوميا على مدى ٧ اشهر، هي فترة المقابلات استمرت حتى يوليو ٢٠٠٤

وأكد صدام لبيرو أنه "ادعى" أنه يمتلك أسلحة دمار شامل فقط لابقاء ايران خصمته اللدودة في موقف حرج، وكان يعتبر انه قادر على استئناف البرنامج النووي ما ان ترفع عقوبات الامم المتحدة عن العراق.

وخارج غرفة الاستجواب الرسمية يقول بيرو انه وصدام كانا يتناقشان في التاريخ والسياسة والفنون والرياضة. وقد بدأ الرئيس السابق بكتابة قصائد حب على دفتر أعطاه إياه موظف الـ"اف بي آي". وسأل بيرو صدام عن حملة الانفال ضد الأكراد في أواخر ثمانينيات القرن الماضي التي قضى فيها الآلاف خلال قصف مدينة حلبجة بأسلحة كيميائية عام ١٩٨٨. وقال بيرو لكيسلر "قال صدام ان هذا قرار اتخذه ولا يريد الخوض في هذه المناقشة

وعلى صعيد عائلته، قال صدام إنه كان حذرا من ابنه قصي، والذي قتل مع شقيقه الأكبر عدي في عملية أمريكية بالموصل في يوليو ٢٠٠٣. ورغم كرهه للرئيسين الأمريكيين اللذين شنا حربا عليه، وهما جورج بوش الأب والابن، كان صدام حسين يحب الأميركيين معربا حتى عن إعجابه بالرئيسين رونالد ريغن وبيل كلينتون.

واقر صدام حسين بارتكابه "خطأ تكتيكيا" في تعامله مع بوش الأب والابن، مستهينا بقدرة الجيش الأمريكي خلال حرب الخليج الاولى، وبعدم تصديقه أن بوش الابن جدي في اجتياح العراق.

وفي نهاية عمليات الاستجواب يقول بيرو إن التأثر غلب على الرئيس العراقي. ويروي "جلسنا خارجا وأشعل كل منا سيجارا كوبيا واحتسينا القهوة وتبادلنا أطراف الحديث". وكان في حوزة صدام مسدس عندما قبض الأمريكيون عليه في تكريت، وكان بإمكانه ان يطلق النار على نفسه لكنه لم يفعل، مع أنه كان يعرف أنه يواجه احتمال الحكم بالإعدام. ويقول بيرو ان "الإعدام كان ليخدم هدفه أكثر وهو المحافظة على إرثه ومكانته في التاريخ".

ولم يندم صدام حسين على أي شيء حتى اللحظة الأخيرة قبل إعدامه شنقا نهاية عام ٢٠٠٦. ويقول بيرو "رغم ذلك كان لطيفا ومهذبا ويتمتع بالكاريزما وحس الفكاهة. نعم، كان جديرا بأن يُحب" !!

ويقول الضابط المحقق بيرو انه ذهب في اليوم الاخير للقاء صدام قبل إعدامه بيوم واحد وأخذ معه سيكارا كوبيا من النوع الفاخر عدد اثنين الى صدام وجلس معه ليودعه، لأن الزيارة كانت زيارة وداع، وإذا به يفاجأ بصدام يبكي وينتحب كالطفل عندما قال له بأن هذا اللقاء هو الاخير بينهما، فأدرك صدام انها النهاية فعلا. طبعا لايسهب الضابط كثيرا في ذكر تفصيلات أخرى نقلتها مواقع خبرية في حينها كيف أن صدام انهار وأخذ يتوسل لإبقائه حيا وأنه على استعداد لخدمة السياسة الأمريكية في العراق وفي المنطقة.

وقال بيرو "أن صدام مثلما كان يحرص أن يظهر نفسه بأنه متعلق القرآن، إلا أنه "كان أيضا كان يحب شيئين أخرين، وهما الويسكي والسيكار".

ونقل بيرو أن صداما قال له أيضا : "إن آراء وسياسات الرئيسين بل كلينتون وريغان متشابهة مع تطلعاته وأفكاره، إلا أنه يشعر بتفاوت كبير وتعارض بينه وبين

الرئيس بوش ووالده ". كما يذكر بيرو أن صدام تعلق بممرضة كانت تشرف بين فترة وأخرى على تمريضه . ويشير ضابط التحقيق بيرو أن صدام وثق به خلال هذه الفترة التي أمضاها معه أكثر مما كان يثق في أي شخص آخر " !!

فرانكس : هذه هي القصة الكاملة

لمحاولة اغتيال صدام في الدورة !!

وفي إطار ما كتبه حول أسرار الحرب الأميركية على العراق، قال الجنرال تومي فرانكس في مذكراته بعنوان "كيف كسبت الحرب"، إنه "تمكن عبر عميل مزدوج أطلق عليه أبريل فول -أي كذبة أبريل - من تضليل صدام حسين وإفشال خططه للدفاع عن بلاده، ونتيجة لهذه الحيلة حشد صدام أفضل فرق جيشه متوقعا هجوما من الشمال والغرب، فيما انطلقت الأرتال المدرعة الأميركية جنوبا مما سهل سقوط العاصمة وانهيار النظام".

ويقول فرانكس أنه بسبب حساسية هذا التضليل، لم يعلم به سوى قلة في الحكومة الأميركية" أما العميل المزدوج/ "أبريل فول" ضابطاً أميركياً على صلة بمسؤول في الاستخبارات العراقية يعمل تحت غطاء موظف ديبلوماسي. وسلّم "أبريل فول" المسؤول العراقي خطط غزو زائفة مصنّفة "بالغة السرية". وتضمنت الخطة المختلقة ما يأتي: "لا ينوي التحالف أن يحشد سوى جزء من قواته البرية في الكويت، فيما يعد لهجوم كبير بقوات محمولة جواً في شمال العراق. وسيعزز هذا الهجوم بعدئذ بفرقة المشاة الرابعة، التي ستسمح لها الحكومة التركية - في آخر لحظة ممكنة - بأن تمر عبر تركيا وتندفع جنوباً إلى بغداد".

و يكشف فرانكس النقاب عن محاولة أمريكية لاغتيال صدام أثناء اجتماع له في " الدورة "، ويقول :

معلومات الاجتماع جاءتنا من عميلين محل ثقة يعملان بشبكة جديدة أقامتها الاستخبارات الأميركية داخل بغداد × قلت لمن معي : أعرف بوش جيدا ولن يصدر قرارا بإطلاق رصاصة واحدة قبل انقضاء المهلة التي حددها لمغادرة صدام العراق.

سلمني جيف كيمونز وجين رينوار مساء يوم الثلاثاء ونحن جالسون حول نفس الطاولة تقريرا وصورا رقمية التقطت من أعلى. ابلغني كيمونز ورينوار بأن ثمة معلومات استخبارتية مثيرة للاهتمام من داخل بغداد، فقد أكدا أن «مصادر لوكالة الاستخبارات المركزية الاميركية قالت انها ربما تتمكن من رصد اجتماع لصدام حسين مع نجليه خلال يوم غد أو بعده». سألت كيمونز ورينوار عن مدى مصداقية ما قيل، فوصفا المصادر التي نقلت عنها هذه المعلومة بأنها موثوق بها، ولكن موقع الاجتماع لم يعرف حتى تلك اللحظة، حسبما أفاد كيمونز ورينوار. جاءت هذه المعلومات من عميلين محل ثقة يعملان في شبكة جديدة أقامتها وكالة الاستخبارات المركزية داخل العاصمة العراقية. إلى ذلك قلت إننا، وإذا ما استطعنا تحديد موقع الاجتماع المذكور، سنتمكن بالتأكيد من تعقب هذه «الأهداف المهمة»، ومن الممكن أن تصبح هذه الخطوة بمثابة ضربة تقطع رأس النظام العراقي، ذلك أن مقتل صدام حسين ونجليه سيصيب النظام العراقي بالشلل. فنجلا صدام حسين بمثابة الوريثين الشرعيين، كما أنهما كانا يشغلان مواقع عسكرية مؤثرة. فقصي صدام حسين، الابن الأصغر لصدام، كان قائدا للحرس الجمهوري الخاص وجهاز الأمن الخاص وتشكيلات الحرس الجمهوري المقاتلة. اما الإبن الاكبر، عدي، فكان مهابا وطاغية بطريقته الخاصة وقائدا لقوات فدائيي صدام، وهي قوات غير نظامية يصل عدد أفرادها الى حوالي أربعين ألف معلومة وكالة الاستخبارات المركزية كانت مهمة، لكننا لم نكن لنستطيع فعل شيء بدون تحديد الموقع الذي كان مقررا ان يجري فيه ذلك الاجتماع. إلا أن رينوار أبلغني بأن مصادر الـ«سي آي إيه» تعمل الآن على معرفة الموقع الذي سيجري داخله الاجتماع. وكانت أقوى الاحتمالات تشير إلى

ان الاجتماع سيجري داخل مجمع يقع جنوب بغداد يسمى «مزارع الدورة» وهي تابعة لزوجة صدام، ساجدة. اطلعت على صور الأقمار الصناعية التي التقطت للمجمع المذكور، وهو عبارة عن فيلا فخمة تضم جراجات، مع وجود عدة أبنية عادية محيطة بالمجمع. اوضحت لهم ان المشكلة تكمن في أن المهلة التي أعطيت لصدام حسين ونجليه لمغادرة العراق ستنتهي الساعة الرابعة من صباح يوم بعد غد، كما أوضحت أيضا أن الرئيس بوش أمهل صدام ٤٨ ساعة لمغادرة العراق، وأكدت أنني أعرف بوش جيدا، إنه لن يصدر قرارا بإطلاق رصاصة واحدة قبل انقضاء المهلة التي حددها لمغادرة صدام حسين ونجليه العراق. أصدرت التعليمات بوضع صواريخ توماهوك في منصات الإطلاق، ورصد الهدف المذكور وأهداف أخرى، كما لفت انتباه زملائي أيضا إلى عدم توقع صدور أي تعليمات بالضرب إلا بانقضاء الفترة المحددة للمهلة، ولكني كتبت في جزء مخصص للتعليق على الفرص التي يمكن تحقيقها من الهجوم عبارة: «قطع رأس النظام». حدث ذلك في مساء الثلاثاء. وحتى ليل الأربعاء، يوم الإنزال، كانت المعلومات الاستخباراتية حول مزارع الدورة لا تزال غير محددة على نحو يمكننا من اتخاذ خطوة، لذا عدت إلى متابعة العمليات الخاصة المستمرة. أيقظني صوت الزر الأحمر مثل الرصاصة، وكان على الخط الآخر ديك ماير الذي سألني قائلا: «توم... أنا في البيت الأبيض مع الرئيس والوزير رامسفيلد وجورج تينيت. هل أنت على علم بظهور هدف مزارع الدورة ؟» كنت في ذلك الوقت منهكا لكنني مستيقظ تماما. أردف ماير قائلا: «بدأنا العمل في هذا الشأن ليل أمس... هل بوسعكم توجيه ضربة لهذا الهدف الليلة؟ أبلغت ديك مايرز بأن صواريخ توماهوك جاهزة، كما أبلغته بأنني سأتحدث مع جين رينوار وتيم كيتينغ قائد القطع البحرية، حول علمية الإطلاق وتوقيت الطيران، مؤكدا أنني لا أرى مشكلة في ذلك، وسألته عن مدى الثقة في المعلومات الاستخبارية الخاصة باجتماع مزرعة الدورة. جاءت إجابة ديك مايرز بأن جورج تينيت يعتقد أن مصادر المعلومة جيدة. انتهت المكالمة ووعدت ديك مايرز بأنني سأتصل به بأسرع ما يمكن. استكمل كل من جين رينوار وتيم

كيتينغ وجيف كيمونز عملية التسليح خلال أقل من ساعة، إذ أشرفوا على إعداد مجموعة من ٢٤ صاروخ توماهوك موجهة إلى مجمع مزارع الدورة و١٦ مركزا قياديا تابعا للنظام العراقي داخل بغداد. تتمثل أهمية هذه الأهداف التقليدية في جانبين، فمن ناحية نعتزم توجيه ضربة إلى هذه الأهداف في اليوم الأول، كما أن نشر الضربات في مواقع أخرى في تلك الليلة ربما يوفر غطاء للعملاء الذين أبلغونا بمعلومة مزارع الدورة. عقب إطلاعي على الأهداف اتصل ديك مايرز مرة أخرى من البيت الأبيض. قال ديك إنهم تلقوا معلومات جديدة حول مزارع الدورة من أحد المصادر تفيد بأن الموقع يحتوي على تحصينات عسكرية ومخبأ منيع ومحصن، وأضاف قائلا ان صواريخ توماهوك ربما لن تؤدي المهمة المطلوبة . وسأل عن مدى إمكانية اتخاذ ترتيبات أخرى لتنفيذ الضربة على النحو المطلوب. قلت لديك مايرز إنه لا مجال لذلك، فكلانا يدرك جيدا ان مقاتلات ستيلث القاذفة للقنابل هي وحدها القادرة على ضرب اهداف مثل هذه قريبة من بغداد، قبل تدمير الدفاعات الجوية للمدينة. فطائرات ستيلث «اف ـ ١١٧» لا تظهر على شاشات الرادار كما لا تظهر أمام المراقبين الأرضيين عندما تكون محلقة على ارتفاع شاهق. طبقا لحالة الطقس كان متوقعا أن تشرق الشمس في بغداد في تمام السادسة وتسع دقائق صباحا بتوقيت العراق، إلا أن أول ضوء بعد الفجر من المتوقع ان يظهر قبل ذلك بحوالي نصف الساعة، إذ يعني ذلك أننا إذا استخدمنا طائرات «إف ـ ١١٧» فيجب أن تكون بعيدة عن مدى الصواريخ العراقية في وقت اقصاه الساعة الخامسة والنصف صباحا على الأقل. وقلت لديك «سأدرس الموقف مع باز» غير أن موسلي رد بطريقة متوقعة منه: «ندرس الموضوع».

وفي وسط كل ذلك اتصل بي باز مرة أخرى، أيها الجنرال «هذا هو ما حصلنا عليه. لدينا طائرات «إف ـ ١١٧» من طراز نايتهوك وقنابل . والقنابل زنة ٢٠٠ رطل المعروفة باسم مدمرة المخابئ. والطيارون في إحدى القواعد. والآن كل ما علي أن أفعله هو تجميعهم معا، والتخطيط لمهمة، وطيرانهم إلى بغداد قبل طلوع الشمس».

وقلت له مبتسما «تمام يا باز»، كانت أفكاري متسارعة، كما كانت عليه تقريبا في ١١ سبتمبر وأنا أقف على سطح فندق كايدون. وقلت «ما هي احتمالات نجاح العملية بعملية من طائرة واحدة ؟». ولم يتردد باز: «طائرة واحدة تعطينا نصف احتمال للنجاح».

ومرة أخرى فكرت قبل الحديث. أنا في العادة شخصية متفائلة، ولكن يوجد اليوم احتمال للفشل. سألت :«ما هو المطلوب لتحقيق نجاح بنسبة مائة في المائة ؟ . طائرتان إذن ؟» قال :«جنرال نسبة النجاح ترتفع مائة في المائة».

قلت :«طائرتان ـ نفذ الأمر باز».

قال :«طائرتان من طراز نايتهوكس في طريقهما، يارئيس».

وعرض جين التعقيد الثاني. «إن قصف مقر القيادة ربما سيؤدي إلى ردود فعل قوية، حتى لو قتلنا الأوغاد». قلت :«جيف لقد أبلغت مدير الاستخبارات في هيئة الأركان المشتركة، دعونا نحسن الأهداف الإضافية التي سيستخدم فيها توماهوك. وإذا ما قصفنا مزارع الدورة، سنريد أيضا إلحاق أضرار كبيرة بقوات الأمن والاستخبارات».

كنت على الهاتف المباشر للبيت الأبيض عندما دخل غرينتش وقال:« سيدي، رئيس الأركان يحاول الاتصال بك من البيت الأبيض.».. ودار الحوار :

أنا هنا يا ديك. نحاول صنع سلطة دواجن من روث الدجاج».

«لا تغضب منا توم».

«أنا لا أغضب منك يا ديك. أنت أخي».

كنت أتحدث مباشرة مع قائد سلاح الجو التابع لك. حاولت الاتصال بك أولا، ولكني كنت مشغولا على الهاتف ولدينا وقت عصيب هنا..

«لا مشكلة ديك»، لقد حقق فاكسي لي وولفويتس ما كنت أيده، مطاردة العاملين

في الجناح الشرقي وداخل مكتب وزير الدفاع بعيدا عن قدمي. غير أن ديك مايرز لم يكن بالشخصية المتطفلة. كان سندي في المبنى. «كيف يتصرف باز».

«هو يحاول انجاح المهمة توم. تبدو الأمور جيدة حتى الآن».

«نعم. طائرتان من طراز «إف ـ ١١٧» وسنضيف عدة اهداف أخرى إلى قائمة توماهوك ايضا».

«توم. ولكني أحتاج إلى توقيت دقيق. نريد قصف هذه الأهداف، غير أن الرئيس لا يريد فقد طيارين على لا شيء».

«ديك، ضرب الأهداف لا يجب ان يتعدى الساعة الخامسة والنصف صباحا، على ألا يتأخر انطلاق الطائرات عن الساعة الثالثة والنصف. الرحلة تستغرق ساعتين مع إعادة تزويد بالوقود في الجو. أحتاج إلى قرار الرئيس بحلول الساعة الثالثة والربع، بحيث يمكن أن تدير الطائرات محركاتها وتتحرك على مدرج الهبوط والإقلاع». ونظرت إلى الساعة على الحائط: ٠٢:٢٧. «لدينا أقل من ساعة لمعرفة ما إذا كنا سننطلق ام لا، ديك».

«أفهم ذلك. سأعود إليك».

وقد فهم ديك مايرز بالطبع. فقد قام بعشرات من الطلعات الجوية على فيتنام الشمالية وهو طيار شاب. وهو يعرف وقائع الحرب. وكنت سعيدا أنه موجود في المكتب البيضاوي مع الرئيس ووزير الدفاع.

وقدم باز تقريرا في الساعة ٠٢:٥٩. «طائرتان مسلحتان بالأسلحة المختارة. تم إبلاغ الطيارين وهما يجلسان في الطائرة. لا أحد سعيد بالتوقيت، ولكن تعرف أن طياري الستيلث على استعداد للطيران لأبواب جهنم لضرب هدف جيد».

وقاومت إغراء معرفة اسمي الطيارين. فحتى مع إمكانية النجاح بنسبة مائة في المائة، فإن الطائرتين معرضتان لخطر اكتشافهما خلال العودة بعد طلوع الشمس. هناك امكانية لعدم عودة واحد من هؤلاء الشباب.

وأصبح الوقت في الساعة الرقمية ٠٣:١٢. وتنفست الصعداء ونظرت إلى جين. «الوقت يتأخر».

كنت أتخيل الوضع في المكتب البيضاوي: الرئيس محاط بمستشاريه، يدرسون النقاط الإيجابية والسلبية. لقد قاد جورج بوش مقاتلات. ويفهم ميكانيكية التخطيط للمهام وتنفيذها. وهو يفهم كيف يُتخذ القرار.

ودق الهاتف المباشر للبيت الابيض. كان ديك مايرز. «المهمة قائمة، رجاء التنفيذ».

وقلت لباز موسلي «حصلت على القرار. نفذ المهمة يا باز. حظا سعيدا للجميع».

وانطلقت الطائرتان في الساعة ٠٣:٣٨ .

والآن يمكننا تنسيق ترتيب إطلاق صواريخ توما هوك. ومر الوقت في غرفة الحرب. إن واحدة من جوانب مهام الطائرات ستيلث هي أن الطائرة لا تبث معلومات الملاحقة للفرقة الزرقاء. إن الوضع الوحيد للمهمة الذي نتلقاه بخصوص رحلة الطائرة هو اكتمال عملية إعادة التموين في الجو.

- كيف ابتلع صدام الطعم .. وكيف جاءت فكرة إمهاله ٤٨ ساعة ؟

- وصول هذه القوات المقاتلة سيرفع حجم القوة الموجودة هناك إلى ١٥٠٠٠ جندي وضابط. إلا أنني والرئيس ودونالد رامسفيلد تناقشنا حول وظيفة لا تقل اهمية للفرقة الرابعة مشاة، وهي عملها كحجر أساس في خطة خداع العدو. ففي الوقت الذي كانت فيه الفرقة متمركزة في البحر المتوسط لشغل ورصد قوات العدو في الشمال، كنا نسرب معلومات إلى النظام العراقي، على سبيل التمويه، عبر قنوات سرية، مفادها أن لدينا ترتيبات سرية مع الأتراك، الذين من المحتمل أن يفتحوا موانئهم في آخر لحظة لقواتنا، فيما اشارت عمليات الاستطلاع والمراقبة إلى أن ١٣ فرقة عسكرية عراقية لا تزال متمركزة شمال العاصمة بغداد، مما يشير إلى احتمال أن يكون صدام قد ابتلع الطُّعم. أوضحت بعد ذلك المراحل الزمنية للعمليات

القتالية، وظهرت صور التقطتها الاقمار الصناعية قوات تابعة للجيش العراقي في المنطقة الواقعة بين حدود الكويت ومدن الجنوب العراقي، حيث تعتمد دفاعات صدام حسين على قوات الحرس الجمهوري. وكان تمركز قوات العدو في ذات المواقع التي توقعها مخططو الاستخبارات. ويمكن القول حتى هذه المرحلة ان خطتنا لخدعة العدو، وإذا ما نجحت، فسنكون على استعداد لبدء عمليات شبه متزامنة بواسطة القوات الجوية والبرية والقوات الخاصة اعتمادا على تعليمات الرئيس بوش. قلت للرئيس بوش إنني في حاجة إلى إخطار قبل ٤٨ ساعة لتنفيذ هذه العملية، إذ أن هذه الفترة الزمنية كافية لنقل القوات الخاصة إلى غرب العراق، لتعطيل منصات إطلاق صواريخ «سكود» العراقية. ناقش كل من الرئيس ورامسفيلد وتشيني وباول إعطاء صدام مهلة أخرى نهائية، فإما أن يترك العراق طوعا مع نجليه قصي وعدي، وإما أن تدخل قوات التحالف وتزيحهم من السلطة. أكد الرئيس من جانبه على مقترح الإخطار قبل ٤٨ ساعة.

كنت جالسا في مكتبي بمقر القيادة في قاعدة السيليه، أشاهد الرئيس جورج بوش وهو يخاطب الشعب الأميركي والعالم. كان ذلك يوم الثلاثاء ١٨ مارس (آذار) ٢٠٠٣ فجرا في قطر، يوم الاثنين ليلا في الولايات المتحدة طبقا لفارق الوقت، فتناول الرئيس بوش في حديثه سجل النظام العراقي في العدوان على الآخرين، ثم أعلن عن المهلة التي ناقشناها قبل أسبوعين في البيت الأبيض.

- قلتها صريحة لوولفويتز: اجعلوا واشنطن تركز على السياسة والاستراتيجية واتركوني وحدي أدير الحرب

- كنت أعلم أن «استراتيجيي المقاعد» ومن أطلق عليهم العاملون «جنرالات التلفزيون» وهم مجموعات من الضباط المتقاعدين الذين يعملون مع شبكات اللتفزيون، سيحاولون إيجاد الكثير من الأخطاء في قراري. ولكني كنت أعلم أيضا أنه القرار الصحيح. لقد كشف التنصت على الاتصالات أن العراقيين لن يدمروا حقول النفط في وقت مبكر عما هو ضروري، لأنهم يكسبون ٥٠ مليون دولار يوميا من تلك الحقول عبر برنامج النفط مقابل الغذاء. ولكني كنت متأكدا أيضا أن صداما

سيصدر أوامره بتخريبها عندما تتوضح العمليات الجوية ضد أهداف النظام أن الحرب قد بدأت.

ولذا كان من الضروري السيطرة على تلك الحقول إذا أمكن ذلك. ولكن إنقاذ حقول الرميلة سيكون واحداً من المميزات لتنفيذ الهجوم البري قبل الهجوم الجوي. فالعمل بهذه الطريقة لن يتوقعها العراقيون على الإطلاق، يمكننا تحقيق مفاجأة، بالرغم من حقيقة أننا جمعنا ٢٩٠ ألف عسكري من القوات الجوية والبحرية والبرية في المنطقة.

وعندما أبلغت رامسفيلد بأننا نفكر في تغير بداية العمليات البرية، قبل التحدي على الفور. وقال: «أنت القائد توم. عليك اتخاذ القرار».

كنت أعلم أن الوزير يثق بي. ولكني اتخذت بعض الإجراءات الأخرى لتهدئة البنتاغون. ففي يوم ١٧ مارس، قبل يومين من بدأ العمليات، بعثت «بخطاب نوايا» عن طريق الفاكس إلى نائب رامسفيلد بول وولفويتز. وبالرغم من أنني أعددت الرسالة بطريقة مهذبة، فإن محتوياتها كانت واضحة ومباشرة ومفادها: اجعلوا واشنطن تركز على السياسة والاستراتيجية. اتركوني وحدي أدير الحرب.

وفي نهاية مذكرتي، ذكرت وولفويتز بالنطاق الأخلاقي الذي سأعمل من خلاله في الأيام المقبلة: «أحمل علما أميركيا وإنجيلا في جيبي، وأضع رباط الزواج في يدي اليسرى. أفهم المهمة والمحتوى الاستراتيجي الذي ستنفذ من خلاله. ولن أحيد عن طريقي إلا إذا تلقيت تعليمات بذلك».

لقد تعرضت عملية الحرية الدائمة في أفغانستان إلى انتقادات من قبل قادة الأسلحة وهيئة الأركان المشتركة، وأنا لا أنوي تكرار مثل هذا الانقسام في العراق. كان بول وولفويتز صديقا، وأعلم أنه سيبلغ الجميع أن تومي فرانكس ليس علي استعداد لمعاملته وكأنه كلب أليف من فصيلة شيهوهوا، وهو يحاول تنظيم ما أصبح أكثر العمليات المشتركة للأسلحة تعقيدا واندماجا في التاريخ. وقد لفتت مذكرتي

الى وولفويتز الأنظار في البنتاغون. قلت في المذكرة:«إن وجود قادة الأسلحة في مؤتمر الاتصالات عبر الفيديو مع الوزير لا يساعدني. ليست لديهم خبرة كافية في العمليات المشتركة لكي يعملوا بطريقة نافعة».

وإمعانا في الإيضاح قلت في رسالتي تلك :«أنا أفهم قدرات القوات. وسأستخدمها بأفضل طريقة». ثم ضمنتها تحذيرا بخصوص تسريب الخطة للإعلام وقلت: «إن تسريب معلومات سرية وآراء الخبراء لدفعي للقيام بالمزيد، أو بطريقة أسرع أو أفضل لن تؤثر علي».

بريماكوف : حاولت التوسط ولكنه حاول اغتيال البارازانـــي !!

ويحتل صدام أيضاً جزءاً غير قليل من مذكرات يفيجيني بريماكوف رئيس وزراء روسيا السابق من واقع خبرة الرجل كمراسل لصحيفة " برافدا " أثناء الاتحاد السوفيتي السابق، ثم كرئيس للمخابرات (إف إس بي)، وهي وريث (كي جي بي) بعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية فوزير خارجية، ثم رئيسا لوزراء روسيا في عهد الرئيس الروسي الراحل بوريس يلتسين .

في مذكراته التي تحمل عنوان " في قلب السلطة "، والتي نشرت مؤخراً في موسكو وباريس وعدد من العواصم الأخرى، يقول : " إنه كان حاضراً أيضاً، أثناء عمله كمراسل في بغداد، عندما استولت مجموعة صدام البعثية على السلطة في العراق. وأنه كان يعرف منذ البداية أن القوة الحقيقية خلف واجهة النظام الجديد هو صدام حسين التكريتي. وعلى الرغم من أنه كان ما زال صحافياً، إلا أنه كان يباشر بريماكوف مهمة سلام بين بغداد والأكراد الذين يقودهم الملا مصطفى البارزاني. ويفلح في عقد هدنة. غير أن صدام حاول بعد أيام اغتيال البارزاني عبر جهاز تسجيل أرسله له وكان يحتوي على قنبلة موقوتة " !!

ويعلق بريماكوف قائلاً : " إنه كان من الواضح أن هذا هو العمل الذي يجيده صدام " !!

ويصف بريماكوف شخصية صدام بأنها كانت : "وحشية غالباً ما تميل إلى القسوة، قوة الإرادة الاستثنائية، العناد في التصرف بطريقته الخاصة، التصميم على تحقيق هدفه بأي ثمن، وعدم القدرة على التنبؤ بأفعاله " !!

ومع ذلك فإن بريماكوف يقول إن صدام كان : "يظهر بين حين وآخر، حساً بالواقعية. خصوصاً، عندما يشعر بأن قبضته على السلطة قد تكون في خطر. وبكلمات أخرى فإنه مستعد لفعل أي شيء من أجل البقاء في السلطة " .

ويعيد بريماكوف ذلك إلى : إثارة شكوك صدام، التي تقرب من جنون الارتياب، بكل شيء وبكل شخص. والبطانة نفسها مسؤولة عن تعزيز أوهام صدام ومنعه من تقدير واقعية الموقف " !!

الجزء الأكثر إثارة للاهتمام في كتاب بريماكوف هو روايته للمهمة التي فشلت في منع وقوع حرب عام ١٩٩١ لتحرير الكويت. فبريماكوف يدافع عن قضية قوية مفادها أن صداما كان يتصرف على ذلك النحو لأنه كان مقتنعاً بأن الأميركيين لن يستخدموا القوة ضده. ويزعم بريماكوف أيضاً ان صداما كان سينسحب من الكويت لو أنه أعطي فرصة للقيام بذلك. ويؤكد، أيضاً، أن صداما كان قد بدأ «يلين» في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ ولكنه لم يستطع منع الهجوم الاميركي لأن واشنطن كانت قد قررت تدمير ماكينة الجيش العراقي على كل حال.

بيركنز : هكذا لعبنا بصدام لاستنزاف ثروات العراق !!

وفي مذكراته التي يحملها كتابه "السفاح الاقتصادي التائب: "الصادر عام ٢٠٠٤ يروي جون بركنز كيف نصبت واشنطون الفخ لصدام بهدف استنزاف ثروات العراق !!

وفي هذا الكتاب يحكي جون بيركنز قصة مسيرته من خادم متحمس للإمبراطورية،

إلى نصير مخلص لحقوق المقهورين والمقموعين. كانت قد جندته سراً وكالة الأمن القومي الامريكية، وعمل معها تحت غطاء عمله في شركة استشارية دولية، وأتاح له عمله في هذه الشركة أن يجوب العالم، فزار اندونيسيا وبنما والأكوادور وكولومبيا والعربية السعودية وايران وغيرها من الدول المهمة على الصعيد الاستراتيجي. وكانت مهمته تطبيق السياسات التي تخدم مصالح تحالف أمريكي يضم الحكومة والمصارف والشركات الكبرى، وفي الوقت ذاته تعمل على تسكين الفقر بإجراءات ظاهرية، أي السياسات التي أثارت عداء العديد من الأمم وادت في نهاية المطاف الى أحداث ١١ سبتمبر/أيلول وتنامي الكراهية للولايات المتحدة.

ويذكر المؤلف أن الولايات المتحدة، عبر السفاحين الاقتصاديين، ومن ضمنهم المؤلف، حاولت تطبيق اللعبة ذاتها على العراق.

يقول المؤلف عن تجربته في هذا المجال، إن إدارتي بوش الأب وريجان كانتا عازمتين على تحويل العراق إلى دولة تابعة لواشنطن. وكانت هنالك أسباب عديدة تدفع صدام حسين إلى اتباع النموذج الذي سارت عليه الولايات المتحدة مع الدول الثرية بمواردها فقد كان يغبط هذه على ما تحقق فيها من مشاريع يسيل لها لعابه. كما كان يعلم أنه إذا ارتبط مع واشنطن بمثل هذه المشاريع فسوف يحظى منها بمعاملة خاصة في ما يتعلق بتعاطيه مع القانون الدولي، وسوف تتغاضى عن بعض أفعاله.

يقول المؤلف: كان وجود السفاحين الاقتصاديين في بغداد قويا خلال ثمانينيات القرن الماضي العشرين. وكانوا يعتقدون بأن صداما سوف يبصر النور في نهاية المطاف، وكان علي ان أتفق مع هذا الافتراض، فلو أن العراق توصل مع واشنطن إلى اتفاق مثلما فعلت بعض الدول الأخرى، فسوف يؤمن استمراره في حكم بلاده، وقد يوسع دائرة نفوذه في ذلك الجزء من العالم.

ويتابع المؤلف قائلا: إنه لم يكن يهم الولايات المتحدة أنه طاغية مستبد، وأن يديه ملطختان بدم كثير من الأبرياء. فقد تحملت واشنطن وجود مثل هؤلاء الأشخاص

من قبل، بل كانت تدعمهم وتساندهم في أحيان كثيرة. وسوف نكون في غاية السعادة بأن نقدم له سندات الحكومة الأمريكية مقابل دولارات النفط، ومقابل وعده لنا باستمرار تزويدنا بالنفط، ومقابل صفقة يتم بموجبها استغلال أرباح السندات في تأجير الشركات الأمريكية لتحسين أنظمة البنية التحتية في العراق، ولاستحداث مدن جديدة، وتحويل الصحراء إلى واحات خضراء. وسنكون راغبين في بيعه دبابات وطائرات مقاتلة، وفي بناء مصانعه الكيماوية والنووية، مثلما فعلنا من قبل في عدد كبير جدا من الدول، حتى لو كانت مثل هذه التقنيات يمكن أن تستخدم في إنتاج أسلحة متطورة.

ويتحدث المؤلف عن أهمية العراق بالنسبة إلى الولايات المتحدة فيقول: كان العراق في غاية الأهمية لنا، بل أهم بكثير مما يبدو على السطح. وخلافا للرأي العام الشائع، لا يتعلق الأمر بالنفط فقط. بل يتعلق بالمياه وبالجغرافيا السياسية كذلك، ولأن نهري دجلة والفرات يجريان عبر العراق، فإن العراق، من بين كل دول ذلك الجزء من العالم، يسيطر على أهم موارد المياه ذات الأهمية المتزايدة الى درجة حرجة. وخلال ثمانينيات القرن الماضي، كانت أهمية المياه، السياسية والاقتصادية، تتضح شيئا فشيئا لمن يعملون منا في مجالي الطاقة والهندسة. وفي غمرة الاندفاع نحو الخصخصة، أصبح العديد من الشركات الرئيسية التي كانت من قبل تتطلع إلى القيام بمهام شركات الطاقة المستقلة الصغرى، يمد بصره نحو خصخصة أنظمة المياه في أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، والشرق الأوسط.

ويتابع المؤلف: وبالإضافة إلى النفط والماء، يحتل العراق موقعا استراتيجيا جدا. فهو يتاخم إيران والكويت والمملكة العربية السعودية والأردن وسوريا وتركيا، وله ساحل على الخليج العربي. وهو على مسافة تسمح بإطلاق الصواريخ على "إسرائيل" وعلى الاتحاد السوفييتي السابق. ومن الشائع اليوم أن من يسيطر على العراق يملك مفتاح السيطرة على الشرق الأوسط.

وفوق كل ذلك، كان العراق يشكل سوقا ضخمة للتكنولوجيا والخبرة الهندسية الأمريكية. وكونه يجلس فوق واحد من أعظم حقول النفط في العالم، يضمن أنه في وضع يخوله تمويل برامج ضخمة تتعلق بالبنية التحتية والتصنيع. وكان كل اللاعبين الرئيسيين يمدون أبصارهم نحو العراق: شركات الهندسة والبناء، مزودو أنظمة الحاسوب، أصحاب مصانع الطائرات والصواريخ والدبابات، وشركات تصنيع الأدوية والكيماويات.

غير أنه كان من الواضح أن صداما في أواخر ثمانينيات القرن الماضي لم يكن مقتنعا بسيناريو السفاحين الاقتصاديين. وكان ذلك يسبب خيبة أمل وضيقا عظيمين لإدارة بوش الأب. وبينما كان بوش يبحث عن مخرج لذلك، اوقع صداما نفسه بنفسه، حين غزا الكويت في أغسطس/آب ١٩٩٠، ورد بوش بإدانة صداما بخرق القانون الدولي، رغم أنه لم تكن قد مضت سنة على قيام بوش نفسه بغزو انفرادي غير شرعي لبنما.

ولم يكن الأمر مفاجئا، حين أمر الرئيس بوش أخيرا بشن هجوم عسكري شامل. وارسل نصف مليون جندي امريكي كجزء من قوة دولية. وخلال الشهور الأولى من سنة ١٩٩١ شن هجوما جويا كاسحا على الجيش العراقي وعلى الأهداف المدنية.

يقول المؤلف: إنني أعتقد أنه تحت سطح الخطاب الوطني والدعوات المنادية باتخاذ عمل ما، كان هنالك تحول أهم وأعمق يكتنف نظرة أصحاب المصالح التجارية الأمريكية ومن ثم معظم الناس الذين يعملون لدى الشركات الأمريكية للعالم. لقد أصبح الزحف نحو تكوين إمبراطورية كونية أمرا واقعا، وكانت الخصخصة تحفر دوربا عميقة في نفوسنا.

ورغم أن مؤلف الكتاب لا يتعاطف مع صدام حسين، بل يشبهه بهتلر في بعض المواضع في الكتاب، إلا أنه يقول: لا استطيع إلا أن أتساءل، كم من الناس يعرفون مثلما كنت أعرف، أن صداما كان سيظل في السلطة لو أنه وافق على المشاركة في اللعبة.. ولو فعل لكانت لديه الآن صواريخه ومصانعه الكيماوية، وكنا قد بنيناها له، ولكان خبراؤنا الآن يشرفون على تطويرها وتحديثها وصيانتها، وكانت صفقة رائعة جدا.

شيراك: المخابرات الأميركية أشاعت

أن صداما اشتراني !!

يميط كتاب مجهول الإليزيه اللثام عن الجوانب الخفية في حياة الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي أعلن اعتزال السياسة للتوجه إلى خدمة فرنسا بطريقة أخرى لم يفصح عن طبيعتها حتى الساعة.

صدر كتاب مجهول الإليزيه للكاتب والصحافي الفرنسي بيار بيان عن دار نشر فايار.

يقع الكتاب في خمسمائة صفحة، ويروي سيرة الرئيس جاك شيراك من خلال اثنتي عشرة مقابلة أجراها بيار ذو الميول اليسارية، وهي أيضا عبارة عن نوع من المذكرات أو السيرة الحياتية بصوت الرئيس والكاتب.

ويسلط الكتاب الضوء على جوانب كثيرة من شخصية شيراك، حين يكتشف القارئ أن معظم الذين كتبوا عن رئيس الجمهورية يجهلونه ويظهر بيار أن شيراك واسع الثقافة، ملم بالتاريخ وخاصة آسيا والصين، وهو مولع بالحضارتين الأفريقية والصينية، بينما يصف بعض الصحافيين الفرنسيين شيراك بأنه أمي وجاهل في المجال الثقافي.

جاك شيراك الذي ظهر وفيا لمبادئ الجمهورية الفرنسية وللعدالة الاجتماعية في آخر خطاب له قبيل الرئاسيات الفرنسية، يغوص في الحوارات الاثني عشر التي عهد بها إلى مؤلف الكتاب بيار بيون طيلة ٣٠ ساعة، في خفايا السياسة الفرنسية، ما جعل المؤلف الجديد يتجاوز الصورة الكاريكاتيرية المتداولة عن الرئيس الفرنسي، بالتطرق إلى تفاصيل حياة الرجل ومواقفه السياسية كإعجابه بالرئيس العراقي صدام حسين ودعمه لنيلسون مانديلا منذ الستينيات، ومعاداته لنظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا وشغفه بالرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتيران بسبب ذكائه وثقافته الواسعة ووصفه لساركوزي مرشح حزبه للرئاسة بالليبرالي.

ويظهر الكتاب اعتماد شيراك في بداياته على العرب لفرض امتداده وامتداد فرنسا عالميا كما يبرز إعجابه باليهود وانتقاده للأميركيين الذي يرغبون حسب ما يرى في فرض وجهات نظرهم.

ويأتي الكتاب في صيغة تزاوج بين سيرة الحياة والسيرة الذاتية ليعرف بشخصية رئيس يجهله الفرنسيون أنفسهم - حسب المؤلف بيار بيون - على الرغم من سيطرته على زمام الأمور في فرنسا منذ عشر سنوات كاملة.

بتاريخ ١٧ يناير، وبينما زاد تعصب المسؤولين الأميركيين شيئا فشيئا تجاه باريس، زار بليكس والبرادعي المسؤولان عن عملية التفتيش عن الأسلحة النووية في العراق باريس، حيث التقيا الرئيس الفرنسي جاك شيراك وشكراه خلال ندوة صحفية عقداها بعد لقائهما به.

أكد البرادعي في مداخلته أن فرنسا لعبت دورا أساسيا، وكانت دوما في قلب المسار المتبع لنزع سلاح العراق في الماضي تواصل الآن في بذل المجهود نفسه خلال الأسابيع والأشهر المقبلة.

وعلى صعيد آخر، انزعجت واشنطن من التقارب الذي حصل بين المستشار الألماني غيرهارد شرويدر والرئيس الفرنسي جاك شيراك خلال صيف ٢٠٠٢، فشرويدر بنى حملته الانتخابية على معارضته للحرب على العراق، واتخذ خطابه لهجة مناهضة للولايات المتحدة الأميركية، وفور انتخابه تقرب من الرئيس الفرنسي، وهو الذي كانت تجمعه علاقة باردة بشيراك منذ عام ١٩٩٨، بسبب السياسة الزراعية المشتركة بين البلدين وتقديره بأن ألمانيا لا تحوز على مكانة لائقة في المؤسسات والهيئات الأوروبية.

لقد لاحظ الجميع هذا التقارب بتاريخ ٢٢ يناير في قصر فرساي خلال الاحتفالات المخلدة للذكرى الخمسين لمعاهدة الإليزيه، وجمعت آلاف المنتخبين الفرنسيين والألمان، وهناك أثبت المستشار الألماني والرئيس الفرنسي أنهما أعطيا

نفسا جديدا للعلاقات بين البلدين، أكده مجلس الوزراء المشترك بينهما، لما أضفاه من صيغة جديدة على العلاقات الجديدة.

كانت القضية العراقية أول أسباب عودة عرى الصداقة بين البلدين مثلما يؤكده الرئيس الفرنسي جاك شيراك في قوله: العالم يواجه وضعيات متأزمة في كل القارات، وبالطبع في العراق، حيث التحدي كبير جدا. الحرب ليست حتمية والإطار الوحيد الذي أرى أنه يضمن حلا شرعيا للقضية هو الأمم المتحدة، وقد بادرت فرنسا وألمانيا إلى التشاور فيما بينهما لإحلال السلام.

شرويدر : هكذا انقلب

الحال بسبب عراق صدام !!

ويروي شرويدر في مذكراته تفاصيل تأثير الأزمة العراقية على العلاقات بينهما لقد غيرت الفترة التي سبقت الحرب على العراق ثم فترة الاجتياح الأميركي، بعمق علاقاتي الشخصية بجاك شيراك وفلاديمير بوتين، كنا متقاربين جدا وتعلمنا كيف يثق الواحد منا بالآخر. في بداية عهدي وعلى الخصوص خلال قمة الاتحاد الأوروبي تحت رئاسة برلين عام ١٩٩٠، كانت لي علاقات بعيدة بالرئيس الفرنسي وفي كثير من الأحيان شابها البرود ولكن ومن جهة اخرى جاك شيراك شخصية يجب التقرب منها كلما سمح الأمر بذلك لاكتشاف من يختبئ وراء إيماءات هذا الفرنسي ذي القناعات الثابتة والشجاعة. لقد سهلت برناديت شيراك من جانبها كذلك هذا الانفتاح وهناك أيضا عائلتي بمن فيهم زوجتي وأولادي وبواسطتهم نمت علاقة بيننا، فشيراك يكن محبة وحنانا كبيرا لفيكتوريا ابنتنا الروسية التي تبنيناها منذ فترة وكانا يتواصلان عن طريق الهاتف من وقت لآخر. كانا يتوافقان دائما حتى وإن لم يفهم احدهما الآخر في غياب المترجم.

وإذا ما كانت الأزمة العراقية قد أدت الى إحداث تقارب فرنسي ألماني، فإنها في المقابل سببت أزمة كبيرة في أوروبا وقد أظهر الأمر تصريح ورسالة صدرا في

الموضوع، لقد نشرت الوول ستريت جورنال رسالة وقعها كل من توني بلير وخوزي ماريا ازنار وسيلفيو برلوسكوني، بالإضافة إلى رؤساء دول أو حكومات كل من البرتغال والدنمارك وجمهورية التشيك والمجر وبولونيا، وتؤكد الرسالة أن الرابط الأساسي الذي يجمعنا هو ضمان حريتنا فلا الهيئات الأوروبية ولا فرنسا ولا ألمانيا أُخطرت بما تمت المصادقة عليه في بروكسل، فباريس وبرلين تنحتا بعنف عن البيت الأوروبي، ونسبت ليبيراسيون في ذلك لشيراك قوله هذا غريب تكلمت هاتفيا لتوي مع بلير ولم ينبس ببنت شفة في الموضوع.

أيام من بعد، انضمت خمس دول الى الاتحاد الأوروبي من بينها سلوفينيا وسلوفاكيا، فيما تأجل انضمام كل من رومانيا وبلغاريا ولم تتحصل ثلاث دول هي كرواتيا وألبانيا ومقدونيا وكلها وقعت إعلان فيلينيوس.

لم تكن كلمة أزمة قوية حتى تطلق على ما حصل في أوروبا، فاصلين بذلك أنصار اتحاد أوروبي متعاطف ومقرب من الأميركيين عن أولئك الذين يرمون إلى بناء اتحاد أوروبي مستقل عن الولايات المتحدة الأميركية.

اشتعلت الآلة الأميركية بتاريخ الخامس من فبراير عام ٢٠٠٥ عندما أظهر كولن باول صورا وتقارير تنصت هاتفي، تشير إلى أن العراق يخبئ طائرات تجسس من دون طيارين، بإمكانها رش جيرانها ودولاً أخرى بما فيها الولايات المتحدة الأميركية بالجراثيم والبكتيريا، كما تشير إلى حركة مشتبه فيها للشاحنات.. باختصار، فالعراق حسبه بصدد إغراق المفتشين في الطحين بعيدا عن الحقيقة.

شككت الاستخبارات الفرنسية في ما قدمه كولن باول، ولتنطلق مديرية الاستخبارات العامة بسرعة في تحليل ما جاء على لسان المسؤول الأميركي، واستخلصت أن لا جديد طرأ ولا إثبات موضوعي ضد العراق، ولم تؤكد غير المناورات التي التقطت صور لها عبر الأقمار الصناعية وهو أمر لا يكفي على الإطلاق للإدانة حسب الاستخبارات الفرنسية.

واستند باول في حديثه عن العلاقة التي تجمع بين العراق والقاعدة عن طريق الزرقاوي، إلى اعترافات الموقوفين، غير أن الاستخبارات الفرنسية على اطلاع بهذه الاعترافات، لكنها لم تستنتج النتائج نفسها.

كانت الاستخبارات الفرنسية تتقاسم جزءا من التحليل الذي قدمته نظيرتها الاميركية، لكنها أشارت إلى غياب إثباتات، بحيث إنها لم تكن متأكدة من ان أنابيب الالمنيوم التي اشتراها العراق موجهة إلى الصناعة النووية.

توجه الرئيس الأميركي بتاريخ السادس من فبراير إلى الرئيس العراقي صدام حسين بالقول بان اللعب صار مكشوفا، بعد أن اطلع على براهين كولن باول حول امتلاك العراق لأسلحة نووية، لكن شيراك هاتف بوش بتاريخ السابع من فبراير في حدود الساعة الخامسة مساء وأكد له وجوب تفادي الحرب، لأن المفتشين يؤكدون بأنهم توصلوا إلى نتائج جيدة وعلينا اتباعهم.

'شكرا، جاك، أنت رجل منسجم وأقدر ذلك وأنا أيضا لا أحب الحرب ومن المهم أن تعرفوا بأن صدام حسين يمثل خطرا مباشرا على الشعب الأميركي'.

بعد هذه الجملة الصادمة، عرف شيراك أنه لن يستطيع إقناع الأميركيين، لكنه فكر في مرحلة ما بعد الحرب وقال 'علينا أن نعثر على أنفسنا'، لكن بوش أجاب 'شكرا تحاليلنا مختلفة وأنا أصر على ما قدمناه...'

على الرغم من كل شيء أعاد شيراك عرض حججه حتى لا تقوم الحرب لينهي المكالمة بالقول 'باختصار، لدينا مقاربتان مختلفتان. احترمونا'.

لم يتبادل الرجلان أي محادثة طيلة تسعة أسابيع، إلى غاية ١٥ أبريل ٢٠٠٣، غير أن الإدارة الأميركية لجأت إلى كل الأساليب حتى يغير الرئيس الفرنسي موقفه وعلى الخصوص نشر إشاعات، ويقول شيراك إن وكالة الاستخبارات الأميركية حاولت أيضا أن تشرح بأن صداما يحتمل أن يكون قد اشتراني ولم يحرك الأمر في شيئا. لقد كررت بأنهم يتجندون في عملية ستنتهي إلى تفجير العراق ثم العالم كله، لأن الحرب الأهلية ليست حلا لأحد، وهو بالضبط ما يحصل في الوقت الراهن.

سانشيز : لهذا لم يُسقط بوش الأب نظام صدام حسين !!

وصف ريكاردو سانشيز، القائد العسكري الأمريكي الذي قاد قوات التحالف في العراق لمدة عام ابتداء من شهر يونيو عام ٢٠٠٣، الإستراتيجية التي يتبعها الرئيس الأميركي جورج بوش الابن في العراق بأنها "فشل كارثي" و"كابوس لا نهاية له"، وهو التصريح الذي أعاد طرح الصراع التقليدي بين المدنيين والعسكريين في الإدارة الأمريكية ونموذج إبعاد كولن باول صاحب الخبرة العسكرية من صناعة القرار في الحرب على العراق يعد برهانا على هذا الصراع، حيث صرح باول لمقربيه بأن جماعة بول وولفويتز والمدنيين في إدارة بوش الابن وضعته في الثلاجة ومتى احتاجوا إليه أخرجوه منها كما جاء في كتاب " بوش محاربا" لبوب وودورد ..وعلى عكس هذا الصراع التقليدي بين المدنيين والعسكريين في الإدارة الأمريكية فإن التوافق كان كبيرا في إدارة بوش الأب بين حسابات العسكريين الذين كان يقودهم كولن باول كقائد للأركان العسكرية والخارجية التي كان يقودها جيمس بيكر، ويتضح هذا التوافق والتقارب من حسابات الخسائر الإستراتيجية الكبرى التي وضعتها إدارة بوش الأب في حالة الإطاحة بصدام حسين في فترة ما بعد تحرير الكويت، وفي حينها كانت القوات الأمريكية على مرمى حجر من قصر صدام حسين، وكل هذه الحسابات وثقها جيمس بيكر في مذكراته التي عنونها بسياسة الدبلوماسية، وهي حسابات تتكبد إدارة بوش الابن خسائرها عندما أقدمت على الإطاحة بنظام صدام حسين واحتلال العراق.

أولى الخسائر الإستراتيجية التي وضعتها إدارة بوش الأب في حالة الإطاحة بصدام حسين بعد تحرير الكويت أن يتحول صدام لبطل قومي وأن تتحول عملية تحرير الكويت إلى غزو أمريكي للعراق، وهو ما كانت تعتبره إدارة بوش الأب بالأمر السخيف من وجهة نظر عملية على حد تعبير جيمس بيكر.

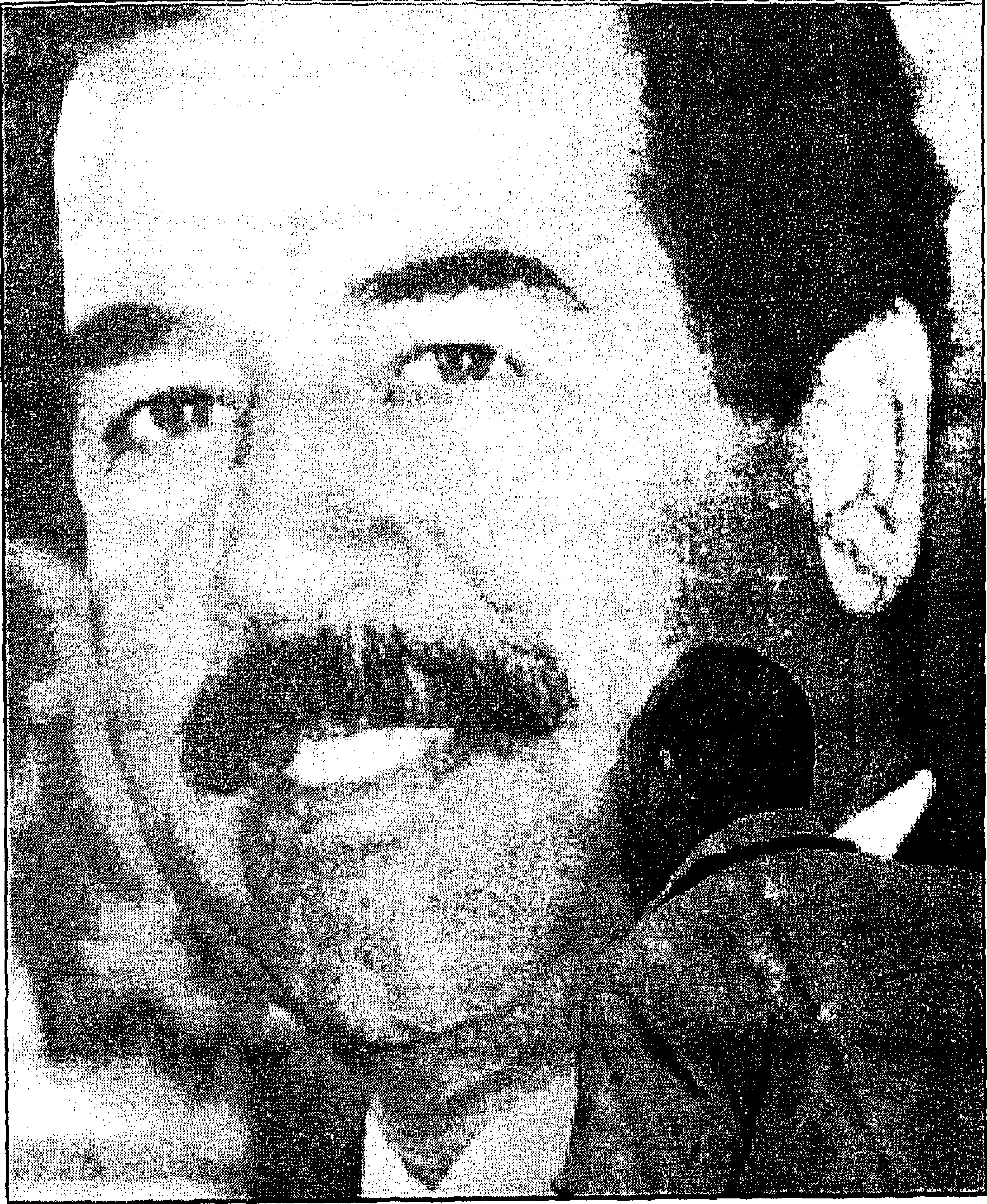
ثاني الخسائر الإستراتيجية، أن العراق يفتقد لمعارضة ديمقراطية منظمة، وهو ما يسمح بإقدام الجنود المدنيين العراقيين على مقاومة استيلاء العدو على بلدهم بضراوة لم تحدث في ميدان المعركة في الكويت.

ثالث الخسائر الإستراتيجية، أنه في حالة الإطاحة بنظام صدام حسين أو وقوعه في الأسر ستظل القوات الأمريكية تواجه شبح الاحتلال العسكري لأجل غير معلوم لتهدئة البلد ودعم الحكومة الجديدة التي تتولى السلطة، ويقينيا ستؤدي حرب المدن إلى سقوط خسائر بشرية بين الجنود الأمريكيين مما سيثير عاصفة سياسية في الداخل وانتقادات كثير من الحلفاء ثم تفكك التحالف.

رابع الخسائر الإستراتيجية التي حسبتها إدارة بوش الأب في حالة الإطاحة بنظام صدام حسين حسب مذكرات جيمس بيكر، أن ضعف العراق سيفيد ملالي إيران الذين سيتحالفون مع شيعة العراق، وسرعان ما يتحولون إلى قوة هيمنة إقليمية، وهو هاجس أمني تحسب له إدارة بوش الأب وحلفاءها ألف حساب.

وفي الأخير كانت توصيات إدارة بوش الأب تحذر من انغماس الجيش الأمريكي في حرب أهلية في العراق، وهي كلها حسابات إستراتيجية كانت عكس طموحات وحسابات إسرائيل الإستراتيجية التي عبر عنها شامير-رئيس الوزراء آنذاك- الذي أبدى قلقا كبيرا لجيمس بيكر وصرح قائلا له:"مثل هذا الرجل-يقصد صداما-هو الذي كلفنا الكثير من الخسائر، والذي جرؤ على مهاجمتنا بالصواريخ، وهو رجل لا يمكن أن نتعايش معه.."..وعندما جاءت إدارة بوش الابن فهمت خطاب شامير ونفذت تعليماته وكانت الحجج المضللة تتساقط ضد نظام صدام حسين تارة باسم ما عرف إعلاميا بفضيحة "النيجر غيت" حيث اتهم صدام بشراء اليورانيوم المخصب من النيجر، وتارة أخرى الربط المزعوم بين تنظيم القاعدة ونظام صدام حسين، وتارة أخرى أن نظام صدام حسين لديه القدرة على تدمير الغرب في فترة لا تتجاوز الخمس والأربعين دقيقة حسب شهادة توني بلير التي رددها كولن باول في أروقة الأمم المتحدة ثم اعترف بأنه تم تضليله بوثائق مزورة اعتمدها توني بلير من رسالة ماجيستير لطالب بريطاني منشورة في الإنترنيت.

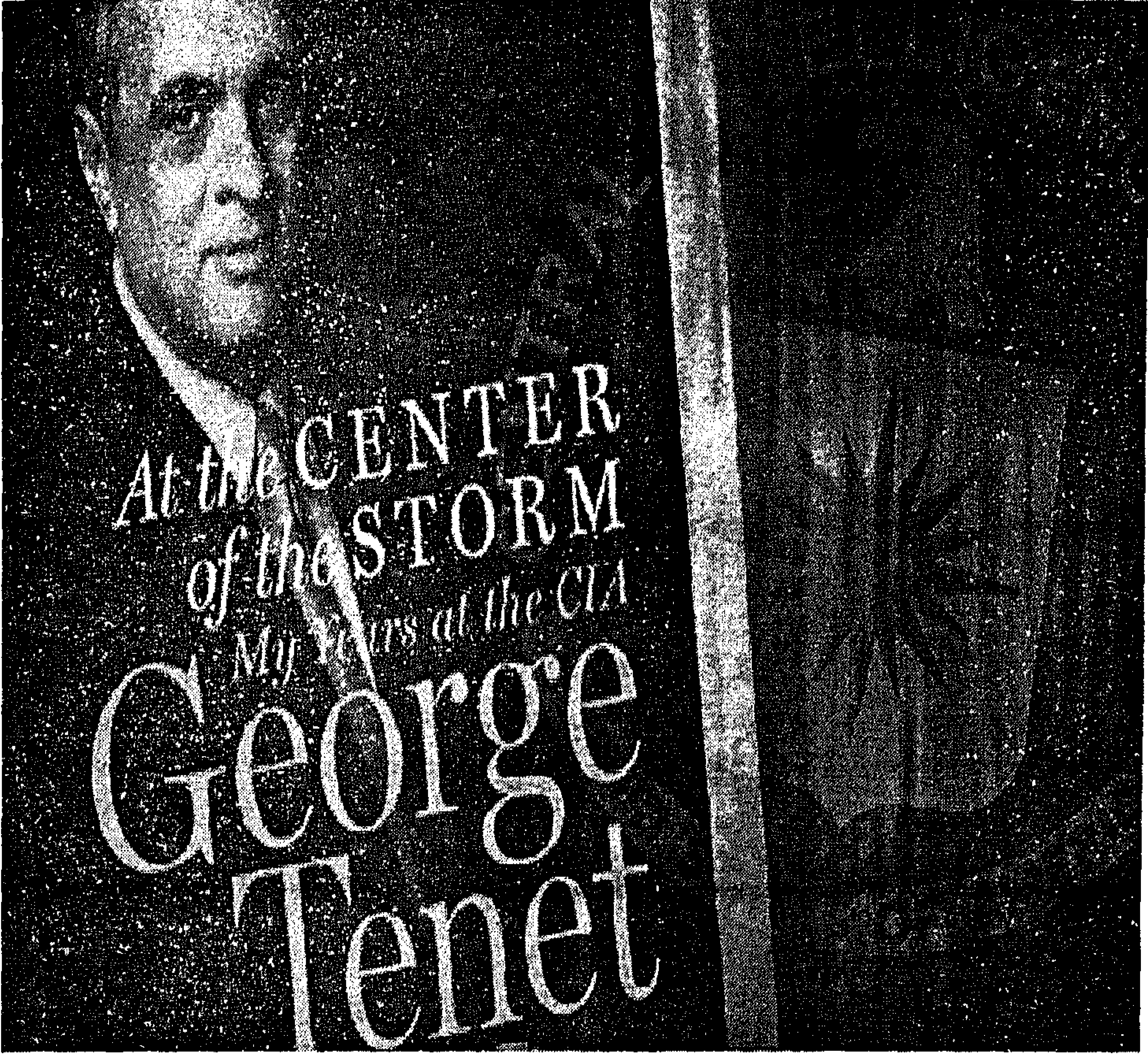
وأمام هذه التضليلات لا يتوانى الرئيس بوش الابن بأن يشرح كل أفعاله طبقا لمعتقداته، وكأنه نبي القرن الواحد والعشرين ينزل عليه الروح المقدسة وهو يدعي بأنه كليم الله، وهذا ما أكده لصحيفة" هآرتس نيوز" الإسرائيلية قائلا " طلب مني الرب أن أضرب القاعدة وقد ضربتها، ثم أنه أمرني بأن أضرب صداما، وهذا ما فعلته" ..وفي كل الحالات فإن الخسائر الإستراتيجية الأربع التي عددها جيمس بيكر في مذكراته في حالة الإطاحة بنظام صدام حسين كلها وقعت على رأس بوش وزمرته التي أفلس خطابها، من دونالد رومسفيلد، وبول وولفويتز، وريتشارد بيرل ولويس ليبي..والقائمة طويلة ستصل إلى ديك تشيني العقل المدبر للمحافظين الجدد..وهي في النهاية "فشل كارثي " و"كابوس لا نهاية له" على حد تعبير ريكاردو سانشيز.



صدام حسين إبان سطوته وعنفوانه، والذي احتل مساحات كبيرة من مذكرات زعماء وقادة ورجال مخابرات العالم !!

اللقطة الشهيرة لمقابلة صدام مع رامسفيلد الذي وصل بغداد لبحث سبل تقديم الدعم لصدام في حربه مع إيران !!

عراقي يتابع نبأ اعتقال صدام بعد انقلاب الأمريكيين عليه وغزو العراق وإسقاط نظامه تمهيداً لمحاكمته !!



مذكرات تينيت " في قلب العاصفة " التي كشف فيها عن دخوله العراق سرّاً قبل الغزو وتخطيطه لاغتيال صدام !!



"الأمر لا يحتاج إلى بطل " .. مذكرات الجنرال نورمان شوارتزكوف التي تحدث فيها عن تحضيرات غزو العراق ومحاولات اغتيال صدام .



و لقطات لصدام أثناء محاكمته التي انتهت بإعدامه !!



مشهد إعدام صدام الذى روى محققه في مذكراته كيف أنه بكى كالطفل عند سماعه الحكم بإعدامه شنقاً على هذا النحو !!

١٠ حسني مبارك

ريجان : مبارك تمسك بكامل

الأرض .. و دون نقصان !!

احتل الرئيس المصري حسني مبارك مساحة غير قليلة من مذكرات الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان التي صدرت عن دار نشر هاربر كولينز، وقام بتحقيقها المؤرخ المعروف دوجلاس برينكلي وتقع في ٧٨٤ صفحة عام ٢٠٠٤ .

وقد ظهرت يوميات الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريجان إلى النور في صورة مجلد ضخم حيث اعتاد الرئيس الراحل علي تدوين يومياته في البيت الأبيض بلا انقطاع خلال فترة رئاسته (١٩٨١-١٩٨٩) باستثناء الأيام التي تعرض فيها لمحاولة الاغتيال الشهيرة في مطلع الثمانينيات .

اليوميات حافلة بالتفاصيل عن السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية ولكن في لقطات سريعة كاشفة تنم عن موهبة في الاختزال وتمرس في الكتابة ووعي بالتفاصيل.. وبرغم تناثر القضايا بين دفتي المجلد الكبير فإن تتبع خيوط القضايا والشخصيات يرسم ملامح فترة كاملة بدأت بتوليه السلطة في مطلع عام ١٩٨١ وانتهت برحيله عن البيت الأبيض في يناير ١٩٨٩ ليتولي بعده الرئيس جورج بوش الأب السلطة لتتغير أشياء كثيرة في الشرق الأوسط خاصة بعد حرب الخليج الأولي في أغسطس عام ١٩٩٠.

خصص ريجان الكثير من يومياته للشرق الأوسط ومن بينها الدبلوماسية الأمريكية تجاه مصر ومقابلاته بالرئيس حسني مبارك في واشنطن والرسائل التي بعث بها الرئيس مبارك إلي ريجان بشأن قضايا حيوية ومهمة.

حيث تكشف اليوميات عن الجهد المصري الدؤوب للتوصل إلي تسوية شاملة منذ مطلع الثمانينيات في صورة مؤتمر موسع وشامل وقبل وقت طويل من انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في أواخر ١٩٩١، والذي أعقب طرد القوات العراقية من الكويت والرغبة في وضع حد للصراع العربي - الإسرائيلي.. وكذلك، ما بذلته مصر من جهد دبلوماسي لمنح ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية شرعية دولية كمتحدث باسم الشعب الفلسطيني وهو ما تسبب في بعض التوتر في العلاقات المصرية- الأمريكية، هي رؤية للأحداث الكبري بقلم رئيس أمريكي ينظر إليه اليوم باعتباره واحدا من أعظم من حكموا الولايات المتحدة وتعطي جانبا من الحقيقة وليس كل الحقيقة لكنها في النهاية جديرة بالنقل والتأمل والتحليل..

يستهل ريجان يوميات الشرق الأوسط يوم ١٦ يناير ١٩٨٢ حيث يروي من جانبه- بالقطع- تطور الحوادث بعد اغتيال الرئيس السادات فيقول إن إلكسندر هيج وزير الخارجية عاد بأنباء غير سارة من الشرق الأوسط حيث هناك احتمال بتخلي الرئيس الجديد حسني مبارك عن اتفاقات كامب ديفيد وإعادة العلاقات مع أشقائه العرب فور استعادة سيناء، في الوقت الذي يمكن أن يعدل مناحم بيجن (رئيس الحكومة

الإسرائيلة) عن إعادة سيناء برغم أنه أقسم أنه لن يفعل ذلك، شارون هو الرجل الشرير الذي يبدو أنه يتطلع إلي الحرب.

وفي ١٣ فبراير يروي ريجان تفاصيل اللقاء الأول بالرئيس مبارك في البيت الأبيض حيث عقدا لقاء منفردا في المكتب البيضاوي ويقول ريجان: كان لدي برنامج كامل عن القضايا التي أود طرحها وقد بدأ الرئيس بتوضيح موقفه من الاتحاد السوفيتي وقد أصغيت إلي ما قاله.. في اليوم التالي كتب ريجان: قررنا منح مصر ٤٠٠ مليون دولار من أصل ١،٣ مليار دولار في صورة مشتروات أسلحة كمنحة لا ترد مقابل ٢٠٠ مليون كانت مقررة سلفا.

ويشير ريجان إلي حنكة مبارك في التعامل مع مسألة السماح بمرور سفن تعمل بالوقود النووي لقناة السويس حيث رد الرئيس علي الطلب الأمريكي بالإشارة إلي أن السوفيت سوف يطلبون المعاملة بالمثل في حال سماح مصر للأمريكيين بالمرور.

وفي يوم ٢٥ أبريل ١٩٨٢، يستهل ريجان اليوميات بالإشارة إلي عودة سيناء إلي السيادة المصرية بالقول إن مبارك وبيجن قالا معا السلام للأبد.. ويوضح: قمت بالاتصال بكل من مبارك وبيجن إلا أن مكالمة بيجن كانت حساسة لأن تلك التجربة كانت صدمة.. فالكثير من أبناء شعبه رفضوا التخلي عن سيناء فكان علي الجيش غير المدجج بالسلاح طردهم ونفذ الجيش الإسرائيلي المهمة. وقال ريجان إنه تعهد لكلا الطرفين بأن أمريكا سوف تساعد بأي وسيلة ممكنة لتدعيم عملية السلام..

وفي أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان، يكتب ريجان عن وصول كمال حسن علي رئيس الوزراء المصري- في ذلك الوقت- حاملا رسالة إليه من الرئيس مبارك يبلغه فيها أن العلاقات المصرية- الإسرائيلية تعرضت لأضرار بالغة وعلى إثرها يقول ريجان في يوميات ١٢ نوفمبر ١٩٨٢ إن عليه- في اجتماع مقبل مع مناحم بيجن.. إقناع رئيس حكومة إسرائيل بالتوقف عن العناد.

وقد تأكدت اللهجة الحادة التي تعامل بها مبارك مع بقاء إسرائيل في لبنان في القمة التالية في البيت الأبيض في٢٧ يناير١٩٨٣ حيث كتب ريجان: وصول الرئيس مبارك عقدنا اجتماعات هادفة وأكدنا عمق العلاقات لكنه- الرئيس مبارك- كان قلقا بشدة من عناد الإسرائيليين فيما يخص خروجهم من لبنان.

وأعرب مبارك عن تخوفه من أن مبادرة السلام ربما تتعرض للموت نتيجة للعناد الإسرائيلي.

وفي زيارة مبارك للبيت الأبيض في٣٠ سبتمبر١٩٨٣ كتب ريجان عن مناقشة الجوانب الاقتصادية في العلاقات المشتركة وإدراك واشنطن أن مبارك تسلم البلد وهي تعاني من ضائقة مالية وقال: نحن نحاول المساعدة بالإضافة إلي المساعدة في تحديث الجيش المصري.. أظن أننا نطور علاقة قوية.

وفي قمة١٤ فبراير١٩٨٤ يقول ريجان: الرئيس يرغب في تحقيق تقدم في مبادرة السلام دون انتظار لاتفاق في لبنان، وقد انضم العاهل الأردني الملك حسين بن طلال إلي المحادثات ومأدبة الغداء في البيت الأبيض لمناقشة خطط السلام لكن في عبارات التوديع فجأة طلب الرئيس مبارك بانسحاب إسرائيل من لبنان وضم عرفات إلي خطط السلام المستقبلية .

ويعلق ريجان على ما قاله الرئيس مبارك في اليوميات بالقول: سنكون مشغولين لفترة من الوقت بالتوصل مع حلول مع إسرائيل، لقد كانت صدمة- طلب الرئيس مبارك- لأننا ناقشنا لعدة ساعات المشكلات الخاصة بالاعتراف بعرفات.. إلخ.

ويعود الرئيس مبارك إلي واشنطن مجددا في١٢ مارس عام١٩٨٥ حيث يشير ريجان في اليوميات إلي قضاء معظم الوقت في مناقشة إمكان إجراء محادثات بين إسرائيل والأردن بينما كانت النقطة الصعبة هي إصرار الفلسطينيين على تمثيل أنفسهم في المفاوضات.. ويقول ريجان: استقر الرأي علي ما طرحه الرئيس مبارك من فكرة تدعو الولايات المتحدة إلى التعامل مع الفلسطينيين والأردن ثم بعد

ذلك(فكرتنا) الخاصة بتكرار الاجتماع بحضور تمثيل إسرائيلي، عندها، ستكون المحادثات مباشرة بين الملك حسين وإسرائيل.

و في أكتوبر من عام١٩٨٥ تفجرت أزمة اختطاف السفينة الإيطالية اكيلي لاورو وتوارد أنباء عن قيام خاطفين فلسطينيين بقتل أمريكيين علي متنها .

ويروي ريجان القصة من الجانب الأمريكي في اليوميات بالإشارة إلي دراسة الولايات المتحدة لخطة التحرك في ٨ أكتوبر وفي اليوم التالي جاء النبأ بخبر عودة السفينة، التي كانت تقل٤٠٠ راكب بينهم١٩ أمريكيا، إلي ميناء بورسعيد واستسلام المسلحين للسلطات المصرية التي سلمتهم لمنظمة التحرير الفلسطينية التي أخرجتهم من مصر.

ويقول ريجان كان الخاطفون اربعة لكننا فيما بعد علمنا أنهم قاموا بقتل أمريكي مقعد في التاسع والستين من العمر ولم نتمكن من القيام بعملية الإنقاذ المقررة.

وفي يوميات١٠ أكتوبر يقول ريجان: في طريق عودتي إلي واشنطن أعطيت موافقتي على اعتراض طائرة مصرية ومحاولة إجبارها علي الهبوط الاضطراري في قاعدة تخصنا في البحر المتوسط، كانت الطائرة تقل الخاطفين الأربعة وكنا نريد تسليمهم للسلطات الإيطالية لمحاكمتهم دون مهاجمة الطائرة..

ويكتب يوم١١ أكتوبر: أنباء عن إجبار الطائرة علي الهبوط في صقلية لكن الرئيس مبارك يبدي غضبه مؤكدا أن تلك إهانة واصفا ما قمنا به بأنه قرصنة.. ويواصل ريجان في يوميات ١٨ أكتوبر١٩٨٥ بعد أسبوع من القرصنة علي الطائرة الإشارة إلي الأزمة حيث يقول: حضر السفير المصري إلي البيت الأبيض حاملا خطابا مطولا من الرئيس مبارك يطلب فيه من ريجان تفهم الموقف لكنه يؤكد من جديد ويصر على أن تصرف أمريكا يمثل إهانة وفي إشارة إلي اتساع الفجوة في الموقفين المصري والأمريكي في تلك الأزمة قال ريجان إن السفير المصري تحدث إليه بصوت خفيض ضع نفسك مكاننا لكن ريجان رد: هذا الشيء يجب أن يكون متبادلا.

ويروي ريجان كيف نشطت التحركات المصرية- الأمريكية لعقد مؤتمر دولي للسلام في العام الأخير لوجوده في البيت الأبيض حيث يقول إن الرئيس مبارك زار واشنطن في٢٨ يناير١٩٨٨ حيث غطي الصراع العربي- الإسرائيلي علي مجمل المحادثات في المكتب البيضاوي والقاعة الشرقية وقال ريجان إن اللقاء مع الرئيس مبارك تركز علي محاولة إقناع رئيس الحكومة الإسرائيلية إسحاق شامير بالموافقة علي حضور مؤتمر للسلام واصفا القمة بأنها كانت جيدة .

ويشير ريجان في يوميات ٦ يونيو ١٩٨٨ إلي أن جورج شولتز وزير الخارجية فشل في مهمة جديدة للمنطقة في إقناع شامير بالمشاركة في عقد مؤتمر موسع برغم محاولات الرئيس مبارك والملك حسين لدفعه في هذا الاتجاه.

وقبل شهرين من خروجه من البيت الابيض، يكتب ريجان عن رسالة الرئيس مبارك الأخيرة في ٢٩ نوفمبر١٩٨٨ والتي قال عنها أن الرئيس مبارك ناشده السماح بإصدار تأشيرة دخول للأراضي الأمريكية تسمح لياسر عرفات بالمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك لكن ريجان يقول في اليوميات: آسف لا يمكنني فعل ذلك (كان شولتز قد أعلن في٢٨ نوفمبر قرارا بعدم منح ياسر عرفات تأشيرة دخول للأراضي الأمريكية وقال ريجان إن إسرائيل كانت سعيدة بالقرار).

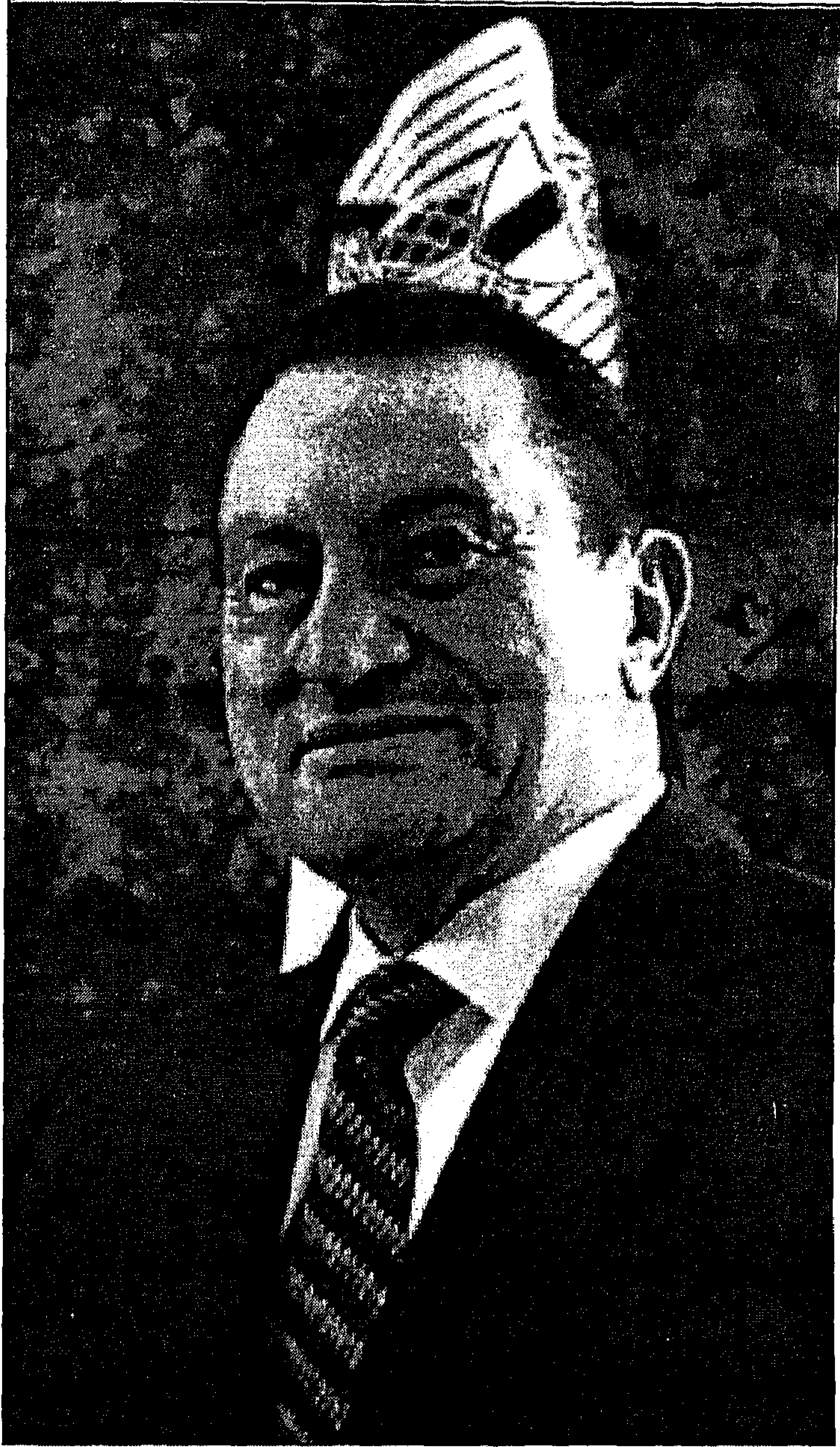
ويعود ريجان في يوميات١٢ ديسمبر١٩٨٨ إلي ياسر عرفات ويقول إن السويديين أبلغونا أن عرفات سوف يلقي خطابا أمام الأمم المتحدة في جنيف، وأن خطابه سوف يتناول نقاطا سبق أن دعت إليها الولايات المتحدة وأن الرئيس مبارك أرسل لي خطابا يؤكد أن عرفات علي طريق السلام.

تينيت : مبارك شخصية تاريخية

و نجا بأعجوبة من الموت بأثيوبيا !!

ويتناول جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " سي . آي . إيه" السابق الحديث عن مبارك في مذكراته الصادرة عام ٢٠٠٧ بعنوان : " في قلب العاصفة : سنواتي في سي . آي . إيه " من خلال قربه منه بصفته عضواً في فريق التفاوض الأمريكي حول السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين في شرم الشيخ بحضور الرئيسين الأمريكي بيل كلينتون والمصري حسني مبارك .

يقول تينيت في مذكراته : لم أكن أعرف حسني مبارك جيّداً، لكنّه أحد أكثر الشركاء موثوقية في محاربة الإرهاب ومحاولة تحقيق السلام في الشرق الأوسط. لم تكن علاقتنا علاقة الندّ للندّ. إنّه شخصية تاريخية مهمة. فهو يرأس مصر منذ سنة ١٩٨١، في أعقاب اغتيال السادات. وكان هو نفسه قاب قوسين أو أدنى من التعرّض للاغتيال سنة ١٩٩٥، عندما كان في أثيوبيا، وبعد أربع سنوات نجا من الموت أيضاً عندما هاجمه أحدهم بسكين. إنّه يمتلك حكمة كبيرة، وثمة جانب مرح فيه على رغم أنّه رجل جدّي. وكانت قمة تشرين الأول في شرم الشيخ مثالاً على ذلك. فقد أمضيت أنا وعمر سليمان النهار بأكمله محبوسَين في غرفة مع الفلسطينيين والإسرائيليين للتوصل إلى صفقة أمنية. وعندما فرغنا، ذهبت لأطلع ياسر عرفات على التفاصيل، في حين جلس مبارك على كرسي في ركن الغرفة. كان لدى عرفات في مثل هذه الظروف طريقة في النظر إليّ كأنّني أتحدّث لغة أجنبية غير مفهومة. وذلك أمر معهود عنه، كان يشتري الوقت للتفكير في الأمور. لكن في هذه المناسبة لم يكن الأمر كما هو مألوف. فقد رأيت بزاوية عيني حسني مبارك، الرئيس المصري، ومستضيف المؤتمر، وأقرب ما يكون الضامن لفلسطين، ينظر إلي وإلى عرفات وهو يحرّك إصبعه قرب رأسه، وتلك هي الإشارة الشائعة التي تعني أنّ «الشخص الذي تتحدّث إليه لا يفهمك »! وتابعت الاطلاع – فأنا مهني مدرّب في النهاية – لكن لم يكن الأمر سهلاً، وبخاصة عندما استسلم مبارك للضحك بهدوء بعد أدائه حركته تلك.



الرئيس المصري حسني مبارك الجميع تحدثوا عنه في مذكراتهم لدوره كرئيس لدولة محورية في جميع الأحداث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط .



مبارك وكلينتون والملك حسين في شرم الشيخ



مبارك يستقبل تينيت

١١ إياد علاوي

بريمر : حكاية السبعة

و أولهم علاوي !!

تسلم الدكتور اياد علاوي، رئاسة الحكومة العراقية في نهاية يونيو عام ٢٠٠٤، وهي الحكومة ذاتها التي تسلمت سيادة العراق من سلطات الاحتلال التي كان يترأسها الحاكم المدني السفير الأميركي بول بريمر. وكان كل شيء في العراق منهارا، فقد حل بريمر الجيش والدولة ومعها كل المؤسسات الأمنية والمدنية. وكان على علاوي أن يبني كل شيء من جديد في ظل ظروف صعبة ومعقدة للغاية.

وعند قراءة كتاب " سَنَتي في العراق " الذي يحمل مذكرات بول بريمر أول حاكم أمريكي للعراق بعد الغزو والاحتلال متوقفا ،، هذه المذكرات التي تعتبر من الكتب المهمة التي تتناول أصعب سنة سياسية أسست لسنوات، هي من اقسى ما يمر به العراق منذ هولاكو وجينكيزخان، بسبب الدمار والقتل الجماعي الذي يجتاحه .

المنفيون المنشقون.

ربما تكون واحد من الأخطاء المقصودة التي عناها بريمر في كتابه هذا، أن سمى المعارضة العراقية المناهضة لحكم صدام بـ " المنفيون المنشقون الذين يعيشون في الخارج " وهذه التسمية لا تخلو من هدف. طبعا بعيدا عن نظرية المؤامرة التي يجلد بها بريمر العقل العراقي عند كل سؤال مدقق. فأصل كلمة " منشق " في القاموس السياسي، لاسيما العراقي، تعني أن ينسلخ مجموعة من الأشخاص، أو أفرادا من كيان سياسي أو اجتماعي معين، ليكونوا تنظيما آخر غير التنظيم الذين انشقوا عنه، أو أن الأفراد يعملون بالضد من تنظيمهم الأصلي .

فهل يقصد بريمر بتسمية من اجتمعوا في مؤتمر لندن الذي يراه نتاج لقانون تحرير العراق الذي سنه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون عام ١٩٩٨، بـ "المنشقون المنفيون " لخلق انطباع على أنهم كانوا جزءا من النظام الصدامي وحزب البعث؟! أم ماذا ؟!

لم أجد ما يبرر هذه التسمية غير خلق حالة من الألتباس في ذهن قارئ هذا الكتاب، ومع ذلك يذهب بريمر في مسار اللعبة إلى آخر مدياتها، ولكن على مراحل، حينما شدد عند اجتماعه بما سماه "مجلس القيادة العراقي " أو" مجموعة السبعة" المكونة من المنفيين الذين لم يكونوا قد حظوا بالتأييد الأمريكي الكامل بعد، على أن سلطة الائتلاف المؤقتة تعلق أهمية بالغة في موضوعة الشراكة مع هذا المجلس في إدارة الحكم لاسيما أثناء الانتقال إلى الحكومة البديلة لسلطة الائتلاف المؤقت، التي يطالب بها هذا المجلس المكون من الشخصيات التي عينها مؤتمر لندن بمباركة أمريكية معلنة، وقد حرص بريمر في مجال تعريفه بهذه الشخصيات أن لا يقول كل شيء عنهم دفعة واحدة، بل نجده يرسم الصورة الوصفية لكل من في هذا المجلس تراكميا مع سيرورة الكتابة. ولا يكمل صورة من يروي سيرتهم إلا مع نهاية الكتاب.

أول أسماء السبعة كان أحمد الجلبي، الطفل الأعجوبة الذي حصل على الدكتوراه في الرياضيات بعمر مبكر من جامعة شيكاغو، والذي كسب ثروة من التعاملات

التجارية المشبوهة في بعض جوانبها، وهو يرتبط بعلاقات وطيدة مع الكونغرس ومع عدد من رجال البنتاغون بعيدا عن وزارة الخارجية أو الأستخبارات المركزية - حسب بريمر!

ثم ينتقل إلى إياد علاوي، إذ يقول عنه بأنه قد عمل من بعيد مع أجهزة استخبارات غربية وعربية، ناهيك عن توصيفه والجلبي بالشيعة العلمانيين .

اما عن مسعود البرزاني فيصفه بالمحارب الكردي الصلب، وبزعيم القبيلة الكبير، الحذر، القصير، المكتنز الجسم صاحب الشعر المنحسر القريب الشبه بالقذيفة - وهذا أيضا من بريمر - أما عن جلال الطالباني فهو الكردي الأشيب، القصير الممتلئ البشوش الوجه بالشاربين المحفوفين . الذي قدم مع البارزاني مجموعات من ميليشياتهم (البيشمركّه) إلى جانب قوات الائتلاف الخاصة أثناء الغزو، ولم ينس الإشارة إلى أن هذه الميليشيات كانت تتقاتل بشراسة فيما بينها في تسعينيات القرن المنصرم .

ويعكف إلى السيد نصير الجادرجي المحامي السني المحترم، قائد الحزب الديمقراطي الوطني العلماني الصغير الذي سحقه البعثيون في نهاية ستينيات القرن الفائت. وعند الجعفري يتوقف كثيرا، فهو ذلك الطبيب الذي على غرار علاوي، والإسلامي الشيعي المجبر على اللجوء إلى المنفى.

أما عن عبد العزيز الحكيم فله عنه آراء كثيرة ولكنها تتجه إلى نقطة واحدة، هي عدم الاطمئنان إلى وعوده. فالسيد الحكيم حسب بريمر، رجل نحيل ملتحىّ. معروف بين إقرانه الأعضاء السبعة، ثم يسترسل في تعداد مناقب عائلة الحكيم وصولا إلى ما يريد قوله فيه،إذ يقول بأن الحكيم كان يحظى ببعض الأحترام في أوساط المسلمين الشيعة في العراق، رغم إنه أمضى عشرين سنة في إيران.

ثم يضع الحكيم أمام مرآة المجلس الأعلى للثورة السلامية في العراق، فيصف قادتهم بأنهم معروفون بالصعوبة في تعاملهم مع القوى السياسية العراقية، وأنهم

يبرعون في لعبة حافة الهاوية، وأنهم عنما يهددون، فإنهم يبقون على هذا التهديد حتى اللحظة الأخيرة، ويستدرك للتاكيد بأنه والآخرين سيشهدون هذا الأسلوب فيما بعد.

وكما أشرت فلبريمر في كل من صادفه في العراق من العراقيين رأى يمكن ان يحدد أبعاد صورته في ذهن الإدارة الأمريكية، سلبا أم إيجابا.

لقد كان الهاجس لدى مجموعة السبعة أن يكون هناك سرعة في بذل الجهد لتشكيل حكومة بديلة عن الحكومة الصدامية الساقطة كما جاء على لسان الطالباني الذي أيده في ذلك جميع السبعة وإن بخطابات غير متشابهة.

أما هاجس بريمر فكان فية شيء من المماطلة تحت ذريعة أن يكون السير في تكوين الحكومة الجديدة في مسار تراكمي، بمعنى أن لا يكون تسليم السلطة فوريا كما يشتهي عدد من السبعة، مغيبا فكرة التسليم الفوري للسلطة، مع تداركه لذلك بأن سلطة الائتلاف على أتم استعداد للتنازل عن المسؤولية إلى القادة العراقيين المسؤولين! مستدركا وهو يتطلع إلى الجلبي، إلى أن سلطة الائتلاف تنوي تكوين حكومة إنتقالية بعد بضعة أسابيع، مشددا على رفضه فكرة أن الائتلاف يماطل في تسليم السلطة إليهم، ومؤكدا على نظريته التي تعتمد على العملية التراكمية التي يجب أن يكون هدفها تكوين حكومة تمثيلية بكل المواصفات.

وهنا تطلع إلى الجادرجي ليغرس أول بذور الطائفية في آليات تكوين الحكومة العراقية فقال إن ثمة سنيا واحد فقط بينكم، مشيرا إلى الجادرجي متناسيا أن القادة الكرد هم من السنة أيضا، لكن إغفاله لذلك وسكوت الكرد عن تصحيح ملاحظة بريمر، جعله يتطامن، ولكنه بما يحمل من خبرة في إدارة الحوارات، يغير من دفة الحديث ولو بنفس الإتجاه، حين أكمل بما يعني عدم وجود تركمان أو مسيحيين أو نساء بينهم، وكأنه أقفل الأبواب بوجوه الحاضرين عبر هذه الجمل المركزة التي كانت تشبه إلى حد بعيد كلمات الحق التي يراد بها باطل والتي لا تخلو من الأوامرية، ولكن دون استخدام المطرقة، بحسب الحق الذي منحه إياه الرئيس

بوش، ومذكرا الجميع بأنهم قادمون من الخارج باستثناء الجادرجي، وهذا يعني أنهم لا يمتلكون أدوات إدارة الحكم بما يكفي من خبرة في التعامل مع العراقيين. وأن الحكومة التمثيلية يقتضي أن تضم العديد من العراقيين الذين لم يبرحوا العراق.

فقد عانوا من حكم صدام طيلة عقود كثيرة حسب تعبيره. وبتقديري أنه أراد بذلك الانتقاص من إمكانات أكثرية السبعة، لأسباب احتوتها الأجندة الأمريكية في تعاطيها مع الملف العراقي. لكنه من أجل أن يخفف من شدة خطابه أشاد بالجهود التي قدمتها الأحزاب الممثلة في هذا المجلس.

ويشير بأنه ربما بذكره ذلك الإطراء قد خفف من الحساسية والتبرم اللذين لاحا على الوجوه، وربما لا، فهو لا يستطيع إعطاء رأي أخير لعدم معرفته بمزاجاتهم، ولعدم العمل المشترك معهم سابقا. وقبيل فض هذا الاجتماع دلهم على وجوب أن يجعلوا من أنفسهم هيئة بها تمثيل أكبر لكافة تيارات المجتمع العراقي، طالبا منهم أن يجدوا طريقة لتوسيع أنفسهم خلال أسبوعين. وفي نهاية الاجتماع التاريخى هذا، قدمهم في مؤتمر صحفي انشغلت به الكامرات وأضواؤها المهورة بصخب المراسلين، بعد ان سمى المجلس السيد مسعود البارزاني متحدثا باسمهم بناء على طلب بريمر الذي توجس بأن هذه المجموعة المتباينة أثنيا وروحيا وسياسيا لم تعْتد بعد على التعاون فيما بينها إذ دام اختيار ذلك المتحدث أكثر من نصف ساعة، الأمر الذي رسخ عند بريمر المصاعب اللاحقة بالعمل مع وبين هذه المجموعة، حيث اعتبر الأمر على بساطته، دليلا على ما كان يخمنه من ضعف في إمكانات انسجام ممثلي مؤتمر لندن رغم التعاون الظاهر بينهم

كانت هنالك محاولات كثيرة تتم لإكساب الشرعية لمجلس الحكم ولهذا فقد ذهب وفد منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية للقاء رئيسها جورج بوش وكان من ضمن الوفد عدنان الباجه جي وأحمد الجلبي وعبد العزيز الحكيم.

وقد أشار الحكيم بشيء من الحدة إلى أن العراق يجب أن يتم نقل السلطة فيه على يد حكومة منتخبة وأن السيد السيستاني قد أكد وأصر على ذلك ناهيك عن

المظاهرات العارمة التي شهدتها محافظة البصرة من قبل مؤيدي السيستاني من الشيعة والمطالبين بإجراء انتخابات عاجلة ، وكان رد الرئيس الأمريكي فيه شيء من المكر والمراوغة والمخاتلة عندما أعلن أن العراق ممثلا بقادته الجدد سيواجه المشاكل تلو الأخرى إذا ما ابتعد عن المبادئ التي اختطتها له أمريكا .

وفي لقاء آخر مع كولن باول (وزير الخارجية الأمريكية) التفت فيه إلى عبد العزيز الحكيم وسأله عن حقيقة المظاهرات التي جرت في البصرة بهدوء مبطن بالتهديد ، مما أفقد الحكيم شجاعته (كما يقول بريمر) وأعلن أن هذه المظاهرات هي ترسيخ للديمقراطية في البلاد وللتنديد بهجمات الإرهابيين دون أن يذكر المطالبة بالانتخابات .

وفي جانب آخر من التحركات الأمريكية التي كانت تتم على الساحة العراقية نجد أن بريمر كان يقوم بتحركات على الجانب السني محاولة منه لكسب بعض الأطراف السنية إلى جانب العملية السياسية في العراق ونجد أن هنالك الكثيرين في هذا الطرف رافضين للتغيرات الحاصلة في العراق ليس إيمانا كما يقولون بالوطن وبرزوحه تحت الاحتلال وإنما لضياع مصالح ومكاسب كانوا يمتلكونها إبان العهد السابق ولهذا فإن هؤلاء عندما رأوا أنفسهم قد خسروا كل شيء بدأو يتاجرون بالقضية الوطنية فضاع الوطن بين أولئك وهؤلاء وكل يدعي الوطنية .

وقد بدأ الأمريكان تحركاتهم لكسب ود الجانب السني عن طريق إطلاق سراح مجموعة من المعتقلين في العمليات التي شنتها القوات الأمريكية على المناطق الساخنة والتي تتركز في محافظة ديالى ومحافظة الأنبار والمعروف عن هاتين المحافظتين أن فيهما الكثير ممن ينتمون إلى مناصب قيادية عليا في الجيش والمخابرات والأمن السابقة وتنظيمات حزب البعث المنحل .

وقد كان السنة منقسمين على رأي بريمر بين مؤيد للعمليات ضد القوات الأمريكية وقوات الشرطة الجديدة وبين خائفين وساكتين كون أن الأرضية التي تحيط بهم تحمل الكثير من أقطاب النظام السابق وكذلك وجود تنظيم القاعدة الذي يمد

أذرعه كالإخطبوط في هذه المناطق وبين موالين لتنظيمات القاعدة التي تكاد تكون أهدافها متقاربة مع أهداف تنظيمات حزب البعث المنحل وأهداف البعض من قادة تنظيمات الجيش العراقي السابق وبين فئة أخرى ترغب بالدخول في العملية السياسية وإزاء هذه الانقسامات في الجانب السني والاختلافات نجد ان بريمر بدأ يبحث عن الهدنة من أجل إيجاد صيغة لإصلاح البنية التحتية في المناطق الساخنة وكان الوسيط في بداية الأمر الشريف علي (سليل الأسرة المالكة في العراق قبل ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨) والذي كان يرغب في إعادة الملكية إلى العراق، ولكن لم يصمد اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه إلا لأيام معدودة وعادت العمليات التي تستهدف الأمريكان والتنظيمات العسكرية الجديدة من حرس وطني وشرطة .

وفي هذه الأثناء بدأت عملية الإعداد لقانون إدارة الدولة تتصاعد وتيرتها على كافة الصعد من عملية إعطاء الأكراد فدرالية واستقلال ذاتي مع بعض الارتباطات السياسية مع حكومة المركز ومن غيرها من الصعد الأخرى . وكانت في هذه الفترة تصل الأنباء من النجف الأشرف من أن السيد السيستاني قد قبل بالفترة الانتقالية ولكنه أعلن للأخضر الإبراهيمي أن من يجب أن يمثل الحكومة الانتقالية هم أعضاء مجلس الحكم ... ولا أدري ما الحكمة في ذلك ففي كل ما نراه نجد أن مجلس الحكم قد أظهر فشلا ذريعا في إدارة دفة الحكم في العراق . فقراراته مهزوزة وسياسته تكاد تكون معدومة وقراراته للواقع العراقي لم تكن صحيحة. وبريمر يفسر طلب السيد السيستاني بإبقاء أعضاء مجلس الحكم بأنه محاولة لإبقاء الأغلبية الشيعية في داخل الحكومة ، وأنا أضيف إلى ذلك أنه ربما كانت هنالك ضغوط من بعض الأحزاب الدينية التي اتخذت من السيد السيستاني كجسر للولوج إلى سدة الحكم ولهذا بدءوا بمحاولة تركيز أقدامهم عن طريق المرجعية التي كانت خير عون لهم في بقائهم في الحكم وحتى الوقت الحالي .

أما بالنسبة للأكراد فقد ذكرنا آنفا أنهم كانوا يشكلون عقبة رئيسية في مسار العملية السياسية في العراق فهم يحاولون الحصول على الكثير من التنازلات التي

بواسطتها ينالون استقلالهم المنشود فهم كانوا يحلمون بدولة مستقلة قد تكون بعيدة المنال في الوقت الحاضر كون أن هنالك تهديدات تحيط بهم من كل جانب فهم إذا فكروا بالانفصال ستقف بوجههم تركيا التي تمتلك مايزيد على العشرين مليون كردي ناهيك عن وجود التركمان (وأغلبهم يقطن في مدينة كركوك التي يسميها كما ذكرنا سابقا مسعود البرزاني بقدس كردستان !!!) في العراق والذين وبالرغم من ولائهم المطلق للعراق ولسيادته ووحدته (وذلك يحسب لهم) إلا إنهم يمتلكون مع الأتراك الرابطة القومية التي والحمد لله لم تؤثر على انتمائهم للعراق ولهذين السببين نجد ان تركيا من المستحيل ان تقبل بدولة كردية مستقلة بجانبها هذا بالإضافة إلى دول الجوار الأخرى فإيران تمتلك نسبة كبيرة من الأكراد الذين سيزداد طموحهم بالانفصال فيما إذا أنشأت دولة كردية في شمال العراق ونفس الشيء ينطبق على سوريا ، ولهذا نجد ان الأكراد يحاولون استخدام المهادنة والمخاتلة .

ومن بين الأمور التي أثارت الكثير من الخلاف والاختلاف على الساحة العراقية مسألة اجتثاث البعث تلك القضية التي حاولت بعض الأحزاب أن تقوم باستغلالها من أجل تحقيق أهداف حزبية ضيقة فقد تم تشكيل هيئة سميت بـ(هيئة اجتثاث البعث) وقد ترأس هذه الهيئة أحمد الجلبي ليس كرها بالبعثيين كما يدعي وإنما من أجل كسب ود الأغلبية من الشعب العراقي من الذي طالهم الحيف والظلم على أيدي البعثيين . ويقول بريمر عن هذه الهيئة إنها أنشأت من أجل القضاء على البعثيين الذين يشغلون المناصب العليا بالبلد وهي لا تشمل صغار البعثيين ممن أجبروا على الدخول في الحزب من أجل بقائهم في وظائفهم وهي تشمل ما يناهز العشرين شخصا فقط ممن يمثلون أعضاء الفرق فما أعلى ولكنها تجاوزت صلاحياتها على حد قول بريمر وقد طالب الجلبي لأن تدرج هذه الهيئة في قانون إدارة الدولة ويقول بريمر عن ذلك (انه من خلال إصداره لهذا القانون كان يأمل من خلاله آن يشمل القادة الكبار فقط من حزب البعث ولكن الجلبي تمادى في ذلك وبدأ يفصل الآلاف من المعلمين الذين كانوا مجبرين في الدخول لحزب البعث وإلا فقدوا أعمالهم .

ويضيف بريمر لابد أنني أخطأت لأنني سمحت لهيئة سياسية مثل مجلس الحكم يتولى مسؤولية الإشراف على سياسة اجتثاث البعث وهذه الأمور كلها كانت تدور وسط اجتماعات متوالية تعقد بين أعضاء مجلس الحكم وسلطة الائتلاف المؤقتة من أجل أن يتم وضع اللمسات الأخيرة على قانون إدارة الدولة المؤقت وكانت عملية الانتقال من نقطة إلى أخرى من القانون لا تتم إلا بشق الأنفس ، ومن أهم العقبات التي واجهت مسودة القانون مسألة التصويت على الدستور حيث اقترح الأكراد (المدللون من قبل أمريكا) على أن يكون التصويت والموافقة على الدستور بموافقة ثلثي سكان ثلاث محافظات كشرط لقبول الدستور (لماذا ثلاث محافظات؟ لأن كردستان تتألف من ثلاث محافظات هي السليمانية وأربيل ودهوك) وهذه التغييرات في المزاج الكردي تمت في الفترة الحرجة حيث كان حفل نقل السيادة (الشكلية) والتوقيع على القانون ليس ببعيد وقد أثارت هذه النقطة حفيظة الشيعة الذين رفضوا هذه النقطة وقد عزز هذا الرفض السيد السيستاني الذي أعلن رفضه لهذه الفقرة رفضا قاطعا مما أحرج الإدارة الأمريكية التي أعدت لحفل التوقيع ودعت الصحفيين ، ويصف أحد مساعدي بريمر أنه سمع من خلال اجتماع مصغر لقادة الشيعة ومن خلال اتصالهم بابن السيستاني (عبد الرضا) أن هنالك صياحا ونقاشاً حاداً .

وكان بريمر يلعب على وتر الخلاف بين الأطراف الشيعية فقد كان ألجلبي والجعفري يرغبان بالتوقيع على القانون حتى وإن رفضه السيد السيستاني بينما كانت هنالك أطراف أخرى ترى بالسيد السيستاني طوق النجاة في بقائها بالسلطة، كونها لا تمتلك رصيدا شعبيا بقدر ما كانت تمتلك رصيدا مرجعيا يخدمها بالفتاوى التي يمكن ان تصدرها المرجعية والتي تطيل من بقائهم في الحكم ولهذا فإنهم كانوا يريدون أن يحصلوا على مباركة المرجعية بأي شكل من الأشكال وبعد الشد والجذب ذهب وفد من قادة الشيعة إلى السيد السيستاني في النجف الأشراف وقالوا له بالحرف الواحد (إذا كنت تريدنا أن نكون قادة سياسيين ناضجين فأعطنا شيئا

من الحرية في التصرف) فوافق السيد السيستاني على ذلك ، ويعتبر بريمر هذه الموافقة البداية على طريق إنشاء عراق علماني غير منقاد للمرجعية بكل الأمور السياسية وتم التوقيع على مذكرة قانون إدارة الدولة بعد مخاض عسير .

تلت عملية التوقيع على قانون إدارة الدولة تطورات واسعة على الساحة العراقية وأهمها التحركات التي بدأت تظهر بشكل واسع من قبل جيش المهدي وذلك عندما خرج السيد مقتدى الصدر في مسجد الكوفة وهتف بسقوط إسرائيل وأمريكا وحينها بدأت مخاوف الأمريكان تتزايد فقاموا بإغلاق الجريدة التابعة للتيار الصدري وحينها خرجت مظاهرات واسعة في بغداد وفي مدينة الصدر بالتحديد وأيضا في الكثير من مدن الجنوب .

وبرزت في هذه الأثناء قضية اغتيال مجيد الخوئي والتي كان المتهم فيها السيد مقتدى وبعض المقربين منه وقد عملت أمريكا على إصدار مذكرة اعتقال للمقربين من السيد مقتدى فكان أول المعتقلين مصطفى اليعقوبي.

وقد فجر اعتقاله الوضع في النجف وفي مدينة الصدر فقد حاصر مسلحون المقر العام لسلطة الائتلاف المؤقتة وحصلت اشتباكات بين جيش المهدي والائتلاف ولكن ما يلاحظ في هذه الفترة هو امتناع القوات الأسبانية عن القتال مما جعل الأمريكان يضيقون ذرعا بهم وقد أوجد ذلك الأمر فجوة سياسية بين الأسبان والأمريكان ونجد بريمر يعقب على هذه الأزمة بتسميته للائتلاف الذي شكلته أمريكا بعد احتلال العراق بـ(ائتلاف غير الراغبين) .

ومن الملاحظ على هذه الفترة إن كانت تحمل الكثير من الحرج للقوات الأمريكية كون أن هنالك جبهتين قد فتحتا على أمريكا الأولى في الجنوب الشيعي متمثلا بجيش المهدي (الذراع العسكري للتيار الصدري) والجبهة الثانية هي الجبهة الغربية متمثلة بالفلوجة وقد كانت هنالك محاولات كثيرة لوقف القتال في الجانب الغربي من خلال التحرك الواسع للقيادات السنية فقد أعرب الباجه جي عن غضبه من العمليات ضد السنة وأعلن حاجم الحسني أن الحزب الإسلامي سينسحب من مجلس

الحكم إذا ما استمرت العمليات العسكرية في الفلوجة وحتى الأخضر الإبراهيمي الذي جاء ممثلا للأمم المتحدة في العراق فإنه أغضبته عمليات الفلوجة ولم يحرك ساكنا أمام ضرب التيار الصدري في الجنوب وهو غير ملام في ذلك فهنالك أمر ساعده على اتخاذ هذا الموقف متمثلا بموقف أعضاء مجلس الحكم من الإخوة الشيعة فهم أيضا لم يحركوا ساكنا أمام الهجمات التي كانت تشن ضد الصدريين باستثناء عبد الكريم المحمداوي وسلامة الخفاجي (وقد كان الصدريون يتندرون على موقف سلامة الخفاجي في هذه الفترة الحرجة بتسميتها الرجل الوحيد في المجلس كونها أعلنت بكل شجاعة ما لم يعلنه غيرها) أما البقية فقد كانوا يتمنون في داخلهم ان يتم القضاء على التيار الصدري كي يخلوا لهم العراق بجنوبه ووسطه . ونحن نلاحظ من خلال تصريحات بريمر في هذه الفترة العصيبة أنه طالب بوقف العمليات العسكرية في الفلوجة كون أن هنالك ضغوطا عربية سياسية وانقسامات داخل مجلس الحكم وبالمقابل يجب أن يتم تصعيد العمليات العسكرية ضد مقتدى وجيشه وضربهم في أي مكان خارج المدينتين المقدستين وكل ذلك وأعضاء مجلس الحكم الممثلون للأكثرية لم تهتز لهم قصبة . بل أن أحد قادة الشيعة وهو عادل عبد المهدي من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وهو مسلم محافظ وقور (حسب قول بريمر) أثنى على العمليات العسكرية وقال لبريمر إنه ينبغي علينا مواصلة الضغط على مقتدى.

لقد كانت عملية التحضير لإنشاء حكومة انتقالية مؤقتة عملية صعبة تمثلت في محاولة إيجاد مرشح لرئاسة الجمهورية ومرشح آخر لرئاسة الوزراء وقد وضع بول بريمر حجر الأساس لإنشاء حكومة محاصصة طائفية ستستمر مع العراقيين حتى مع قيام الحكومة الدائمة فقد كان بريمر يبحث عن رئيس جمهورية سني ورئيس وزراء شيعي وفي بادئ الأمر اتجهت الأنظار إلى حسين الشهرستاني الذي رشحه الأخضر الإبراهيمي على الرغم من أنه لم يكن – أي الإبراهيمي – مرغوبا لدى الأحزاب الشيعية القادمة من المنفى حيث كانت تنظر له على أنه علماني عربي سني قومي !

وبالرغم من كل ذلك نراه في ترشيحه لحسين الشهرستاني يثبت عدم طائفيته. وقال بريمر إنه والإدارة الأمريكية كانوا مترددين في عملية اختيار الشهرستاني (الذي يعد من علماء الذروة المرموقين والذي عانى من ويلات صدام ومن سجنه له لمدة أحد عشر عاما حتى استطاع الهروب في عام ١٩٩١ إبان حرب الخليج) ويقول بريمر انه حين اجتمع بحسين الشهرستاني وجد أنه لم تكن لديه الرغبة في شغل منصب رئيس الوزراء ولهذا بدأت الأنظار تتجه إلى شخص آخر عرف على حد قول بريمر بالصلابة والقوة والتصميم على إتمام الأمور (وهو أياد علاوي) وقد كان بوش الذي هو على اتصال دائم ببريمر يؤكد على أن الشخص المرشح لرئاسة الوزراء والجمهورية يجب أن يكون شاكرا لأمريكا على قيامها (بتحرير العراق) . وعلاوي من الأشخاص الذين عانوا أيضا من حقبة صدام حيث حاول بعض رجال المخابرات الصداميين قتله في لندن حينما ضرب في بيته بالفأس ولا زال يعاني من ذلك بألم في ركبته ، ويقول بريمر إن علاوي وافق على منصب رئيس الوزراء بشرط أن لا يكون تحت إمرة حسين الشهرستاني وحينما سألته عن السبب قال لأنه إيراني .. ويضيف بريمر بأنه كان يواجه رفض الكثير من العراقيين تسليم السلطة لأي شخص لديه جذور إيرانية ليس في جانب السنة وحسب وإنما نرى ان هنالك أطرافا شيعية من داخل البلاد كانت ترفض ذلك أيضا فها هو حسين الصدر الذي يعده بريمر صديقا له يقول (هل تريد أن تضع شخصا إيرانيا على رئاسة الوزراء) وذلك حينما طرح اسم الشهرستاني ، فقال له بريمر ولكن عائلته تعيش في العراق منذ ثلاثمائة عام فقال له حسين الصدر ولكن اسمه إيراني .

وفي هذه الفترة أثيرت قضية جديدة لتطفو على الأحداث وتتمثل بقيام شخص يدعى إبراهيم نوري صباح وهو السكرتير الشخصي لوزير المالية بمحاولة استبدال ملايين الدنانير التالفة التي تم استبدالها في وقت مضى وقد تم اعتقاله بمذكرة صادرة من وزارة العدل وقد تم بعد ذلك التوصل ومن خلال التحقيق تورط الكثير من أعضاء حزب المؤتمر الوطني بعمليات اختلاس وسرقة للمال العام (علما أن

وزير المالية في ذلك الوقت كان من حزب المؤتمر) فقامت قوة عراقية بتطويق مقر المؤتمر في منطقة في المنصور استغلها حزب المؤتمر وقد صدرت مذكرة باعتقال أعضاء كثيرين من الحزب ولكنهم هربوا وتركوا مقرهم فتم مصادرة بعض الوثائق والحواسيب والأقراص التي تثبت تورط أعضاء المؤتمر في الفساد المالي (وكما يقال في المثل أن فرخ البط عوام حيث سبق لرئيس حزبهم أن اتهم باختلاس وسرقة أموال من مصرف البتراء في الأردن ولا زالت الأردن تحتفظ بمذكرة اعتقال بحق الجلبي) وقد ثارت ثائرة الجلبي ومن خلفه البيت الشيعي الذي يعتبر هذا الأمر إهانة لأحد قادته (أما اختلاس أموال الشعب العراقي فهو لا يعتبر إهانة !!) وقد برر الجلبي عملية اقتحام مقر حزبه بأنه تم بسبب معاداته للبعثيين كي يجعل القضية تأخذ منحى آخر وليبرئ حزبه من هذه التهمة وفي كل ما يحصل لم نجد من ينادي بالعراق كشعب وإنما لا يتعدى الأمر عن الحزبية الضيقة . وليس الجلبي فقط من كان ينظر إلى مصلحة حزبه فقط وإنما كانت هنالك الأحزاب التي دخلت تحت خيمة مجالس الحكم والتي حين دخلت إلى العراق كانت تصف صدام بالدكتاتور (وهو فعلا دكتاتور) ولكنهم للأسف كانوا أكثر دكتاتورية من صدام وقد ظهر ذلك بشكل جلي خلال فترة تشكيل الحكومة الانتقالية حيث لم يكن هنالك واحد منهم مستعدا لتقديم التضحية من أجل الشعب فالكل كان يحلم بأن يكون المالك لحصة الأسد في الحكومة الجديدة ، علاوي كان يحشد التأييد لصالحه والجلبي بدأ يعبئ البيت الشيعي من أجل التمرد في حالة عدم حصوله على منصب مرموق في الحكومة الجديدة والبرزاني والطلباني يهددان بانسحاب الأكراد من مجلس الحكم ومن العراق بأجمعه والعودة إلى استقلالهم المزعوم ، وهكذا نرى أن الجميع غير مستعد لخدمة الشعب إلا من موقع أعلى ، ونعود الآن إلى البيت الشيعي الذي بدأ يعمل الآن على القيام بتمرد على الحكومة المؤقتة كونها لم تكن تلبي طموحات ورغبات قادته ومن جراء التحركات المشبوهة التي قاموا بها ظهرت أقاويل كثيرة ومن بينها ما قاله البرزاني حين وصف تمرد البيت الشيعي بواسطة الجلبي وبحر

العلوم بأنهما (يتحركان بوحي من إيران) أما في الجانب السني فقد كان الصراع على أشده بين غازي الياور والباجه جي فقد كان كل منهم يطمح في أن يكون رئيسا للعراق وكان هنالك بينهم نوع من الود المبطن بالعداء فكل منهم كان يطمح بأن يكون سيد العراق الأول مهما كانت النتائج .

انتهت العملية الماراثونية في اختيار رئيس الجمهورية بتنازل الباجه جي رجل السياسة المحنك المسن وتلقفها الياور بلا تردد ، وحينها بدأت عملية التحضير لإعلان الحكومة ومن بعد ذلك بدأ بريمر يعد العدة لترك العراق وخلال مدة لا تتجاوز الأسابيع بعد أن أنجز اليوتوبيا الموعودة في العراق وبعد أن أقام دولة السيادة والقانون والحكومة القوية وهذا محض هراء فبريمر أوجد التقسيم وأوجد الطائفية وأوجد عراقا مثقلا بالهموم والتضحيات .

وبدأ بريمر بعملية توديع فردية لبعض الشخصيات ومنهم إبراهيم الجعفري الذي حاول أثناء اللقاء أن يكون مجاملا للأمريكان أكثر من الحد المطلوب حتى إنه أعلن صراحة أن امرأته التي كانت طبيبة أيضا فهو يفتخر بأنها غير محجبة ، ولا أدري ما جدوى كلام الجعفري عن هذا الأمر الآن وما جدوى ذكره من قبل بريمر. أما بالنسبة لوداعه للسيد حسين الصدر فوصفه بأنه محفوف بالمخاطر كون أن الهجمات بدأت بالتزايد كلما اقترب موعد نقل السلطة ويصف بريمر ذهابه إلى بيت حسين الصدر بأنه ذهب إليه في الغداء وبعد ذلك ودعه وداع الصديق الحميم وقال له حسين الصدر بالحرف الواحد (سعادة السفير كنت أجد صعوبة في النوم طوال سنين لخوفي من أن يأتوا إلى منزلي ويقتلوني وأنا نائم ، أصبحنا الآن أحرارا وفي وسعي النوم كطفل صغير) . وبعد ذلك قام بريمر بزيارة توديعية إلى مسعود البرزاني في بيته الجبلي في شمال العراق ومن ثم انتقل إلى بغداد من أجل الإعداد لحفل نقل السلطة إلى العراقيين وكان قد تقرر تقديم الحفل يوما أو يومين من أجل المناورة من الهجمات المسلحة التي كان يتم الإعداد لها كرد على هذا اليوم .

وبعد ذلك ذهب بريمر إلى السيد محمد بحر العلوم الذي بادره بالقول (إن شعرك اليوم أكثر بياضا منه عندما وصلت قبل سنة من الآن ، يا سعادة السفير)

فأجابه بريمر (هذا الشعرات الرمادية سببها السنة – وهو يشير إلى صدغه الأيمن – والشعرات التي في مؤخرة رأسي سببها الأكراد ، وهذه الشعرات التي في أعلى رأسي سببها الشيعة مثلك) .

لقد كانت تلك الأيام الأخيرة من وجود بريمر في العراق تشهد تطورات واضحة في جدول الأحداث ، فجيش المهدي والسيد مقتدى أعلنوا وقف إطلاق النار على قوات الائتلاف وحينها تنفس الأمريكان الصعداء بسبب القلق الشديد الذي كان يساورهم من هذه الهجمات وكذلك كان هنالك تصريح للسيد مقتدى الصدر أنه سيوجه العراقيين ويعبئهم ضد الإرهاب وهذه الأخبار كانت كافية لتوضيح أن السيد مقتدى وجيش المهدي قد تم إقحامهم في هذه المعمعة بتخطيط مدبر من أطراف معينة ترغب بالقضاء على هذه القوة الداخلية التي تمثل ٧٠٪ من أعمالهم لصالح الشعب العراقي (وهي نسبة كبيرة قياسا لما كان يقدمه البقية لهذا الشعب المغلوب على أمره) وهذا الأمر جاء من خلال وجود هؤلاء من ضمن عامة الشعب بل إن أكثرهم ينتمون إلى الطبقة الفقيرة والطبقة التي تعاني من الحرمان .

وبعد ذلك بدأت الأخبار تؤكد أن نقل السيادة سيتم خلال يوم الاثنين ٢٨/٦/٢٠٠٤ بتقديم الموعد يومين عن المقرر من أجل تفويت الفرصة على المسلحين ويصف بريمر الوضع في العراق بأنه يتمثل بتخليص البلد من صدام وبعملية الشروع في بناء الديمقراطية وإعادة البنية التحتية للعراق ولكنه اعترف بخيبة أمله بأنهم لم يكونوا قادرين على إيجاد مناخ آمن وعزا ذلك إلى أن المتمردين أفضل تنظيما وأصعب على الاختراق مما كان متوقعا .

وفعلا تم دعوة رئيس الوزراء ونوابه ورئيس الجمهورية دون أن يكون لأحد منهم أي علم في نقل السلطة خلال هذا اليوم باستثناء رئيس الوزراء – أياد علاوي – وبعد أن تمت المراسيم وذهب بريمر ليحزم أمتعته ويذهب وبشكل مموه وبكثير من الحذر إلى الطائرة التي تقله إلى الأردن ومن ثم إلى واشنطن وقد ترك بريمر عند رحيله خطابا مسجلا على الفيديو وأعلن فيه أن العراق قد أصبح الآن بلدا يختلف عما كان

عليه قبل سنة واحدة وأنه سينهض من جديد وأن جنود أمريكا قدموا إلى العراق لا لشيء سوى الإطاحة بالطاغية والمساعدة في بناء البلاد وإعادة النظام والجنود سيبقون طالما أن الحكومة العراقية ترغب في ذلك وعندما يغادرون لن يأخذوا معهم شيئا سوى موتاهم .

تينيت : هكذا رأيت

إياد علاوي !!

ويتناول مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السابق جورج تينيت في مذكراته : " في قلب العاصفة .. سنواتي في سي . آي . إيه " شخصية رئيس الوزراء العراقي السابق الدكتور إياد علاوي، وذلك في ختام هذه المذكرات، أثناء محاولته التأكيد أنه بفضل الخطوات التي اتخذتها وكالته فإن أمريكا أصبحت أكثر أمناً مما كانت عليه قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

وهو يفصل القول في تبرير اعتقاده هذا، لكن ربما كان الجانب الأكثر أهمية في الجزء الختامي من هذا الكتاب، بالنسبة للقارئ العربي، هو قراءة تينيت لوقائع ما يجري اليوم في العراق، وليس من قبيل الصدفة أنه يفرد للعراق فصلاً ممتداً يحمل العنوان الدال " المهمة التي لم تنجز " حيث يلقي الضوء على النتائج المروعة التي ترتبت على مجموعة خاطئة من القرارات الأميركية، وفي مقدمتها القرار الأميركي بحل الجيش العراقي.

ومن منظور تينيت، فإن الورطة الأميركية في العراق بدأت قبل وقت ليس باليسير من الغزو، فلم يكن هناك إلا قدر محدود من التخطيط قبل تنفيذ قرار الغزو حول ما سيجرى بعد هذا التنفيذ، بما في ذلك عملية الإعمار، ولكن الجانب الأخطر هو عملية إعادة هيكلة البلاد سياسياً، حيث يدور السؤال الكبير حول الكيفية التي سيدار بها العراق وأي دور سيسند إلى العراقيين في تقرير مستقبلهم السياسي،

وعلى الرغم من أنه جرت مناقشات مكثفة في هذا الشأن بين المؤسسات الأميركية المختلفة، كانت غالبا على أعلى مستوى، إلا انه لم يكن هناك حد أدنى من الوضوح فيما يتعلق بما ستمضي إليه الأمور في هذا الشأن.

يوضح تينيت، قبل أن يكشف أسرار لقاء جمعه بعلاوي ، أن هذا النقاش الذي دار حول العراق انقسمت الآراء بصدده وفقاً للخطوط المألوفة، حيث جند كل من وزارة الخارجية الأميركية والسي . آي .إيه ومجلس الأمن القومي تبني منهاج أكثر شمولا وشفافية، يتم في إطاره تجميع العراقيين الذين يمثلون القبائل والطوائف ومجموعات المصالح العديدة في البلاد للمشاورة وتشكيل نوع من الجمعية الوطنية التي يمكنها بعد ذلك اختيار مجلس استشاري ومجموعة من الوزراء لحكم العراق.

ويلاحظ أنه لم يدع أحد إلى إدخال الديمقراطية على طريقة جيفرسون إلى العراق، ولكن الكثيرين كانوا يعتقدون أن العراقيين ينبغي تشجيعهم على المشاركة في هذه العملية التي ستساعد سريعاً على تحديد زعماء حقيقيين للعراق الديمقراطي وإضفاء الطابع الشرعي على وضعهم .

غير أن نائب الرئيس الأميركي والمدنيين في البنتاغون دعوا إلى منهاج مختلف تمام الاختلاف، فبدلا من المخاطرة بعملية سياسية مفتوحة النهاية يمكن للأميركيين التأثير عليها لكنهم لا يتحكمون بها ولا يسيطرون عليها، فقد أرادوا التمكن من الحد من سلطة العراقيين وانتقاء أولئك العراقيين الذين سيشاركون في هذه العملية.

وعلى الصعيد العملي، فقد كان ذلك يعني أحمد الجلبي ومجموعة محدودة من المعارضين المقيمين في المنفى منذ وقت طويل والمعروفين للجميع، جنباً إلى جنب مع قادة المناطق الكردية التي تتمتع بالحكم الذاتي بصورة جوهرية .

وكان الفارق بين المنهاجين بالغ الوضوح، وقد لخص نائب الرئيس هذه الورطة بقوله أن الاختيار هو بين « السيطرة والشرعية » وأعرب دوجلاس فيث بوضوح عن اعتقاده بأنه لن يكون من الضروري أن يضفي المنفيون العراقيون الطابع الشرعي

على أنفسهم، وقال.. يمكننا نحن أن نضفي الطابع الشرعي عليهم.. وذلك من خلال المساعدة الاقتصادية والحكم الجيد الذي ستقدمه الولايات المتحدة.

هكذا بدا جليا أنهم لا يدركون أبدا أن السيطرة السياسية تعتمد في جوهرها على موافقة المحكومين.

هنا يلفت المؤلف نظرنا إلى أنه لم يتم قط التوصل إلى إجماع بين الأطراف المشاركة في النقاش حول ما سيتم القيام به، ولم يتم التوصل إلى خطة واضحة.

غير أنه في أوائل يناير ٢٠٠٣ وقع الرئيس جورج دبليو بوش التوجيه الرئاسي الأمني القومي رقم ٢٤ الذي أسند إلى وزارة الدفاع «الملكية» التامة والمطلقة لعراق ما بعد الحرب.

ويشير تينيت إلى أنه في ذلك الوقت لم يبد الأمر واضحاً لكن هذا التوجيه سيحسم من الذي ستكون له القرارات النهائية فيما يتعلق بهذه المسائل بالغة الأهمية، وسيحدد الاتجاه الذي تمضي فيه عملية إعادة البناء في مرحلة ما بعد الحرب.

ويكشف تينيت النقاب عن أن جيرمي بريمر، الذي أصبح الحاكم الأميركي الفعلي لعراق ما بعد الحرب قد التقى دوجلاس فيث قبيل مغادرته إلى بغداد بأيام في مقر البنتاغون، حيث أهاب به هذا الأخير أن يبادر في أسرع وقت ممكن إلى إصدار أمر يقضي بمنع الأعضاء السابقين في حزب البعث من أن يكون لهم أي دور في الحكم الجديد، وهو ما فعله بريمر على وجه الدقة في ١٦ مايو، أي بعد أربعة أيام فقط من وصوله إلى العراق.

تلك كانت البداية في سلسلة قرارات وصفت بالكارثية وفي مقدمتها قرار بريمر حل الجيش العراقي ومجموعة المؤسسات ذات الصلة من قريب أو بعيد بالمؤسسة العسكرية العراقية بما في ذلك الشرطة وقوى الأمن على اختلاف مسمياتها.

و يقول تينيت إنه : " إذا كان هذا القرار الأول لبريمر سيتوقف عنده المؤرخون وطويلاً، فإن قراره الثاني في ٢٣ مايو الذي سيقضي بحل الجيش العراقي كان هو الكارثة بعينها " .

ويعقب تينيت على القرار الأخير بأنه : "من المؤكد أن عناصر في الجيش العراقي وبصفة خاصة الحرس الجمهوري وتنظيم الأمن الخاص قد لوثت أياديها بكثير من الدماء غير أن الكثير من ضباط الجيش العراقي كان ينبغي النظر إليهم باعتبارهم مهنيين دفعتهم القيم الوطنية العراقية وليس الولاء لصدام حسين، وبمقدورهم أن يشكلوا القوام الأساسي والجوهري لمؤسسة عسكرية عراقية جديدة، لكن هذا الأمر الذي أصدره بريمر وجه ضربة قاسية للذين يزعم تينيت أنهم يشكلون عشرين في المئة من سكان العراق، والذين شغلوا من الناحية العملية جميع المناصب العليا في الجيش" .

وقد أدى قرار بريمر – كما يقول تينيت - إلى " إثارة سخطهم باعتبارهم خمس سكان العراق جنباً إلى جنب مع معظم سكان وسط البلاد. في ٨ يوليو ٢٠٠٣ أفاد تقرير من الضابط الأعلى للـ « سي. آي. إيه » في بغداد أنه بينما يبدو أن الأمور تعود تدريجياً إلى طابعها العادي بالنسبة للعراقيين العاديين فإن أمن قوات التحالف كان يتداعى، وأنه « بين العوامل المؤدية إلى إثارة العداء نحو القوات المتحالفة الشعور العام بخيبة الأمل حيال التقدم البطيء في إعادة إعمار العراق وتقديم دليل ملموس على أن الحياة ستكون أفضل مما كانت عليه في ظل النظام السابق » .

كان التقرير حافلاً بالتحذيرات، وتوالت تقارير أخرى على غراره.

و يبادر المؤلف إلى إيضاح أن الـ « سي. آي. إيه » لم تكن هي وحدها التي انفردت بالتحذيرات من خطورة الوضع المتردي في العراق، وإن مشاركتها في ذلك الخارجية الأميركية.

في ١٠ نوفمبر ٢٠٠٣ خرج كولن باول وزير الخارجية الأميركية بتقدير للموقف في العراق يشارك تقديرات الوكالة في طابعها المتشائم حيال ما ستمضي إليه الأوضاع في العراق، حيث كتب يقول: « في ضوء السخط الشعبي المتصاعد على الاحتلال، فإننا لا يمكننا الحفاظ على الترتيب الراهن المتعلق بسلطة الاحتلال المؤقتة وقتاً طويلاً بما يكفي للسماح بإكمال العملية المعقدة المتعلقة بصياغة مسودة دستور

وإجراء انتخابات شاملة. إن عملية سياسية تتمتع بالمصداقية تفضي إلى نقل مبكر للسلطة تعد بالغة الأهمية في إخضاع الحركة المسلحة المتزايدة التي تواجهها قوات الاحتلال ».

بحلول منتصف نوفمبر ٢٠٠٣، بدأ يتضح في أذهان الكثيرين في الإدارة الأميركية أنه لابد من تغيير ما في العراق، وبحسب ما أكده أحد مسؤولي الوكالة في تلك المرحلة، فإن العراق: « ليس لديه ماء، ولا كهرباء، وفرص العمل في أدنى المستويات، وكل من سنحاول تنصيبه لتولي المسؤولية سينظر إليه على أنه مسؤول عن ذلك كله وسوف يسقط ».

وقد كان أحمد الجلبي في أذهان الكثيرين في الإدارة الأميركية في تلك المرحلة، ولكن تينيت يبادر إلى تأكيد أن وجهة نظره أن الجلبي لن يقدر له النجاح كثيراً في مهمته، ويقول إن وجهة نظره هذه برهنت على أن الصواب كان يحالفها، حيث أنه عندما أجريت الانتخابات في نهاية المطاف لم يحصل حزبه على أصوات تذكر، ولم يفز بمقاعد.

وفي صفحة ٤٤١ من الكتاب، يوضح المؤلف أن إعادة تشكيل الجيش العراقي يعد أكبر تجربة مخيبة لآمال الأميركيين في العراق، حيث أن الجهود التي بذلت في هذا الشأن سارت من سيء إلى أسوأ.

ولكن ما الذي كانت الوكالة تقوم به في ذلك الوقت في العراق؟

إن المؤلف ـ بالطبع ـ لا يوضح لنا أبعاد دور الوكالة كاملة، لكنه لا يتردد في القول إنها كانت تتحرك على كل الجبهات، بما في ذلك الجبهة السياسية، حيث أعدت برنامجاً للعمل مع زعماء القبائل يقوم على قيام الوكالة بتقديم مواد الإغاثة والمساعدة إلى أبناء هذه القبائل مقابل « التعاون » من جانب زعمائها، ولا ينسى أن يشير إلى أن بريمر رفض دعم هذا البرنامج.

وفي مناسبة أخرى نظمت الوكالة اجتماعاً في المنطقة الخضراء يضم عدداً من قيادات السنة لمحاولة إقناعهم بالمشاركة في الحكومة العراقية الجديدة، فبادر

بريمر إلى دخول قاعة الاجتماع حيث ألقى خطاباً حماسياً استمر عشرين دقيقة، ثم انصرف خارجاً من القاعة، تاركاً القيادات السنية تغلي من الغضب، وبالفعل فقدت السي. آي. إيه اتصالها بأغلبية هذه القيادات.

وفي مناسبة أخرى كان ضابط الوكالة الأرفع رتبة في بغداد قد نظم اجتماعاً مع سبعة وخمسين من كبار الضباط العراقيين السابقين، وكان الهدف من الاجتماع فتح حوار بين هؤلاء القادة وبين جنرال ريك سانشيز قائد قوات الجيش الأميركي في العراق، وكان المقصود بالاجتماع أن يكون خطوة أولى نحو تشكيل حكومة عراقية مؤقتة حتى وإن لم يكن بالإمكان أن يخدم أي من هؤلاء الضباط السابقين فيها، غير أن بريمر أمر سانشيز بألا يذهب لحضور الاجتماع، وقال له: « إننا لن ندخل في حوار مع العدو ».

وفي مايو ٢٠٠٤ كانت قيادة التحالف تحاول إقناع دكتور إياد علاوي رئيس حزب الوفاق الوطني بالموافقة على شغل منصب وزير الدفاع في الحكومة العراقية الانتقالية الجديدة، ويقول تينيت إنه كان قد التقى علاوي مرات عدة في واشنطن ولندن على الرغم من أنهما لم تربطهما معرفة وثيقة، لكنه بحكم منصبه كان راعياً لكل جهود بناء الثقة والنوايا الحسنة التي بذلتها الوكالة معه ومع حزبه، ولهذا السبب طلب منه أن يلتقيه ويحثه على قبول منصب وزير الدفاع.

تم اللقاء بين الرجلين في غرفة بأحد فنادق العاصمة الأردنية، واقتصر عليهما، وكان تينيت قد تلقى تعليمات بالحديث مع علاوي بصراحة وجعله يدرك أنه يتعين عليه قبول المنصب المعروض عليه، لكنه كان يعرف أنه لا ينبغي أن يلجأ إلى هذا الأسلوب في الحوار معه، وهكذا مضى إلى الاجتماع عاقداً العزم على تركه يتحدث ويصغي إليه فيما يعرب عن شعوره بالإحباط، وقد كان هذا هو ما حدث بالفعل في الاجتماع. وقد تبين أن علاوي لا يكترث كثيراً بالقيادة المؤقتة للتحالف التي يتولى رئاستها بريمر، وقال إنه تمَّ الاتصال به لتولي منصب وزير الدفاع، ولكن أحداً لم يكلف نفسه عناء إخباره ما الذي يعنيه ذلك.

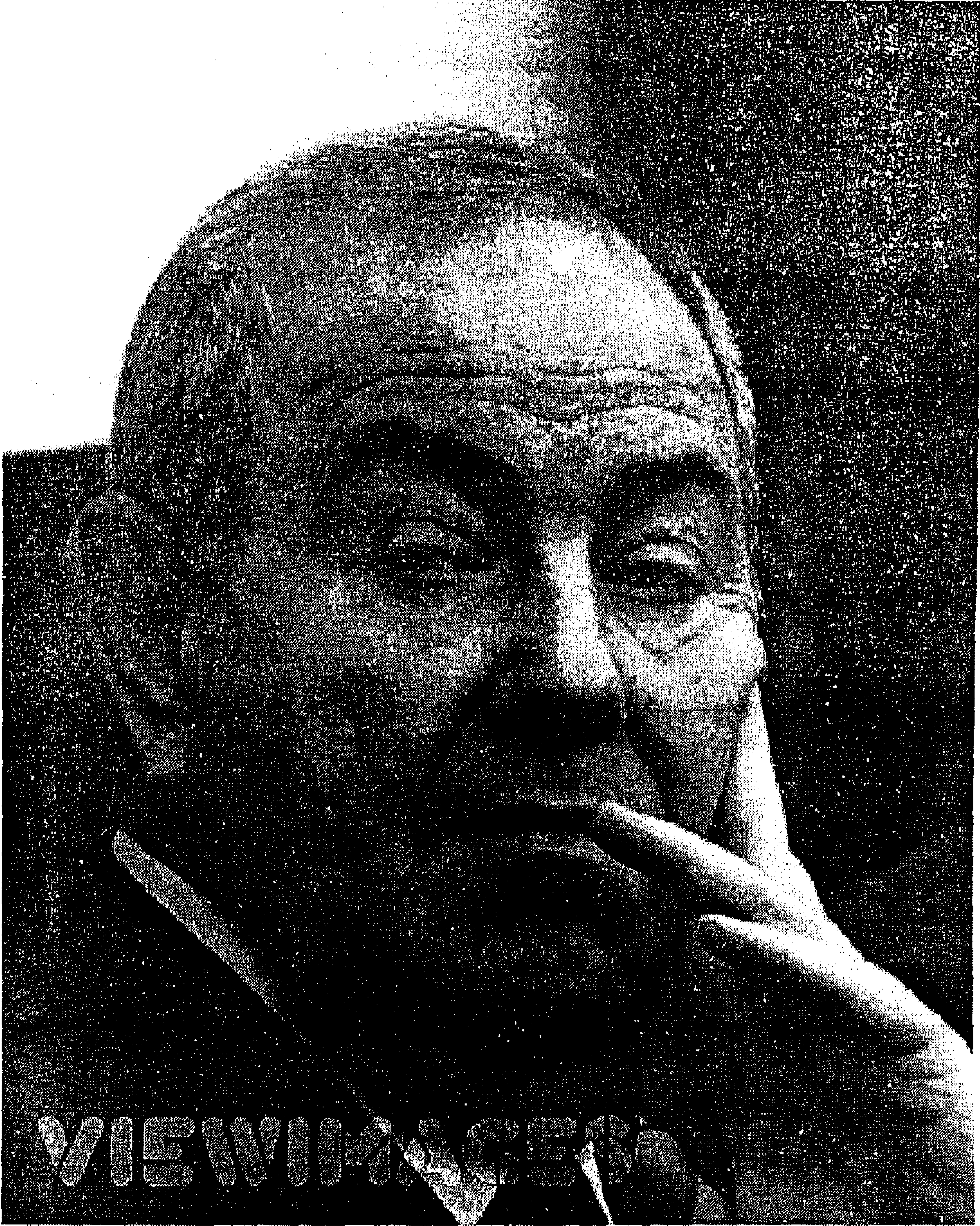
وكان جوهر ما قاله إنه بعيد عن اليقين بما إذا كان يريد المشاركة في أي شيء من هذا القبيل، لأنه يدرك أن هناك احتمالاً كبيراً لعدم تكليل الحكومة العراقية المؤقتة بالتوفيق أصلاً. وقد انتظر تينيت لكي ينتهي علاوي من الإعراب عن مشاعر السخط، قبل أن يبادر إلى محاولة إقناعه بقبول المنصب، ولكن بأسلوب مباشر، حيث قال له: « إياد، ليس بمقدوري إبلاغك بأنك لابد لك من أخذ هذا المنصب، ولكنني بحاجة إلى أن أقول لك إنه يتعين عليك التمعن في الأمر بدقة.وإذا كان أناس طيبون مثلك لنا يتقدمون لشغل المناصب المهمة، فلن يكون هناك أمل للعراق .

فرد علاوي قائلاً: « جورج ليس بمقدوري إقناع أي أحد في سلطة التحالف بإبلاغي بواجبات وزير الدفاع، وما هي صلاحياته وما هي حدود عمله. كيف يمكنني أن أقبل وظيفة لا يستطيع أحد توصيفها؟ » هنا وعده تينيت بأن يوعز إلى أحدهم بأن يقدم له التفاصيل المطلوبة، وهكذا انتهى الاجتماع العتيد، ووصلت إلى علاوي المعلومات التي يريدها فأبدى اهتمامه والتقى بعدد من القادة العراقيين الآخرين وناقشوا الخطوات التالية، وسرعان ما بعث إلى بريمر مبدياً اهتمامه بالمنصب، ومشيراً إلى أنه على استعداد لقبول منصب رئيس الوزراء في الحكومة العراقية المؤقتة، وقد تبين أنه نجح في تجميع عدد كبير من القادة العراقيين الآخرين حوله، الذين أبدوا تأييدهم الكامل.

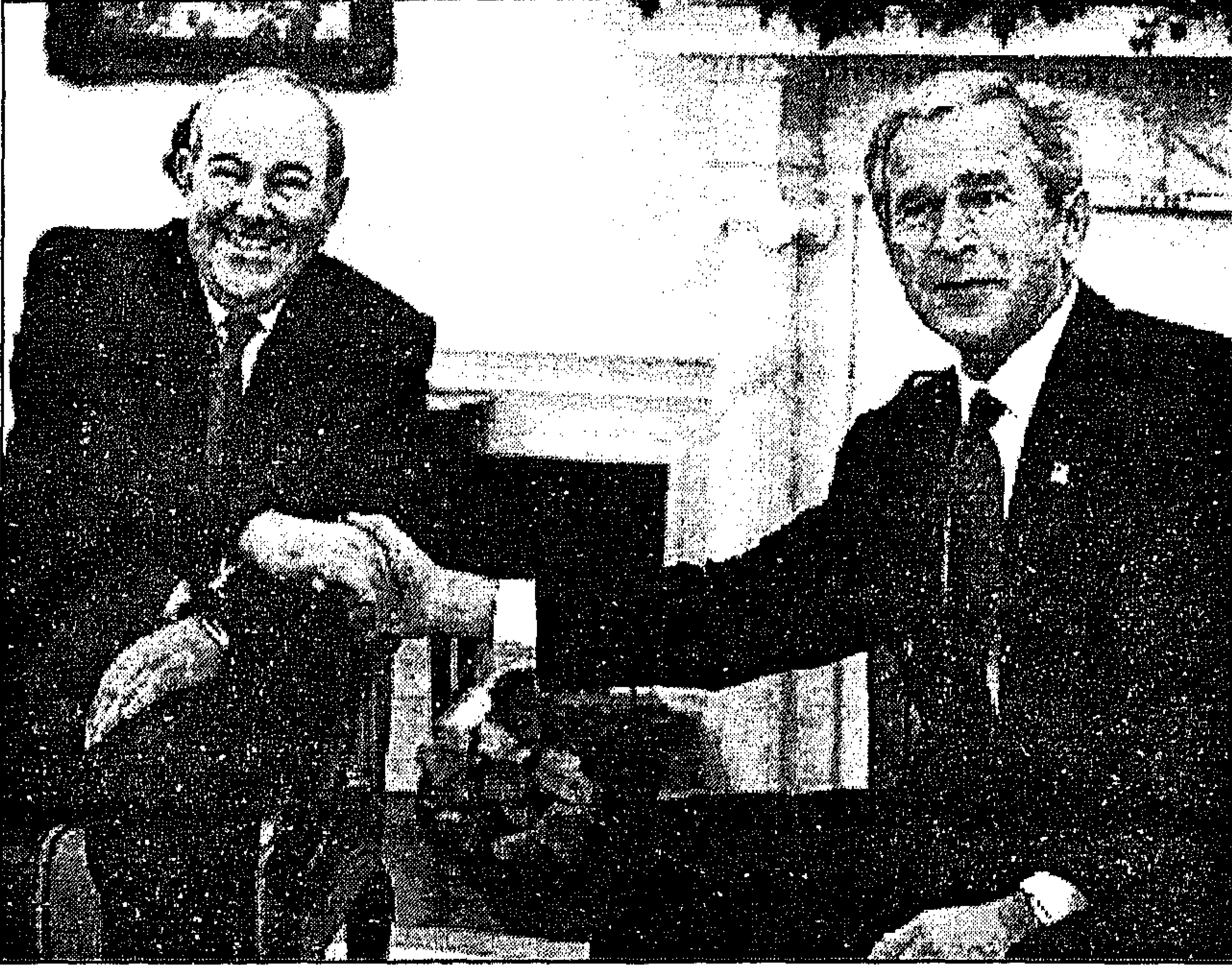
ويقول تينيت إن أول رد فعل له حيال سماع ذلك هو القول: عظيم! وذلك على الرغم من أنه لم يكن على تمام الثقة من أن علاوي هو الرجل المناسب لهذا المنصب القيادي. ويعود المدير السابق للسي. آي. إيه إلى المحاولات الأميركية لإعادة تشكيل الجيش العراقي، فيقول إنه مع تولي إياد علاوي رئاسة الحكومة العراقية المؤقتة في يونيو ٢٠٠٤ بدا واضحاً أن جهود التدريب تمضي بشكل سيء، وعلى الرغم من أن وحدات قوامها كتائب قد شرعت في الظهور إلا أن انضباطها كان متواضعاً، وغالباً ما كانت تنحل في غمار القتال، وبدأ كبار الضباط العسكريين الأميركيين في الإعراب عن اعتقادهم بأن المشكلة ليست في التدريب الأميركي، وإنما هي تكمن في القيادة العراقية.

ويلخص الكاتب رؤيته للموقف في العراق إلى أنه لا سبيل إلى العودة إلى العراق القديم، وأن السنة لن يشغلوا أبداً المواقع ذات المزايا التي تمتعوا بها يوماً، فالولايات المتحدة تدعم سلطة شيعية متزايدة ولن تسمح لأي نوع من البديل السني المعادل بالظهور.

وهو يضيف: إنك عندما تقرر أن تمضي بالبلاد إلى الحرب، فإنه يتعين عليك ليس فقط أن تعرف أن بمقدورك أن تهزم العدو عسكرياً وإنما ينبغي أن تكون لديك خطة واضحة تسمح لك بالحفاظ على السلام. ولم يكن هناك أبداً أي شك في أن القوات الأميركية ستهزم العراق عسكرياً، ولكن ما لم تتوافر لواشنطن وحدة الهدف والموارد اللازمة على الأرض، وببساطة بالغة فإن مجلس الأمن القومي لم يؤد عمله.



إياد علاوي رئيس وزراء العراق السابق الذي تناولته المذكرات ومنها تلك التي كتبها مدير المخابرات الأمريكية السابق جورج تينيت، ومن قبله الحاكم الأمريكي للعراق بعد الغزو بول بريمر !!



علاوي مع بوش .. هكذا كان المشهد دائماً .. علاوي يدين بالفضل لبوش .. وبوش استخدم علاوي .. وهكذا كانت خلاصة ما جاء في مذكرات الأمريكيين !!



بول بريمر كتب في مذكراته الكثير والكثير عن علاوي !!

١٢ عمر البشير

أولبرايت : خفت أن "يسممني" البشير!!

أصدرت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مذكراتها كعادة السياسيين بعد إحالتهم للتقاعد .. يكتبون مذكراتهم السياسية للمرحلة التي كانوا فيها داخل أروقة القرار السياسي في بلادهم وقد عرفت مادلين في أثناء توليها وزارة الخارجية الأمريكية بتشددها تجاه السياسة السودانية من منطلق خلفيتها ومصالح السياسة الأمريكية في السودان .. وفي إفريقيا عامة. دعونا نلقي نظرة عما كتبته مادلين أولبرايت عن السودان وزيارتها الأولى له .. وماذا قالت عن البشير وإنطباعاتها عنه إلى جانب هواجسها وهي في القصر الجمهوري السوداني .. لأول مرة ..

تقول أولبرايت في الفصل السابع عشر من مذكراتها: على الرغم من توجيه الانتقاد في الغالب إلى صناع السياسة الأمريكية لتجاهلهم أفريقيا فإنني زرت القارة

سبع مرات عندما كنت في الحكومة .. وتوقفت في اثني عشر بلداً تقريباً بما فيها السودان في ربيع ١٩٩٤م، كنت قلقة لأنها أول مهمة دبلوماسية إلى حكومة نعتبرها معادية.. مع ذلك استقبلنا الرئيس عمر البشير بشكل حسن . وهو ضابط عسكري سابق «لاحظ معلومات أولبرايت المغلوطة عن البشير» : وصل إلى السلطة بانقلاب قبل عدة سنوات ..البشير صارم ؟ وخوف من التسمم .. البشير في أوائل الخمسينات من العمر .. ولديه شارب ولحية قصيرة ومهذبة جيداً .. كان صارم الهيئة يستخدام عصا خشبية وكان وقورا لكل من حوله لكن قبل العمل قدم إليَّ كوباً طويلاً مليئاً بسائل زهري اللون له قوام الشامبو (يبدو أنه عصير الكركدي من هذا الوصف).

غالباً ما كنت أمزح بأن عملي كسفيرة هو الأكل والشرب نيابة عن بلدي .. لكن بدا ذلك خارج نداء الواجب لاحظت أيضاً أن البشير لايشرب أي شيء وكذلك كل السودانيين الآخرين لماذا ؟ خطر ببالي أنهم ربما يحاولون تسميمي وفيما كان البشير يراقبني رشفت ما أملت أن يكون رشفة مقنعة من المشروب لكنني لم أكد ابتلع شيئاً.. كان المذاق حلواً .. شبيهاً بمذاق (بيتو - بسمول) وانفرجت أساريري لأنني لم أنقلب رأساً على عقب..

هذه الجزئية من مذكرة أولبرايت هي التي لفتت نظري أكثر من الجوانب الأخرى في الكتاب التي تتحدث عن الدين وولوجه في السياسة الأمريكية وفكرة أن أولبرايت كان يتملكها هاجس الخوف من التسمم في الخرطوم وكان ينبني عليها أشياء ترسبت في نفسها من قرائن الأحوال من حولها فهي تصف السودان بأنه عدو للسياسة الأمريكية ثم إنها لديها إحساس أن الرئيس البشير رجل صارم ثم قدم لها شراباً نلاحظ ملاحظة أبدتها ولربما ضخمتها هواجسها وهي أن البشير أو السودانيين لم يشربوا أي حاجة مما زاد من هواجسها الداخلية والأهم من كل ذلك ماذكرته أن الرئيس البشير كان يراقبها أثناء شرابها للعصير .. كل تلك الأشياء جعلت حالتها النفسية مهيئة لهواجس الاغتيال التي طرأت على فكرها في تلك اللحظات ..

وتمضي أولبرايت متحدثة عن تلك الزيارة .. واجتماعها بالرئيس قائلة لم يكن فحوى اجتماعي بالبشير مرضياً أكثر من المشروبات.. فقد كنت أريد توجيه تحذير بشأن دور السودان كملاذ آمن للإرهابيين ولم يلق التحذير آذانا صاغية ..

«وحوي هذا الفصل من الكتاب معلومات سياسية كثيرة لاتمت إلى الواقع بشيء وهذا طبيعي في ظل المعلومات التي تستقيها الخارجية الأمريكية من إدارة الاستخبارات أو وزارة الدفاع ولسنا في حاجة إلى التذكير دوماً بأكذوبة أسلحة الدمار الشامل في العراق فيكفي إنها كانت قناعة للولايات المتحدة في مرحلة من المراحل إلي جانب أسطوانة الإرهاب التي تستخدمها الولايات المتحدة في سبيل بسط سيطرتها على أنحاء العالم ..

« وفي نفس الفصل تتحدث وزيرة الخارجية الامريكية في مذكراتها تلك عن د.جون قرنق قائلة:

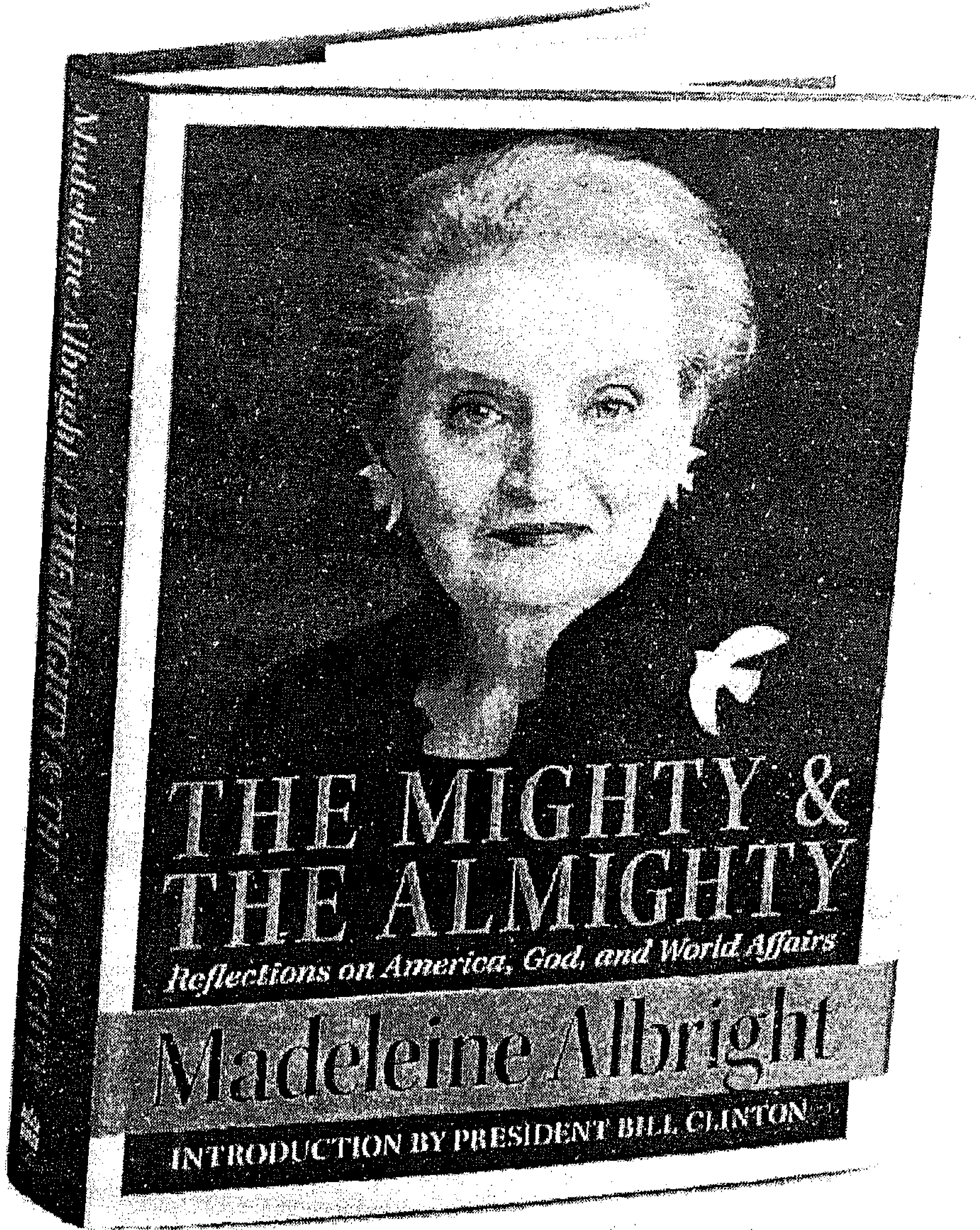
قائد المتمردين الجنوبيين جون قرنق كان في الثانية والخمسين عندما التقيت به أول مرة في أوغندا وهو رجل ممتلئ الجسم حاسر الرأس تعلو وجهه لحية يخالط بياض الشعر فيها سواده.. تعلم قرنق في الولايات المتحدة ولديه سمعة طيبة بالقدرة على إستمالة الجميع من المنظرين الشيوعيين إلي الناشطين المسيحيين ولم أتفاجأ عندما أخبرني بما كنت أريد سماعه بالضبط: إنه دعم السلام واحترام حقوق الإنسان وكان راغباً في تقاسم السلطة وآمل أن يتطور السودان إلي بلد ديمقراطي.. كنا نعرف أن سجل قرنق أبعد من أن يكون خالياً من الشوائب ولم نكن نريد توريط الولايات المتحدة في الحرب الأهلية الدائرة في السودان غير أننا رأينا فيه الشخص الوحيد القادر على توحيد الجنوب وبالتالي الضغط على الحكومة لإصلاح أساليبها وكان لدي قرنق وهو مقاتل من سنة ١٩٨٣ ذكاء القائد الحقيقي وحضوره كما أنه كان واسع الاضطلاع في الشؤون الاقتصادية والعسكرية على السواء.

ونلمس الجديد في نبرة أولبرايت في مذكراتها .. وهو الدين ؟

وتمضي أولبرايت في فصولها عن السودان لتلقي لنا الضوء عن نوعية التفكير الأمريكي نحو قضية السودان قائلة: من المقرر بموجب اتفاق السلام إجراء انتخابات وطنية سنة ٢٠٠٩ وبعد ذلك بسنتين يحق للجنوب إجراء استفتاء بشأن الانفصال أو عدمه وعلى الرغم من ان جون قرنق كان ملتزماً بإبقاء البلاد موحدة . فإن احتمال الانفصال يغري العديد من أتباعه . وعلى الولايات المتحدة أن تبذل ما بوسعها للمساعدة في تماسك التسوية السلمية وتشجيع حل دبلوماسي أوسع يضع حداً لنهاية الإبادة في دارفور والعنف الرهيب في شمال أوغندا .. حسب قولها وإقراراً منا بعدم إمكانية تجاهل الدين علينا أن نوضح بشكل مستمر أن سياستنا تهدف إلى مساعدة كل السودانيين ويجب أن نعمل ما بوسعنا لمنع القوي التقسيمية الخارجية سواء بتدخلها وبدلاً من محاولة فعل كل شيء بأنفسنا علينا العمل بالشراكة مع البلدان الأخرى ودعم مساعي مجموعات الوساطة القائمة على الدين لتوثيق عرى الوحدة في السودان عبر الخطوط الجغرافية والعرقية والدينية الفاصلة.



الرئيس السوداني عمر البشير الذي قالت أولبرايت في مذكراتها أنهم حذروها من أنه سيحاول تسميمها !!



كتاب أولبرايت الذي حمل أسرار زيارتها للسودان وتحذيرات المغرضين من أن الرئيس السوداني سيقتلها !!

١٣ معمر القذافي

ريجان يترجم عداءه للقذافي إلى سباب واتهامات !!

احتفظ الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان في مذكراته التي كتبها بخط يده بكثير من أفكاره الخاصة ومعتقداته التي كشف فيها عن استيائه وخيبة أمله من الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وشعور الخوف الذي انتابه من لحظة مصيرية آتية لا محالة في نفس اليوم الذي تعرض فيه لمحاولة اغتيال.

كان ريجان يحرص في مذكراته على عدم استخدام أي ألفاظ نابية وفي حالة اضطراره لاستخدام كلمة "اللعنة" تعبيرا عن غضبه كان يكتفي فقط بكتابة الحرف الاول منها.

لكن في أوقات كان يستفز. ولذلك فقد حرص عمدا على استخدام لفظ "محارق" حين كتب لمناحيم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق في الإشارة إلى الغزو الإسرائيلي لبيروت.

اعتاد ريجان أن يكتب يومياته بخط اليد على مدى سنواته الثمانية كرئيس للولايات المتحدة من عام ١٩٨١ وحتى ١٩٨٩ باستثناء الفترة التي قضاها في المستشفى عقب إطلاق الرصاص عليه يوم ٣٠ مارس آذار عام ١٩٨١ والتي قال عنها فيما بعد "الإصابة بالرصاص تؤلم."

وتوفر المذكرات وهي مختصرة ومحددة فرصة لإلقاء نظرة على وجهات نظر الممثل الذي تحول إلى رجل سياسة بشأن الأحداث العالمية وقت حدوثها وكيف أنه لم ينس أيامه في هوليوود عاصمة السينما الأمريكية حين حزن لوفاة الممثل والراقص الاستعراضي الأمريكي الشهير فريد إستير وحين وعد جيمي ستيوارت بالنظر في أمر منع تحويل أفلام الأبيض والأسود القديمة إلى أفلام ملونة.

وبعد توليه منصبه بأحد عشر يوما في يناير كانون الثاني عام ١٩٨١ كشفت مذكراته في ذلك اليوم عن قلقه من المد الشيوعي في أمريكا الوسطى والذي سيؤدي فيما بعد إلى فضيحة إيران كونترا التي كشفت إن الولايات المتحدة بالإضافة إلى دعمها العراق كانت تبيع أسلحة لإيران وتستخدم أموال هذه الصفقات لدعم ثوار نيكارجوا.

و قد وصف الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريجان في مذكراته التي كتبها بخط يده خلال السنوات الثماني التي قضاها في البيت الأبيض بين العامين ١٩٨١ و١٩٨٩ الزعيم الليبي معمر القذافي، بأنه "رجل ثائر"، ووجه له اتهامات بأنه يقف وراء اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات.

وتناول ريجان في مذكراته علاقته بالرئيس الراحل أنور السادات، الذي وصفه بأنه "رجل عظيم محب ولديه حس الفكاهة".

وقال ريجان : "من الصعب وصف الشعور الصاعق والأسى الذي تملكني لدى سماعي نبأ اغتياله، على الرغم من أن زيارته كانت قصيرة إلا أني اكتشفت بأن لدينا صداقة عميقة تربطنا".

وأضاف، "أحاول ألا أحمل ضغينة للذين اغتالوه لكني لا أقدر؛ لقد ظهر القذافي مرتاحا على شاشة التلفزيون فيما سار شعبه محتفلا في شوارع ليبيا بموت السادات، وأذاع بيانا من الإذاعة الليبية دعا فيه لقيام حرب جهادية قبل تأكيد نبأ مقتل السادات، لابد أن هذا البيان أعد سلفا، بكلمات أخرى كان يعلم أن الإغتيال سيقع". بسبب الاضطرابات التي شهدتها الساحة المصرية في أيام السادات الأخيرة".

و أوضح ريجان بمذكراته أنه شعر بغضب شديد بعد اعتقال الإيرانيين مراسل صحيفة "وول ستريت جورنال" في طهران واتهامه بأنه جاسوس صهيوني لدرجة أن الرئيس الأمريكي الراحل كان على استعداد لخطف الخميني المرشد الراحل للثورة الإسلامية في إيران.

وقال ريجان "إنه علم من كولن باول (رئيس هيئة الأركان السابق)، أن الإيرانيين أقدموا في طهران على اعتقال صحافي أمريكي ومصادرة جواز سفره واتهامه بأنه عميل صهيوني وألقوا به في السجن .. إنه كاثوليكي، أنا على استعداد لخطف الخميني".

تينيت : القذافي أجل الإعلان السياسي لمشاهدة مباراة منتخب بلاده !!

و قد تناول جورج تينيت المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي . إيه " في مذكراته الصادرة عام ٢٠٠٧ بعنوان : " في قلب العاصفة : سنواتي في الـ سي . آي . إيه " .. تناول جانباً من علاقة بلاده بليبيا خلال فترة وجوده في منصبه، وذكرياته عن الرئيس الليبي معمر القذافي في تلك الفترة .

وقد تناول تينيت ذكرياته عن القذافي في سياق حديثه عن تفكيك البرنامج النووي الليبي، وفي هذا الحديث يروي أموراً مهمة بعضها لا يخلو من الإشارة إلى خفة الظل وروح الدعابة، التي يتميز بها الرئيس الليبي، وأيضاً تعامله مع القضايا على طريقته الخاصة جداً، بغض النظر عن الطرف الآخر !!

و فيما يلي ما رواه تينيت بالحرف الواحد :

" يعد تفكيك برنامج العقيد القذافي النووي دون إطلاق رصاصة واحدة إنجاز كبير . ومنذ عام ١٩٩٩ وهناك اجتماعات سرية تجري مع مسئولين ليبيين كبار حول نشاط الجماعات الإرهابية الإسلامية. وكنا نعقد هذه الاجتماعات بحضور زملائنا في المخابرات البريطانية في مدن أوربية مختلفة.

وحدث أن اجتمعنا مع وفد ليبي يرأسه موسى كوسه الذي كان قد نال درجة الماجستير من جامعة ميتشجان الأمريكية في عام ١٩٧٧، ويا للغرابة فقد وجد ضباط سي آي إيه أنفسهم يتبادلون الهدايا مع الرجل الذي وصفته بعض التقارير بأنه العقل المدبر لعملية تفجير طائرة بان أمريكان الرحلة رقم ١٠٣ في شهر ديسمبر عام ١٩٨٨، والتي قتل فيها ٢٧٠ شخصاً (وقد عرف الحادث بـ " قضية لوكيربي " نسبة لتفجير الطائرة فوق قرية لوكيربي باسكتلندا.

و قد استمرت هذه الاتصالات لسنوات عدة تالية، حتى أدانت محكمة اسكتلندية ضابط مخابرات ليبي في القضية وحكمت ببراءة ضابط آخر. وقد بدا من تعاون ليبيا مع المحكمة أن نظام القذافي يريد أن يقفز خارج حلقة الإرهاب التي ارتبط بها اسم بلاده علي مدي أكثر من عشرين سنة مضت.

وكان العقيد القذافي قد أدان علانية هجمات ١١ سبتمبر ووصفها بأنها "مخيفة"، وقال إن الشعب الليبي مستعد لإرسال مساعدات إنسانية لأمريكا. وكانت هذه بادرة طيبة منه. وبعد سبتمبر تبادلنا مع الليبيين معلومات استخباراتية وكان تركيزنا هنا على كل ما يتعلق بتنظيم القاعدة.

و في شهر مارس ٢٠٠٣، أبلغنا زملاؤنا في المخابرات البريطانية أن مبعوثاً ليبياً من طرف القذافي أبلغهم بأن العقيد الليبي يفكر جيداً في التخلي عن برامج أسلحته النووية، وأن هذا المبعوث سألهم : هل الغرب مستعد لتخفيف العقوبات المفروضة على ليبيا حال قيامها بذلك ؟.

ووصل أحد كبار ضباط المخابرات البريطانية واشنطون والتقاني في اليوم التالي، وكانت حربنا على العراق قد بدأت لتوها . وبعد خمسة أيام كنت مع الرئيس بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير في كامب ديفيد نبحث عرض القذافي ودوافعه.

و بعدما اتفق على أن العرض فرصة لعمل إنجاز دون عناء، وبعد عدة اتصالات ومقابلات مع موسى كوسه التقى وفد سي آي إيه مع القذافي في نفس المكان الذي قصفته المقاتلات الأمريكية في عام ١٩٨٦ وقتلت فيه ابنة القذافي بالتبني.

وتعددت الزيارات تمهيداً لعقد الصفقة الكبرى، التي تسمح بالتفتيش علي النووي الليبي وتفكيكه، وعند منتصف شهر ديسمبر من نفس العام تحقق تقدماً كبيراً بدرجة كانت كافية للإعلان عنه. وتم الاتفاق على أن يعلن القذافي أولاً لشعبه أنه قرر التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل، ثم يأتي دور بلير الذي يرحب بهذا الإعلان، ثم يقوم بعد ذلك الرئيس بوش بالتعقيب على ذلك.

و كان من المفترض أن يعلن القذافي قراره هذا في التاسع عشر من ديسمبر، ولكننا فوجئنا بتأجيل، وعندما علمنا السبب صدمنا أكثر.. العقيد لا يستطيع إعلان قراره الليلة لأنه سيكون منشغلاً بمشاهدة المنتخب الليبي لكرة القدم في مباراته التي سينقلها التيلفزيون، كما أنه لا يريد إفساد تركيز جماهير الكرة الليبية على متابعة منتخبهم في مباراة هامة بالإعلان عن أشياء لا تهمهم كأسلحة الدمار الشامل !!

محاولة الاغتيال

الأمريكية للقذافي !!

ومن مستنقع إلى آخر، انتقلت ساحة المواجهة الأمريكية هذه المرة إلى ليبيا، بعد أن رفع القذافى راية التحدى للهيمنة الأمريكية في المنطقة لسنوات طويلة، ومن ثم لم يكن غريبا أن تقرر الولايات المتحدة بدءا من عام ١٩٨٠ التخلص نهائيا من القذافى..

ففي صيف ١٩٨٠وضعت أمريكا خطة لضرب طائرة القذافي في رحلته لأوروبا الشرقية، إلا أن الطائرات الأمريكية أسقطت طائرة إيطالية فوق مياه أوستيكا متوهمة أنها طائرة القذافي. وفي ١٩ أغسطس ١٩٨١ قامت ثماني طائرات أمريكية باعتراض طائرتين من طائرات السلاح الجوي الليبي كانتا تقومان باستطلاع في المياه الليبية وأسقطتهما.

ولم تلبث مجلة نيوزويك أن نشرت آنذاك مقالا بعنوان (الحرب غير المعلنة) كشفت فيه أن " المعركة الجوية فوق المتوسط لن توقف الحرب غير المعلنة، وأن أمريكا مقتنعة بأن القذافي يشكل تهديدا للأنظمة المؤيدة للغرب بالمنطقة، ولهذا السبب تحاول إدارة ريجان القبض عليه !! ". وفى ١٦ فبراير ١٩٨٣ اصطدمت طائرة ليبية بطائرات أمريكية في المجال الجوي الليبي قرب مدينة بنغازي، وذلك بعدما اخترقت الطائرات الأمريكية المجال الجوي الليبي قرب بنغازي بـ ٨٠ كم. وفي ٢٤ مارس ١٩٨٦ قامت أمريكا بعدوان بحري جوي على خليج سرت شاركت فيه ثلاث حاملات للطائرات، ثم في اليوم التالي مباشرة أسقطت الطائرات الأمريكية قنابلها على زورق دورية قبالة خليج سرت كان يقوم بمهمة روتينية. بيد أن العنجهة الأمريكية بلغت مداها فى١٠ أبريل ١٩٨٦ بالغارة على مدينتي طرابلس وبنغازي وبيت القذافي في محاولة لإسقاط النظام، وهو ما كشفته جريدة الديلي ميل البريطانية عقب الغارة مباشرة، حين نقلت عن مصادر أمريكية أن الرئيس الأمريكي السابق ريجان دبر عملية سرية ترمي إلى الإطاحة بالنظام في ليبيا عن طريق الاتصال بعدد من الضباط الليبيين الموجودين في الخارج ممن جندتهم المخابرات الأمريكية.. كما أكد طيارون أمريكيون اشتركوا في الغارة أن الهدف الأول لتلك الغارة كان اغتيال القذافي.

البرغوث الألكتروني

للتجسس على القذافي !!

دخل البرغوث الإلكتروني عالم الجاسوسية والمخابرات بقوته ودقته المتناهية وأثبت نجاحا كبيرا في الحصول على المعلومات المطلوبة ونقلها بسرعة مذهلة، كما يستطيع البرغوث الجاسوس الذي يصعب اكتشافه الحصول على معلومات لم تكن تستطيع الأجهزة المخابراتية الوصول إليها كتحليل الحالة النفسية للأشخاص المطلوب التجسس عليهم وخاصة الرؤساء.

ومنذ أول اكتشاف لهذا البرغوث في ألمانيا عام ١٩٩٧م وكان عبارة عن مرسل صغير حيث أشار إليه العالم الألماني ايرش شميدت ابينوم وأعلن ايرش أن استخدام مرسل بالغ الصغر يمكن تركيبه في أي كمبيوتر يستطيع ان يرسل ما هو موجود في هذه الكمبيوترات إلى الأقمار الصناعية خلال جزء من الثانية وذلك بزراعته سواء في وحدة المعالجة المركزية أو ما يطلق عليه لوحة الرقائق Cup أو في إحدى الرقائق الموجودة في اللوحة، وقد تسلمت الموساد هذه التكنولوجيا المتقدمة المسماة (بروميس) من المخابرات الأمريكية التي قامت بدورها بزرعها في الكمبيوترات التي تباع إلى البلدان العربية ومن ثم استطاع الكيان الصهيوني الاطلاع على محتويات هذه الكمبيوترات بتعاون الجهازين الاستخباريين ونشر هذا الجاسوس الإلكتروني له ثلاثة أهداف هي الاطلاع على أرشيف أجهزة الشرطة والاستخبارات والجيش ومراقبة المؤسسات المالية وأخيرا متابعة البرامج النووية في العالم، وكانت الأردن أولى الدول العربية التي تمت فيها تجربة هذا الجاسوس الإلكتروني لكونها أكثر الأجهزة الأمنية العربية امتلاكا للملفات عن الفلسطينيين، وقد تم تسليم برنامج (بروميس) إلى المخابرات الأردنية العسكرية مع مجموعة من كمبيوترات شركة (آي . بي . إم) عن طريق (شركة هادرون) التي كانت قد حصلت على تركيب نظام اتصالات للسلاح الجوي الأردني منذ عام ١٩٨١، وبالرغم من وجود خيط سري يصل الكمبيوتر بخط هاتف شقة بعمان يسكنها جاسوس صهيوني كان يقوم

بجمع المعلومات ونقلها إلى الكيان الصهيوني إلا أنه لم يكتشفه أحد وكان ذلك عام ١٩٨٢ حيث كان جهاز الكمبيوتر في حجم الثلاجة، وبعد التطور التكنولوجي الهائل لم تعد ثمة حاجة إلى مد خط تليفوني بل تم استخدام وسائل أكثر تطوراً حيث يجرى تزويد الكمبيوتر (ببرغوث إلكتروني) أو البرغوث الذكي وهو يقوم بسحب المعلومات والأسرار من أي مكان في العالم عن طريق محطات التقاط ومنها إلى الأقمار الصناعية وأخيراً إلى قواعد التحليل التابعة للمخابرات الأمريكية والموساد، وأكد أحد أعضاء مخابرات الجيش الأمريكى أن شركة(اورام تريدنج) قامت ببيع (بروميس) إلى كل من مصر وسوريا وباكستان والعراق والكويت وإيران وتركيا ولم يتم اكتشاف هذا البرنامج أو البرغوث منذ عام ١٩٨١ بداية استخدامه إلا في عام ١٩٩٣ على يد المخابرات الفرنسية التي اكتشفتها مزروعا في كمبيوتر منظمة تحرير فلسطين وبالتحديد في مكتب أبو مازن أثناء وجوده في تونس حيث كان ينقل المعلومات أولاً بأول.

واستخدمت المخابرات الأمريكية أيضا علماء النفس وأخصائيين نفسيين لتحليل المعلومات الخام وتحليلها لمعرفة الحالة النفسية لرؤساء العرب الذي كان من بينهم العقيد معمر القذافي التي كانت حالته النفسية أهم ما يشغل المخابرات الأمريكية خاصة أثناء توتر العلاقات الليبية الأمريكية وهو ما يعرف في أوساط المخابرات باسم التجسس الفرويدي، وقد توصلت المخابرات إلى أن القذافي امتص بشكل مبالغ فيه الخصائص البدوية كالتعصب الديني والإحساس الحاد بالكرامة والتقشف وكراهية الأجانب والحساسية تجاه الإهانات بسبب الظروف التي تعرض لها في بداية حياته خلال سنوات دراسته الأولى من اضطهاد أهل المدينة بسبب الحالة التى عاشوا فيها فى العهد الملكى الذى كان يسيطر ويستأثر دون عدالة ومساواة من أبناء الشعب الذين كانوا يستحقون حياة أفضل فى ظل الإمكانات المتاحة لكافة الشعب تلك التي خلقت لديه نوعاً من النفور من النخبة ولعل معرفة الحالة النفسية والصحية ليس جديداً على عمل المخابرات الأمريكية فقد كان رجل المخابرات (مايلزكوبلاند)

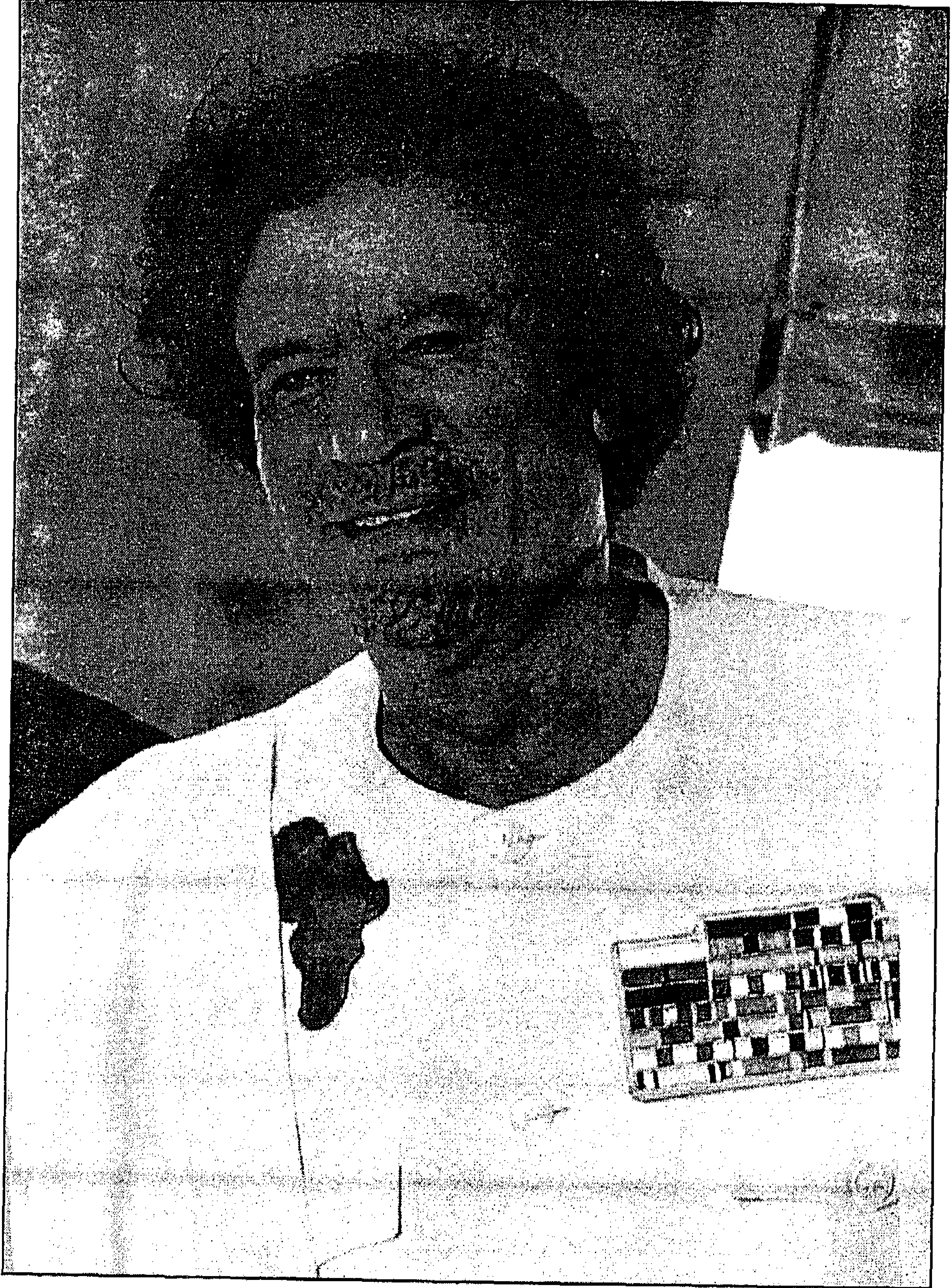
منوطاً بجمع المعلومات عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وذلك بتكليف من الأطباء النفسيين والعاديين التابعين للمخابرات الأمريكية ويذكر (كوبلاند) في إحدى تقاريره في بداية الستينيات أن عبد الناصر مازال يتمتع بكامل قواه العقلية، كما أن شخصيته مازالت قوية بالدرجة التي تجعله يتحمل ضغط التملق والمداهنة والولاء المزيف وقد وصف أحد تقارير«س. آي. إيه» السادات بأنه يصاب بنوبات من القلق العصبي الشديد، وسواء كانت المعلومات الصحية والنفسية صحيحة أم لا إلا أنها كانت تلعب دوراً كبيراً في رسم سياسة الولايات المتحدة حيث يذكر «كوبلاند» في كتابه (لعبة الأمم) أنه بعد وصول المعلومات إلى رجال المخابرات يتقمص كل شخص منهم شخصية أحد الرؤساء وفقا لتقارير الحالتين النفسية والصحية، ويبدأ في التفكير بدلا منه، وقد كان كوبلاند يتقمص شخصية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في اجتماعات المخابرات المعروفة باسم (لعبة الأمم) من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٧ إلا أنه فشل في التنبؤ بقيام عبدالناصر بتأميم قناة السويس في حالة امتناع البنك الدولي بتمويل السد العالي .

التجسس على الأصدقاء

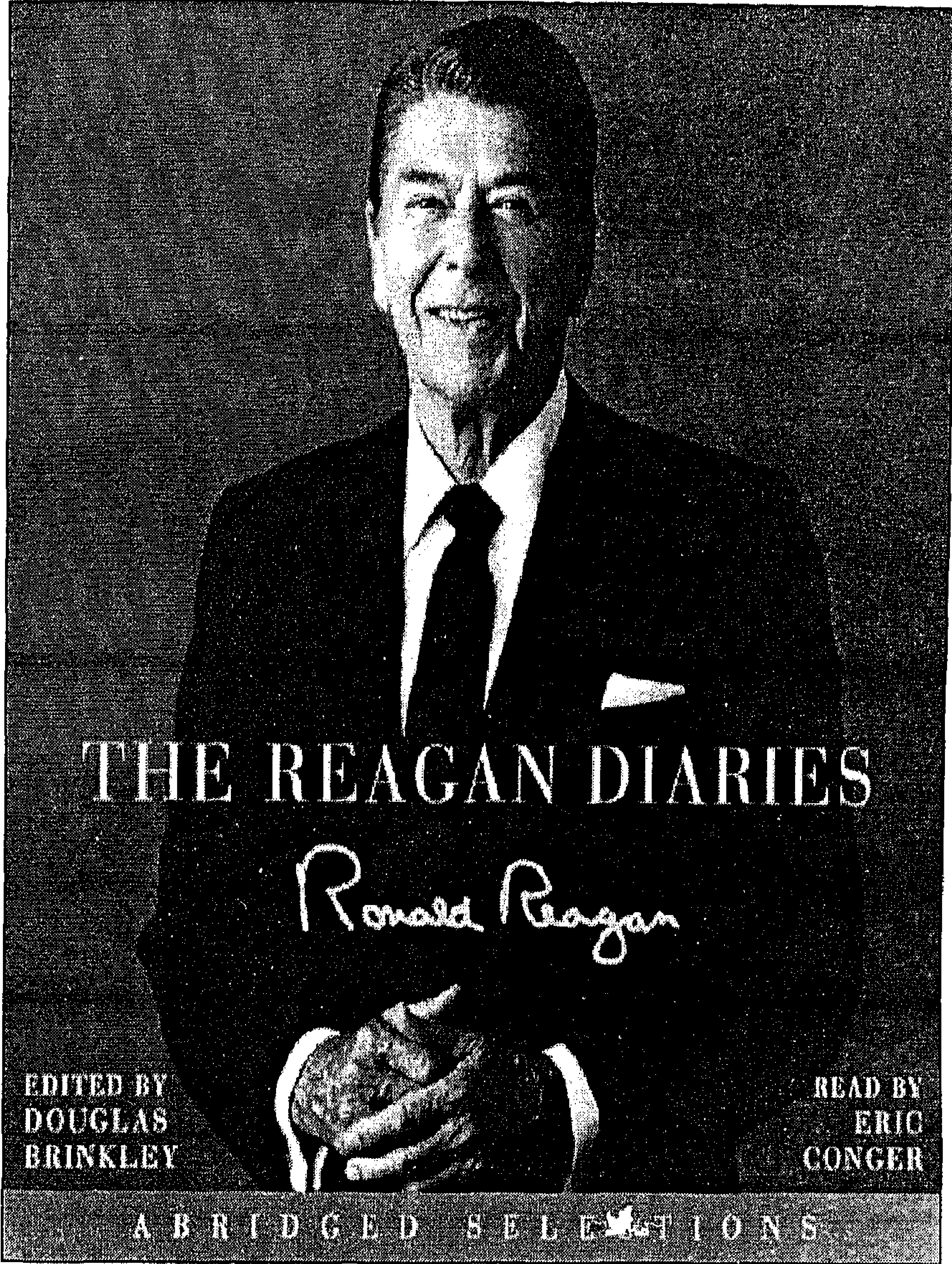
كان شاه إيران ايضاً من بين الرؤساء المتجسس على حالتهم الصحية بعد قدومه إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج بعد إندلاع الثورة الإيرانية، وقبل بدء عملية احتجاز الرهائن الإيرانيين في طهران ضمن السياسة الأمريكية (التجسس على الأصدقاء) حيث طلب البيت الأبيض من المخابرات الأمريكية وضع أجهزة تنصت في غرفة الشاه المصاب بالسرطان فاعترضت المخابرات على أساس تمتعه بنفس حقوق المواطن الأمريكي، فأصدر الرئيس الأمريكي قراراً كتابياً بالتجسس، وتم زرع أجهزة الكترونية داخل جناح الشاه في أحد مستشفيات نيويورك، ويبدو انه بناءً على نتائج التجسس قامت الإدارة بطرد الشاه الصديق والبحث عن طريق آخر للتعامل مع الثورة الإيرانية .

وللتجسس الأمريكي باب خلفي هو البحث العلمي ففي مصر ٤٠ مؤسسة بحثية أمريكية توغلت في المجتمع المصري وعملها الظاهر الأبحاث العلمية والحقيقي جمع معلومات مهمة عن المجتمع المصري بهدف تشريحه سياسياً واقتصاديا واجتماعيا لمعرفة نقاط القوة والضعف واستغلال ذلك لمصالحهم كترويج أفكار معينة أو تغيير سلوكيات وتقاليد، وهذا يحدث في الدول العربية .

ومن الأمثلة الفاضحة أن نتيجة للبحوث الدقيقة التي أجرتها أمريكا عن إنتاج واستهلاك القمح بمصر استطاعت وبضغوط سياسية أن توقف تنفيذ خطة مصرية سودانية لزراعة مليوني فدان من أراضي الجزيرة بالسودان قمحاً بتمويل خليجي وكان الهدف من هذه الخطة تحقيق الاكتفاء الذاتي بين البلدين والتصدير للدول العربية ومن أمثلة مراكز البحوث الأمريكية القابعة في قفص الاتهام مؤسسات فورد، وفورد فونديش، وهيئة A.D ومؤسسة EBIK بالإضافة إلى عدد من المؤسسات الموجودة بالولايات المتحدة، وتقوم بتمويل المؤسسات في الوضع العربي كالوكالة الأمريكية للتنمية التي تتبع الكونجرس الأمريكي وتنفق ١٠٠ ملايين دولار سنوياً على برنامج مبادرة الديمقراطية لتمويل وكالات استشارية وحلقات دراسية وأوراق بحثية لجمع معلومات عن الأحزاب والانتخابات والاتحادات والنقابات العمالية، بجانب الهيئة القبطية الإنجيلية والمسجلة في مقدمة المستحقين للمعونات الأمريكية.. وتمارس هذه المؤسسات عملها عن طريق توظيف القيادات البيروقراطية لتكون إداة طيعة في يدها، بجانب استغلال الجماعات وبعض الوزارات والمراكز السياسية والاستراتيجية المعروفة بميولها الغربية إلى جانب القيادات الإعلامية والصحفية لتأثيرها الكبير في الرأي العام.



القذافي الذي كان ريجان يكن له عداءً مستعراً نضحت به مذكراته !!



مذكرات ريجان التي حملت من السباب أكثر مما حملت من السيرة الذاتية !!

December 20, 1983

Mommy and I went out and looked at the National Christmas Tree. The lights sure were pretty for such a bull___t faith. We then went back to our private quarters and sacrificed a kitten to Chalchiuhtlicue. Then we read our charts before settling down to watch the film "Tootsie"; I totally bought Dustin Hoffman as a woman. Mommy, though, was jealous of his ankles. I thought he was better in "Midnight Cowboy" though.

Meanwhile, received report of Rumsfeld's visit to Iraq to meet with our good friend Saddam Hussein. He has a rather nasty disposition; but he isn't a commie and looks good in a beret. Plus, he's a bulwark against the Shiite theocrats in Iran. Love him or hate him, we'll need to keep him in power. Only a complete and utter moron would do otherwise.

Well, better go. That idiot boy Jane Wyman made me adopt is coming to Washington. Have to get up early to travel back to California before he gets here.

ورقة من مذكرات ريجان كما كان يكتبها بخط يده !!

١٤ الصادق المهدي

ظلت مواقف الدول الغربية من قضية الديمقراطية في العالم العربي مثار جدل مستمر في أوساط صنعا السياسة الخارجية في البلدان المعنية، مثلما هي في الأوساط الأمريكية والشعبية، وقد كانت عودة الديمقراطية إلى السودان في عام ١٩٨٥ اختبارا عمليا مبكرا لهذه السياسات، إذ أن الديمقراطية هناك وفت بكل الشروط المعروفة في الانتخابات الحرة النزيهة وتفوقت على التجارب العربية اللاحقة بأنها كانت ديمقراطية بلا إقصاء أو وصاية، حيث كان الشعب هو الحكم الوحيد في أمرها.

وفوق ذلك فإن الحكومة التي جاءت إلى السلطة بعد انتخابات نيسان -أبريل- عام ١٩٨٦ كانت موالية للغرب ومجتهدة في صداقة أوروبا والولايات المتحدة وعليه فكان من المتوقع أن يدعم الغرب هذه الديمقراطية بغير تحفظ " .

نورمان أندرسون : المهدي

عاجز ومتردد وفاشل !!

ولكن المطلع على مذكرات السفير الأمريكي الأسبق في الخرطوم، نورمان أندرسون، والتي أصدرها بعنوان "السودان في أزمة: فشل الديمقراطية" يكون معذورا إذا استنتج أن الولايات المتحدة كانت في حالة حرب شبه معلنة ضد الصادق المهدي وحكومته .

فالكتاب عبارة عن هجوم مطول ومركز على المهدي، حفل بالاتهامات لرئيس الوزراء الأسبق وحكومته بالعجز والتردد وقلة الاهتمام بالمعاناة الإنسانية للسودانيين، وعدم القدرة على معالجة مشاكل السودان الرئيسية وعلى رأسها الأزمة الاقتصادية والحرب في الجنوب.

ومع أن أندرسون نفى ما أوردته صحيفة "اتلانتا كونستيتيوشن" الأمريكية في ينايرعام ١٩٩١ من ترحيب الإدارة الأمريكية بانقلاب عسكري يطيح بحكومة المهدي، إلا أنه أكثر من التحسر في نفس الصفحة على فشل قيادة الجيش في إطاحة المهدي بعد إنذارها للمهدي في فبراير ١٩٩١.

واتهم السفير قيادة الجيش بالتخاذل وعدم القدرة على اتخاذ القرار، بل واتهم الشعب السوداني بالجمود لأنه لم ينهض لإطاحة الصادق المهدي وحكومته.

والقارىء بين السطور وفوقها يكتشف أن السفير وحكومته كانا بالفعل يفضلان إسقاط الحكومة المنتخبة، على الرغم مما صرح به هو وغيره للضباط الذين استشاروه في هذه المسألة كما قال.

وعلى كل فإن السفير لم يخف خيبة أمله الحادة في الصادق وحكومته، واعترف بأن الحكومة الأمريكية خفضت مساعداتها بشدة للحكومة الديمقراطية، بحيث إن هذه الحكومة أصبحت تدفع للولايات المتحدة في آخر أيامها أكثر مما كانت تتلقى من معونات.

ووصلت المعونات الأمريكية للسودان ذروتها في عهد الرئيس السابق جعفر النميري الذي تفجرت الثورة التي أطاحت به وهو ضيف على الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان في البيت الأبيض.

وبلغت المعونات الاقتصادية للسودان في عام ١٩٨٥ أكثر من أربعمئة مليون دولار، بينما بلغت المعونات العسكرية في الثلاث سنوات من عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٥ أكثر من ثلاثمئة مليون دولار.

ولكن المعونات تدنت في عام ١٩٨٥ إلى أقل من خمسة وعشرين مليون دولار، وكان يتوقع أن تنخفض في عام ١٩٩٠ إلى خمسة ملايين دولار فقط.

الأسوأ من ذلك هو أن الحكومة السودانية كانت مجبرة على أن تدفع للولايات المتحدة مبالغ إضافية من أقساط وفوائد الديون حتى تحصل على هذه "المعونات" الهزيلة.

مثلا خلال عام ١٩٨٩ كانت المعونات الأمريكية للسودان لا تزيد على ٢٢ مليون دولار، بينما كان على الحكومة السودانية دفع ٥٢ مليون دولار لأمريكا .

في مطلع ذلك العام عقدت الحكومة صفقة قمح أمريكية بمبلغ ٣٠ مليون دولار ولكن لكي تحصل على قرض بهذا المبلغ كان يتحتم عليها أن تدفع لأمريكا ٤٤ مليون دولارا

ويعزو السفير الأمريكي انخفاض المعونات الأمريكية لرفض الحكومة السودانية إجراء الإصلاحات الاقتصادية الضرورية، حيث إن الدول المانحة لم تكن تريد أن تلقي بأموالها في بئر بلا قاع.

ويرسم السفير صورة قاتمة لوضع السياسات الاقتصادية في عهد حكومة المهدي، حيث يصور لنا حكومة يسودها التردد، عاجزة تماما عن اتخاذ القرارات الحازمة لوقف التدهور الاقتصادي خوفا من ردة الفعل الشعبية، وهي مع ذلك تكثر التسول للمعونات لتنقذها من عجزها وتبعات فشلها.

فهو يقول عن وزير الاقتصاد الأسبق بشير عمر أنه يظهر دراية لا بأس بها بدقائق الاقتصاد، ولكنه يتبع كل تحليل اقتصادي بطلب ملح لمزيد من المعونات، وقد ظلت الحكومة تشترط وصول المعونات قبل الإصلاحات الاقتصادية، وبالأخص توفير مخزون من المحروقات والقمح والسكر يكفي البلاد لثلاثة أشهر لتجنب الأزمات وتخفيف ردة الفعل الشعبية.

الحرب الأهلية كانت أيضا عامل احتكاك بين البلدين ولكنها لم تكن، حسب رواية السفير، هي العامل الحاسم.

ويبدو أن الإدارة الأمريكية لم تجعل النجاح في إحلال السلام شرطا للمعونات، بل كان العامل الاقتصادي هو الأهم.

وكانت الولايات المتحدة في أول الأمر غير متحمسة للتمرد الجنوبي الذي كانت تدعمه أثيوبيا الموالية للاتحاد السوفييتي، ولكن هذا لم يقلل من التعاطف العام مع مطالب الجنوبيين، وقد كانت الولايات المتحدة هي التي بادرت بالاتصال مع حركة التمرد، حيث يقول السفير أن قرنق قد تهرب مرارا من الالتقاء بدبلوماسية أمريكية-ولعله يكون في ذلك حذرا من إغضاب أثيوبيا!

وجاء أول لقاء أمريكي مع مندوب الحركة الشعبية لتحرير السودان العقيد اروك تون في لندن في أيلول -سبتمبر- عام ١٩٨٦ -وذلك بعد شهرين من أول لقاء بين الصادق وقرنق في أديس أبابا.

وتحدث السفير مرارا عن تشدد حركة قرنق وفشل محاولاتهم المستمرة لجرها للتفاوض وعرقلتها لجهود الإغاثة، ولكنه ألقى باللوم كله تقريبا في تعويق جهود السلام والإغاثة على الصادق المهدي، ومع أنه اتهم الإعلام الأمريكي بالمبالغة في لوم الحكومة السودانية والتغاضي عن دور حركة التمرد في تعويق الإغاثة، إلا أنه فعل الشيء نفسه، حيث تحامل على الصادق وحكومته واتهمه بالخضوع لابتزاز الجيش في هذا الشأن.

ويقول السفير إن الصادق المهدي خلف تركة ثقيلة في الجنوب، حيث أن قرابة مليون شخص ماتوا في الحرب أو بالمجاعة في عهده.

واتهم المهدي أيضا بعدم الواقعية، خاصة حين تغاضى عن مظالم الجنوب واعتقد ان التمرد صنيعة أثيوبية وأن حل الإشكال يتم بالتفاهم مع أثيوبيا حول أريتريا . وقال إن الصادق حاول أن يبيعنا فكرة أن حرب الجنوب مؤامرة أثيوبية- سوفييتية، ولكننا رفضنا النظر إلى الحرب من منظار الحرب الباردة، حيث إن مظالم الجنوبيين حقيقية. وكشف السفير أن حكومته تعرضت إلى هجوم عنيف من الإعلام والكونغرس بسبب موقفها المهادن من حكومة المهدي، مما اضطر إدارة بوش إلى إصدار "كتاب أبيض" حول السودان في مطلع عام ١٩٨٩ لتبرير المواقف الرسمية تجاه الوضع ولتشرح أنها لم تكف عن الضغط على السودان.

السياسة الخارجية كانت أيضا محل خلاف حاد بين البلدين، حيث يقول السفير إنه بدأ مهمته في السودان بالاحتجاج للصادق المهدي على وجود عناصر ليبية "إرهابية" في الخرطوم، ولم يرضه رد الصادق بأن الليبيين تعهدوا احترام سيادة السودان .

وكان أحد موظفي السفارة الأمريكية في الخرطوم تعرض لإطلاق رصاص بعد الغارة الأمريكية على ليبيا في نيسان -أبريل- عام ١٩٨٦ ، وظلت أمريكا تتخوف من تكرار الهجوم.

وتحفظت أمريكا على التقارب السوداني الليبي والعلاقات مع إيران والاتحاد السوفييتي، وقال السفير إن إصرار الصادق على اتباع سياسة غير منحازة لم ينل القبول في واشنطن.

وكان الصادق بدأ عهده بإلغاء اتفاقية أبرمت في عهد النميري تسمح للولايات المتحدة بتخزين معدات عسكرية في ميناء بورتسودان، وحذر الولايات المتحدة من اتباع سياسة قصيرة النظر تربط العلاقة مع السودان بالانصياع لتعليمات واشنطن،

واكد للمسؤولين الأمريكيين بأن تعزيز الاستقرار والديمقراطية في السودان يخدم مصالح الغرب على المدى الطويل، حتى وإن كانت هناك خلافات في الرؤية على المدى القصير، ولكن السفير سخر من هذا الموقف ومن طلبات الحكومة السودانية المتكررة للدعم مع إصرارها على عدم الانحياز واستقلالية القرار.

موضوع الإغاثة لمتضرري الحرب كان أيضا مثار خلاف حاد، ولعل هذه أكثر مسألة نالت من رصيد حكومة المهدي في أمريكا والغرب.

فهذه هي القصة التي تلقفتها أجهزة الإعلام الغربية والكونغرس ومنظمات الإغاثة، وكان الصادق المهدي، وافق في تشرين الأول -أكتوبر- عام ١٩٨٦ على السماح بإرسال إغاثة إلى مناطق الحرب.

واستأجر برنامج الأمم المتحدة للغذاء طائرات لهذا الغرض ومعها الصحافة العالمية لتغطية الحدث، ولكن المهدي سحب موافقته في آخر لحظة، مما أحدث ردة فعل قوية في الأوساط الغربية.

ويبرر السفير تذبذب موقف المهدي بضغوط من الجيش .ومع أن الحكومة وافقت في عام ١٩٨٨ على ارسال شحنات تحت إشراف الصليب الأحمر، إلا أن موضوع الإغاثة ظل موضوع شد وجذب مستمر في ضوء تركيبة الإعلام الغربي على انتشار المجاعة في الجنوب، وإضافة إلى ما كشفته حول العلاقات الثنائية فإن مذكرات السفير ترسم صورة مدهشة لآليات الحكم في العهد الديمقراطي خاصة فيما يتعلق بطريقة تعامل القوى المختلفة مع بعضها البعض ومع الجهات الخارجية.

فالحكومة كانت على أحسن الفروض مفككة وتفتقد تماما التنسيق فيما بينها، إضافة إلى عجزها الثابت، مثلا يروي السفير واقعة عن قرار الحكومة في عام ١٩٨٧ طرد بعض جماعات الإغاثة الكنسية في الجنوب، فيقول إن رئيس مجلس رأس الدولة أحمد الميرغني ووزيري الداخلية والخارجية -وكل هؤلاء أعضاء في الحزب الاتحادي- إضافة إلى قيادة الجيش أكدوا له أنه لا علم لهم بهذا القرار ولم

يوافقوا عليه. والطريف أن السفير كرر أن الوزراء أكدوا له ذلك حتى بعد أن اتخذت الحكومة قرارا جماعيا حول هذه المسألة.

وهذا يعني إما أن وزراء الحزب الاتحادي لم يكونوا يحضرون اجتماعات مجلس الوزراء، أو إنهم كانوا يكذبون على السفير.

ويبدو أن وزراء كثيرين في الحكومة وضباطا في الجيش كانوا يعبرون للسفير عن اعترافهم على العلاقات الوثيقة بين السودان وليبيا، هذا مع العلم أن سياسة الحزب الاتحادي الرسمية تؤكد على توثيق العلاقات مع ليبيا والعراق وبقية الدول العربية.

ولكن هذا يشير إلى أن الحكومة كانت تتحدث بأكثر من لسان، وتخاطب بأكثر من وجه، وأن أسرار الدولة كانت مباحة ومشاعة، وأن البعض كان يناور ويلبس لكل حالة لبوسها.

مذكرات السفير الأمريكي تلقي بضوء ساطع على موجهات السياسة الأمريكية فيما يخص الديمقراطية، حيث كشفت أن أولويات هذه السياسة هي الولاء لأمريكا أولا، والاقتصاد ثانيا والاستقرار ثالثا.

أما الديمقراطية فهي على ما يبدو وسيلة لا غاية، فاذا حققت الديمقراطية الأهداف الثلاثة المذكورة، فإنها تصبح محل ترحيب، أما إذا لم تفعل، فمرحبا بالعسكر في أي وقت. وتتأكد هذه السياسة بموقف الولايات المتحدة من دول عديدة حققت النمو الاقتصادي بلا ديمقراطية، مثل يوغندا وأثيوبيا، أو الدول العربية الحليفة لها.

من جهة أخرى فإن تحليلات السفير والمعلومات التي كشف عنها تؤكد ما كان يعرفه أهل الشأن عن طبيعة أزمة الحكومة الديمقراطية في السودان.

فالحكومة كانت تتألف من أحزاب متنافرة يكيد بعضها للبعض الآخر، ويتآمر الحليف فيها ضد حليفه ويتخابر من وراء ظهره مع الجهات الأجنبية، مما أضعف موقف الحكومة التفاوضي في كل مجال.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أن قيادة الجيش أيضا كانت لها قنوات اتصال مباشرة مع الأجانب إلى درجة ان بعض كبار ضباط الجيش كانوا يتشاورون مع السفير الأمريكي -حسب روايته- حول جدوى القيام بانقلاب ضد الحكومة الشرعية المنتخبة! من جهة أخرى فإن هذه الحكومة المنتخبة لم تثبت فقط عجزا عن اتخاذ القرارات الحازمة ومعالجة الأمور الحيوية، بل إنها كانت تتناقض مع نفسها في كل أمورها.



الصادق المهدي الذي تناوله السفير السابق أندرسون في مذكراته باتهامات كثيرة !!

مصادر ومراجع

١- كتاب " سياسة الدبلوماسية " - جيمس بيكر - ١٩٩٦

٢- كتاب " القادة " — ريتشارد نيكسون

٣- كتاب " الفرصة السانحة " — ريتشارد نيكسون

٤- كتاب " نصر بلا حرب " — ريتشارد نيكسون

٥- كتاب " سنوات في البيت الأبيض " — ج١ وج ٢ — هنري كسينجر

٦- كتاب " ذكريات الشرق الأوسط " - جون بادو

٧- كتاب " لعبة الأمم " — مايلز كوبلاند

٨- كتاب " ناصر العرب " – ويلتون وين

٩- كتاب " التقدم نحو القوة " – يوجين جوستين "

١٠- كتاب " في قلب العاصفة : سنواتي في سي . آي . إيه " – جورج تينيت

١١- كتاب " مذكرات أيزنهاور " — جمعها ورتبها ستيفن امبروز

١٢- مذكرات كريستيان بينو

١٣- مذكرات سير أنتوني إيدن

١٤- مذكرات فوستر دالاس

١٥- كتاب " إم آى ٦ : مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية- ستيفن دوريل

١٦- كتاب أندريه جروميكو

١٧- كتاب " في قلب السلطة " — يفجيني بريماكوف

١٨- حديث الذكريات – جورج بوش الأب – سي إن إن – ١٢ يوليو ٢٠٠٢

١٩- كتاب " حياتي " – بيل كلينتون

٢٠- كتاب السلام الضائع – دينيس روس

٢١- كتاب " فلسطين : سلام لا فصل عنصري " – جيمي كارتر

٢٢- كتاب مذكرات بيكر – جيمس بيكر

٢٣- كتاب سيروس فانس

٢٤- كتاب مذكرات ديجول – شارل ديجول

٢٥- كتاب : " تأملات في أميركا " – مادلين أولبرايت

٢٦- كتاب جيمس كريتشفيلد

٢٧- كتاب " مراقبة الإرهابي " – جورج بيرو

٢٨- كتاب "كيف كسبت الحرب" – الجنرال تومي فرانكس

٢٩- كتاب " السفاح الاقتصادي التائب- جون بيركنز - ٢٠٠٤

٣٠- كتاب " مجهول الإليزيه " – مذكرات جاك شيراك – جمعها بيار بيان- دار فايار

٣١- كتاب مذكرات شرويدر – جيرهارد شرويدر

٣٢- كتاب " بوش محاربا " - بوب وودورد

٣٣- مذكرات ريجان – جمعها وحققها دوجلاس برينكلي - دار هاربر كولينز ٢٠٠٤

٣٤- كتاب " سَنَتي في العراق " – بول بريمر

٣٥-كتاب "السودان في أزمة: فشل الديمقراطية" – مذكرات سفير أمريكي في السودان نورمان أندرسون

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

■ في كواليس السياسة والسلطة والحكم خزائن أسرار محصنة لدى الزعماء والقادة السياسيين والعسكريين ورجال المخابرات العالميين .. هذه الخزائن لا تفتح عادة أثناء وجودهم في مناصبهم .. ومن هنا تعتبر هذه المذكرات من المصادر المهمة التي تكشف الكثير من الجوانب الخافية في التاريخ السياسي، وتميط اللثام عن خلفيات الأحداث الكبرى في تاريخ الأمم، وتنير الطريق أمام المؤرخين لكشف غموضها، برغم أنها تحمل عادة آراء أصحابها وانطباعاتهم الشخصية عن الأحداث التي عاشوها وعاصروها .

ورغم أن زعماء و قادة السياسة و العسكرية والمخابرات في الخارج غالباً ما يركزون على قضايا بلادهم الداخلية، إلا أن تركز أحداث العالم الكبرى، في منطقة الشرق الأوسط بوجه عام، والعالم العربي على وجه الخصوص، واشتباك مصالحها مع مصالح هذه الدول، جعلهم يفردون مساحات كبيرة لكشف أسرار تعاملاتهم مع حكامها، وإماطة اللثام عن أدق تفاصيلها، وبالتالي أسهبوا في الحديث عن الحكام العرب سلباً وإيجاباً .

وقد بلغت أهمية هذه المذكرات أن تضمنت بعضها اعترافات مهمة منهم بمحاولة أجهزة استخباراتهم اغتيال بعض الحكام العرب كالرئيس المصري الراحل عبد الناصر والرئيس الليبي الحالي معمر القذافي، أو محاولة للتطهر من خلال الكشف عن جرائم إداراتهم وأيضاً إعلامهم الموالي لليهود تشويه صورة حكام عرب على العكس تماماً من صورتهم الحقيقية كالرئيس السوري حافظ الأسد، أو كشف أسرار مفاوضات سلام تم اتهام زعماء عرب كالرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بأنهم سبب فشلها عكس الحقيقة تماماً، أو تكشف عن محاولات لتصوير حكام عرب على أنهم قتلة، وتحذير زائريهم من كبار الدبلوماسيين العالميين من الالتقاء بهم!!

في هذا الكتاب أسرار وأسرار تكشفها مذكرات زعماء وقادة ورجال [...] دول العالم، وكان للحكام العرب نصيب كبير منها!!

W. Salama 010 15 17 873



I.S.B.N. 977-376-366-8

